

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

رجب طيِّب أردوغان

Recep Tayyip Erdoğan

قصّة زعيم

Bir Liderin Doğuşu

حسين بسلي و عُمر أُوزباي

رجب طيِّب أردوغان

Recep Tayyip Erdoğan

قصّة زعيم

Bir Liderin Doğuşu

تأليف

حسين بسلي
Hüseyin Besli

عُمر أُوزباي
Ömer Özbay

ترجمة وتقديم
د. طارق عبد الجليل
مدير مركز القاهرة للدراسات التركية

مراجعة
د. رمضان يلدرم



الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

رجب طيِّب أردوغان

Recep Tayyip Erdoğan

قصّة زعيم

Bir Liderin Doğuşu

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يتضمن هذا الكتاب ترجمة النص التركي لكتاب

Recep Tayyip Erdoğan - Bir Liderin Doğuşu

حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع مع الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

الطبعة الأولى

1432 هـ - 2011 م

ردمك 978-614-01-0327-6



عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم

هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)

ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان

فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت - هاتف 785107 (1-961+)

الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت - هاتف 786233 (1-961+)

الفهرس

مقدمة المترجم

(1)

تتسم الحركة الإسلامية في تركيا بخصائص مميزة فرضتها عليها ظروف تاريخية واجتماعية وسياسية خاصة، أضفت عليها طابع المحلية. ولقد أفادت الحركة الإسلامية في تركيا ولا سيما حركة "الفكر الوطني" بزعامة نجم الدين أربكان التي تمثل الإسلام السياسي من حركات إسلامية كبرى تأتي في مقدمتها حركة الإخوان المسلمين، ونهلت من كتابات منظري هذه الحركات وقادتها مثل حسن البنا، وسيد قطب، وأبي الأعلى المودودي، وأبي الحسن الندوي، ومطهري، وبهشتي، وغيرهم.

ومع تطور العملية الديمقراطية منذ عقد السبعينيات في تركيا، وظَّفت الحركة الإسلامية التركية خبرات وأدبيات الحركات الإسلامية الأخرى في إدارة حركة نهضوية وصراع سياسي مع النظام الحاكم في تركيا. غير أن الوسط السياسي والمؤسسة العسكرية التي تقف خلفه لم يسمحا للإسلام السياسي في تركيا بالوصول إلى مبتغاه والبقاء على سدة الحكم عام 1997 أكثر من عدة أشهر، وقامت المؤسسة العسكرية بانقلابها الذي نعته البعض (بالنقلاب ما بعد الحداثي) ضد حكومة المرحوم "أربكان".

ولعل المتابع للشأن التركي يتذكر فترة تشكيل حزب الرفاه لحكومة ائتلافية عام 1996م، والتي وُصفت آنذاك بأنها انتصار للإسلام السياسي ضد النظام العلماني المتشدد في تركيا. وانبرت حينها حركات الإسلام السياسي في العالم العربي ولا سيما جماعة الإخوان المسلمين في مصر لمحاكاة ذلك النموذج التركي الذي استطاع الفوز في صناديق الانتخابات وتمكن من تشكيل حكومة ذات مشروع إسلامي لأول مرة. إلا أن تطورات الأحداث داخل تركيا وخارجها استطاعت أن

تكشف عن العجز الذي أصاب حركة "الفكر الوطني" بزعامة نجم الدين أربكان، وما اعترى أفقها الفكري من شيخوخة وتراجع، وعدم قدرة على التعاطي مع متطلبات الظرف السياسي والمتغيرات الدولية. حيث لم تعد الحركة قادرة على تلبية متطلبات الجموع العريضة من أبناء تركيا بأطيافها الفكرية المختلفة، خاصة في أعقاب سقوط الاتحاد السوفييتي وانهيار الشيوعية، فخفتت جذوة تأييد الناخبين للإسلاميين وبرامجهم التي اعتمدت لفترات طويلة على مخاطبة المشاعر الإسلامية قبل أي شيء.

وكان انقلاب 28 فبراير/ شباط عام 1997م الذي قامت به المؤسسة العسكرية التركية ضد الحكومة الائتلافية المشكلة من حزبَي (الرفاه والطريق القويم) علامة فارقة ونقطة تحول في مسار حركة الإسلام السياسي في تركيا. بل وتكشف المراجعة التاريخية أن ثمة مطالب من أجل تجديد استراتيجيات الإسلام السياسي في تركيا قد بدأت قبل ذلك بأكثر من عشر سنوات؛ فهو الصراع المتجدد بين القدماء والمحدثين، بين الشيوخ والشباب، بين القادة الكبار والمرشحين للقيادة من الصغار.

(2)

"لم أتغير؛ ولكنني تطورت"، بهذه الكلمات الموجزة دشَّن "رجب طيب أردوغان" مرحلة جديدة في مسار حركة الإسلام السياسي، وارتاد تياراً وسطاً بين ثنائية (العلمانية/ الإسلام)، عُرف بتيار "الأردوغانية".

نشأ أردوغان وتربى في كنف حركة "الفكر الوطني" منذ أن كان في المدرسة الثانوية للأئمة والخطباء. وقد أهَّلته ملكاته الخطابية، ومطالعاته الثقافية، وشخصيته الجادة لأن يشارك في أنشطة الأحزاب السياسية التي أسستها حركة الفكر الوطني؛ بداية من حزب النظام الوطني وحزب السلامة الوطني في السبعينيات، ثم حزب الرفاه، وانتهاءً بحزب الفضيلة. ثم هو بعد ذلك يعلن قراره بالانشقاق عن حركة الفكر الوطني، وتأسيس حزب سياسي جديد مستقل باسم "حزب العدالة والتنمية". وتنشق معه قيادات شابة كثيرة كانت تمثل التيار التجديدي داخل حركة الفكر الوطني، منهم: عبد الله غول، وبولنت أرينتش، ومليح غوكتشاك، ليتركوا حزب السعادة آخر أحزاب حركة الفكر الوطني في أيدي شيوخ الحركة وقادة تيارها

التقليدي وحدهم.

ويعلن أردوغان منذ اليوم الأول لتأسيس حزب العدالة والتنمية أن حزبه يحمل طابعاً "ديمقراطيًّا محافظاً"، وأنه مفتوح أمام كل المواطنين ليحقق مشروعاً وطنيًّا نهضويًّا ينقذ تركيا من كَبَوَتها الاقتصادية والسياسية، ويؤهلها للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي.

وما هو إلا عام وبضعة أشهر حتى خاض ذلك الحزب الناشئ غمار الانتخابات العامة المبكرة في الثالث من نوفمبر/تشرين الثاني عام 2002م، ينافس فيها الأحزاب التركية الكبرى ذات التاريخ السياسي الطويل في خوض الانتخابات وتشكيل الحكومات. وإذا بنتائج الانتخابات تُعلن فوز حزب العدالة والتنمية بالمركز الأول ليصبح قادراً على تشكيل حكومة بمفرده بعد نحو عشر سنوات لم تتشكل فيها سوى حكومات ائتلافية. وإذا كان تحقيق النجاح أمراً صعباً، فإن الحفاظ عليه أشد صعوبة. فها هو أردوغان يخوض بحزبه الانتخابات العامة للمرة الثالثة أيضاً، ويحظى مرة أخرى بثقة الشعب به وبوعوده.

ولا ريب أن ثمة عوامل داخلية قد دفعت الناخبين إلى تجاهل الأحزاب السياسية العتيقة بمكوناتها الإيديولوجية المتمايزة، ومنها وعودها الزائفة، وصراعاتها الداخلية والبينية التي أوقعت تركيا خلال تلك الفترة في أزمة اقتصادية طاحنة جعلتها على وشك الإفلاس العام. ولقد اندفعت جموع الناخبين نحو تأييد حزب العدالة والتنمية وبرنامجه الطموح؛ حيث كانت قيادات الحزب الشابة وفي مقدمتها أردوغان تحمل رصيداً من الثقة لدى جموع المواطنين قد تراكمت في أثناء تولي هذه القيادات للمجالس المحلية والبلديات في محافظات تركيا المختلفة؛ حيث قدَّمت خدماتها للمواطنين، وتصدَّت للفساد والمفسدين، ونفذت مشروعات تنموية جعلت محافظات مثل اسطنبول في قائمة أفضل مدن العالم.

وكان المناخ السياسي المتخبط، وصراع المصالح الشخصية داخل الأحزاب السياسية جميعها سببين في انشقاق عدد من القيادات البارزة في تلك الأحزاب على اختلاف أطيافها الإيديولوجية، وانضمامها إلى حزب العدالة والتنمية، ومجالس إدارته رغبة منهم في تنفيذ برنامج حزب العدالة والتنمية، ومشاريعه الطموحة التي تستهدف إنقاذ مكانة تركيا السياسية، وتحقيق النهضة والتقدم للوطن والمواطنين

كافة من دون تمييز بين عرق أو دين أو إيديولوجية.

ومـن ثـم يمكـن القـول إن حـزب العدالة والتنمية بقيادة أردوغان قد تبنى تياراً ثالثاً في معضلة الهوية التركية (العلمانية – الإسلام)، وقام بتطويره، وإعادة صياغته في نسـق سياسـي ليبرالي ذي طبيعة (ديمقراطية - محافظة)؛ ليصبح بذلك مفهوم "الديمقراطية" معبراً عن إرادة الشعب في اختيار حُكَّامه وتشريعاته، بينما يعبر مفهوم "المحافظة" عن وجدان الشعب التركي، ووعائه القِيَمِي والتراثي. وبهذه الكيفية استطاع تيار "الأردوغانية" أن يشق طريقاً وسطاً يحقق إجماعاً وتوافقاً بين رغبات الشـعب ومتطلباته من أجل مرحلة جديدة تسـمو فوق الإيديولوجيات المتطاحنة، وتنشد مصلحة الوطن والمواطنين كافة، ولا تصطدم بالنظم السياسية العالمية.

(3)

والكتـاب الـذي نقـدم لـه يحكـي لنـا قصة واقعية بطلهـا هو رئيس وزراء تركيا الحالي "رجب طيب أردوغان". ومؤلفا هذا الكتاب شخصيتان قريبتان من أردوغان، كتبـا فصـول هـذا الكتـاب مـن داخـل الأحداث، واسـتنطقا الكثير من شـهود العيان وأبطال هذه القصة الواقعية.

ومن اللافت هنا أن القارئ لهذا الكتاب سيجد نفسه أمام أسلوب جديد للسرد، ونمـط مختلـف إلـى حـد مـا، علـى ثقافتنـا العربية؛ فهو يمزج بين السـرد القصصي والشـواهد التوثيقية، والتحليل السياسـي، ويعرض كذلك لآراء وتصريحات ساسـة وعلماء أتراك، يمكن اعتبار كل واحد منهم شـاهداً على عصر أردوغان، ومشـواره السياسي، وتطوراته الفكرية والإيديولوجية.

ويتناول الكتاب بين دفتيه حياة أردوغان الشخصية ومشواره السياسي، وتطوره الفكري من خلال عرض تاريخي متسلسل، وجهوده في العمل السياسي داخل حزب السـلامة الوطنـي وحـزب الرفـاه انتهـاءً بحزب الفضيلة. ويعـرض الكتاب بالتفصيل لتجارب أردوغان في رئاسـة بلديات اسـطنبول المختلفة، ثم رئاسـته لبلدية مدينة اسـطنبول الكبرى، وما اسـتحدثه من برامج انتخابية ووسـائل وأدوات في الدعاية الانتخابيـة، ومـا قدمـه مـن خدمـات وحققـه من مشـروعات من أجـل خدمة الوطن والمواطنين.

ثـم يعـرض الكتـاب بنـوع من التفصيل التضييقـات والضغوط التي تعرض لها أردوغان من داخل حزبه ومن خارجه، فضلاً عن التهديد بالقتل والفترة التي قضاها في السجن السياسي.

كما يُفرد الكتاب جزءاً كبيراً لمرحلة الانشقاق عن حركة الفكر الوطني وتأسيس حزب العدالة والتنمية، والجهود التي بذلها أردوغان ومجموعته من أجل تشـكيل الحزب، وصوغ برنامجه ولائحته الداخلية.

ويُعد هذا الكتاب سيرة ذاتية وعملية، لم يكتبها أردوغان بنفسه بل شارك العديد مـن رفقـاء دربـه فـي كتابتهـا وتوثيقها، من أجل تدوين قصة الزعيم أردوغان لتصبح نموذجـاً يحتـذى للأجيـال الشـابة في الثبات علـى المبادئ، والمرونة في التخطيط، والقدرة على تطويع الاستراتيجيات لتطوير الأفكار وتجديدها بشكل مستمر، وهي مهمة لا ينوء بحملها إلا الشباب المجددون في كل عصر.

د. طارق عبد الجليل

مدير مركز القاهرة للدراسات التركية

المقدمة

ربما كان لكل إنسان قصة واحدة، وربما كان في حياة البعض العديد من القصص، ويعد "أردوغان" واحداً من الذين تحفل سيرتهم بالكثير والكثير من القصص والمغامرات.

ويعد "أردوغان" من أبرز الشخصيات التي تتصدر اهتمامات المجتمع لما يتمتع به من شخصية كاريزمية جذابة، وصفات مميزة، فضلاً عن كونه رئيس وزراء الجمهورية التركية.

إن "أردوغان" يهتم بنا ويرعى مصالحنا، ولكننا نهتم بشؤونه وأخباره أكثر، إما عن حب أو كراهية، وإما عن إعجاب أو نفور، وإما بنظرة يحدوها الأمل أحياناً أو الريبة أحياناً أخرى، فنحن وإن اختلفت نظراتُنا إليه، فإننا نتفق في متابعتنا له متابعة دقيقة.

يعد "أردوغان" الشخصية السياسية البارزة التي حققت نجاحات وإسهامات فارقة في تاريخ الجمهورية التركية، فمنذ أعوام طويلة، بل وعقود عدة، و"أردوغان" يخوض غمار الحياة السياسية، فضلاً عن أنه تولى رئاسة وزراء تركيا خلال السنوات الثماني الأخيرة. وما من أحد يجهل "أردوغان"، فله حضور دائم بين الناس تنقله إلينا عدسات الكاميرات باستمرار، والصور الفوتوغرافية، والمقالات، والرسوم الكاريكاتورية، وربما نراه أكثر مما نرى أقاربنا، ونعرفه أكثر مما نعرف أصدقاءنا المقربين، نغضب منه مرة، ونفتخر به مرات أخرى.

إننا نهتم بكل عمل قام به أو قول صدر عنه، بل وأيضاً بما لم يفعله أو لم يقله. إننا نريد أن نعرف عنه كل صغيرة وكبيرة. ورغم أن وسائل الإعلام المختلفة لا تضن علينا بشيء من أخباره، إلا أن ولعنا لمعرفة المزيد عنه لا حد له. وما من قلم كاتب إلا ويضيف لوناً جديداً إلى صورة "أردوغان" التي في مخيلتنا، ويجعلنا ندرك أن ثمة جوانب غائبة عنا بشأن "أردوغان"، وأننا ما علمنا عنه سوى القليل،

وما خبرنا من أمره إلا النذر اليسير.

وقد شرعنا في كتابة هذا الكتاب بهدف الكشف عن جوانب مجهولة في شخصية "أردوغان" ولو على شكل لمحات. فأدركنا في النهاية أننا ما زدنا الهوة إلا اتساعاً، وما إن تعرفنا على جانب من شخصيته حتى تطلعنا إلى معرفة جوانب أخرى. ولم تنتهِ القصة بعد...

ويدور الكتاب الذي بين أيديكم حول تاريخ دولة، وتاريخ إنسان، فضلاً عن أنه يعد حافظة ومدونة لفترة فريدة من تاريخ تركيا المعاصر؛ فما يرويه الكتاب هو قصتنا جميعاً... إنها قصة رجل يكتب قصتنا.

وفي النهاية نتوجه بالشكر والامتنان إلى أولئك الذين لم يضنُّوا علينا بمعاونتهم في أثناء كتابة هذه القصة الواقعية التي يرويها أبطال حقيقيون.

فجزاهم الله خيراً

المؤلفان

العداء الدفين

اتصال هاتفي من "مصطفى يوجه" المدير بشعبة حزب الرفاه في محافظة اسطنبول:

- مرحباً، الأخ أحمد، اتصل قبل قليل شخص وقال إن خط الهاتف والتيار الكهربائي الخاص بنا سينقطعان اليوم لمدة ساعتين، ما بين الساعة الواحدة والثالثة ظهراً... سيتصل حتماً مرة أخرى فلا عليك إن لم تستطع الوصول إليه.

- من كان ذلك الشخص؟ ألم تسأله؟ ومن أين اتصل؟
- أنا لم أستطع أن أسأل، فقد أغلق الهاتف بمجرد أن أنهى كلامه.
- حسناً، شكراً.

أغلق "أحمد أرغون" الهاتف، وقال وهو يلتفت نحونا: "اتصل بالشعبة...!!"، وتابع وقد بدت عليه علامات الضيق الشديد وقال لنا: "اتصل شخص ما بمصطفى وقال له إن خط الهاتف والتيار الكهربائي الخاص بنا سينقطعان لمدة ساعتين...".

كنا قد اعتدنا على انقطاع التيار الكهربائي، بيد أن انقطاع خط الهاتف معه كان بالنسبة لنا أمراً غريباً إلى حد ما. لم نتوقف كثيراً عند هذا الموضوع، حتى إنه لم يجل بخاطرنا أن نتصل هاتفيًّا بعد ذلك بالشعبة ونسألهم عن صحة هذا الخبر.

كانت انتخابات البلديات التي ستجرى في 27 مارس/ آذار 1994م قد أشرفت على الأبواب. وكنا نواصل جهودنا في حملة الدعاية الانتخابية باعتبارنا نمثل حزب الرفاه في شعبة اسطنبول. واستغرقنا في العمل، وأخذنا نوزع المناطق بيننا: هذا الحي لك، وهذا الشارع لي، وهكذا...

وما إن حل المساء حتى دق هاتف "أحمد أرغون" مرة أخرى. وكان "أحمد أرغون" هو الشخص الوحيد في ذلك الوقت الذي يحمل هاتفاً جوالاً بيننا؛ فانتبهنا لدقات الهاتف عن غير قصد منا ظنًّا بأن شيئاً مهمًّا قد حدث.

- "مرحباً، تفضل...".

- "كنتُ قد اتصلت في الصباح بمديركم في الشعبة، وأخبرته أن خط الهاتف والتيار الكهربائي الخاص بكم في مبنى الشعبة سينقطعان، وها قد رأيتم... إن ما قلته قد حدث!".

- "من حيث إننا رأينا فقد رأينا...!! ولكن من أنتم؟ وما شأنكم بنا؟".

- "أنا أحذركم... ينبغي لمرشحكم أن يسحب فوراً ترشيحه، ويعلن ذلك في مؤتمر صحفي، وإلا...".

- "وإلا ماذا...؟".

- "سيكون تحذيرنا القادم تحذيراً دمويًّا...!".

حاول السيد "أحمد أرغون" أن يحافظ على هدوئه وهو ينقل إلينا هذه المحادثة القوية، وأخذتنا جميعاً الدهشة والاستغراب.

كنا مضطرين للتعامل مع الأمر الواقع ومحاولة فهم ما حدث؛ فمن هؤلاء؟! ولماذا هم قلقون من ترشُّح "رجب طيب أردوغان" لرئاسة بلدية مدينة (اسطنبول الكبرى)(*)؟ كنا لا نزال في بداية العمل، وفضلًا عن هذا، فقد كان احتمال فوز مرشحنا في الانتخابات احتمالاً ضعيفاً بالنظر إلى مرشحين مثل "بدر الدين دالان"، و"زولفو ليونالي"، و"إلهام كاسجي" وهي شخصيات معروفة وذائعة الصيت في المجتمع، وتستند إلى دعم إعلامي كبير، ناهيك عن أن اسم "رجب طيب أردوغان" لم يكن له ذكر قط في وسائل الإعلام. وكانت استطلاعات الرأي العام واضحة جلية، إذ كُنا في آخر قوائمها.

* * *

إن رغبة البعض في سحب "أردوغان" ترشيحه دليلٌ على أنهم قد رأوا شيئاً لم يره الإعلام أو ترصده استطلاعات الرأي العام. فمن الواضح أن ذلك الشخص أو أولئك الأشخاص لديهم من الإمكانات والخبرات ما يتيح لهم حسن التفرس في المرشح وتحديد قدراته.

لقد تنبه أولئك الأشخاص إلى مبنى صغير لا يلفت الأنظار إليه كثيراً، بسبب

(*) بلدية مدينة اسطنبول الكبرى: ينظِّم القانون التركي إدارات البلديات، ويسمح بضم البلديات إلى بعضها بعضاً داخل المحافظة الواحدة وفق حجم بلدية المدينة أو المركز وعدد سكانها. وتُعد بلدية مدينة اسطنبول الكبرى واحدة من أكبر البلديات الكبرى في تركيا حيث تضم الآن 39 بلدية موزعة في عموم محافظة اسطنبول.

حجمه المتواضع بين كم هائل من الإعلانات والملصقات والأعلام التي تحيط به وبالمنطقة من حوله... كان ذلك المبنى هو شعبة حزب الرفاه في مدينة (اسطنبول).

وبقدر ما كان مبنى الشعبة متواضعاً، كان أيضاً العاملون والمترددون على ذلك المبنى في غاية الهدوء والسكينة والتواضع. بيد أن العين الفاحصة يمكنها أن ترى بسهولة مدى إصرار وعزم أولئك النفر على الفوز في الانتخابات. كان "رجب طيب أردوغان" رئيساً للشعبة، وكانوا ينادونه بلقب (يا رَيّس)، ويبتهلون إلى الله تعالى أن يوفقه للفوز برئاسة بلدية مدينة (اسطنبول الكبرى).

وما إن ينشق الصباح عن يوم جديد حتى كانت هذه الحشود تنتشر في المدينة كأسراب من النحل، وتظل على حالها هذه إلى منتصف الليل، وتطوف بيوت المدينة بيتاً بيتاً، وتطرق أبوابها باباً باباً، ليعرّفوا الناس بالريِّس "أردوغان". يقولون لهم إن (اسطنبول) تحتاج إلى رؤية "أردوغان" وبرنامجه الإصلاحي فضلاً عن عزمه الحديدي الذي لا يلين في مواجهة الصعاب وحبه الدافق لها ولأهلها.

كانوا يخرجون إلى طرقات المدينة في بردها وقيظها، بين غبارها ورمالها، فيصلون إلى أبعد نواحيها وسط رائحة منفّرة لا تحتملها النفس، وأكوام القمامة العفنة، كانوا يطرقون فيها أبواب المقاهي، والحانات، والخمارات، وبيوت الدعارة، ويمرون بأزقتها وحواريها، ويصلون برسالتهم إلى كل أهالي (اسطنبول) حتى المرضى منهم، والفقراء، والعجائز، والأطفال. إنهم لا يعرفون معنى الكلل أو الملل. يؤدون عملهم في خشوع العابد بلا تعب أو نصب. ينهضون برسالتهم تواضع المتنسك، عقيدتهم "إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا"، وحلمهم أن يروا "رجب طيب أردوغان" رئيساً لبلدية (اسطنبول) يدير أمرها ويدبر شؤونها.

* * *

وبينما كان الناس في هذه الانتخابات ينظرون إلى حزب الرفاه ويسخرون بقولهم: "إن هذا الحزب حزب صغير ضعيف التأثير وربما لا تأثير له"، كانت الأصوات التي على الطرف الآخر من المكالمات الهاتفية الغامضة ومن يستتر خلفها قد فطنوا إلى حزب الرفاه وشُعبه ومقاره، وأخذتهم الدهشة أمام الحقيقة الماثلة أمام أعينهم.

كانوا محقين في مخاوفهم... كانوا على يقين بالخطر المحدق بهم... نعم،

لم يخطئ حدسهم... فالخطر المحدق بهم كان اسمه: "رجب طيب أردوغان".

كان "أردوغان" من حي (قاسم باشا). وهو من أحياء (اسطنبول) التي كان استخدام السلاح الأبيض فيها سلوكاً معتاداً إلى حد أنه كان واحداً من أقصر السبل والذي تميز بين الأقران فيه، ولكنه لم ينغمس أبداً في تلك البيئة التي تغري بسهولة كل شاب من شبابها.

تعلق قلب "أردوغان" بكرة القدم منذ نعومة أظفاره؛ فقد ملكت عليه قلبه وسلبت منه الكثير من وقته وهو في الصفوف الأولى في مرحلة الدراسة الابتدائية، وظل يلعب كرة القدم طيلة ستة عشر عاماً، إلى أن وقع الانقلاب العسكري في 12 سبتمبر/ أيلول 1980م.

كان ولعه بكرة القدم التجربة الأهم في حياته والتي لها دور بارز في وصوله إلى المكانة التي تبوأها اليوم؛ فقد تعلم خلال تلك الأعوام الصبر في مواجهة الصعاب، والصمود حتى اللحظة الأخيرة، وأن يحوِّل الكرة تحت قدمه إلى هدف يسدده في مرمى الخصم.

وما من طفل يلعب كرة القدم ويعشقها منذ نعومة أظفاره، إلا ويحلُم بأن يصبح نجماً كبيراً في المستقبل.

لم يشأ القدر "لأردوغان" أن يصبح نجماً في كرة القدم، ولكن أعوامه التي قضاها مع كرة القدم دفعته دفعاً للمثابرة والتخطيط السليم، وأكسبته الاتزان ورسم الاستراتيجيات، وعلمته معنى النصر والهزيمة، ومنحته الثقة بالذات، ووهبته الإقدام والمثابرة.

وإلى جانب اهتمام "أردوغان" البالغ بالرياضة، وتمرسه في كرة القدم، فقد كان تخرجه في مدرسة (الأئمة والخطباء) عاملاً داعماً لمسلكه السياسي؛ إذ إنه عرف كيف يُقدر خصائص البيئة التي نشأ فيها ومفرداتها، ويحترم عاداتها وقيمها الأخلاقية، واستطاع أن يجذب انتباه كل من يستمع إليه؛ بسبب أحاديثه وخطبه المؤثرة والثرية بالآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، علاوة على تمتعه بأساليب بلاغية ومهارات خطابية متميزة.

كان لا يزال في الثانية والعشرين من عمره عندما تولى رئاسة (جناح الشباب)

بـحزب (السلامة الوطني)[*] بحي (باي أوغلو) في اسطنبول عام 1976م. وفي العام نفسه تولى رئاسة جناح الشباب عن محافظة اسطنبول كلها.

وفي عام 1984م تولى رئاسـة شـعبة (باي أوغلو) في حزب الرفاه الذي يعد اسـتمراراً لفكر وإيديولوجية حزب السـلامة الوطني. وفي عام 1985م أصبح رئيسـاً لشعبة اسطنبول في حزب الرفاه وعضواً في اللجنة العليا لإدارة الحزب.

وأردوغـان الآن أيضـاً مرشـح لرئاسـة بلديـة مدينـة اسـطنبول الكبـرى. وكان "أردوغان" يتولى إدارة شعبة حزب الرفاه في اسطنبول منذ عدة أعوام وقد تربى على يديه الكثير من الفتية والشباب، كما نشط على يديه الجناح النسائي في الحزب؛ إذ خاضت النساء تجاربهنّ الأولى في العمل السياسي الميداني خلال فترة ترشح "أردوغان" لرئاسة بلدية (باي أوغلو). وكان أولئك الشباب وأولئك النسوة يبذلون الغالـي والنفيـس بـكل إخـلاص وتضحيـة لا تقـل عن روح (النضـال الوطني)[**]، وجُل هدفهم أن يرفعوا الريِّس "أردوغان" إلى مقعد رئاسة بلدية اسطنبول الكبرى.

* * *

كُنا بالطبع ندرك أن الطريق إلى رئاسـة بلدية اسـطنبول ليسـت سـهلة ممهّدة. وكُنا نكافح للمرة الأولى معتقدين أن هذه الطريق قد تمتلئ أمامنا بالمزالق، أو قد تكون طريقاً مظلمة موحشة مليئة بالأخطار.

وبينمـا كان الليـل علـى وشـك أن يرخـي سـدوله على اسـطنبول، كان الضيق الذي ملأ نفوسنا طوال اليوم قد بلغ ذروته بخبر مفجع مؤلم، فقد تم تفجير مقرنا الانتخابـي فـي (صاماندیـرا)، وراح أخ مـن إخواننـا ضحيـة هـذا التفجير، ونُقل إلى المستشـفى عـدد مـن إخواننـا الجرحـى، وعلى الفور هرعنا إلى مستشـفى (قارتال)

(*) حـزب السـلامة الوطنـي: يُعـد حزب السـلامة الوطنـي امتداداً أصيـلاً لتيار حركة الفكـر الوطني؛ فهو ثاني الأحزاب السياسـية التي أسسـتها الحركة بعد حزب النظام الوطني. ويمثل هذا الحزب تطوراً في الرؤية الإسلامية للعمل السياسي سواء أكان من حيث برنامجه، أو من حيث ممارساته ومشـاركاته في العملية السياسـية خلال عقد السـبعينيات. وقد تأسس الحزب عام 1973م ثم أغلق في الانقلاب العسكري عام 1980م، ليتأسس حزب الرفاه بعده في عقد التسعينيات.

(**) النضال الوطني: حي حركة التحرير والنضال الوطني التي قامت بها جموع الشعب التركي وجنوده وضبـاطـه ضـد المحتليـن خلال الفترة من عام 1918م إلـى 1922م. ودوَّنت أدبيات التاريخ التركي المعاصـر قصصـاً وبطـولات حقيقية تمثِّل روح الفداء والتضحية والتجرد قام بها المسـلمون عامة من أتراك وعرب وأكراد وغيرهم للدفاع عن تركيا وتحريرها من المحتلين.

الحكومي. لزيارة إخواننا الجرحى، وأبلغناهم تمنياتنا بالشفاء العاجل، ثم انتقلنا إلى حجرة كبير الأطباء للحصول على معلومات عن إخواننا المصابين، ولإجراء تقييم عاجل للموقف.

لم يكن هناك مجال لأي منا حتى يتحدث. فكنا من ناحية نسعى لإخفاء الألم الذي يعتلج في صدورنا، ومن ناحية أخرى على وشك الانفجار من الغضب. في حين أننا كنا مضطرين لأن نستجمع قوانا في أسرع وقت ونجري تقييماً صحيحاً للموقف.

وفجأة قطع صمتنا صوت أفزعنا وزاد توتراً إلى توترنا... كان صوت هاتف "أحمد أرغون". والحقيقة أن الهاتف لم يكن يرن، بل كان يصم آذاننا. فكتمنا جميعاً أنفاسنا، وحرصنا على الاستماع إلى ما يقوله المتحدث:

"لم تأخذوا تحذيراتي مأخذ الجد"، ويواصل الصوت المشؤوم قائلاً: "قلت لكم إن الدماء ستراق، فلم تهتموا. هذا هو التحذير الأخير لكم...! لديكم الليلة عمل آخر، سيلقي مرشحكم خطاباً هذه الليلة، فقولوا له أن يتراجع، ويسحب أوراقه، وإلا سيُضرب في أثناء خطابه".

ننظر جميعاً إلى السيد "أردوغان"، وقد علا وجهه ثبات عميق بدد كل تردد أو مخاوف انتابتنا. كان واضحاً أن عقيدته قد جعلته ثابتاً حرًّا إلى درجة لا يخشى معها أي قوة دنيوية، وأنها قادرة على التحدي عند اللزوم ومجابهة كل الصعاب. كانت هذه الروح المطمئنة القوية تنفث فينا جميعاً الشجاعة والجرأة.

فيقول الريِّس لنا:

"أيها الإخوة، ليذهب كل منا إلى عمله... ولنواصل أعمالنا".

كان "أردوغان" سيلقي خطابه من فوق حافلة صغيرة. وقد تراص حوله إخواننا والعاملون بالحزب فداءً له عن حب وطواعية.

وكان من بين هؤلاء الإخوة من يحمل أسلحة مرخَّصة. كما كانت معنا بنادق! والتففنا حوله نحميه والأصابع على الزناد، وقد تملكنا التوتر والقلق، حتى لو أن طفلاً ألقى مفرقعة عن غير قصد لاندلعت معركة حربية لا يُعلم منتهاها.

وينهي "أردوغان" برنامجه الانتخابي بخطبة قصيرة إلى حد ما.

وبينما كنا ننهي عملنا ونستعد للتحرك من أجل توصيل "أردوغان" إلى بيته،

دق الهاتف مرة أخرى:

"الليلة لم تنته بعد"، ويواصل ذلك المتحدث تهديده فيقول: "أمامكم طريق طويلة حتّى تصلوا إلى البيت... نحن خلفكم".

وبينما كُنّا على وشك القول إننا أتممنا اليوم عملنا بخير من دون مشكلة أو حادثة، إذ بهذا الهاتف يلقي بنا في غياهب الجُبِّ مرة أخرى. إنه الانزعاج والسأم والتشاؤم، كُنا قد وصلنا إلى أقصى حدودنا حتى بلغ بنا الأسى مبلغه لنقول "كفى"، فنحن في حالة تيقظ وتنبه واستنفار؛ ولكن ما فائدة ذلك؟...

فقد كان واضحاً مدى جدية أولئك الأشخاص... كانوا على علم بكل خطوة نخطوها... كنا في مرمى هدف منظمة تتحدانا عن بُعد، وتوظف في ذلك أجهزتها التكنولوجية.

ولكن ماذا سنفعل؟

* * *

لم نكن قد أخبرنا أحداً قط حتى الشرطة عن مكالمات التهديد الهاتفية تلك. فلم نكن نعتقد أن هناك أي شخص داخل صفوف الدولة يمكنه أن يمنع ما يمكن أن يحدث. وعندما التفتنا ونظرنا خلفنا وجدنا الكثير من الأحداث التي يمكن أن تؤكد ظنوننا.

كان الذين يهددون "أردوغان" بالموت يفعلون ذلك لغرض سياسي. فمن ذلك الذي تقرر اغتياله لأسباب سياسية ثم نجا بالاحتماء بقوات حراسته؟... ودعنا من المدنيين، فأين أولئك الجنرالات والضباط ذوو الرتب العليا الذين كانت لهم مكانتهم داخل مجالس القوات المسلحة مثل "خلوصي صاين" و"أشرف بيتليس"، و"بختيار آيدين"، أليسوا الآن تحت التراب؟! إن أولئك الضباط والجنرالات راحوا ضحية عمليات اغتيال وليس في حرب ضد اليونان. وهل استطاع رئيس تركيا العظيم الراحل "طورغوت أوزال" أن ينقذ "عدنان قهوجي" الذي كان يعده مثل أبنائه من مخالب موتة مشبوهة؟ وكذلك حادث اغتيال الصحفي "أوغور مومجو"، فبأي ذنب قُتل؟... ولكن "أردوغان" لا يكترث بمثل هذه التهديدات ولا ترهبه حوادث الاغتيالات.

إننا عندما نراجع هذه الجرائم السياسية نجد أنفسنا أمام حقيقة أقل وصف لها

أنها مرعبة؛ ففي هذه الدولة ينبغي عليك ألا تجعل من نفسك "عنصر تهديد" حتى لا يكون القتل مصيرك. فحتى وإن حاولت تقديم حلول لمشكلة خطيرة بإصلاحات سلمية؛ فإن ذلك يعني أنك قد تدخلت في ساحة العمليات الخاصة بالدولة، وهو ما يكفي لأن تصبح أنت ذاتك "عنصر تهديد". أما إن كنت تشغل منصباً مهمًّا داخل أجهزة الدولة، فإن التخلص منك سيحمل عنوان "عاجل جدًّا".

لم يكن "أردوغان" موظفاً في دائرة من دوائر الدولة، كان – فقط – رئيساً لشعبة حزب الرفاه في اسطنبول. ولما كان الذين يعملون معه ينادونه "بالريّس"؛ فإن ذلك نابع من أن رحلته مع الزعامة قد بدأت منذ زمن طويل. كان نجمه يلمع بسرعة كبيرة، ويتمتع بقدرات خاصة للوصول إلى الناس بسهولة ويسر. حيث يضع مشكلات دولته في بؤرة اهتمامه. وكان "أردوغان" يتحدث بلغة لم يعتدها النظام القائم؛ فهو يسعى لفهم الأوضاع الحقيقية الواقعية في منطقة جنوب شرق تركيا وخاصة ما يعانيه الأكراد فيها. ولم يكن يتصرف باعتباره رئيساً لشعبة من شعب حزب الرفاه، بل كان أشبه بزعيم وضع نصب عينيه الإحاطة بكل مشكلات دولته صغيرها وكبيرها، فلا يتهرب من تحمّل مسؤولياته. وكان يأمر مستشاريه بإعداد التقارير عن مشكلة الأكراد، ويتحدث عما يتعرض له سكان تلك المنطقة من ظلم الدولة بالقدر نفسه الذي يتحدث به عن ظلم حزب العمال الكردستاني. وكان يدعو الدولة إلى التراجع عن سياساتها العرقية والقمعية.

وبينما كانت النخبة التركية خلال مرحلة قيام الجمهورية التركية وإنشاء الدولة القومية قد عرّفت الإسلام والهوية الكردية بأنهما خصمان للدولة على أعلى درجة من الخطر والتهديد، نجد في المقابل "أردوغان" يشارك في الحياة السياسية بوصفه مسلماً صحيح الاعتقاد يطرح حلولاً لمشكلات وطنه وفق رؤية إسلامية. فقد كانت منطلقاته الإسلامية وزعامته تحمل إيماءات وإشارات تزعج النظام. وفوق كل هذا كان "أردوغان" يستخدم لغةً مختلفةً تماماً، تتسم بالعدل والحياد بعيدة عن الخطاب الرسمي خاصة في معالجته للمشكلة الكردية. وبعد كل ذلك، أفلا تكون طروحات "أردوغان" ومواقفه هذه نذيراً لأولئك النفر فتدفعهم لاتخاذ تدابيرهم من الآن؟

* * *

وعندما حاولنا الوقوف على مدى جدية الأمر، وتوقّع النتائج التي سيسفر عنها

الوضع الذي تعرضنا له، مع الأسف، لم نستطع الخروج من هذا الأمر بشيء يذكر. يستمع (الريّس) للنقاشات، ويصرح بقراره النهائي: "الخوف لا يزيد من الأجل شيئاً... فلنتجه إلى بيوتنا مباشرة الآن "... وكم يرتاح الإنسان ويطمئن بسماعه صوتاً قويًّا حازماً.

ودعوني أصف لكم خطة العودة إلى المنزل؛ كانت الأمتار المئة الأولى بعد الدخول إلى الطريق المؤدية إلى البيت من شارع (فيسيقلي) مسافة قصيرة ولكنها على درجة عالية من الخطورة. فعلى امتداد الطريق تصطف أشجار قصيرة متشابكة الأغصان يمكنها أن تُخفي وراءها المخاطر والمفاجآت، فوضعنا خطة التحرك لاجتياز هذه الطريق الخطرة راجين من الله النجاة والسلامة.

وحسب الخطة، ففي السيارة الأولى سيركب الإخوة المكلفون بالحراسة، وسنجعل سيارة الريِّس في منتصف الموكب، وكان الريّس في سيارة "مصطفى أردوغان" يجلس على المقعد الخلفي، وكان "أحمد أرغون" سيجلس إلى جواره، بينما "أحمد تشاملي" سيقود السيارة كالعادة.

من الصعب عليَّ أن أتذكر كيف اجتزنا هذه الطريق التي أخذت تمتد بنا وتطول وكأن لا نهاية لها. كل ما أتذكره أننا بعد هذه المغامرة - التي لا تقل عن مغامرات أفلام الرعب - وصلنا إلى المنزل بسلام وأمان وقد تصببنا عرقاً، وأنهكنا الجهد.

كنا سنلتقي في المكتب الموجود بالطابق السفلي من المبنى ذاته، وفيه تكوم كل منا على مقعد ينشد الراحة. وفجأة بدد صوت الهاتف السكون المهيمن على الحجرة، فقفزنا من أماكننا، فها هو القاتل يتصل بنا. كتمنا جميعاً أنفاسنا، وأخذنا ننظر إلى وجه "أحمد أرغون"، وحرصنا على متابعة كل تغير يتبدّى على وجهه إلى أن انتهت المكالمة، ولكن وجه الأخ "أحمد" كان يزداد بهاءً وسروراً بمرور الوقت، وبالفعل غمرتنا السكينة والاطمئنان هذه المرة...

- ماذا قال؟

لم يكن الأخ أحمد يسمعنا، بل كان يكرر الكلمات التي سمعها كأنه يهذي: انتهى! الكابوس، انتهى!

- يا أخي أحمد ماذا قال؟ قل لنا، ما الذي انتهى؟ وما ذلك الكابوس؟

- إن...

- نعم...

- مرشحكم أثبت أنه رجل. إنه جدير بالترشُّح!...

- أهـذا فقـط كل شـيء؟ أكل مـا رأينـاه اليـوم وعانينـاه من صعوبات من أجل هاتين الكلمتين؟ "مرشحكم رجل!..."، حسناً، اعلموا هذا الآن فقط.

ما يمكن أن نفهمه هنا أن أولئك النفر كانوا يريدون توجيه رسالة إلى "أردوغان" ظاهرهـا القتـل وباطنهـا رسـالة مفادهـا: يمكنـك أن تصبـح رئيسـاً لاسـطنبول، بـل ويمكنـك أيضـاً أن تصبـح رئيسـاً لـوزراء تركيـا، ولكـن عليـك أن تلعب اللعبة وفق قواعدنا... وألا تنسى من هو الرئيس... وعليك أيضاً ألا تفسد لعبة التوازن السياسي التي نديرها...

حسناً، فهل رضخ "أردوغان" لهذه الرسالة؟

حاشا وكلا...

* * *

من محافظة ريزه
إلى حي قاسم باشا

تقع محافظة (ريزه) في منطقة البحر الأسود بشمال تركيا. ويعيش أهلها بين جبال شاهقة وسهول خصبة يانعة. وقد أضفت هذه الطبيعة على سكان محافظة (ريزه) سمات مميزة، فتراهم يميلون إلى الشجار ولكنهم لا يضمرون حقداً لأحد، يغضبون بسرعة ويهدأون بسرعة أيضاً، ويتميزون بصفات عديدة منها الشجاعة والإقدام، والذكاء الحاد، والهمة العالية في العمل.

وينتسب "أردوغان" إلى هذه المحافظة، وهو بهذا يتمتع بصفات ومميزات أهلها. عاش والده "أحمد أردوغان" في محافظة (ريزه) فترة طفولته، ورحل عنها عام 1918م وهو لا يزال في الخامسة عشرة من عمره، واستقر به المقام لدى بعض أقاربه في محافظة (زونغولداق)، ثم رحل عنها بعد أربع سنوات ليستقر به المقام في اسطنبول.

وكان "أحمد أردوغان" قد فقد والده وهو في الرابعة عشرة من عمره، ولهذا اضطر إلى تجشم صعاب الحياة وهو في سن صغيرة. وقبل أن يغادر محافظة (ريزه) اجتمع كبراء عائلته، وزوجوه بسيدة لديها طفلان حتى تكون عوناً له في غربته.

واستمر هذا الزواج لمدة أربعة وثلاثين عاماً. وفي عام 1952م طلّق "أحمد أردوغان" زوجته الأولى، وتزوج بعد عام بأخرى اسمها "تنزيلة". التي أنجبت له أول أبنائه وهو "رجب طيب" في 26 فبراير/ شباط 1954م. وبعد أربعة أعوام رزقا بمولودهما الثاني "مصطفى". وبعد ثمانية أعوام أخرى أي وهو في الثالثة والستين من عمره أنجبت له زوجته طفلة طالما اشتاق إليها.

بدأ "أحمد أردوغان" حياته العملية عاملاً في إدارة الشؤون البحرية، وظل

يعمـل فيهـا إلـى أن أُحيـل إلـى التقاعـد عـام 1968م. وكان "أحمـد أردوغان" بحّاراً يتســم بالتديّن والمواظبة على أداء الصلوات. ومن فرط ولعه بالبحر اتخذه مســلكاً له لأداء فريضة الحج عام 1958م. واتسم أيضاً بالوفاء الشديد بقدر تدينه، فلم ينسَ قطّ مسقط رأسه الذي رحل عنه وهو في سن صغيرة.

ويحكي مصطفى أردوغان فيقول: "كان بيتنا يستضيف كل من يأتي من محافظة ريزه إلى اسطنبول. ففي الثلاثينيات والأربعينيات كان شباب أهل ريزه ينزحون نحو اسطنبول للبحث عن فرصة عمل، وكانوا يبيتون على أسطح المراكب الراسية في الموانـئ. وبعـد أن تـزوج والـدي بأمـي تمكـن من الحصـول على بيت أفضل، وبدأ يسـتضيف أهالي بلدتنا في بيتنا. وإنني لأذكر جيداً أن بيتنا كان يسـتضيف كل من يأتي إلى اسطنبول بحثاً عن العمل، أو من أجل إنجاز مصلحة حكومية، أو للعلاج، ولم تكن تمر ليلة إلا وفي بيتنا ضيف".

كان "أحمد أردوغان" يقطن في حي (طوبخانه)، وبعد أن تزوج بالسيدة "تنزيلة" انتقل إلى حي (سنان باشا)، وظل فيه 22 عاماً. ثم اشترى شقتين من مكافأة نهاية الخدمة عندما أُحيل إلى التقاعد. ويحكي "مصطفى أردوغان" فيقول: "عشــتُ مع أخـي الأكبـر رجـب طيـب فـي إحـدى هاتين الشـقتين، وبقيت أُختـي مع أبي وأمي في الشـقة الأخرى، وعندما تزوج رجب طيب عام 1978م انتقلت للحياة مع أمي وتركنا الشقة لأخي".

كان "أحمد أردوغان" لا يأمل خيراً كثيراً من دراسة ابنه الصغير بسبب كسله، بينمـا لـم يسـاوره شـك فـي أن ابنـه الأكبـر "رجـب طيب" سـيكمل تعليمه ويصبح شخصية عظيمة. فبينما كان "رجب طيب" في المدرسة الابتدائية، قام مدير المدرسة باسـتدعاء والـده، وتحـدث إليـه وأوصـاه بـأن يحرص على تعليم ابنه هذا إلى أعلى مستوى يمكنه أن يصل إليه في التعليم.

وتدرج "رجب طيب" في مراحله التعليمية حتى دخل مدرسـة (ثانوية الأئمة والخطبـاء)، وفـاز فيهـا بمنحـة الإقامـة المجانيـة. ولـم تمر فتـرة وجيزة حتى أصبح "أردوغان" واحداً من أبرز طلاب المدرسة، يشارك في أنشطتها كافة، فيلقي الشعر، وينضـم إلى فريق كرة القدم بالمدرسـة، ويلعب كذلك الكرة الطائرة فيها، كما أنه كان عضواً أساسيًّا في فريق مسابقات المتفوقين باسم المدرسة. وعلى النقيض من

معظم طلاب المدرسة النازحين من منطقة (الأناضول)، كان "أردوغان" يُعد من أهل اسطنبول من حيث المولد والنشأة، ويتصف بكل المميزات التي تضفيها هذه المدينة على أهلها.

وقد رغب والده في أن يدرس "رجب طيب" في المدرسة الداخلية ثقةً منه بأنها ستوفر له مناخاً أكثر نظاماً وانضباطاً. وكان "رجب طيب" يحصل على عطلته الأسبوعية من المدرسة الداخلية حتى يقضيها مع أسرته، غير أنه لم يكن يفعل ذلك بل كان يستثمر هذه العطلة في العمل والتكسب؛ فقد عمل بائعاً للسميط والماء في شوارع اسطنبول، وكان ينفق معظم ما يحصل عليه من أموال على شراء الكتب. ولذلك تجمعت لديه مكتبة كبيرة وهو لا يزال في مراحل دراسته الأولى.

ويتحدث "مصطفى أردوغان" عن أعوام دراسة "رجب طيب" فيقول: "كانت مكتبة أخي رجب طيب تضم العديد من الكتب القيمة وعلى رأسها كتب "سردانغتشي"(*)و"نجيب فاضل قيصه كورك"(**) و"محمد عاكف ارصوى"(***). بالإضافة إلى كلاسيكيات الأدب الروسي وخاصة روايات "تولستوي" التي كنت أستعيرها من مكتبة أخي وأقرأها".

وبعد أن أنهى "رجب طيب" مدرسة الأئمة والخطباء كان يتحتم عليه الحصول على بعض المقررات الدراسية التكميلية حتى يتمكن من الالتحاق بالجامعة. ولم يكن ذلك الأمر يمثل صعوبة له. وقد نجح بالفعل في امتحان القبول بالجامعة ودخل "المعهد العالي للعلوم الاقتصادية والتجارية) وهو المعهد الذي تم تحويله

(*) عثمان يوكسال سردانغتشي: كاتب وصحافي تركي وُلد عام 1917م وتُوفي عام 1983م. وله مؤلفات عديدة في مجال الفكر والسياسة تركت أثراً إيجابيًا لدى أجيال الشباب في تطوير الفكر السياسي ومسارات العمل الديمقراطي.

(**) نجيب فاضل قيصه كورك: مفكر وشاعر تركي إسلامي وُلد عام 1905م وتُوفي في 1983م. ويُعد رائداً من رواد الأدب الإسلامي في تركيا المعاصرة، وصاحب مدرسة فكرية أثرت على أجيال الحركة الإسلامية في تركيا.

(***) محمد عاكف ارصوى: مفكر وشاعر تركي إسلامي وُلد في أواخر الدولة العثمانية عام 1873م وعاصر بدايات عصر الجمهورية التركية وتُوفي عام 1936م. ويُعد رائد الشعر الإسلامي في تركيا، اهتم بقضايا الأمة الإسلامية والبحث عن عوامل نهضتها مرة أخرى. وهو مؤلف النشيد الوطني التركي.

إلى كلية (العلوم الاقتصادية والإدارية) بجامعة (مرمرة) في اسطنبول، وتخرج منها عام 1981م.

* * *

بدأ عشقه لكرة القدم منذ أن كان في الصفوف الأولى من المرحلة الابتدائية، وازداد تعلقه بها في المرحلة الإعدادية والثانوية. وتمكن من تطوير قدراته وتنمية موهبته بمرور الوقت في هذه الرياضة. وفي تلك الأيام جذب "أردوغان" الأنظار إليه بخفة حركته وحيويته ونشاطه، وانتقل إلى النادي الرياضي (جامع التى) بعد أن قبل عرضاً منه يحصل بمقتضاه على ألف ليرة شهريًا. وأطلق عليه أصدقاؤه لقب "الإمام بيكن بور"، وقد استلهموا ذلك اللقب من أسلوبه في اللعب الذي يذكرهم باللاعب الشهير "بيكن بور". وفي عام 1975م انتقل إلى نادي (هيئة الترام والأنفاق باسطنبول)، وأصبح واحداً من أعضائه، يتربح من لعب كرة القدم به.

كان والده "أحمد أردوغان" يعتقد أن تعلق ابنه بكرة القدم تعلقاً عارضاً، ولم يكن على دراية بالمراحل التي قطعها في طريقه للاحتراف. وبعد فترة استشاط والده غضباً عندما علم بعرض أرسله نادي (اسكى شهير) الرياضي لابنه يطلب منه الانتقال إليه واللعب ضمن فريقه. فلم يأذن له بقبول ذلك العرض وقال له: "إنما أردت لك أن تتعلم وتصبح رجلاً، فإذا بك تنشغل بأمور وشواغل لا علاقة لنا بها". وهو ما صرح به "طيب أردوغان" بعد أعوام إلى أحد الصحفيين بقوله: "لقد فقدت الكثير من الفرص المشابهة بسبب والدي".

عبر "أردوغان" عن واحدة من هذه الفرص ومدى تحسره عليها بقوله: "فَقَدتُ". بل ولعلها أهم فرصة فقدها، وهي العرض الذي قدمه له نادي (فنار باهتشه) بالانتقال إلى فريقه والانضمام إلى لاعبيه.

وفي عام 1976م كانت المباريات النهائية للهواة في اسطنبول تجري على استاد (الوفاء). وكان أداء "أردوغان" الذي كان يلعب مهاجماً في فريق نادي (الترام) على درجة عالية من المهارة أثارت إعجاب "توما كالا بيروفتش" المدير الفني لنادي (فنار باهتشه) آنذاك. فما كان من "كالا بيروفتش" إلا أن قدم عرضاً لإدارة نادي (الترام)، طلب فيه انتقال "أردوغان". للعب ضمن فريق (فنار باهتشه).

وما إن تم إبلاغ "أردوغان" بهذا العرض حتى طار من الفرح والسرور، غير أنه

تذكر أن والده قد يرفض هذا العرض؛ فاستمهل إدارة النادي يومين للتفكير، وعندما أيقن أن كل جهد سيبذله لإقناع والده لن يسفر عن النتيجة المرجوة، اضطر لرفض هذا العرض الذي كان من الممكن أن يغير خط حياته إلى وجهة مختلفة تماماً.

وبينما كان يواصل حياته ومغامراته مع كرة القدم كان على الدرجة ذاتها من الأداء والاستمرارية في العمل السياسي. فكان يؤدي المهام التي يكلف بها داخل (الاتحاد الوطني للطلبة الأتراك)(*) خلال الأعوام التي دخل فيها الجامعة، ولم يكن يمتنع كذلك عن القيام بأي نشاط داخل جناح الشباب بحزب (السلامة الوطني) فيشق بذلك لنفسه طريقاً نحو دنيا العمل السياسي.

وعندما أصبح رئيساً لجناح الشباب في شعبة (باي أوغلو) داخل حزب السلامة الوطني عام 1976م، كان على يقين بأنه قد دلف إلى طريقٍ لا عودة منها، وأن السياسة في حياته قد أضحت أمراً لا محيص عنه.

ولم يمر وقت طويل حتى أدرك شيئاً أبعد من ذلك، فقد كان في حياته فراغٌ لم تستطع كرة القدم أو السياسة ملأه، حيث كان في الثالثة والعشرين من عمره ولم يتزوج بعد.

وفي أثناء أحد الاجتماعات التي نظمها حزب (السلامة الوطني) عام 1977م أدرك "أردوغان" أن الفراغ الذي يملأ نفسه لن يستمر طويلاً، وذلك عندما التقت عيناه بعينين يعلوهما الخجل كانتا ترقبانه بإعجاب.

وقد صرح "أردوغان" بعد ذلك عن إحساسه، وما شعر به في تلك اللحظة بقوله: "في الحقيقة، كان شعوراً لم أعشه مطلقاً قبل ذلك اليوم".

وإن يكن "أردوغان" قد اضطر للاعتراف صراحة بهذه المشاعر، فإن التعبير الذي يمكنه أن يصف تلك المشاعر بلغتنا اليوم هو أنه كان حبًّا من النظرة الأولى.

كانت هذه الفتاة الشابة هي "أمينة غولباران"، وقد وصفت مشاعرها آنذاك بقولها: "ونحن أيضاً شعرنا به في عالم الحب".

كانت "أمينة غولباران" آنذاك رئيساً ثانياً لجمعية (السيدات المثاليات)، وهي

(*) الاتحاد الوطني للطلبة الأتراك: هو تنظيم ثقافي شكّلته حركة الفكر الوطني بزعامة "نجم الدين أربكان" يستهدف تنشئة الشباب والطلاب على المفاهيم الإسلامية، وتثقيفهم بالمعارف والمضامين الفكرية الإسلامية التي أنتجها رواد الحركة الإسلامية في تركيا وخارجها.

جمعية أسستها مع "شعلة يوكسال" في (اسكودار). وكما وصفتها إحدى صديقاتها: "فإنها إنسانة رقيقة المشاعر، ولكنها تملك عزيمة وإصراراً كبيرين، مقدامة، ومتمالكة النفس مسيطرة على انفعالاتها، ولا تحيد أو تنثني عن تحقيق أهدافها، وفضلاً عن ذلك، فهي تقرأ القرآن بتلاوة وطلاوة".

وعلى الفور اغتنم "أردوغان" هذه الفرصة الجميلة التي وهبه القدر إياها. فتزوجا في الرابع من يوليو/ تموز 1978م. ورزقا بأربعة أبناء هم "أحمد براق"، و"نجم الدين بلال"، و"إسراء"، و"سمية".

كانت "أمينة أردوغان" تدرك تماماً وهي توافق على طلب "أردوغان" الزواج بها بمن ستتزوج وعلى أي شيء ستتزوج، فقد قالت في أحد الحوارات: "ما من امرأة إلا وتريد أن تتزوج وتصبح أمًّا، إلا أنني بالإضافة إلى ذلك كنت أرغب في أن أساند زوجي في دعوته ورسالته، وكنت أدعو الله أن أتزوج بشخص قلبه متعلق بدعوته ومتمسك برسالته".

وكان "لأمينة أردوغان" دور كبير في الاعتناء بالأسرة ورعاية أبنائها، ما جعل "أردوغان" يمضي في مشوار حياته السياسية التي تعج بالمشكلات والشواغل بخطى ثابتة.

وتصف "سيبال الرسلان" التي عملت في أول جناح نسائي شكّله حزب الرفاه في اسطنبول عن "أمينة أردوغان"، ساردة بعضاً من سماتها فتقول: "عندما دخل أردوغان السجن كانت أمينة أردوغان تدير أعماله بمفردها، وكانت ستلقي كلمة من أجل مواساة بعض أعضاء الحزب الذين اجتمعوا في إحدى القاعات في حي (تشكما كوى)، وكانت القاعة مكتظة بالحضور لدرجة أن صاحب القاعة قد حذرنا بأن المبنى قد ينهار من كثرة الحضور. وكان دخول أردوغان السجن ظلماً سبباً في استشاطة الناس غضباً، وما إن سمع الناس بحضور أمينة أردوغان حتى توافدوا إلى القاعة من كل حدب وصوب. وقد كتبت بنفسها نص كلمتها، وكان نصًّا رصيناً قويًّا للغاية. وكان صوتها يرتجف وهي تقول: "هذه الأيام ستمر وتنقشع وثمة أيام خير تنتظرنا"، وهدّأت من غضب الحاضرين وانفعالاتهم بعد أن علت أصواتهم بالبكاء والنحيب. فقد كانت ذات صِلابة وثبات مدهشين. فكم كانت قوية! وكم كانت ذات عقيدة راسخة! حتى إنها كانت تبدو وكأنها سيدة من سيدات الأمازون

غير أنها محجبة. فلم تتوانَ قط عن أداء واجباتها؛ ولذلك لا أستطيع أن أقول إنها زوجة زعيم فحسب، بل هي سيدة تمتلك روح الزعامة وسماتها...".

* * *

وقد توصل المؤرخ التركي "جزمي يورت سوَر" إلى أن جذور عائلة "أردوغان" تمتد إلى القرن السابع عشر، وذلك طبقاً لوثائق الأرشيف العثماني. ومن أجداده "باقات أوغلو ماميش" الذي عاش في قرية (دومان قليا) بمحافظة (ريزه)، وكان من مؤسسي هذه القرية. وكان معروفاً برفضه للظلم ومجابهته للجور، وروحه الثورية العنيدة.

أما الجد القريب "لأردوغان"، فاسمه "طَيُّوب" وقد ورث صفات وتقاليد عائلته، ومات مقتولاً وهو يصلي في الجامع بسبب تصديه لمحاولة الاستيلاء على بعض أراضي الأوقاف الخيرية التابعة للقرية.

ويتحدث "جزمي يورت سوَر" عن أن أجداد "أردوغان" يحملون أيضاً جزءاً من روح (حي قاسم باشا).

إن روح (حي قاسم باشا) تُعد مثالاً واضحاً على مدى الترابط الاجتماعي في المفهوم الاجتماعي. أما عن المستوى اللاشعوري فهي، وإن أدت إلى استدعاء صور نمطية للعجرفة والفتوة، فإنها تعبر بلغتنا حالياً عن مفهوم يشير إلى أن الشاب المنتسب إلى (حي قاسم باشا) ينبغي له أن يتصف بالشجاعة والمروءة. ومن هذه الزاوية، فإن جملة الصفات الحميدة والسلوكيات التي تعبر عن الشجاعة والمروءة إنما ترجع إلى الشخص ذاته أكثر من رجوعها إلى البيئة التي يقطنها فقط.

فالاتصاف بالشجاعة والمروءة يعد قدرة على التحدي، وردَّ فعل تلقائيًّا قادراً على تطوير البيئة ضد نمط الحياة النخبوي. فالشخص الذي ينتمي إلى هذه الفئة عندما يعبر عن غضبه، فإن المتلقي سرعان ما يظن أن ذلك الشخص ناقص الخُلُق وضعيف التربية.

إن الحداثة وهي فكر يتعارض مع البنى التقليدية ويرفضها، إنما تتجه إلى امتهان بعض المفاهيم التي تمتلكها تلك البنى، بل وتتجاهل وجودها في بعض الأحيان. وفي هذا الإطار، فإن مفهوم (الشجاعة والمروءة) مفهوم من الصعب أن نجد له مقابلاً داخل إطار الحداثة، أو أن تكون نوعاً من (الصعلكة) حسب تصنيف

ماركس لها ضمن التصنيفات السلبية.

وفي الوقت نفسه يرى الشعب التركي أن انعكاس طبيعة (حي قاسم باشا) على "أردوغان" يعد في ذاته مزية أضفت على "أردوغان" الكثير من الصفات الإيجابية، بل هي شهادة في حق "أردوغان" تنضم إلى ملف مكونات شخصيته، وهو ما يدركه جيداً ويعتز به، فيجعل سمات الشجاعة والمروءة المكتسبة لديه، تاجاً فوق رأسه يفخر به. فأردوغان يضع الحق فوق الأحكام والقيم التي تستند إليها المجموعة التي يمثلها، ولا يجد حرجاً في ذلك، فهو يتحرك واثقاً بمعتقداته، لا يلعب دوراً غير حقيقته، فهو يتصرف وفق ما يمليه عليه ضميره ومعتقداته، ولا يشعر بكونه محتاجاً لأن يصبح شخصاً آخر.

وعلى سبيل المثال، فإننا لا نرى "أردوغان" عندما يشارك في جنازة من الجنازات يضع نظارته الشمسية واقفاً في فناء المسجد يفرك كفيه بضيق، ولا نراه أيضاً يصلي في الصف الأول، ثم بانتهاء صلاة الجنازة يهرول نحو تعزية أقارب المتوفى، ثم يغيب عن الأنظار ليباشر أعماله الأخرى. بل على النقيض من ذلك كله، فإن "أردوغان" نجده وقد نزل بكتفه تحت نعش المتوفى يحمله بكل تواضع.

ونراه واقفاً في الصف الأول خلف الإمام ليصلي صلاة الجنازة وعقب الصلاة يقدم تعازيه لأقارب المتوفى، ويبقى بينهم يشاطرهم الأحزان. بل إننا نراه بكل سماحة وتواضع يدخل بكتفه تحت النعش يحمله مع الآخرين. والناس في هذا، لا يساورهم الشك مطلقاً في أن "أردوغان" يفعل ذلك سياسة واصطناعاً، بل يُدركون تماماً أنه صادق ومخلص في ما يفعل، فهم يعلمون أن "أردوغان" لديه من القدرات والمؤهلات العلمية والنفسية ما يجعله قادراً على أن يجمع الناس خلفه ويصلي بهم صلاة الجنازة.

إن "أردوغان" وهو يفعل ذلك، لا يفعله ليرائي به جمهور المحتشدين في مدرَّجاتهم؛ فقد لعب داخل المستطيل الأخضر أعواماً طويلة أمام آلاف المشجعين، ولم يعد يأبه بالناظرين إليه والمتتبعين له. إن "أردوغان" زعيمٌ خرج من رحم الشعب، ويوظف هذه المزية ليفهم الشعب ومتطلباته فهماً جيداً، وقد وُفِّق في ذلك إلى حد كبير.

* * *

أردوغان مرآة للشعب

"خدمة الشعب طاعة للحق" عبارة يرددها رجال السياسة جميعهم، ويكثرون في استخدامها، بيد أن دلالة هذه العبارة العميقة الجوهرية تتكرر على الأذهان خلال فترات الانتخابات فقط، فلا تكاد تعدو شعاراً يردده الساسة ثم تتلاشى أصداؤه بمرور الوقت.

أما "أردوغان"، فلم يستخدم هذه الكلمة في يوم من الأيام باعتبارها (عبارة)، أو (شعاراً) يردده، ثم يطويه النسيان، بل على العكس تماماً، نجد "أردوغان" قد أدرك أبعاد هذه العبارة وما تعنيه من مسؤوليات وتبعات إدراكاً عقيديًّا دينيًّا يجعل من (الخدمة) مرادفاً (للعبادة).

كان "يوسف بايزيد" رئيساً لدائرة الأملاك والعقارات خلال الفترة التي تولى فيها "أردوغان" رئاسة بلدية اسطنبول، وقال إن قوانين التأميم التي استصدرناها في تلك الفترة كانت تقضي بأن يتم التأميم بالحصول على 98 بالمئة من موافقات الأهالي، ويتبقى فقط 2 بالمئة لقرار المحكمة.

فتدخل "فيصل أر أوغلو" في الحديث بقوله: "في بعض الأحيان لا تكون موافقة الأهالي كافية وحدها"، وأضاف: "الأهم من ذلك أن تأخذوا في الاعتبار أيضاً المشاعر والأحاسيس الوجدانية التي تسيطر على رئيس البلدية السيد أردوغان".

- وكيف هذا؟

- سأوضح لكم. وأخذ يقص علينا واقعة بدا وكأنه لم ينسَ منها شيئاً:

"كنا قد استصدرنا قراراً بهدم إحدى القرى التي تقع عند نهاية أحد الجداول النهرية باسطنبول، واتفقنا مع أهل القرية بشأن التعويضات المالية المناسبة، وكانوا سيقومون بإخلاء القرية برغبتهم، وذهبنا إلى القرية لإتمام عملية الهدم.

وصلنا في ذلك اليوم إلى القرية ومعنا رجال الأمن، ومعدات الهدم من جرافات وكاسحات، والأجهزة والمعدات اللازمة كافة، واصطحبنا معنا أيضاً فريقاً طبيًّا. وكنا

نبدو لمن يرانا من بعيد أشبه بوحدة عسكرية ضخمة خرجت لإجراء مناورة حربية.

ولما كان الأمر يتعلق بالهدم، وهو موضوع حساس بطبيعته، قال لنا "أردوغان": "أنا أيضاً سأذهب معكم". فقلنا له بدورنا: "على الرحب والسعة"، فلم يكن بمقدورنا أن نقول له غير ذلك.

جعلنا الأجهزة والمعدات ورجال الأمن خلفنا، وتقدمنا نحو أهالي القرية. وقد سُرّ أهل القرية وامتلأوا بالسعادة والفرح عندما رأوا "أردوغان"، واستقبلوه بالترحاب وأحسنوا ضيافته. وفجأة خرجت من بينهم امرأة عجوز وتقدمت نحونا، وقالت لرئيس البلدية أردوغان: "أهلاً بكم ومرحباً يا بني" وأردفت قائلة: "لقد أعددت لك هذا (العيران)(*) بيدي، تذوقه وقل لي هل يشبه العيران الذي تصنعونه عندكم؟".

فأفسحنا المكان بيننا للأم العجوز. وقال لها أردوغان: "شكراً يا أماه... أتعبتِ نفسك... سلمت يداك..."، وكان "أردوغان" قد أعجب بالأم العجوز ذات الوجه البشوش الباسم، وتأثر من حسن ضيافتها. فقال لها "اقتربي يا أماه، واحكي لنا قليلاً عن هذه القرية، فما أراك إلا واحدة من أقدم سكانها".

فقالت الأم العجوز: "يا بني وجدت نفسي في هذه القرية منذ أن تفتحت عيناي على الدنيا. فهذه القرية قديمة موغلة في القدم، غير أنها كانت أجمل وأروع مما تراه الآن... آه لو كنتَ رأيتها!... كانت تكسوها الخضرة، وتلفها الأشجار من كل جانب، وكانت أشجار الصفصاف الضخمة تمتد على ضفّتي جدولها وقد امتدت وتشعبت أغصانها وفروعها على جانبيها حتى إن ذراعيك لا تسعهما الإحاطة بها...".

"يبدو أنك يا أماه تحملين في داخلك الكثير عن هذه القرية".

"بالطبع يا بني ليت هذه الصخور والفروع والأغصان كانت لها ألسنة حتى تحدثكم وتقص عليكم...".

واغرورقت عينا الأم العجوز بالدموع وهي تحكي عن ذكرياتها في هذه القرية، وكانت تتكلم حيناً ثم تتوقف، فتتنهد وكأن مرارة الحسرة والشوق قد غلبت عليها، فكنا نراها هائمة وقد ارتكزت عيناها تتفحصان نقوش الورود والأزهار المرسومة

(*) العيران: مشروب تركي محلي يُصنع من الزبادي المخفوق، ويُشرب مضافاً إليه قليل من الملح. ويفضله الأتراك مع الأطعمة خلال وجبتي الغذاء والعشاء. ويُعرف بفوائده الصحية للمعدة، وترطيبه للجسم في الجو الحار.

على سروالها القطني.

كانت تقص علينا ذكريات قديمة وكأنها كانت بالأمس القريب، كانت تذكرها جيداً، فنقلت إلينا قصص الأحبة، وقد أمسك كل حبيب بيد محبوبته وسارا على ضفة الجدول من دون أن يعرفا للزمان زماناً ولا للمكان مكاناً، ومنظر ظلال أشجار الصفصاف قد امتدت فوق المياه من شروق الشمس إلى غروبها، وجسدت منظر قطعان الماشية والأبقار وهي ترعى وسط الحقول والوديان. ولعلها كانت تعيش مع الماضي وحدها. فهي تجد الهدوء والاستقرار اللذين تبحث عنهما بين ذكريات عمرها الذي يقترب من المئة عام.

أثرت علينا الأم العجوز، وهزّت مشاعرنا، وكنت أتمالك نفسي حتى لا يغلبني البكاء، ونظرت إلى "أردوغان" فإذا بالدموع تنساب على وجنتيه.

وعندما هدأ "أردوغان" قليلاً قال لي: "يا أستاذ فيصل، اجمعوا الأجهزة والمعدات، سنرحل من هنا...".

ظننت للوهلة الأولى أنه يمزح، ولكن عندما نظرت إلى وجهه لاحظت علامات الجد. وبقدر ما فهمته، فإن "أردوغان" فطن إلى أن أهالي القرية غير راضين عن قرار الهدم، وأنهم ما وافقوا عن قناعة منهم بل عن خوف من الدولة.

وما كان في وسعنا في النهاية إلا أن شرحنا لأهالي القرية الأسباب التي تدعونا لإخلاء القرية ونقل أهاليها إلى مكان آخر، واضطررنا لتأجيل الهدم إلى أن يقوم الأهالي بإخلاء بيوتهم عن رضا منهم".

وثمة الكثير والكثير من المواقف والأحداث التي تبرز الجانب الإنساني لدى "أردوغان"، فيقصّ علينا "برهان متين" بعضاً من هذه الأحداث، وهو من أصدقاء "أردوغان" المقربين الذين يعرفونه حق المعرفة، وقد عمل معه خلال توليه منصب رئاسة بلدية اسطنبول قائلاً:

"قليل جدًّا أولئك النفر الذين يعيشون في هذه الدولة من دون أن يعكر صفو حياتهم كدر أو مضر، فبعيداً عن أولئك الذين يعيشون في يخوتهم والبيوت العائمة على ضفتي البوسفور تكاد لا تجد إنساناً إلا وقد ألمت به مصيبة أو نالته غصة مما تجود به الحياة على بني الإنسان. فإما كانت مصيبتهم في عوائلهم أو كان الفقر والعوز مصدر وجيعتهم. فنحن مجتمع حزين بائس، نحن مجتمع شرقي،

فما الحياة التي نعيشها إلا مصدر شقائنا وبؤسنا. و"أردوغان" واحد ممن يشعرون بالآلام والأحزان. وهذا الجانب الإنساني فيه هو مركز جاذبيته؛ فالناس يرون فيه أحوالهم وأوضاعهم".

في الحقيقة، هناك جانبان في شخصية "أردوغان". الأول: هو أردوغان الإنسان الذي يحظى بعلاقات وساحات التقاء عريضة مع صنوف الشعب التركي المختلفة بما اقتضته ظروف حياته الصعبة، وأما الجانب الآخر فهو أردوغان البرجماتي الذي يمارس العمل السياسي منذ أعوام طويلة داخل حركة (الفكر الوطني)[*]... فبالجانب الإنساني يلتقي "أردوغان" بالناس، ويقيم معهم علاقات الود والمحبة، ويصل إلى رجل الشارع بسهولة ويسر، وأما الجانب السياسي فيجعله قادراً على تحقيق النفع والفائدة للمجموعات الشعبية التي يمثلها. ويمكن القول إن نجاح "أردوغان" إنما يعتمد على قدرته على الحفاظ على ذلك الانسجام والتوازن الدقيق بين كلا الجانبين.

* * *

منذ انتقال تركيا من نظام الحياة السياسية ذات الحزب الواحد الحاكم إلى حياة التعددية الحزبية أضحت السمة المشتركة للزعماء السياسيين هي التقرب إلى الشعب من خلال إظهار التقارب مع بعض رموزه وقضاياه، واستخدام لغة ليست بلغتهم، وإنما استعاروا مفرداتها وأساليبها البيانية من البيئات والأوساط الشعبية. وفي هذا الموضوع يَبرز "أردوغان" متميزاً ومختلفاً بسماته الشخصية والزعامية عن السياسيين الآخرين.

إن سلوكيات وتصرفات "أردوغان" تجاه متطلبات الشعب واحتياجاته تنطلق لديه من مبدأ الصدق والإخلاص، وهي من الصفات التي جعلته زعيماً كاريزميًّا حقيقيًّا، وحققت له التوافق والانسجام مع شعبه. في حين أن أنماط الزعامة الأخرى

(*) حركة الفكر الوطني: تُعد هذه الحركة المشروع الفكري والحضاري للإسلام السياسي في تركيا، وتُنسب هذه الحركة إلى مؤسسها "نجم الدين أربكان" حيث وضع أفكاره ومشروعه في كتابه "الفكر الوطني" عام 1969م. وانبثقت عن هذه الحركة مؤسسات عديدة في مختلف جوانب الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية وتتخذ من مدينة (كولن) بألمانيا مركزاً لها. لمزيد من المعلومات عن هذه الحركة ومضامينها الفكرية راجع كتاب: "الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة: دراسة في الفكر والممارسة"، تأليف: طارق عبد الجليل.

التي أَلِفت تركيا رؤيتها في الحياة السياسية كانت على جهل بأن الشرعية تُستمد من رضا الشعب عن قياداته. فجل ما يهتم به أولئك الزعماء السياسيون هو كيفية الوصول إلى السلطة، فشعورهم بالحاجة إلى الوصول إلى الشعب أمر يفترضه الظرف الانتخابي فحسب، أما الصدق والإخلاص وتحسُّس نبض الشعب وتبني قضاياه لم تكن قط من اهتماماتهم الأصيلة الراسخة.

فعلى سبيل المثال كان حزب (العدالة)(*) قد تأسس بعد انتهاء الأحكام العرفية التي فرضها انقلاب 1960م(**)، وذلك بوصفه امتداداً (للحزب الديمقراطي)(***). وكانت جماعة (النور الإسلامية)(****) قد دعمت الحزب في انتخابات 1965م، وبعد فوزه قامت مجموعة من قيادات هذه الجماعة بزيارة "سليمان ديمرال" رئيس الحزب لتهنئته، ثم قال أحدهم له: "سيدي... ما دمت تدرك الدعم الذي قدمناه لكم، وتشكرنا عليه، فهل يمكنني أن أسأل سؤالاً؟ لماذا لا يوجد بين أعضاء حكومتكم واحد من إخواننا؟".

(*) حزب العدالة: يُعد حزب العدالة امتداداً فكريًّا وسياسيًّا للحزب الديمقراطي الذي حكم تركيا خلال عقد الخمسينيات. وقد تأسس في منتصف الستينيات وتولى رئاسته عام 1965م سليمان ديميرال وأصبح يمثل التيار الليبرالي في الوسط السياسي.

(**) انقلاب 1960: هو انقلاب عسكري قام به صغار الضباط لأسباب سياسية واقتصادية واجتماعية، كان في مقدمتها اعتراضهم على أداء حكومة الحزب الديمقراطي خلال عقد الخمسينيات واعتبارهم إياها تتجه بالبلاد بعيداً عن السياسات الأتاتوركية في ما يخص السياسة الخارجية وتطبيقات العلمانية.

(***) الحزب الديمقراطي: هو حزب ليبرالي نشأ بعد انتقال تركيا إلى مرحلة التعددية الحزبية في أعقاب الحرب العالمية الثانية. واستطاع البقاء في السلطة لمدة عشر سنوات منذ انتخابات 1950م حتى الانقلاب العسكري عام 1960م وحصد تأييد جموع الإسلاميين والمحافظين بسبب احترامه لشعائر الإسلام ووفائه بمتطلبات التيارات الإسلامية. وأغلق الحزب بعد الانقلاب وتم اعتقال نوابه كافة في البرلمان وقيادات شُعبه، وإعدام رئيس الحزب عدنان مندريس الذي شغل منصب رئيس الوزراء لمدة عشر سنوات وكذلك إعدام وزير الخارجية ووزير المالية في حكومته.

(****) جماعة النور: تُنسب جماعة النور في تركيا إلى مؤسسها الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي. وقد قام الشيخ النورسي بالحفاظ على الهوية والعقائد الإسلامية في تركيا، وتربية الشباب تربية إسلامية من خلال مؤلفاته المعروفة برسائل النور. وبعد وفاة الشيخ النورسي عام 1960م حافظ طلابه على نهجه ودعوته وانتظموا في مجموعات عدة تهدف إلى نشر مفاهيم الإيمان الصحيح والحفاظ على الهوية الإسلامية في تركيا. وتنتشر مجموعات جماعة النور بمؤسساتها المختلفة في شتى أنحاء تركيا وخارجها.

فأجابهم "ديمرال" جواباً أصابهم بالدهشة والحيرة: "أخي العزيز... تقول إنه لا يوجد أحد منكم داخل الحكومة، إذاً، فمن أكون أنا؟".

وطوال تاريخ الجمهورية التركية لم تستطع علاقة السياسة بالواقع - حسب التعريف الذي حددته إيديولوجية الدولة - أن تصعد فوق المستوى الذي أشرنا إليه بهذه القصة.

فلم تستطع الأحزاب اليمينية أن تحصل على ثقة الشعب رغم الوجه المحافظ الذي بدت فيه، كما أنها أخفقت في تحقيق الانسجام بين الشعب والدولة، ألستم معي في أن السبب يكمن في الابتعاد عن الإخلاص وانتهاج سياسة نفاق ذات وجهين؟

عقد السبعينيات

في عقد السبعينيات اتجه الشباب من الإسلاميين بشكل مكثف نحو القراءة والكتابة، ينهلون من الكتب والعلوم قديمها وحديثها، ويترجمون ويؤلفون الكتب والدراسات.

ظهرت حركة (الفكر الوطني) على الساحة السياسية مع ظهور (حزب النظام الوطني)(*) ثم تابعت الحركة مسيرتها مع تأسيس (حزب السلامة الوطني).

وكانت الغالبية العظمى من شباب الإسلاميين، سواء أكانوا على علاقة بالحزب أو لا، تربطهم به علاقة قريبة في أفكارها من التفسير الراديكالي للإسلام، حيث لم يروا في حركة (الفكر الوطني) بزعامة "نجم الدين أربكان" الحركة التي تمثل الإسلام بالقدر الكافي.

وكان الاعتراض الأساسي الذي تستند إليه هذه الرؤية يتعلق بالشكوك والمخاوف من امتزاج الحركة الإسلامية بأي حزب سياسي، فضلاً عن الاعتراض على مفهوم الزعامة المطلقة التي يمثلها "أربكان". ولهذا، كانت حركة (الفكر الوطني) محل انتقاد دائم من شباب الحركة الإسلامية، فقد كانت بالنسبة للبعض منهم حركة تتجاهل الصدام الموجود بين النظام السياسي القائم وبين التصور الإسلامي للكون، كما أنها كانت بالنسبة للبعض الآخر حركة تستهدف الاستيلاء على الحكم من دون أن تكون في نيتها تشكيل حكومة إسلامية، كما أنها أيضاً حركة ابتعدت عن المرجعية الإسلامية بتوافقها مع مفهوم الديمقراطية الذي يخول السلطة للأمة من دون قيد أو شرط.

(*) حزب النظام الوطني: هو أول الأحزاب السياسية التي أسستها حركة الفكر الوطني بزعامة نجم الدين أربكان في 26 يناير/ كانون الثاني 1970م. ويُعد هذا الحزب أول تكوين سياسي جاد يشكله الإسلاميون في تركيا، وقد تم إغلاقه في 20 مايو/ أيار 1971م عقب الانقلاب العسكري الذي وقع في 12 مارس/ آذار 1971.

كانت الطبيعة القروية التي وصفت بها سياسة (الفكر الوطني) تنبع من قاعدة سوسيواقتصادية ترتكن إليها. فحزب (السلامة الوطني) كان حزباً (لهوية) تتشكل من اتفاق عدد من الجماعات الإسلامية، ويستمد هذا الحزب قوته من قاعدة تتألف من العمال والقرويين والتجار وأصحاب رؤوس الأموال الصغيرة. حيث كانت رؤوس أموال المجموعات المحافظة في الأناضول قد أخذت طريقها نحو الاتحاد والتعاون والتكامل، غير أنها لم تكن قد وصلت إلى درجة من النضج تجعلها قادرة على المطالبة باحتياجاتها الاقتصادية والسياسية.

ومن ناحية أخرى، كانت قيادة حركة (الفكر الوطني) تتوزع بين عناصر تمثل البرجوازية الصغيرة، وقاطني المدن، والعاملين في قطاع الدولة والحكومة. بمعنى أنها تحمل بداخلها تناقضاً بين عناصرها وبين من تنادي بمطالبهم. فقد كانت الكتلة الناخبة للحزب عبارة عن كتلة من الفقراء الذين جمعتهم القيم الدينية وذكريات الماضي المجيد. وكان هذان التناقضان: الاجتماعي والاقتصادي يلتقيان معاً تحت سقف واحد.

وبعيداً عن هذه الانتقادات كلها، فإن تبوّؤ حزب إسلامي مكاناً في الحياة السياسية بزعم أنه يمثل القطاع المتدين في الدولة، مسألة قد وفرت ساحات جديدة لأولئك الشباب من الإسلاميين للتفكير في مفاهيم مثل: الدولة، الحكومة، السلطة، السياسة.

وفي ظل هذا المناخ شرع الإسلاميون في تركيا يتابعون عن كثب حركات التحرر الإسلامية في العالم. وأخذوا يتعمقون في دراسة موضوعات مثل: طرق وصول الإسلام إلى السلطة، ومناهج الدعوة الإسلامية، والعهد المكي، ودولة المدينة، والتوحيد والشرك. كما ظهرت الدعوة إلى قراءة القرآن الكريم برؤية جديدة.

كما أن حركة الإخوان المسلمين التي تأسست في مصر على يد "حسن البنا"، والجماعة الإسلامية التي تأسست في باكستان على يد "أبي الأعلى المودودي" قد بدأتا تؤثران داخل تركيا، وفي تلك الفترة أيضاً أصبحت أكثر الكتب قراءة لدى الإسلاميين في تركيا كتب "سيد قطب" مثل: كتاب (معالم في الطريق)، و(العدالة الاجتماعية في الإسلام)، وكتاب (المصطلحات الأربعة في القرآن) للمودودي، و(الطريق إلى مكة) لمحمد أسد.

كما أن رفوف المكتبات قد أخذت تمتلئ بالكتب المترجمة من العالم الإسلامي والكتب الإسلامية التركية جنباً إلى جنب.

لم تكن صحوة حركة التأليف والترجمة الإسلامية مقصورة على اسطنبول فحسب بل امتدت إلى العديد من محافظات الأناضول. فكانت المكتبات ودور النشر في هذه المدن تزداد واحدة تلو الأخرى، حيث كانت تغري شباب الإسلاميين بقضاء أوقاتهم بداخلها، وتهيئ لهم المشاركة في مناقشة الموضوعات المختلفة، خاصة القضايا السياسية، فضلاً عن الرواج الكبير للدوريات، خاصة المجلات داخل محافظات الأناضول...

إن صدور المجلات بأعداد كبيرة في الأناضول يعد من أبرز سمات تلك الفترة من الناحية الثقافية، فقد كانت تطبع في الأناضول في تلك الفترة مجلات تتفاوت في أحجامها وبأعداد كبيرة جدًّا، فضلاً عن المجلات الإسلامية الكبرى التي يطبع منها عشرات الآلاف من النسخ في كل إصدار، ومنها مجلة (الشرق العظيم)، و(الإحياء)، و(الفكر)، و(الشباب الوطني)، و(ما وراء)، و(الأدب)، و(الجيل الجديد)(*).

وفي تلك الأعوام كان التيار اليساري في تركيا يحظى بنفوذ كبير بين الطلاب والشباب. فقد استطاع الفكر اليساري الانتظام بسرعة مستفيداً من المناخ السياسي الذي وفره له انقلاب 1960م، فاقتحم عالم النشر والصحافة وحقق نجاحات كبيرة واضحة. وفي تلك الفترة أيضاً تأجج الصراع والصدام بين اليساريين والقوميين؛ فأضحت ساحات الجامعات والميادين والشوارع الكبرى والمنتديات الاجتماعية والسياسية مسرحاً تدور فوقه حلقات هذا الصراع.

ووسط هذه الصراعات نجح شباب الإسلاميين في البقاء بعيداً عن صراعات اليمين واليسار والقوميين، وفي الوقت نفسه استطاعوا النفوذ والتأثير في الساحة الثقافية حيث قطعوا خطوات ملموسة في هذا الاتجاه، واستطاع هؤلاء الشباب تشكيل وعي سياسي جديد بعيد عن الحركة السياسية التي نجحت في استدراج

(*) تمثل هذه المجلات تيارات فكرية إسلامية تتباين قليلاً عن بعضها بعضاً من حيث الوعاء الثقافي والإيديولوجي الذي تمثله. ولعل أهم ما تتميز به هذه المجلات أنها اتخذت من الأدب وأنماطه المختلفة أدوات دعوية تحمل مضامين فكرية عميقة، وتؤسس لخطاب إسلامي متميز، يمكن القول إنه كان القاعدة الفكرية والإيديولوجية التي انطلقت منها حركات الإسلام السياسي والاجتماعي في تركيا.

حركة الفكر الوطني إلى مركزه، فشكلوا لغة خاصة بهم، وامتلكوا رأياً عامًّا ذا تأثيرٍ في الجناح الخاص بهم.

في تلك الفترة كان "أردوغان" يواصل عمله السياسي تحت مظلة حزب (السلامة الوطني)، وكان في الوقت نفسه من بين أولئك الشباب الذين استطاعوا تطوير أفكارهم وآرائهم من خلال هذا المناخ الذي تحدثنا عنه.

كان للاتحاد الوطني للطلبة الأتراك في مدارس الأئمة والخطباء مكانة كبيرة في حياة "أردوغان" الذي اعتاد التردد عليه منذ أن كان طالباً في المدرسة الثانوية؛ حيث وفر "لأردوغان" الوسط الاجتماعي الذي أكسبه أولى تجاربه وخبراته السياسية والثقافية. كما أن تعرفه بالأستاذ "نجيب فاضل قيصه كورك" وقراءته لأشعاره ومقالاته كانا متزامنين مع تلك الأعوام التي تردد فيها على ذلك الاتحاد.

وفي عام 1975م كان الاتحاد الوطني للطلاب الأتراك سينظم احتفالية للأستاذ "نجيب فاضل" بمناسبة العام الأربعين على نضاله الثقافي والفكري. وكان الأستاذ سيختار بنفسه واحداً من طلاب الجامعة يقوم بالتقديم خلال الاحتفالية، ويقرأ كذلك شعراً له بعنوان (رسالة من السجن إلى محمد).

أعد أول الطلاب المرشحين قصيدة مدحية في أربع صفحات كاملة، وما إن وصل إلى الصفحة الثالثة حتى نفد صبر الأستاذ وصرخ: كفى.

أما المرشح الثاني فكان "أردوغان"، وقد حمل في يده قصاصات ورقية صغيرة، وبدأ يتلو مقدمة قصيدة بدأها بقوله: "إلى مرشد الروح الذي جعلنا نسود القارات الأربع والأقاليم السبعة..."، ثم أخذ يلقي قصيدة (رسالة من السجن إلى محمد)؛ فتأثر به الأستاذ كل تأثر وقال: "هذا الشاب جدير بأن يقدمني في الاحتفالية، إنه يلقي قصيدتي على أفضل ما يكون".

بدأت حياة "أردوغان" الثقافية مع الاتحاد الوطني للطلاب الأتراك في الدورة التاسعة والأربعين التي اختير فيها "برهان الدين قيهان" رئيساً للاتحاد عام 1969م. واستمرت علاقة "أردوغان" بالاتحاد حتى عام 1976م عندما اختير رئيساً لجناح الشباب في حزب (السلامة الوطني) بحي (باي أوغلو).

كانت الفترات التي تولى فيها (عابد أوزمان) و(رشدي أجاويد) في الاتحاد الوطني للطلبة الأتراك مهام مدير الإنشاءات ثم مدير الثقافة من أخصب الفترات

التي تم التركيز فيها على تربية الشباب وتنشئته على مفاهيم إسلامية فاعلة داخل الوطن تنشد أسلمة المعرفة ومجالات الحياة عامة، فقد توفرت للشباب والطلاب الإمكانات والفرص لتطوير أنفسهم داخل الوحدات المتخصصة التي أنشأت مثل وحدات: الثقافة، والتعليم، والسياحة، والفن الشعبي، والرياضة، والكتاب، والسينما، والمسرح، والتصوير. كما نظم الاتحاد جلسات النقاش المفتوحة والمؤتمرات، واللقاءات التذكارية، وأنشطة فكرية أخرى. وهذه الأنشطة جميعها نجحت في تجنيب الشباب التورط في صدامات ومعارك الشارع مع التيارات اليمينية واليسارية والقومية.

إن البنية الفكرية لأردوغان التي تشكلت في مناخ الثقافة السائد خلال عقد السبعينيات لم تتفق بشكل تام في أي وقت من الأوقات مع ثقافة (البيعة)، و(الطاعة العمياء) التي نصت عليها سياسة (الفكر الوطني) التقليدية. وكان على هذا التمايز الذهني والفكري الانتظار حتى ينعقد المؤتمر العام لحزب (السلامة الوطني) عام 1978م ليرى النور.

انتصار رغماً عن
قيادة حزب الرفاه

عام 1976م

الزمان: يوم السبت عام 1976م، المكان: الطابق الثاني في أحد المباني المتواضعة في حي (الفاتح)(*) باسطنبول، إنه مبنى شعبة حزب (السلامة الوطني) في اسطنبول. وكان مقرراً أنه سوف يعقد المؤتمر العام لجناح الشباب في حزب (السلامة الوطني) بمحافظة اسطنبول في اليوم التالي. سيغادر الرئيس الحالي منصبه، وسيتم انتخاب رئيس جديد. وحسب تقاليد حركة (الفكر الوطني)، فإن هناك قائمة واحدة في هذا المؤتمر ومرشح واحد لرئاسة الشعبة، ورغم الاجتماعات التي عقدها الحزب طيلة الأشهر الماضية، ورغم كل التوقّعات التي تدور في الكواليس، فلم يتحدد بعد اسم المرشح الجديد.

يتنافس على منصب رئاسة جناح الشباب في محافظة اسطنبول ثلاثة مرشحين جميعهم في سن الشباب، يتسمون بالجد والطموح، ويتولى كل منهم رئاسة جناح الشباب في حي من أحياء اسطنبول.

يبذل "مصطفى أوزتورك" رئيس جناح الشباب بمحافظة اسطنبول قصارى جهده لإقناع كلا المرشحين الآخرين بالانسحاب لصالح "خلوصي ذو الفقار" الذي يدعمه الحزب من اسطنبول، غير أن جهوده كلها تبوء بالفشل.

وتتم دعوة مجلس إدارة جناح الشباب بالمحافظة ومعهم رؤساء أجنحة الشباب بالأحياء إلى الانعقاد، ويقررون جميعاً إجراء التصويت.

(*) حي الفاتح: يُعرف حي الفاتح بأنه أكثر أحياء اسطنبول تديناً ومحافظةً على الهوية الإسلامية، وتتركز فيه مجموعات دينية وطرق صوفية عديدة، ومن ثم تقطنه الشرائح الإسلامية والمحافظة.

ويفوز "خلوصي ذو الفقار" بأكثر الأصوات في ذلك التصويت، ويقوم الجميع بتهنئة خلوصي؛ فقد تم اختياره رئيساً. ومن ثم، فلن تكون الانتخابات سوى إجراءٍ شكليّ، بيد أن أحداث اليوم التالي أثبتت عكس ذلك، فيظهر "أردوغان" على الساحة ليفسد نتائج ذلك الاجتماع.

ففي الليلة ذاتها يقوم "صالح غولر" رئيس شعبة الحزب في حي (باي أوغلو) بإجراء عدد من الاتصالات المكثفة بقيادات الحزب، ويبذل جهوداً مضنية من أجل الانتخابات التي ستجرى في اليوم التالي.

وفي اليوم التالي ينعقد المؤتمر، ويتولى "قدير مصر أوغلو" رئاسة المؤتمر، ويطلب "مصطفى أوزتورك" الكلمة من أجل دعم "خلوصي ذو الفقار"، فيعترض عليه الناخبون ويصفون مطالبه بأنها غير عادلة ولا تحقق تكافؤ الفرص. ويطلب الناخبون إجراء التصويت، ويُقبل اقتراحهم، وبهذا لم يعد لقيادة الحزب في محافظة اسطنبول تأثير قويّ في قرار المؤتمر.

يتقدم "علي عثمان أمره خان" إلى المنصة، ويلقي الكلمة الأولى في المؤتمر بصفته أحد المرشحين الثلاثة، ويعلن أنه قد انسحب من الانتخابات لصالح "أردوغان" ويصعد بعدها "أردوغان" إلى المنصة، ويلقي كلمته على الحاضرين. ويكون لخطبته تأثير عميق في خيارات الناخبين لما تضمنته تلك الخطبة من مضامين وأفكار فضلاً عن بلاغة الخطاب وحسن البيان فيها.

ويصبح "أردوغان" رئيس جناح الشباب في حزب (السلامة الوطني) عن محافظة اسطنبول وهو لا يزال في الثانية والعشرين من عمره.

ورغم حداثة سنه وحمل الأعباء الثقيلة الملقاة على عاتقه، إلا أنه أثبت قدرته على تحمل هذه المسؤوليات الكبيرة، فمضى في الوفاء بالواجب في ظل احترام وثقة منحته إياهما قيادات الحزب وأعضاؤه.

ورغم الأحداث والظروف الصعبة التي كانت تمر بها تركيا آنذاك، فقد استطاع "أردوغان" التأثير في شباب الإسلاميين وإبعادهم عن نزاعات وصدامات الشارع السياسي التركي، وذلك بفضل عدم انخراط "أردوغان" في أجواء الإثارة والتحريض الإيديولوجي، وتجنب مفاهيم وسلوكيات تمزج الأفكار والإيديولوجيات السياسية بالدين.

واستطاع "أردوغان" أن يؤثر بشخصيته القيادية على الشباب الموجودين حوله فـي تلـك الأيـام العصيبـة التـي يمر بها المجتمع التركي، وعرف كيف يوجه طاقات أولئك الشباب نحو ما يمكنه أن يحقق لهم النفع ولمجتمعهم.

* * *

كان "أردوغان" مشاركاً في كل الأنشطة الطلابية في مدرسته، أو في الاتحاد الوطني للطلاب الأتراك، أو في جناح الشـباب بالحزب، وكان عضواً أساسـيًّا في الأنشطة كافة وفي مباريات كرة القدم، والمؤتمرات، والندوات، والمناظرات. كان دائماً في حالة حركة لا تعرف التوقف وحيوية لا ينتابها الكسل.

وكان أصدقـاؤه عندمـا يبـدأون الحديـث عنـه يقولـون دائمـاً: "وأنـا ذاهب مع أردوغان إلى كذا..."، أو "في مرة من المرات وأنا عائد مع أردوغان من كذا..."، ويتحدثون عن تأخر "أردوغان" حتى ساعات متأخرة من الليل خارج بيته.

وتحكي والدة "أردوغان" عن سنوات الاضطراب السياسي في تركيا في نهايات عقد السـبعينيات فتقول: "كانت أصوات الرصاص تصم آذاننا من جميع الجهات، وكنت أجلس انتظر عودته إلى البيت حتى الصباح من دون أن يغمض لي جفن". وكانـت كذلـك زوجتـه السـيدة "أمينـة أردوغـان" تـدرك فـي الأصل أنهـا لم تتزوج موظفاً يعود إلى بيته في موعد محدد كل يوم؛ بل تزوجت برجل سياسـي يضحي بكل شيء في سبيل الوصول إلى هدفه".

وبعيـداً عـن أوقـات التدريـب والتريـض ومباريات كرة القدم كان أردوغان إما في أحد الاجتماعات الخاصة بالحزب أو في لقاءٍ داخل أحد البيوت أو في جولة قصيرة خارج اسطنبول لمدة يوم واحد.

وما من شـك في أن "أردوغان" كان واحداً من أكثر الشـخصيات السياسـية تنقـلاً بيـن محافظـات تركيـا المختلفـة مـن أدناها إلى أقصاها. وهي طبيعة عُرف بها أردوغان منذ توليه منصب رئيس جناح الشباب بالحزب، واستمر في هذه التحركات الدؤوبة أيضاً بعد أن تولى رئاسة بلدية اسطنبول إلى يومنا هذا.

فقـد كان يقـول: "طـول المسـافات ليـس مهمًّـا، المهـم أن تتحـد القلوب..."، فكان يذهب إلى حيث دُعي، إلى أي مدينة أو قصبة أو قرية من القرى في مختلف أرجاء تركيا.

وقد أتاحت له هذه الزيارات والجولات قدرات كبيرة في فهم أحوال أهل الأناضول. ولا شك أنه قد عانى الكثير خلال هذه الزيارات والجولات الكثيرة، ووجد فيها كذلك يسراً وعسراً، وصفاءً وجفاءً.

ويقول "تحسين ديندار" عن هذا:

"كانت هناك مسابقة بين جناحي الشباب بحزب السلامة الوطني في محافظتي اسطنبول وأنقره، وتم إجراء المسابقة في القاعة الرياضية المغطاة بمحافظة (بولو) بحضور عدد كبير من قادة الحزب في المحافظتين. وكان "أردوغان" هو المتحدث باسم فريق اسطنبول، ولهذا استطعنا الفوز بكل النقاط في هذه المسابقة وفزنا بالمركز الأول.

وفي منتصف الليل خرجنا من (بولو) ومعنا سيارة الحزب وهي سيارة زرقاء من نوع فورد، وكان "أردوغان" يقود السيارة بنفسه، ولم يجرؤ أحد على محاولة الجلوس إلى جواره خشية من مغامرات أردوغان على الطريق، فركبت أنا. وكان يقدمني إلى الناس في كل مكان بقوله: \السيد تحسين سكرتيري.

وعندما غامرت وجلست إلى جواره تملكني الخوف طوال الطريق؛ فنصف متر فقط كانت هي المسافة بين سيارتنا والشاحنة التي تسير أمامنا، إلى هذه الدرجة كنا نقترب منها، فقلت: "يا ريِّس هدئ السرعة قليلاً كي نبتعد عنها". فقال: "ماذا؟ أتخاف؟!". ولم أستطع أن أقول له: "نعم، أخاف". وفي منتصف الطريق عندما وصلنا إلى محافظة (أضا بازاري) نظرت إليه فوجدت عينيه متعبتين فقلت له: "يا ريِّس فلنتوقف ولننم قليلاً، فأنت متعب". فأجابني: "كلا، لن أنام".

أردوغان لا ينسى الفحم

يحكي "هارون قاراجه":

"كان أردوغان مرشحاً للبرلمان في منطقة (باي أوغلو) و(زيتين بورنو) في الانتخابات العامة عام 1987م. وحدث أن تلقى دعوة لحضور أحد المؤتمرات في منطقة بعيدة عن اسطنبول، وكان ذلك في أكثر أيام الحملة الانتخابية ازدحاماً. وأمام إصرار صاحب الدعوة قَبل "أردوغان" الدعوة رغم ضيق وقته.

وفي ذاك المساء كان "أردوغان" سيشارك في أحد اللقاءات المنزلية، ثم نسافر ليلاً إلى خارج اسطنبول لتلبية الدعوة التي سيلقي فيها كلمة أخرى مساء اليوم التالي، ثم نعود إلى اسطنبول في الليلة نفسها.

انتهى اللقاء قرب منتصف الليل وذهبنا لإحضار أردوغان، لنبدأ رحلتنا.

فقال أردوغان: "كدت أن أنسى، عليّ أن أمرَّ على البيت الآن". فقلنا له: "خير؟"، فقال: "عليّ أن أشتري فحماً وأذهب به إلى البيت".

كنا في شهر نوفمبر/ تشرين الثاني وكانت الليالي شديدة البرودة. فذهبنا إلى منزله وانتظرناه في السيارة حتى عاد، وفي هذه الأثناء كان الجوع يعتصرنا فقلنا: "نذهب إلى مسمط من المسامط، فنأكل شيئاً ثم نبدأ رحلتنا". فذهبنا إلى مسمط (شاكر كامبور) في حي (قاسم باشا).

وأخذنا معنا في صندوق السيارة الأجهزة والمعدات الصوتية. وكنا خمسة أشخاص في السيارة: أردوغان وأنا وصهري، وعثمان كاغان، وعثمان عشقينباق.

كان "عثمان عشقينباق" يذهب إلى أنقره معنا من أجل أمر يتعلق بعمله الخاص؛ بالإضافة إلى أنه لم تكن معه أموالٌ في تلك الأيام، ولذا، ركب معنا حتى نوفر عنه تكاليف السفر، وكنا سنتركه في أنقره ثم نواصل رحلتنا.

بالطبع إذا استطعنا مواصلة الرحلة!

وعندما وصلنا إلى (غرده) حان موعد صلاة الفجر، فاسترحنا قليلاً وصلينا

الصبح ثم واصلنا رحلتنا. كنا نركب سيارة "عثمان كاغان"، وهي سيارة من نوع (أودي)، وكان يقودها بنفسه.

وفجأة ضغط "عثمان كاغان" بقوة على دواسة الوقود حتى يتمكن من تجاوز الشاحنة التي تسير أمامنا من جهة اليسار، غير أنه تراجع عندما فوجئ بحافلة ركاب تابعة لشركة (أورفه جسور) تأتي في الاتجاه المقابل. فأراد أن يقلل من سرعة السيارة حتى يتمكن من البقاء خلف الشاحنة مرة أخرى، فضغط على المكابح. فإذا بالسيارة هذه المرة تتزلج على الطريق بسبب الجليد المتراكم عليه؛ وكدنا أن ندخل بسيارتنا تحت الشاحنة!

كان "أردوغان" يجلس في المقدمة، وكنت أنا وصهري وعثمان عشقينباق نجلس في المقعد الخلفي للسيارة.

فما كان من "أردوغان" إلا أن صاح ناطقاً بالشهادة وقال: "السيارة تنزلق يا أخ عثمان". وحتى لا تدخل السيارة تحت الشاحنة، أدار الأخ "عثمان" عجلة القيادة نحو اليسار، فإذا بسيارتنا تدخل تحت الحافلة القادمة من الطريق المقابل..!! كل شيء حدث في ثوانٍ معدودة.

نزلت سيارتنا تحت الحافلة حتى زجاجها الأمامي. وملأت الدماء وجه كل من "أردوغان" والأخ "عثمان"، وأصيبا بحالة من فقدان الوعي. أما أنا فكُسِرت ذراعي وعدد من الضلوع في قفصي الصدري، ولم أقو على التنفس. أما صهري فقد خرج من النافذة ولم تنزف أنفه قطرة دم، وكذلك خرج أيضاً "عثمان عشقينباك" سليماً معافى.

قام سائق الحافلة – جزاه الله خيراً – بوضعنا في سيارتين، ذهبتا بنا إلى مدينة (غرده). ولما كانت المستشفى الموجودة هناك غير مؤهلة لاستقبالنا، قامت بإرسالنا إلى محافظة (بولو) في سيارة إسعاف.

وعندما وصلنا إلى المستشفى قام المسؤول هناك بسؤالنا عن نوعية التأمين الصحي الذي نحمله، ثم قال لنا إن بطاقة التأمين الصحي التي نحملها لا تتبع هذا المستشفى، وأرشدنا إلى مستشفى آخر ذهبنا إليه. وبقينا في ذلك المستشفى أربعة أيام ثم خرجنا منه بعد أن تماثلنا للشفاء. أما "أردوغان" فقد استغرق شفاؤه فترة طويلة لأنه قد تعرض لكسور في ضلوع قفصه الصدري. واستأنف حملته الانتخابية

مستعيناً بالحقن المسكنة حتى يسيطر على الآلام".

ويضيف "تحسين" إلى هذا الموضوع فيقول:

"كنا نتعرض لهذه المشكلات والمصائب بسبب كثرة تنقّلاتنا وجولاتنا بين المدن في تركيا. فقد كانت لدينا دائماً مشكلة في الوقت. فإذا كنت تعمل مع الرئيس "أردوغان"، فإن عليك دائماً أن تواكب خطواته وحركاته السريعة، وأن تبقى دائماً في حالة حركة مستمرة. فينبغي عليك أن تكون على أهبة الاستعداد لمواجهة الحوادث والمصائب وإجهاد السفر ومشقته.

وفي طريقنا لحضور مؤتمر في محافظة (أدرنه)، وكنا في شهر رمضان إن لم تخنّي ذاكرتي، خرجنا على الطريق متوجهين نحو (أدرنه) على شكل قافلة كبيرة تمثل حزب السلامة الوطني في اسطنبول مكونة من نحو أربعين حافلة، وخمس وعشرين سيارة خاصة. وما إن عبرنا حي (سليفرى) في اسطنبول حتى قطعت علينا الطريق لجنة مرور، ووجهت قافلتنا للتوقف جهة اليمين.

فقلنا لضابط المرور:

- خير؟ لماذا أوقفت سياراتنا؟

- لقد تجاوزتم حدود السرعة.

- عن أي سرعة تتحدث؟! فحالة سياراتنا أفضل بقليل من عربة الحنطور.

- الرادار لا يكذب.

وطلب منا التوقف، وظل يردد ما يقول كأنه لا يسمعنا.

وعندما طال النقاش تدخل "أردوغان"، ونظر إلى الرجل وقال له: "هل شربت الخمر أثناء عملك؟ إن فمك يفوح برائحة الخمر كرائحة الجثة العفنة، إنك مخمور ترتكب الآثام والأخطاء ثم تفتري على الناس بالكذب!".

ثم ركبنا سياراتنا وواصلنا رحلتنا".

استجابة الدعاء

يحكي الأخ "حسن البصري" عن أحداث الانقلاب العسكري في 12 سبتمبر/ أيلول 1980م(*)، وأجواء الأحكام العرفية التي خلفها، فيقول: "تعطلت الأنشطة الحزبية إلى حد كبير، غير أن زمام الأمور لم يفلت من يد أردوغان"، ويستطرد فيقول:

"استمرت أنشطة جناح الشباب في حزب السلامة باسطنبول بشكل غير رسمي. فقد أصبحوا يجتمعون في البيوت. وبعد فترة قصيرة من الانقلاب العسكري ذهب أردوغان لأداء الخدمة العسكرية. وقبل أن يذهب عقد في بيته اجتماعاً أخيراً. وكنت آنذاك طالباً في المرحلة الثانوية وأتذكر بعض الأسماء التي حضرت الاجتماع: الأخ تحسين، واتيللا إيدنار، وعاكف تشاليقان، ومصطفى أطالاي، وهو من أكثر الأسماء شعبية في محافظة اسطنبول، ومورى آفجي، ونجدت كولونك رغم أنهما لم يكونا من ممثلي الإدارة.

وتكلم أردوغان فقال: "العمل مستمر، ولن تتوقف اجتماعاتنا"، وأعلن أن نجدت كولونك سيتولى المقام نيابة عنه إلى أن ينهي خدمته العسكرية.

كان أردوغان حديث الزواج، ولم يكن ابنه أحمد براق قد تجاوز عامه الأول، لهذا كان يدعو الله ألاَّ يتم توزيعه بعد إنهاء مدرسة ضباط الاحتياط إلى منطقة بعيدة.

كانت مسألة التوزيع على الوحدات العسكرية تتم بالقرعة، غير أن القائد سأله عن المكان الذي يريد أن يقضي فيه خدمته العسكرية. فأجابه أردوغان: "أفضل أن يكون المكان قريباً من اسطنبول".

(*) الانقلاب العسكري في 12 سبتمبر/ أيلول 1980م: يُعد هذا الانقلاب هو آخر الانقلابات العسكرية التي استخدم فيها الجيش التركي الآلة العسكرية، فضلاً عن أنه أقوى الانقلابات العسكرية تأثيراً في الساحة السياسية خلال عهد الجمهورية التركية؛ إذ تمكنت المؤسسة العسكرية بهذا الانقلاب من تعزيز وضعيتها القانونية ونفوذها داخل مؤسسات الدولة وتشديد رقابتها على مؤسسات المجتمع المدني، وصوغ دستور جديد يرسخ لشرعية التدخل العسكري في الحياة السياسية.

فسأله القائد:

- ما هي أقرب وحدة عسكرية إلى بيتك.

- وحدة "داوود باشا".

- أنت لم تعرف جيداً"، أقرب وحدة عسكرية إلى بيتك هي (هاصدال). مبروك عليك.

وكانت وحدة (هاصدال) تبعد عن بيت "أردوغان" عشرين دقيقة بينما الوحدة الأخرى فتبعد خمساً وعشرين دقيقة.

لقد استجاب الله لدعاء أردوغان".

مؤتمر 1978م...
نواة المعارضة

خـرج حـزب (السـلامة الوطنـي) من الانتخابـات البرلمانية عام 1973م بنجاح تجاوز طموحات الحزب ذاته، وتوقّعات الرأي العام أيضاً؛ حيث فاز بثمانية وأربعين مقعـداً داخـل البرلمـان، وبـات حزبـاً أساسـيًّا فـي ترجيـح وضبـط كفـة الحكومات الائتلافية.

ورغـم أن هـذا الوضـع لـم يكن يـروق للنخب العلمانية، وفي مقدمتهم حزب الشعب الجمهوري، إلا أنه أسفر في النهاية عن تشكيل حكومة ائتلافية بين حزب الشعب الجمهوري وحزب السلامة الوطني.

أما في انتخابات 1977م التي جرت بعد حل "بولنت أجاويد" رئيس الوزراء آنذاك للحكومة الائتلافية القائمة، فلم يستطع حزب السلامة المحافظة على نجاحه السـابق، وانخفضت نسـبة الأصوات التي حصل عليها من 11,8 بالمئة إلى 8,5 بالمئـة، وفـاز فقـط أربعـة وعشـرون نائبـاً من ثمانية وأربعين مرشـحاً خاض بهم الانتخابات.

وبدأت مجموعة من داخل الحزب تطالب ببحث الأسباب التي أدت إلى هذه الهزيمة، وتحديد المسـؤولين عنها، ومحاسـبتهم. وفضلاً عن ذلك أخذوا يوجهون رسـائل إلى "أربكان" يطالبونه بإجراء تغييرات داخل إدارة الحزب، وصوغ مفهوم جديد في إدارته حتى لا يتكرر ذلك الوضع.

وبسـبب مقابلـة "أربـكان" لهـذه المطالـب والانتقـادات بالصمـت، فقد قامت المجموعـة التـي تطمـح إلـى التجديـد بإعداد قائمـة انتخابية ثانية في مؤتمر الحزب الرابع الذي انعقد في 15 أكتوبر/ تشرين الأول 1978م، وذلك بمبادرة من "كوركوت أوزال".

وكان "أردوغـان" أحـد الذيـن دعمـوا تلـك القائمة في هذا المؤتمر، ولم يكن قد تجاوز الرابعة والعشرين من عمره بعد، وشارك في الانتخابات الداخلية للحزب بصفتـه رئيسـاً لجنـاح الشـباب فـي محافظـة اسـطنبول. ولعل "أردوغـان" كان أيضاً الأصغر سنًّا داخل قاعة هذا المؤتمر، ولكنه كان الأكثر حيوية ونشاطاً. وقد اعترض بشـدة عندمـا طلـب المجلـس العـام للحـزب منعه من اللقـاء بممثلي الحزب داخل المؤتمر. ولم ينثنِ عن موقفه والمطالبة بحقه حتى سمحوا له.

وفـي النهايـة، ورغـم أن الفشـل قـد لحق بالقائمة الثانيـة والمدافعين عنها، إلا أن "أردوغان" قد أثبت وجوده، وأصبح محل اهتمام ممثلي الحزب، بسبب وقوفه إلى جانب المطالبين بالتجديد، فضلاً عن مواقفه المعارضة، وخرج "أردوغان" من هذا المؤتمر وقد لمع اسمه، وبات موضع اهتمام الجميع.

* * *

ومما لا شك فيه أن الحزب كان واقعاً في أخطاء ومواقف غريبة لا يمكن إنكارها مثل عدم إسناد ممارسة الحزب للسياسة على أسس عقلانية، وعجز لغة الحـزب وخطابـه عـن مخاطبـة الأطيـاف كافة في تركيا، فضلاً عن تمسـكه بتقاليد أخرى، منها عدم السـماح بدخول مقاره وشـعبه بالأحذية، ونتيجة لهذه الأخطاء والمواقـف أخـذت تنهـال علـى الحزب الانتقادات والاعتراضات. وقد بدأت هذه المواقـف تسـتدعي إلـى الأذهـان صـورة (جماعـة إسـلامية) أكثر مـن كونه (حزباً سياسيًّا).

إن جـذور التمايـز بيـن الجناحيـن (التجديدي)، و(التقليدي) والتي طفت على السـطح بقـوة فـي مؤتمـر حـزب الفضيلة في الرابع عشـر مـن مايو/ أيار عام 2000م إنما ترجع إلى التيار المعارض الذي ظهر في مؤتمر 1978م.

وكان مـن الطبيعـي أن يصبـح "أردوغـان" الـذي كان واحداً من الداعمين لهذا التيار في 1978م هو الزعيم (للحركة التجديدية) في المؤتمر الأول لحزب الفضيلة بعد مرور 22 عاماً.

ولـم يسـتطع "أردوغـان" المشـاركة فـي المؤتمـر الأول لحـزب الفضيلة الذي انعقـد فـي أنقـره لكونـه محظـوراً مـن مزاولة العمل السياسـي، وبقي في اسـطنبول. ومن هناك كان يسعى لتحقيق الدعم المعنوي والتكتيكي "لعبد الله غول" المرشح

لزعامة التجديديين داخل الحزب؛ فيتصل به كثيراً، ويقدم له إجابات على الانتقادات الموجهة، ويطلب منه الصمود.

وفـي نهايـة المؤتمـر فـاز الجناح (التقليدي)، وتوالت رسـائل التهنئة للفائزين. وعندما جاء الدور على رسالة "أردوغان" امتلأت القاعة بالبهجة والسرور وأخذوا يهتفون: (أنت فخر لتركيا)، ولم يتمالك معظم الحضور دموعهم حبًّا في "أردوغان" الذي منعه الحظر السياسي من الحضور... وأصبح اسم "أردوغان" رمزاً وأملاً تلتف حوله قلوب الذين يتطلعون إلى المستقبل.

أردوغان ورئاسة بلدية
(باي أوغلو) 1989م

يقول "أردوغان" في معرض حديثه عن ترشيحاته السابقة لعضوية البرلمان: "لم أشعر بحرج قط من ظهوري أمام الناس مرشحاً لحزب الرفاه في المناطق التي لا تحمل أي ملمح من ملامح الفوز فيها، تلك المناطق التي يهرب منها المرشحون الآخرون. ثم يوضح السبب فيقول: "إذاً، فلماذا لم اعترض؟ لأن أستاذي أربكان قال ذلك".

أما في انتخابات المحليات 1989م فقد رشح "أردوغان" نفسه بمبادرته الشخصية الكاملة كرئيساً لبلدية (باي أوغلو) رغم اعتراضات المركز العام للحزب ومجلس الحزب في اسطنبول. وكان لإصراره هذا أسباب ودوافع مهمة، يرويها فيقول: "أنا الذي طلبت الترشح لرئاسة بلدية (باي أوغلو)، فقد كنت أرى هذه الانتخابات فرصة لا بد من اغتنامها؛ لأنني كنت اعتقد أن الأصوات التي حصلنا عليها في حزب الرفاه حتى ذلك الحين كانت أقل بكثير مما ينبغي علينا الحصول عليه. فالناس يريدون أن يمنحونا أصواتهم، ولكن الجدار الخفي الموجود بيننا يظل دائماً حائلاً يمنعنا من إقامة علاقات معهم. فلم نفلح بأي وسيلة من الوسائل منذ عقد السبعينيات في هدم ذلك الجدار. فلو أننا كنا قد وجدنا طريقاً أو سبيلاً لإقامة علاقات وطيدة مع الشعب، لكان ذلك الجدار قد انهدم، ولأصبحنا الحزب الأول في تركيا. فقد كنت استهدف بمشاركتي في هذه الانتخابات أن أتأكد من رؤيتي هذه، ومن ناحية أخرى أثبت أن ذلك الجدار الموجود بيننا وبين الشعب يمكننا هدمه".

أما إدارة الحزب فقد كانت تنظر إلى الموضوع من ناحية مختلفة. فقد كانت نسبة الأصوات التي حصل عليها الحزب في (باي أوغلو) في الانتخابات السابقة

في حدود 3 بالمئة، كما أن قيام واحد من الذين يتولون مناصب مهمة في قيادة الحزب باسطنبول بالترشح في حي من الأحياء لا حظ ولا نصيب له في الفوز فيه، ستكون عاقبته وخيمة وقد تلقي بظلالها على هيبة الحزب ومكانته".

وأمام إصرار "أردوغان"، لم يجد المعارضون مفرًّا من الموافقة على ترشحه لرئاسة بلدية (باي أوغلو).

وكلما اقترب موعد انتخابات رئاسة بلدية (باي أوغلو) كان "أردوغان" يكثف من اجتماعاته التنظيمية الخاصة بالحملة الانتخابية. إذ إن "أردوغان" سيدشن خططاً وتطبيقات جديدة قد تعد ثورة بالنسبة لحزب الرفاه في هذه الانتخابات.

ففي هذه الانتخابات لأول مرة يوظف حزب الرفاه المرأة في الحملة الانتخابية. وهو تطور لم يكن بالأمر اليسير؛ فقد كان بمثابة الثورة بالنسبة لحزب الرفاه، ولهذا لم يسلم من الانتقادات الحادة القاسية من داخل الحزب نفسه، وظل هذا الأمر موضوع نقاشات لفترة طويلة.

كان توظيف المرأة في الحملات الانتخابية بشكل فعال أمراً جديداً للغاية، ناهيك عن أن انضمام النساء للعضوية في حزب الرفاه كان أيضاً أمراً مستحدثاً.

ويقول "أكرم أردم" إن أول امرأة انضمت للحزب عام 1987م وكان ذلك عن طريق الصدفة المحضة:

"كان لنا صديق يدعى يالتشين أوزار، وكنا قد عقدنا لقاءً منزليًّا في بيت واحد من جيرانه، وعندما انتهى اللقاء اقترحنا على صاحب البيت الانضمام لعضوية الحزب، وأخذ الرجل يتعلل بأسباب واهية من هنا وهناك حتى يرفض اقتراحنا. وفي تلك اللحظة جاءنا صوت من المطبخ سجل اسمي عندك. كانت صاحبة الصوت هي ابنة صاحب المنزل. والحقيقة، إننا لم نستطع أن نقول لها إننا لا نمنح عضوية الحزب للنساء؛ فأعطيناها استمارة الانضمام للحزب وملأتها لتصبح أول عضوة في الحزب، لكننا لم نستطع تسجيل عضويتها في دفتر شعبة الحزب لفترة طويلة، ولم نرسلها إلى مركز الحزب في اسطنبول، ثم قررنا في النهاية أن نرسلها إلى إدارة الحزب في المحافظة وأن يقرروا هم ما يريدونه. فتلقت إدارة الحزب الطلب بالقبول، وعليه أصبحت أول امرأة عضوة في حزبنا مقيدة في شعبة حي (شيشلي).

كان "أردوغان" يدرك أنه يخوض مغامرة كبيرة بترشحه لرئاسة بلدية في

حيٍّ يعتبر أضعف الأحياء من حيث تواجد حزب الرفاه به. فيجمع أصدقاءه الذين اختارهم لإدارة عملية الانتخابات، ويشرح لهم الاستراتيجية والوسائل التي سينتهجها في حملته الدعائية. ويحذر أصدقاءه في بداية حديثه قائلاً:

"إننا في هذه الحملة نتحرك وفق استراتيجية مختلفة كثيراً عما كانت في الانتخابات السابقة. وأقول لكم ونحن لا نزال في بداية عملنا، أنا لا أريد من أحدكم أن ينظر إلى هذه الإجراءات الجديدة التي لم تعتادوها، بغضب أو استياء".

وكان أكثر تجديد لفت الأنظار في انتخابات (باي أوغلو) هو نزول المرأة إلى الساحة السياسية للمرة الأولى في تاريخ حركة الفكر الوطني.

ويقول أردوغان: "إننا ونحن نحدد ساحات ومهام المرأة في هذه العملية الانتخابية نجد أنفسنا مضطرين إلى مراعاة أنماط حياة الناس الذين يعيشون في تلك المنطقة، وكذلك تصوراتهم عن الكون والحياة. عندما نذكر حي (باي أوغلو) فإننا لا نتحدث عن مجتمع متجانس البنية الفكرية، فأخواتنا المنقّبات اللواتي يقُمن بأدوار فاعلة إيجابية وناجحة في حي (أوق ميداني) لا يمكنهنّ تحقيق النجاح بالدرجة ذاتها في شارع (الاستقلال) أو أحياء مثل (جيهان كير)، و(طوبخانه). ولهذا فقد وظفنا في تلك المناطق أخواتنا من غير المحجبات. ومن المنطلق نفسه فقد قررنا عدم مشاركة إخواننا من ذوي اللحى والسراويل في قوافل الحملة الانتخابية التي ستجرى في تلك المناطق. فإذا بي أجد بعض إخواننا وقد فاضت أعينهم بالدمع حزناً على عدم المشاركة في الحملة الانتخابية، وأجد بعضاً آخر قد استشاط غضباً مما قلته. فقلت لهم: "إن حزني على عدم مشاركتكم يفوق حزنكم ألف مرة... ولكن عليكم أن تصبروا قليلاً، ثقوا بي واتبعوا تعليماتي وساندوني في ما أنا مقدم عليه، وسترون أننا الذين سنضحك في النهاية".

وفي تلك الأثناء كانت هناك لجنة داخل المركز العام للحزب على رأسها "أوغوز خان أصيل ترك" و"فهيم أداق"، كانت معنية بالتدقيق في إجراءات العملية الانتخابية من حيث إجازتها الشرعية أكثر من متابعة العملية نفسها.

كانت أعمال الاستبيان الأسبوعي هي أهم عنصر يحدد توجه الحملة الانتخابية، ولهذا تم تكليف "حسن البصري يلديز" الطالب بكلية الاقتصاد آنذاك بهذه المهمة، وكان "حسن البصري" يقوم بإدارة أعمال هذا الاستبيان الأسبوعي من خلال فريق

عمل شكّله من أصدقائه بالجامعة من الفتيان والفتيات. وكانت النتائج التي يتوصل إليها على حد تعبير أردوغان: "دقيقة واضحة وضوح الصورة الفوتوغرافية".

وطبقاً لنتائج الاستبيان، فإنّه كان يتم تحديد الأماكن التي تتطلب التركيز بشكل أكثر في الحملة الانتخابية، وكانت المنطقة الأكثر ضعفاً في كل استبيان أسبوعي هي المنطقة التي يتم تكثيف العمل فيها، وتطوير سياسات خاصة بها للقضاء على عوامل الضعف فيها.

وكان حي (حاجي خسرو) إحدى أضعف تلك المناطق التي تتضح للعيان من دون الحاجة إلى نتائج الاستبيان الأسبوعي. وهو حي معروف منذ زمن بعيد بأنه قلعة حزب الشعب الجمهوري، وأن الأصوات الانتخابية به يمكنها أن تؤثر على نتائج الانتخابات بشكل قوي.

ويحظى "أردوغان" باحترام وتقديرٍ في هذا الحي احتفظ به منذ السنوات التي كان يلعب فيها كرة القدم. أما عندما يتعلق الأمر بطلب الأصوات الانتخابية، فإن الوضع حتماً سيكون مختلفاً، فأعين سكان حي (حاجي خسرو) لا ترى شيئاً سوى حزب الشعب الجمهوري. ويبحث "أردوغان" عن وسيلة اتصال تفتح له الطريق للوصول إلى قلب هذا الحي، وفي النهاية يجد بغيته: "كان هناك صديق لنا تعرفنا عليه عن طريق "توفيق أيدنيز" هو السيد "مصطفى"، وهو الأخ الأكبر لصديقنا "روحي". فذهبت إليه وطلبت منه المساعدة فلم يردني خائباً جزاه الله خيراً. وكان له صديق يدعى "قدرت" في حي (حاجي خسرو)، يدير مكاناً للعب القمار، غير أنه كان يحظى باحترام وتقدير كبيرين بين أهالي الحي. وكان محبوباً في محيطه ودائرته، فاتصل السيد "مصطفى" به هاتفيًّا وأخبره أننا سنذهب إليه. وأعتقد أننا كنا وقت العصر تقريباً، وعندما وصلنا إلى البيت كان السيد "قدرت" قد استيقظ لتوه من النوم، وأمام باب البيت وجدنا الكثير من الأحذية النسائية، فترددنا في الدخول. ولكننا علمنا أنه كان (يوم السيدات)(*)، ولهذا كان البيت مكتظاً بالنساء. وقال لنا

(*) يوم السيدات: هو اجتماع أسبوعي تلتقي فيه سيدات الحي الواحد أو البيت الواحد للتحدث في موضوعاتهن الاجتماعية، وتستضيف إحدى السيدات جاراتها كل أسبوع في بيتها بالتناوب. وهو تقليد اجتماعي قديم لا تزال تحافظ عليه السيدات في تركيا على اختلاف ثقافاتهن وأوضاعهن الاجتماعية.

السيد "قدرت": "ليس من الأصول ألا تدخلوا ما دمتم قد جئتم إلى بيتي". وأمام إصراره دخلنا البيت ونحن في حرج شديد. كانت النساء قد احتللن غرفة الجلوس فذهب بنا السيد "قدرت" مباشرة نحو حجرة النوم. فرتب الفراش على أكمل وجه وقال لنا تفضلوا بالجلوس. فجلسنا على حافة السرير وشرحنا له الأمر باختصار. فقال لنا السيد "قدرت": "لقد أتعب السيد مصطفى نفسه وجاء إلى بيتي، ووثق بي، وقدرني، فكيف لي أن أرده خالي الوفاض". وأعرب لنا عن استعداده لتقديم كل أنواع المساعدة. وفي الحقيقة لم يدخر "قدرت" جهداً، ولم يبخل بمساعدة طوال الحملة الانتخابية. ونظم ليلة جميلة دعا إليها من يعرف من الفنانين، ورافقنا في لقاءاتنا مع سكان الحي، وفي اجتماعاتنا معهم على المقاهي، وفتح لنا الطرق وسهل لنا الأمور، حتى بدا كأنه أكثر اهتماماً بأمرنا منا".

ويعبر "مصطفى أردوغان" عن تلك الفترة فيقول:

"في ذلك الوقت لم يكن لدينا صوت واحد في (حاجي خسرو)، فقد كان ذلك الحي قلعة لليساريين. وكانت هناك شخصية ذات طابع عسكري في همته وجديته اسمه "قدرت يلديز" وكان شابًّا وسيماً. عرَّفنا عليه أحد إخواننا، وسرعان ما انعقدت بيننا وبينه صلات قوية وفعالة، ومنذ ذلك الحين أخذ السيد "قدرت" يساعدنا في (حاجي خسرو) بشكلٍ لم نتوقعه.

وذات يوم قام بدعوة أحد المطربين المشهورين آنذاك لإقامة حفل غنائي، كان اسم هذا المطرب "وحدت ورال"، وعلى الرغم من أن ذلك اليوم كان يوماً مطيراً، إلا أنه لبى الدعوة، وجاء وقد احتمى تحت مظلته. وفي ذلك اليوم قدم السيد "قدرت" لضيوفه أكثر من ألف فطيرة لحم عجُون(*) وكوباً من العيران. وكانت معه أخته الكبرى السيدة "نيجار"، التي أمسكت بالميكرفون وقدمت "أردوغان" بأسلوبها الجميل قائلة: "ها أنتم ترون شاباً فتيًّا نقياً مثل الألماس، أريد منكم جميعاً أصواتكم لهذا الأسد الجسور، فنحن كعائلة نقف بكل قوتنا خلف هذا الأسد ونساعده".

(*) فطيرة لحم عجُون: هي نوع من الفطائر الشهيرة في تركيا. عبارة عن فطيرة رقيقة مكسوة بطبقة خفيفة من اللحم المفروم الناعم وصلصة الطماطم والبهارات، وتُقدم ساخنة مع البقدونس والليمون.

وفي هذه الانتخابات حصلنا من (حاجي خسرو) على ألف صوت تقريباً. وبعد عدة أعوام مات السيد "قدرت" مقتولاً إثر نزاع ما، ونحن حتّى الآن نلتقي مع عائلته كلما سنحت لنا الظروف.

يقول أردوغان: "كان قدرت يرهق نفسه ويجهدها كثيراً في مساعدتنا، حتى إنه في صباح يوم الانتخابات استيقظ قبل أن تشرق الشمس، وجاء إلى مركز تنسيق الانتخابات بملابس نومه من دون أن يغيرها، وتضايق كثيراً عندما لم يجد أحداً. وكنت أتفقد صناديق الاقتراع، فنظرت، فإذا بالسيد "قدرت" قد وضع واحداً من رجاله على رأس كل صندوق، واتخذ تدابير أمنية حازمة. وعندما رآني تقدم نحوي، وكان الغضب لا يزال يتملكه وبادياً على وجهه وقال لي: "يا سيدي الرئيس! إن أصحابك لا يُصلُّون، لتكن على علم بذلك".

فقلت له "خير؟ ماذا حدث؟!".

فقال: "ذهبت في الصباح إلى مكتبكم الانتخابي. فلم أجد أحداً فقلت في نفسي: "لعلهم الآن في صلاة الفجر ثم سيعودون إلى هنا"، ولكنني انتظرت فلم يأتِ أحد ولم يذهب أحد... سيدي الرئيس لا يمكنك الفوز في انتخابات أو في غيرها بهؤلاء الأصدقاء".

واستمرت علاقتنا بالسيد "قدرت" بعد ذلك. وأذكر أنه وأصدقاءه طيلة فترة الانتخابات لم تلمس شفاههم الخمر. وبعد الانتخابات دعانا السيد "قدرت" إلى بيته لتناول الطعام. وفي حديقة منزله وضع طاولتين، لم تكن على الطاولة الأولى أي خمور وكانت مخصصة لنا، وكانت توجد خمور على الطاولة الأخرى، وجلس "قدرت" على الطاولة الأخرى متورعاً عن الجلوس معنا، فقمت من مكاني وذهبت إلى السيد "قدرت" وقلت له: "لو أذنت لي، فسأجلس على مائدتكم".

وفي أثناء الطعام توجه نحوي السيد "قدرت" وسألني: "سيدي الرئيس... لماذا حرم الله تعالى الخمر؟ وما قولك في أن شراب (الراكي)(*) يُعتَبر مكروهاً؟".

فذكرت لهم الآيات التي تحرم الخمر، إلى أن وصلت إلى الآية الكريمة: ﴿لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾. فأحسست أنه لم يفهم الحكمة من الآية فأوضحت له قائلاً: "عندما يكون الإنسان مخموراً، ويدخل في الصلاة، ويقرأ القرآن فقد يخطئ

(*) شراب الراكي: هو نوع من الخمر التركي، لونه أبيض، وهو صناعة محلية تركية.

وينطق كفراً مثل ﴿ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ﴾، فإذا ما نسي قول "لا" فإنه يقول "أعبد ما تعبدون"، فقال لي فهمت سيدي الرئيس.

* * *

نَفَّذَ "أردوغان" ما قاله، واستطاع هدم تلك الجدران التي كان يعتقد باستحالة هدمها بين الشعب وحزب الرفاه، ولنقل على الأقل في حي (باي أوغلو). خسر "أردوغان" رئاسة بلدية (باي أوغلو) بفارق بسيط جدًّا، لكنه استطاع أن يثبت أن الأساليب الجديدة التي استخدمها لأول مرة في حملته الانتخابية يمكنها أن تجعل من حزب الرفاه أكبر حزب في تركيا.

والأهم من نجاح حملته الانتخابية كان نجاح "أردوغان" في جعل أساليبه وإجراءاته الجديدة محل نقاش داخل المركز العام للحزب وبين صفوف قاعدته على حد سواء، فقد ارتفعت وتيرة الانتقادات التي وُجهت له، حتى إن بعض الأوساط الإسلامية قد اتهمته بالكفر. ومن الموضوعات التي خرج فيها النقد الموجه له عن حدوده ووصل إلى حد السب والإهانة والتحقير، كان تكليفه بعض الفتيات الجامعيات غير المحجبات بإجراء الاستبيان الأسبوعي في حي (جيهان كير)، ثم بالعمل في الدعاية الانتخابية بعد ذلك.

وحدث أن نشرت إحدى الصحف خبراً بعنوان (حزب الرفاه يستخدم العاهرات في الانتخابات)، فجُن جنون بعض أعضاء الحزب. في حين أن تلك الفتيات كن طالبات في الجامعة يعملن ضمن فريق "حسن البصري" لتنفيذ أعمال الاستبيان الأسبوعي. وكن يعملن طوال الحملة الانتخابية بأجر يومي، إلى أن جاء الأسبوع الأخير من الحملة فرفضن تقاضي أجراً مقابل عملهن واعتبرن أنفسهن متطوعات.

ويروي لنا "أردوغان" بنفسه إحدى الوقائع المؤلمة التي عاشها في تلك الأيام وهو يفند تلك الانتقادات والافتراءات، فيقول:

"اتصل بي أحد أئمة المساجد في حي (جيهان كير) وهو إمام ينتمي إلى حزبنا، وأخذ يصرخ عبر سماعة الهاتف، وقد أخذ به الغضب مأخذه، ويقول لي: واحسرتاه عليك، لا سامحك الله، انظر في أي قاع سحيق ألقيت بنا... ماذا ستقول لربك غداً يوم المحشر؟".

فقلت له: "أيها الشيخ اهدأ قليلاً ودع أذنيك تسمع ما تنطق به... ماذا فعلنا

نحن؟!".

فقال: "وماذا ستفعلون أكثر من ذلك؟! جمعتم هؤلاء العاهرات واحدة بعد الأخرى، ثم جعلتموهن يوزعن أوراق حزبنا وملصقاته في حملتك الانتخابية... ماذا أقول للجماعة... وبأي وجه سأخرج إلى الشارع بعد هذه الفضيحة؟!".

لم تكن كلمات الشيخ من تلك الكلمات التي يمكن التغاضي عنها. فقلت له: "سيدي الشيخ إنك تتحدث وتكيل الاتهامات من دون علم... عيب عليك ذلك. هؤلاء الفتيات طالبات جامعيات. وكلهن في مرتبة أخواتنا وبناتنا. ستنكشف لك الحقيقة غداً، وعندها ستخجل مما قلت، وتشعر بالخزي والندم".

وفي مساء يوم الانتخابات كانت عملية التصويت قد انتهت، وكانت كلما جاءتنا أنباء عن نتائج الصناديق نشعر بالفرح ونوقن بأننا على وشك الفوز. غير أنه بمرور الوقت أخذت أخبارٌ غريبة ترد إلينا، إلى أن علمنا في النهاية أن حزب الشعب الجمهوري قد فاز في الانتخابات بفارق 1500 صوت.

وهذا ما لم نكن نتوقعه، وبدت الكآبة على وجوهنا جميعاً، وكان يقف معنا ذلك الأخ الشيخ الذي انخدع بما كتبته الصحيفة. وأخذنا نحاول تفسير نتائج هذه الانتخابات، ولكن من دون جدوى.

وفي ذلك الوقت جاءت إحدى الفتيات التي تساعدنا في العملية الانتخابية، وكانت طالبة في كلية الحقوق، جاءتنا وهي تبكي وقد احمرت عيناها من كثرة البكاء.

وقالت سيدي الرئيس هل رأيت ما فعلتموه، لقد خشيتم الأقوال والشائعات، ولم ترسلونا لنقف على صناديق الاقتراع، إن إخوانكم الذين كلفتموهم بهذه المهمة هناك ما إن سمعوا صوت الأذان حتى تركوا الصناديق، وذهبوا للصلاة، فسرقت منا الأصوات، وحدث تلاعب في الدفاتر. لقد خسرنا الانتخابات التي نجحنا في الإعداد لها.

فطيبت خاطر الفتاة وطلبت منها الذهاب إلى زوجتي في الطابق الأعلى حيث يوجد الجناح النسائي. وما إن سمع ورأى الشيخ حال الفتاة حتى تمنى في نفسه أن تنشق الأرض فتبتلعه ولا تترك له أثراً على ظهرها، ووضع رأسه على كتفي وقال لي: "سامحني سيدي الرئيس واعفُ عني... إنني في شدة الخجل مما فعلت،

سامحني أرجوك".

فقلت له: "لا تطلب العفو مني بل من تلك الفتاة المسكينة".

في الحقيقة كنت أريد أن أقول له الكثير والكثير، ولكن لا المكان ولا الزمان كانا يسمحان بذلك".

* * *

عند النظر إلى النتائج الواردة من صناديق الاقتراع صندوقاً صندوقاً نجد أن حزب الرفاه قد فاز في هذه الانتخابات، وأن "أردوغان" قد أصبح رئيس بلدية (باي أوغلو)، إلا أن النتيجة الرسمية في المجلس الانتخابي لحي (باي أوغلو) كانت تشير إلى أن حزب الشعب الجمهوري هو الفائز.

وهناك تفسير واحد لهذا الوضع: وهو أنه قد حدث تلاعب خلال عملية جمع الأصوات.

ويتقدم محامو حزب الرفاه باعتراض إلى المجلس الانتخابي في (باي أغلو)، ويطلبون إعادة فرز الأصوات؛ إذ إنه عند إعلان النتائج كانت هناك بعض دفاتر جمع الأصوات لم تصل إلى المجلس، فضلاً عن حدوث تلاعبات في بعض الدفاتر، كما أن بعض الدفاتر قد سجلت أرقاماً بعيدة عن المنطق.

ويشرح المحامي "زيد أصلان" ما حدث، ويلخصه تلخيصاً رائعاً فيقول: "اعترضنا على عملية جمع الأصوات المقيدة ببعض الدفاتر، ولكنها رُفضت في حينها، ففي أحد الصناديق التي استقبلت 310 ناخبين، خرج منها حزب الشعب الجمهوري بعدد 522 صوتاً. ولم يكن رئيس مجلس الانتخابات في حالةٍ تمكنه من الاهتمام باعتراضاتنا، فقد أراد ذات مرة أن ينهض من مقعده فلم يقوَ على ذلك، بل غاص في مقعده. وعندما رأى السيد "راسم شيمشاك" كبير الضباط بمديرية أمن (باي أوغلو) خطورة ذلك الوضع، اتصل برئيسه السيد "عبد الحكيم"، وطلب منه إذناً بفحص رئيس المجلس الانتخابي والتثبت من حالة سكره، غير أن ذلك الرئيس لم يرد عليه مخافة المسؤولية".

لم يصدق "أردوغان" نفسه عندما علم بأنه فاز بالانتخابات في صناديق الاقتراع ثم خسرها بهذه الكيفية، فدخل على رئيس المجلس الانتخابي القاضي "نظمي أوزجان" وقال له: "إنك مخمور سكران... إن قدميك لا تقويان على حملك بهذه

الصورة، فكيف يمكنك أن تكون قاضياً تحقق العدل وتحميه؟". فما كان من رئيس المجلس الانتخابي إلا أن فتح عينيه بصعوبة ونظر إلى "أردوغان"... ولم يفعل أكثر من ذلك... فلم يكن لديه ما يقوله...

وبعد عدة أيام تم استدعاء "أردوغان" للإدلاء بأقواله في النيابة. فإذا به يجد اتهاماً موجهاً ضده بأنه قد أهان رئيس المجلس الانتخابي وسبه في أثناء تأدية وظيفته.

لم يترك المحامي "زيد أصلان" "أردوغان" وحده بل ذهب معه للإدلاء بأقواله، وعندما وصلا إلى مقر سراي النيابة، أخبرا وكيل النيابة بحضورهما وأنهما في الانتظار. وكان يوماً مزدحماً بالعمل للغاية داخل سراي النيابة. وبينما كان الدور يقترب نحوهما لمح المحامي عدداً من قوات الشرطة يصعدون إلى الطابق الأعلى فقال لأردوغان: "سيدي الرئيس، علينا أن نرحل فوراً من هنا، فوكيل النيابة سيأمر بالقبض عليك".

وخرجا من مبنى سراي النيابة بسرعة كبيرة. وقرر "أردوغان" الاختفاء لفترة لأن وكيل النيابة سيطلب من الشرطة البحث عنه والقبض عليه.

وكأن تلك الصعوبات كلها، وخسارته في انتخابات كان محققاً له الفوز فيها، لم تكن كافية، فإذا بصاحب الحق يصبح متهماً شريداً طريداً للعدالة محروماً من حريته.

كانت جلسة محاكمته ستنعقد في 27 أبريل/ نيسان 1989م. وحتى ذلك التاريخ كان "أردوغان" مضطراً للاختفاء عن الأعين والانزواء عن الناس.

طلب "مصطفى أردوغان" الأخ الأصغر "لرجب أردوغان" من السيد "قدرت" الاهتمام بأمر أخيه. وكان للسيد "قدرت" علاقات وطيدة برجال القضاء.

وحسب المعلومات التي وصلتهم، لم يكن هناك أي داعٍ للقلق، فسيبقى في السجن مدة أسبوع على الأكثر، وفي أول جلسة بعدها سيخلى سبيله. وبالفعل تم سجن "أردوغان" لمدة أسبوع في سجن (بيرام باشا)، ثم أخلي سبيله بعدها.

ورغم أنها كانت فترة قصيرة إلا أنها كانت مليئة بالذكريات، وكانت المرة الثانية التي يدخل فيها "أردوغان" السجن، ويحكي "أردوغان" عن ذكرياته خلال هذا الأسبوع فيقول:

"عندما دخلت السجن كان شهر رمضان الكريم قد هل علينا، فانزويت في ركنٍ من أركان العنبر المخصص لي، وأخذت أقرأ القرآن الكريم الذي أحضرته معي، فاقترب مني زملاء العنبر يريدون التعرّف إليَّ، فتعارفنا وتحدثنا قليلاً، ثم سألوني عما أقرأ، فقلت لهم أقرأ القرآن الكريم وتفسيره. فتأثروا كثيراً، وأجلوني واحترموني، وأظهروا لي كل إكرامٍ، وخصصوا لي مكاناً أنام فيه. وكان في العنبر سجينان يُعتبران بين السجناء زعيمَي العنبر، أحدهما كان من محافظة (دوزجه) والآخر من محافظة (سينوب). وقد توفي الأول، ولا أزال على اتصال ولقاءٍ بالآخر، حيث جمعتني به ذكريات غريبة وطريفة بعد ذلك".

من "سجن متريس"
إلى "سجن السليمية"

لم يكن حبس "أردوغان" في سجن "بيرام باشا" هو الأول أو الأخير في حياته السياسية. فأول تعارف له مع السجن يرجع إلى فترة ما قبل الانقلاب العسكري عام 1980م.

ففي يوم من الأيام التي أعلنت فيها الأحكام العرفية خلال تلك الفترة، كان "أردوغان" ومجموعة من شباب حزب السلامة الوطني قد ذهبوا لحضور جنازة أخوَين من إخوانهم قد قتلا. ورأوا أن يذهبوا إلى حي (كوتشوك تشاكمجه) بالقطار نظراً لكثرة عددهم، واضطروا كذلك للعودة بالقطار.

وعند عودتهم مع حلول المساء، نزلوا من القطار في محطة (يني قابى)، وعندما بدأوا السير نحو حي "الفاتح"، طلب بعض الشباب وفي مقدمتهم "متين يوكسال" من "أردوغان" أن يسمح لهم بالهتاف في أثناء سيرهم، فلم يأذن لهم "أردوغان" وقال لهم إن ذلك لن يكون مناسباً.

وعندما وصلت المجموعة إلى ميدان (قيزطاشي) وقد حافظوا على صمتهم وسكونهم، فإذا بالأخ "متين يوكسال" يخرج عن صمته ويبدأ في الهتاف، وكان بقية الشباب أيضاً ينتظرون تلك اللحظة بفارغ الصبر، فانضموا من دون تردد إليه وملأوا الشارع بصيحات هتافهم.

ولم تتأخر قوات الشرطة عن الوصول إلى مكان الهتاف، وبالطبع سيطرت قوات الجندرمة (الدرَك) على الوضع، وفجأة وجدت المجموعة نفسها داخل سجن (متريس).

ويحكي لنا "أردوغان" بنفسه عن ذكريات الليلة الأولى التي قضوها في سجن (متريس) وما بعدها من أحداث يقول:

"قضينا معظم ليلتنا الأولى داخل سجن (متريس) في ردهات السجن واقفين على أقدامنا؛ فلم نكن نستطيع الجلوس حتى لو أردنا ذلك، حيث كانت المياه تغطي الأرض كلها.

وحتى منتصف تلك الليلة لم نكن قد أكلنا شيئاً. وعندما خيم الصمت على السجن وخلا من المارة وتوقف صوت وقع الأقدام، رأينا سجاناً يعمل بالسجن متوجهاً إلينا وقد جمع لنا كسرات خبز جافة قد تبقت من طعام الجنود، وإناء من الشوربة قام بتسخينه، ودعانا للطعام. ويعجز لساني عن أن أشرح لكم مدى الفرحة التي غمرتنا بهذا الطعام.

وبعد فترة ذهبوا بنا إلى المكان الذي سننام فيه، فتكوم كل منا في ركن من الأركان ونام. وما إن بدأنا نغط في نومنا حتى فزعنا على صوت صراخ وعويل، فظننا أنهم يعذبون بعض السجناء.

وظننا في البداية أنهم قد أخذوا واحداً منا، فتأكدنا أنه لا ينقصنا أحد. ثم علمنا بعد ذلك أنهم قد علقوا ذلك السجان الذي أحضر لنا الشوربة وأوسعوه ضرباً على قدميه، وقالوا له: "لم يبقَ إلا أنت حتى تأخذك الشفقة بهؤلاء الفوضويين".

وبعد فترة قاموا بترحيلنا إلى سجن "السليمية"، ثم ذهبوا بنا إلى النيابة بعد عدة أيام. وعندما أدرك وكيل النيابة أن جريمتنا لا تستحق الإدانة، أطلق سراحنا.

وبعد الخروج من السجن اجتهدت للتعرف على هذا السجان، وإقامة صداقة معه، فكنت أريد أن أطلب منه أن يسامحنا حيث أوذي بسببنا، وعرض نفسه للتعذيب من أجلنا.

ولم يكن العثور عليه بالشيء الصعب، فقد كان من أحد الأخوة العلويين في منطقة تابعة لمحافظة (أضنة).

ولم تنقطع علاقتنا به بعد ذلك ولا نزال إلى الآن نلتقي به بين الحين والآخر".

* * *

أردوغان ذو توجه "ديمقراطي اجتماعي"

عـام 1989م كان مراسـل صحيفـة "لامونـد" مكلفـاً بمتابعـة حملـة "أردوغان" الانتخابيـة. وقبـل أسـبوع مـن الانتخابـات نشـر مقالـة كتب فيها: "إن ذلك الشـاب المرشـح عـن حـزب الرفـاه الإسـلامي، شـاب ذو توجه ديمقراطـي اجتماعي، وهو جدير بالمتابعة والملاحظة".

وكان المراسل قد تأثر تأثراً بالغاً من "اللقاء الانتخابي" الذي أعده "أردوغان"، وشارك فيه بصفته مراقباً إعلاميًّا للحملة الانتخابية.

فقـد كان "أردوغـان" يخطـب فـي الشـعب مـن الطابـق الأول لإحـدى البنايات التي لم يكتمل بناؤها بعد في حيٍّ من أحياء منطقة (قاسم باشا)، ويمسك في يده ميكروفوناً يتدلى سلكه الطويل نحو مكبّرات صوت عتيقة لا تخلو من ضجيج قد وضعت فوق إحدى السيارات القديمة. ورغم ما تُوحي به هذه الإمكانات الضعيفة التي تسـتخدمها الحملة الانتخابية، إلا أن ذلك الرجل الشـاب كان يسـتطيع النفاذ بسـهولة ويسـر إلى قلوب المتابعين له والمحتشـدين للاسـتماع إليه بسـبب صدقه وإخلاصه الذي أجاد في التعبير عنهما ببلاغته وحسـن بيانه، وذلك التناغم الرائع بين ما ينطق به لسانه وبين تعبيرات وجهه وإشارات يده.

بعد أن شـاهد مراسـل صحيفة "لاموند" هذا اللقاء الانتخابي، رسـم في ذهنه صورة لأردوغان وصفه فيها بأنه "ديمقراطي اجتماعي"، وأراد أن يُطلع قراءه على هـذه الصـورة، وقـد أومـأ إليهـم باحتماليـة أن يصبح "أردوغان" في المسـتقبل أحد الزعماء السياسيين البارزين في تركيا.

كان "أردوغان" قد ترشح مرتين لعضوية البرلمان في عام 1986م و1987م إلا أن انتخابات رئاسـة بلدية (باي أوغلو) كانت بالنسـبة لأردوغان هي أول انتخابات

يترشح فيها طواعية وبرغبته الكاملة رغم ما كانت تحمله من مخاطر تهدد مستقبله السياسي آنذاك.

فلماذا كانت (باي أوغلو) على ذلك القدر من الأهمية بالنسبة لأردوغان؟ لماذا اختار (باي أوغلو) وأصر عليها، بينما كان يمكنه الترشح في مكان آخر أقل خطورة مثل حي (الفاتح)؟

يجيب "برهان متين" عن هذين السؤالين فيقول:

"إن ظهور أردوغان ولمعان نجمه بدأ في حي باي أوغلو وحي برا. فقد تولى أردوغان رئاسة شعبة (باي أوغلو) في حزب الرفاه، ثم ترشح لرئاسة بلدية (باي أوغلو) في انتخابات 1989م. وكان (باي أوغلو) هو مكان أردوغان وموقعه؛ حيث ولد أردوغان وكبر في حي (قاسم باشا)، وهو أحد الأحياء الفقيرة المعدمة التي تقع في أطراف حي (باي أوغلو). فحي (قاسم باشا) حي متواضع يحتفظ بقيمه التقليدية، ويجذب الأنظار إليه بطبيعته المحلية القديمة، وله مرجعيته الخاصة، كما أنه حي له تاريخه العريق وهويته وشخصيته المميَّزة.

إن منطقة (باي أوغلو) عبارة عن عدد من الأحياء تقع في الأطراف السفلى بالمنطقة وتتجه بطرقها وأزقتها إلى الأعلى نحو هضبة (باي أوغلو)، مثل أحياء (تبه)، و(برا)، و(قاسم باشا)، و(دولاب دره). ويحمل حي (برا) في ذاكرة الأناضول دلالات ومعانيَ سيئة مقززة؛ فهو يمثل كل شيء لا تحبه الأناضول. حيث استوطنت في (برا) رؤوس أموال الوسطاء، وتجمعت فيها مكاتب الوكلاء. وتحمل شوارع هذا الحي ومنعطفاته مظاهر الفقر والعوز، ويتصف أهله بالحنق والغضب الدائم، ويمثل كل أنواع التناقض بين قمة هضبة (باي أوغلو) ومنحدراتها. إن منحدرات أحياء منطقة (باي أوغلو) كانت أحياءً فقيرة، وتقليدية، وشرقية في طابعها، تتصف بالتدين والتواضع، وتحمل هوية وشخصية مميزة.

وتمتزج داخل نفوس قاطني أطراف (باي أوغلو) مشاعر الكره والشوق والحسرة في آن واحد تجاه الحياة البراقة الفارهة الصاخبة التي يموج بها حي (برا) في قلب (باي أوغلو). كما أن النزاعات والصدامات الإيديولوجية التي تعيشها دوماً شوارع (باي أوغلو) تعد بمثابة جبهة مركزية مكثفة للصراعات الأيديولوجية في تركيا بأكملها.

أضف إلى ذلك أن أطراف (باي أوغلو)، وأحياء أخرى في اسطنبول مثل سلطان بايلي وغازي عثمان باشا وأسانلار وباغجيلار كانت على خط التماس الأول مع مركز اسطنبول ذات التعددية الحضارية التي تجمع بداخلها فسيفساء الأجناس البشرية ومختلف الحضارات الإنسانية.

ومن شأن هذه المجتمعات أنها تنتج الأفكار والحلول والرؤى الجديدة داخل المناطق التي تتكاثف فيها التناقضات والصراعات الإيديولوجية. ومن ثم كان طبيعياً أن تكون هذه المناطق أيضا مُفرَزَة للزعماء والقادة.

فإننا نجد أحياء في اسطنبول مثل حي باغجيلار وحي أسانلار يعيش أهلها وقاطنوها في حالة من الانسجام والتناغم، وبالتالي يقل إداركهم ووعيهم بالتناقضات والتمايزات الإيديولوجية. ومن ثم تكون هذه الأماكن بمثابة جبهة خلفية من حيث روح التعصب وحب إثبات الذات فيها.

ومن هذه الزاوية يمكننا تشبيه دور حي باي أوغلو في تركيا بالدور الذي اضطرت مدينة (سيوت) إلى القيام به بوصفها إمارة عثمانية خلال مرحلة تكوين الدولة العثمانية. فقد كانت إمارة عثمان إمارة ضعيفة هشة تقع على خط التماس مع الدولة البيزنطية، ولم يكن أحد يخشاها أو يضعها في اعتباره، غير أن موقعها الجغرافي تمكن من وضعها في قلب التاريخ؛ إذ كانت تقع في المركز بين اتجاهي الصراع بين الشرق والغرب. هذا في الوقت التي انشغلت فيه الإمارات العثمانية الأخرى بنزاعاتها الداخلية، ولذلك كتب لها الفناء والاختفاء من صفحات التاريخ، حيث لم يكن لديها ما يمكنها أن تقدمه للأتراك النازحين من القلب الآسيوي.

أما إمارة عثمان فكانت تشكل بالنسبة للمهاجرين التركمان الأمل في موطن جديد، حيث ستتوغل إمارة عثمان داخل الغرب والبلقان، وتستولي على مياهه الزرقاء الغامرة، وسهوله الخضراء اليانعة. وكانت إمارة عثمان تقع في العمق من القسطنطينية حاضرة بلاد بيزنطة، وتغير عليها بين الحين والآخر أملاً في تحقيق حلم يداعب خيال شعوب الشرق. فتشارك إمارة عثمان بقواتها في النزاعات والصدامات الداخلية في بيزنطة، وخلالها تتعرف عن كثب على أراضي بيزنطه، وطبيعة أهلها، حتى تتمكن من فتحها. لقد كانت إمارة عثمان بما تميزت به هي الوحيدة المرشحة لتشكيل إمبراطورية فوق أراضي بيزنطة، وهو ما تمكنت من تحقيقه بالفعل".

من حي (الفاتح)
إلى حي (باي أوغلو)

كان مبنى حزب الرفاه بحي (الفاتح) حتى انتخابات 1989م يضم كلاً من مقر الحزب باسطنبول، وشعبة الحزب بالحي. إلا أن المبنى ضاق بمن فيه، ولم يعد فيه متّسع لأداء المهام والأعمال الموكلة إليه. ولهذا اقترح "أردوغان" على أصدقائه ضرورة البحث عن مبنى جديد مناسب، والانتقال إليه بسرعة. وكان لاقتراحه هذا عدد من الأسباب المنطقية منها: -1 أن هذا المبنى المشترك لم يكن مؤهلاً بالقدر الكافي لاستيعاب الأنشطة والخدمات كافة. -2 أن العمل داخل المبنى يؤدي إلى عدد من المشكلات تتعلق بأولوية العمل والسلم الوظيفي. -3 إن أهم الأسباب يتمثل في حي الفاتح ذاته؛ إذ ينبغي لحزب الرفاه أن يخرج من حي الفاتح من الآن فصاعداً. فأردوغان يرى أن وجود الحزب في حي الفاتح يَحدُّ من انتشاره، ويولّد مفهوماً لدى المواطنين بأن الحزب يخاطب قطاعات معينة من دون غيرها.

وكانت انتخابات البلديات الأخيرة قد أظهرت أن حزب الرفاه قطع شوطاً كبيراً ولا سيما في (باي أوغلو)، وأنه ينبغي للحزب أن يتخلص من تلك الرؤية ذات النطاق الضيق والمحدودة (بالكتلة المتدينة)، وذلك حتى يتسنى له الوصول إلى قطاعات شعبية أوسع.

وبعد فترة قصيرة وجد الحزب مبنىً خشبياً مكوناً من أربعة طوابق في حي (شيش خانه) أمام مبنى القنصلية الإنجليزية. وهو مبنى صغير، غير أن موقعه على الشارع الرئيسي وسهولة الوصول إليه منحاه مميزات كثيرة. وأفضل ما في الأمر أن المبنى يمتلكه أحد أعضاء الحزب. وكان بحاجة إلى الكثير من الترميمات والإصلاحات. وقرر الحزب الانتقال إلى هذا المبنى عندما رأوا أن صاحبه سيأخذ منهم إيجاراً رمزيًّا.

واستمرت الأنشطة السياسية في مسارها الطبيعي في أثناء أعمال الترميم والإصلاحات داخل المبنى الجديد.

وفي تلك الأثناء اقترب موعد الانتخابات في ست بلديات تأسست حديثاً. ومن بين هذه البلديات كانت بلدية (بين قليتش) التابعة لمنطقة (تشاطلجه) باسطنبول.

ولما كان "عثمان قاغان" و"يعقوب صوجو أغلو" مسؤولَين عن حزب الرفاه في منطقة (تشاطلجه)، فقد تم إسناد أمر بلدية (بين قليتش) إليهما. وكان إسناد شؤون منطقة بعيدة مثل (تشاطلجه) إلى هذين الشخصين يرجع إلى امتلاكهما لسيارتين؛ فالسيد "عثمان قاغان" ينتمي إلى المنطقة الساحلية، ويعمل تاجراً في المواد الغذائية. وكان يقول كلما سنحت له فرصة على سبيل الدعابة: "لقد أسندوا إلي هذه المسؤولية لأنني أمتلك سيارة!".

وعلى الفور تبدأ إدارة الحزب في اسطنبول في البحث عن مرشح مناسب لرئاسة بلدية (بين قليتش)، ولكن من دون جدوى، فلم يقبل أحد بهذه المسؤولية نظراً لصعوبة المهمة فقد كان يتعين عليه الذهاب والعودة إلى ذلك المكان البعيد مراتٍ عديدة.

وكلما اقترب وقت الانتخابات تتزايد الضغوط على إدارة الحزب للعثور على مرشح.

وذات مساءٍ، وبينما كان "عثمان قاغان" عائداً من (بين قليتش) إذا به يزف بشرى إلى "يعقوب صوجو أغلو".

- وجدت اليوم مرشحاً.

- من؟

- مصطفى.

- هل هو ذلك الأخ طويل اللحية صاحب السروال الأسود، أهو مصطفى ذلك الناسك الزاهد؟

- تماماً إنه هو.

- بالطبع لا يصلح...

ورغم كل اعتراضات "يعقوب صوجو أغلو" إلا أنه لم يكن بيده شيء يفعله. وكان كلاهما في حالة يرثى لها من الإنهاك والتعب. ولكنهما أخبرا "أكرم أردم"

أحد مسؤولي الحزب عن "مصطفى" هذا؛ فاعترض هو الآخر في البداية ومع ذلك أذعن في النهاية بسبب ضيق الوقت، وقدم اسم المرشح للريّس "أردوغان". وابتهج "أردوغان" وقال: "أحضرا أخانا مصطفى لنتعارف إليه".

ويأتي "مصطفى". ولا يُظهر "أردوغان" خلال اللقاء أي رد فعل. ثم يعطي تعليماته قائلاً: "خذا أخانا هذا وألبساه من أفضل الملابس وأكثرها أناقة". وبينما يخرجان به من حجرة الريِّس "أردوغان"، إذا به يهمس إلى أحدهما قائلاً: "لا تنسيا أيضاً أن تأخذا من لحيته هذه وتهذباها".

اشتريا لمصطفى بدلتين وقميصين وربطتي عنق وحذاءين، وهُذِّبَت لحيته. وبعد أن اطمأنا لهيئته ذهبا به إلى الريس "أردوغان".

وافق "أردوغان" على ترشيح "مصطفى" لرئاسة بلدية (بين قليتش) بقوله: "فليكن... ولكن من فضلكما، قبل أن يذهب إلى إخواننا هناك اجعلاه يأخذ حماماً جيداً".

ونظراً لضعف الميزانية وضيق الوقت فقد كان أفضل الحلول هو دورة المياه في مبنى الحزب بمحافظة اسطنبول؛ حيث عُلّقت له قطعة خرطوم صغيرة في الصنبور. وأخذ مصطفى حمامه تحت المياه الباردة رغم ارتجافه من البرد، وخرج من حمامه وقد لمع جلده وتفتحت بشرته.

وفي الطريق يقول "عثمان قاغان": "لقد تعبنا كثيراً ولكن استطعنا حل المشكلة... الآن أصبح لدينا مرشح بأبهى صورة". ووصلوا إلى (بين قليتش) قبل أن يخيم الظلام على المدينة.

ويبدو أن "مصطفى" ألف بسرعة ملابسه الجديدة، وإذا به وهو يمشي فوق رصيف الشارع بخطوات وئيدة، واثقاً من نفسه تمام الوثوق يرى بعض إخوانه يمرون أمامه، فيبطئ من مشيته ويقول لهم:

- "السلام عليكم".
- "...؟".

نظر إليه إخوانه بعدم اهتمام، ومروا بجانبه من دون إبداء أي رد فعل.

فيتعجب "مصطفى" من ذلك الموقف الغريب ويأخذه الغضب كل مأخذ، وينادي عليهم من خلفهم قائلاً: "أيها الحمقى! ألقيت عليكم تحية الإسلام فلماذا

لا تـردون؟". فيعـود إليـه إخوانـه ويعتـذرون لـه. فلم يعرفه إخوانه رغم صحبتهم له منذ أربعين عاماً.

قامت شعبة حزب الرفاه باسطنبول بزيارات إلى (بين قليتش) من أجل انتخابات البلديات التكميلية، وتمت هذه الزيارات في نهاية الأسبوع، فتوافد أعضاء الحزب مـن أصحـاب السـيارات إلـى (بيـن قليتـش)، وقد جعلوا الأمـر كأنه رحلة أو نزهة. والهدف بالطبع هو مشاركة ودعم مرشحي الحزب.

وتجري الانتخابات. والنتيجة هي الفشل التام!!

وكانـت هنـاك بلديـة أخـرى باسـم (أغـوا) تابعـة لمنطقة (شـيلا) وهي إحدى البلديات الجديدة التي كانت ستجرى فيها الانتخابات التكميلية في التاريخ نفسه. وكان السـيد "أحمد أرغون" هو مسـؤول الحزب في تلك المنطقة، ويمتلك سـيارة خاصة أيضاً يعيش المعاناة نفسها في البحث عن مرشح للحزب في (أغوا).

وكان "أرغـون" قـد فكـر فـي أحد الأشـخاص ليكون مرشـحاً للحزب، ولكن ذلك الشخص رفض الترشح. وأصر على رفضه. ويشرح ذلك الرجل سبب رفضه بوضوح فيقول:

"يا أخي الفاضل، ظروفي لا تسمح. ومع أنني أحمل لكم الكثير من الإجلال والتقديـر لأعمالكـم وجهودكـم، وأحـب أيضـاً الحـزب، ولكن لا يمكنني أن أصبح مرشـحاً. لأنـه ليـس لـدي مـن الإمكانـات المادية التي تنهض بأعباء ذلك الترشـح. فحتـى لـو تكفـل الحـزب بجـزء من المصروفات والنفقـات اللازمة، فأنا لا يمكنني أن أمارس عملي السياسـي هذا حيث لا يمكنني دفع ثمن أكواب شـاي قد أصبح مضطرًا لدعوة بعض المواطنين إليها إذا مررت بأحد المقاهي. وفضلاً عن ذلك، فإن لدي أعباء وواجبات منزلية، فأنا مكلف بإطعام أهل بيتي. فكيف سأنفق على بيتي وأبنائي بعد أن أسـتقيل من وظيفتي؟ فلنفترض أننا اسـتطعنا أن نضغط على أنفسـنا حتى موعد الانتخابات، وأدرنا أمورنا بالاستدانة من هنا وهناك، فكيف الوضع إذا لم أفز في الانتخابات، من سـينقذني من يد زوجتي. فأنا الآن أكاد وبصعوبة أدير أمور بيتي بمرتبي الزهيد الذي آخذه بصفتي معلماً في المدرسـة، فمن سـيمد إليَّ يده إذا لم أفز في الانتخابات؟!".

كان الرجـل محقًّـا. ففـي تلـك الأيام كان ترشـح شـخص مـا عن حزب الرفاه

بمثابة انقطاع وسائل الرزق عنه، فضلاً عن أنه لا يوجد احتمال لأن يصبح في السلطة أو الحكم في المستقبل القريب. فالانتماء إلى حزب الرفاه يمنحك فقط الغذاء الإيديولوجي، والهوية المعارضة، والشعور بالمرجعية، ولا يمنحك أو يضمن لك أي مكسب دنيوي.

شعبة اسطنبول:
نموذج يحتذى داخل حزب الرفاه

عقدت شعبة اسطنبول في الثاني والعشرين من يوليو/ تموز 1990م حفل عشاءٍ كبيراً، وعلى درجة كبيرة من الأهمية في أحد المطاعم الفارهة في منطقة (فلوريا) باسطنبول.

وعلى عكس ما هو متبع دائماً، فقد تم تحديد أعداد المدعوين إلى هذا الحفل، ولم يكن مسموحاً لغير المدعوين والمحددة أسماؤهم سلفاً بدخول قاعة حفل العشاء. كما تقرر حظر اصطحاب السيدات المدعوات أطفالهن إلى هذا الحفل. ويحضر هذا الحفل مع "نجم الدين أربكان" الرئيس العام لحزب الرفاه، السادة أعضاء مجلس إدارة الحزب، ورؤساء شعب الحزب في كل محافظات تركيا ومعاونوهم، فضلاً عن وفودٍ جاءت من باكستان ومصر والسودان.

وأُقيم هذا الحفل بناءً على رغبة من المركز العام لحزب الرفاه في الاحتفال بالنجاحات الانتخابية التي تحققت في الأعوام الأخيرة في ظل رئاسة "أردوغان" لشعبة اسطنبول، والمناهج والوسائل الجديدة التي تم تطبيقها للمرة الأولى في تاريخ الحزب.

وخلال الحفل قامت شعبة اسطنبول باستعراض هذه الوسائل والطرق الجديدة أمام شعب حزب الرفاه كافة. وأُتيح للمشاركين في الحفل أن يتعرفوا على الأساليب الجديدة التي ستطبق في انتخابات بلدية (بيرام باشا) في 19 أغسطس/ آب من العام نفسه.

ومنذ ذلك الحين ظهر مصطلح جديد في الفضاء السياسي لحزب الرفاه عرف باسم (نموذج اسطنبول).

فقد نجحت شعبة اسطنبول برئاسة "أردوغان" في ابتكار أساليب ووسائل

جديدة لم تكن معروفة حتى ذلك الحين داخل حزب الرفاه، بل وفي الحياة السياسية التركية بشكل عام.

* * *

نحن الآن في عام 1990م، وهناك انتخابات أخرى في 19 أغسطس/ آب، وسوف تُجرى انتخابات لرئاسة بلدية (بيرام باشا) التي انفصلت عن منطقة (أيوب).

لم تكن لدى حزب الرفاه مشكلة في اختيار مرشحيه في هذه الانتخابات بسبب ازدياد أصوات ناخبيه في الانتخابات الماضية. ويتصدر "مصطفى باش" قائمة المرشحين.

و"مصطفى باش" هو رئيس شعبة حزب الرفاه في تلك المنطقة، ويقيم في (بيرام باشا)، ومن ثم فهو جدير بالترشح لهذه المنطقة.

بيد أن منافساً قويًا كان يقف أمامه، هو: "نجدت أوزقان" المرشح عن حزب اليسار الديمقراطي.

و"أوزقان" هذا شخصية محبوبة للغاية ولا سيما بين المهاجرين المقيمين في المدينة، وهو سياسي خدم حي (بيرام باشا) من قبل. فقد أسس "بولَنت أجاويد"(*) مقرًا لحزب اليسار الديمقراطي في (بيرام باشا) حرص "أوزقان" على التواجد فيه بشكل مستمر.

ويُقيِّم "أردوغان" ذلك الوضع داخل مجلس إدارة شعبة الحزب في 23 يونيو/ حزيران 1990م، فيقول: "إذا استطعنا التخطيط بشكل منظم وصحيح، فإن الفوز بالانتخابات في هذه المنطقة - التي يحيط بها العمال من كل جانب - أمر سهل ويسير. ولكن علينا أن نتجاوز مشكلتي الوقت والتمويل".

وفي الحقيقة، فإن مشكلة الوقت تتعلق بصورة أساسية بالناحية الاقتصادية؛ لأن الأفراد الذين سيكلفون بالتزامات الحملة الانتخابية كان معظمهم إما عمالاً لدى آخرين أو أصحاب ورش ومتاجر سيضطرون لإغلاق محالهم. ولهذا السبب، فإن عملية الوصول إلى الناخبين من خلال التجول في المنطقة شارعاً شارعاً، وطرق

(*) بولَنت أجاويد: كاتب وصحفي وسياسي بارز، وُلد عام 1925م وتوفي عام 2006م. عمل في مجال الصحافة، ثم دخل مجال السياسة التركية وتولى رئاسة الوزراء ثلاث مرات، وينتمي إلى التيار اليساري في تركيا.

أبوابها باباً باباً أُلقيت هذه المرة أيضاً على عاتق النساء بشكل أكبر.

وبذل الحزب جهوداً مضنية رغم كل المعوقات، ولكن فوزه في هذه الانتخابات كان مستحيلاً. ومع ذلك لا يمكن تقييم الوضع بأنه كان سيئاً؛ فقد ارتفعت نسبة أصوات حزب الرفاه في هذه البلدية إلى 22,4 بالمئة رغم عدم فوزه بالانتخابات. وقد أصبحت هذه النتيجة مصدر أمل وتفاؤل بالنسبة لأعضاء حزب الرفاه، لأن حي (بيرام باشا) يقع في مركز المدينة.

ويوضح "أردوغان" النجاح الذي أحرزه الحزب في انتخابات (بيرام باشا) فيقول: "لقد قمت بنفسي بإدارة انتخابات (بيرام باشا)، وقد طبقنا في (بيرام باشا) أيضاً كل الأساليب التي طبقناها في (باي أوغلو) بعد أن طورناها بما يتفق مع طبيعة (بيرام باشا). وبالنسبة لي، فإن النتيجة التي حصلنا عليها مهمة للغاية. لأننا استطعنا اختبار الأساليب الجديدة للمرة الثانية، بعد أن طورناها على نحو يتفق مع ظروفنا ومستجدات الأوضاع. فهذه النتائج قد أكدت مرة أخرى أننا على الطريق الصحيح".

* * *

وبعد انتهاء الحفل الكبير الذي أقامه المركز العام لحزب الرفاه، تستأنف شعبة اسطنبول أنشطتها، وتبدأ في تنفيذ توصيات الحفل بهدف تطوير الأنظمة الإدارية في شعب الحزب داخل مدن اسطنبول كلها. واتسمت هذه الفترة بالحيوية والديناميةالواضحة. وأصبح مرشحو رئاسة مدن اسطنبول يصعدون إلى شعبة اسطنبول المركزية بعد المرور أولاً بعملية انتخاب داخل شعبهم. وهي عملية تؤدي إلى تحفيز عنصر التنافس بين السياسيين بشكل إيجابي، كما أنها لا تدع مجالاً للصراعات والنزاعات الشخصية. ومن أهم السمات التي تميز بها حزب الرفاه في تلك الأيام امتلاكه لتشكيلات حزبية كبيرة، ومنتشرة، وشديدة الحيوية. وإلى جانب التقسيمات الإدارية الداخلية المنصوص عليها في قانون الأحزاب السياسية، فقد استحدث حزب الرفاه نظام الوحدات والتي أطلق عليها مسمى (لجان)، وقد أنشأ هذه اللجان لمتابعة شتى شؤون الحياة المختلفة، مثل لجنة العمال، ولجنة الإدارات المحلية، واللجنة الصحية، ولجنة البيئة. وفي الحقيقة لم يكن كل شيء منضبطاً وعلى أكمل وجه كما يبدو للآخرين من خارج الحزب. حيث كان الحزب يضم بين أعضائه من يحمل

أفكاراً متباينة. وتظهر تلك الاختلافات في اجتماعات مجلس إدارة شعبة اسطنبول على وجه الخصوص، وتؤدي إلى عدد من المشكلات المتنامية.

وقد تجلت هذه الاختلافات في موضوعين رئيسيين، هما: المرأة والشباب.

فقد شاركت المرأة في أعمال الانتخابات للمرة الأولى خلال ترشح "أردوغان" لرئاسة بلدية (باي أوغلو)، ومن بعدها شرع (الجناح النسائي) يجد له مكاناً داخل شعب الحزب المختلفة، وينتشر انتشاراً واضحاً.

كان بعض الأعضاء المؤثرين داخل مجلس إدارة شعبة اسطنبول يعترضون بشدة على خروج النساء من بيوتهن والمشاركة في الأعمال السياسية.

وقد تقرر في الاجتماع الذي عقد في شهر يناير/كانون الثاني 1991م مناقشة هذا الموضوع في حضور عدد من العلماء هم: "خير الدين قرامان" و"بكير طوبال أوغلو"، و"فاروق باشار"، وذلك لأخذ رأيهم في هذه القضية.

وقام أعضاء مجلس إدارة شعبة اسطنبول بدعوة هؤلاء العلماء إلى بيت "علي غونر" وهو أيضاً من أعضاء مجلس الإدارة. وفي نهاية النقاش رَجُحَ الرأي الذي لا يرى بأساً في مشاركة النساء في الأنشطة السياسية والعمل الميداني شريطة اتباع الضوابط الشرعية. غير أن هذه النتيجة لم ترضِ المعارضين، ولم تحقق الإجماع المطلوب داخل مجلس إدارة شعبة اسطنبول.

وينعقد اجتماع آخر في بيت "عبد الرحمن اسمرار" بمشاركة علماء آخرين. ولا يسفر هذا الاجتماع أيضاً عن النتيجة التي يريدها المعارضون. فقد تم فقط تشديد الضوابط على مشاركة النساء في أعمال الانتخابات. وبسبب هذا الغموض واستمرار الشكوك والريبة يتقرر عقد اجتماع آخر.

وانعقد هذا الاجتماع الجديد في بيت "أحمد أرغون" بمشاركة أعضاء مجلس إدارة شعبة اسطنبول و"أوغوز خان أصيل تورك"، و"إسماعيل أرغون"، و"أمين سراج"، و"نديم أورخان"، و"عثمان أوزتورك"، و"أنور بايطان"، و"عبد الله سويم"، و"توفيق غوكصو"، و"عبد الرحمن اسمرار". ولم يتمكن هذا الاجتماع أيضاً من الوصول إلى نتيجة مرضية لجميع الأطراف ومعقولة في الوقت نفسه.

ورغم هذه الاجتماعات الخاصة بمشاركة المرأة في العملية السياسية واستمرار النقاشات بشأنها حيناً بعد حين داخل المركز العام بأنقره، إلا أن "أردوغان" ومن

يسـيرون علـى نهجـه قـد خرجـوا من هذه المطارحات الفكريـة وقد ازدادوا إصراراً على موقفهم مؤمنين بمبادئهم.

* * *

كانت الكاتبة الصحفية "سيبال أرصلان" واحدةً من المتابعات عن كثب لجهود "أردوغان" ومنافحته ضد حزبه من أجل مشاركة المرأة في الحياة السياسية. و"سيبال أرصـلان" هـي إحـدى خريجـات كليـة الحقوق جامعة اسـطنبول عـام 1989م، وقد بدأت مشوارها السياسي من خلال تأسيس الجناح النسائي داخل شعبة حزب الرفاه باسطنبول باقتراح ودعم "أردوغان"، ثم أصبحت أول وأهم شخصية وظفت جهودها لهذا الموضوع بتوليها رئاسة الجناح النسائي داخل شعبة اسطنبول لأعوام طويلة.

وتحكـي لنـا "سـيبال أرصـلان" كيفيـة تعارفهـا علـى "أردوغـان" وكيفية بدئها أنشطتها في الجناح النسائي قائلة:

"عرفـتُ "أردوغـان" عندمـا كنـت طالبـة فـي الفرقـة الأخيـرة بكلية الحقوق جامعـة اسـطنبول خـلال العـام الدراسـي 1987 – 1988م. وكنـت أنـا وزملائي في كليـة الحقـوق خـلال تلـك الفتـرة نصـدر مجلـة (تكليـف). وكنت مكلفـة بمتابعة انتخابـات المحليـات بصفتـي الطالبـة الوحيـدة التي تكتب عموداً في المجلة. وفي ذلك الوقت كان السـيد "أردوغان" ينافس على رئاسـة بلدية (باي أوغلو). وكان يشـدنا بحواراتـه ولقاءاتـه الصريحـة الصادقـة التـي يعقدها مع الشـباب مختلفاً في ذلك عن غيره، وكذلك بأسـاليبه السياسـية التي كانت بمقاييس تلك الفترة جديدة وعصريـة للغايـة، والتـي اسـتعان فيهـا بمجموعـات مـن الفتيـان والفتيـات لإعداد الاسـتبيان الأسـبوعي. واعترض آنذاك على نتائج الانتخابات، وأقحم في مشـكلة مع القاضي. وكان محط أنظار واهتمام الشـباب من خلال ثقته في نفسـه، وإيمانه ومثاليته وخطابته وبلاغته المدهشـة... فكان يخط نموذجاً ويرسـم صورة جديدة لرئيس بلدية اسطنبول المرتقب... كما أن زوجته السيدة "أمينة أردوغان" كثيراً ما كانت تدعو طلاب الجامعة إلى بيتها في حي (قاسم باشا)، ولا سيما على موائد الإفطار مساءً، فكان بيتها يُمتَلأُ عن آخره بالطلاب والطالبات، وكانت بمثابة الأم الحنون تخفف عنهم من وحشة الغربة... وكان "أردوغان" والسيدة حرمه يعتنيان بحديثي الزواج ويشاركانهم مشكلاتهم، ويبديان لهم النصح والإرشاد. ولا أنسى

أنني ذهبت في تلك الأيام مع أختي الطالبة بكلية الاقتصاد إلى دعوة إفطار طلابية في حي (الفاتح)، وكان المتحدث هو السيد "أردوغان"... وما إن بدأ "أردوغان" حديثه حتى بدأت الدموع تنساب من عيني أختي، وحينها أخذتني الدهشة والعجب، حيث كان يتحدث عن الاقتصاد في تركيا... وعندما سألتها عن سبب بكائها قالت لي أختي: لم أسمع حتى الآن من أي من أساتذتي مثل هذا الحديث المخلص، وذلك الصوت الداوودي... وكنت شاهدة في كثير من المرات على أناس رأيتهم بعيني كانوا من أكثر المعارضين لأردوغان قبل أن يستمعوا إليه، فإذا بهم ينجذبون إليه بعد أول مرة يستمعون إليه ويلتقون معه وجهاً لوجه...

وبعد أن انتهت فترة دراستي الجامعية وجه إليّ حزب الرفاه عام 1989م دعوة إلى شعبته في اسطنبول لشرب الشاي. ولم يكن بإمكاني آنذاك الحصول على العمل بسبب حجابي، وكان لدي الكثير من الوقت. فكلفني الحزب بتدشين أنشطة الجناح النسائي داخله.

وحتى ذلك الوقت لم يكن للنساء دورٌ حقيقي داخل الحزب حسب تقاليد (حركة الفكر الوطني). وقد أعد وقتها "بحرى زنغين"، و"أردوغان" مشروعاً جديداً استهدفا به تشكيل أجنحة نسائية داخل الحزب. وكان ذلك الجناح النسائي سيرتب لقاءات تجمع بين النساء الجامعيات والنساء المتزوجات اللواتي لم يعتدن الخروج من بيوتهن، لتبدأ بعد ذلك عملية التطور والانتشار الذاتي للفكرة... وبدأنا تشكيل الجناح النسائي في اسطنبول ثم في عموم تركيا. وحقق مشروع المرأة الذي دشنه "أردوغان" في اسطنبول نجاحات واضحة جعلت له أصداءً في تركيا كلها، فأسفر عن نتائج مذهلة في انتخابات البلديات عام 1994م...

يتمتع "أردوغان" بصفتَي الاجتهاد والدأب، فضلاً عن كونه شخصية منظمة إلى أقصى درجة. فهو يقدم تقارير دقيقة، ويطلب تقارير مماثلة. وأنا أعرف أنه حتى عام 1994م كان كل مساء وقبل أن يأوي إلى فراشه يدون أعماله اليومية وانطباعاته عنها، ولا أعرف بعد ذلك إن كان هناك وقتٌ للمواظبة على هذه العادة أم لا. وهو يهتم كثيراً بالصور الفوتوغرافية، وأعرف عنه أيضاً أنه حتى عام 1994م كان يجمع - وبشكل منظم - كل صوره الخاصة بطفولته وشبابه وزواجه، وصوره مع أقاربه وأصدقائه، ويدون ملاحظات صغيرة على ظهرها. ولديه مكتبة كبيرة مليئة بالكتب.

وحتى في الأيام التي لا يجد فيها فرصة للقراءة كان يتابع التوجهات الجديدة في ما يُكتب، ويحب الاطلاع على كتب الأساطير التي يفضل الشباب قراءتها. وكان عاشقاً للمفكر والأديب "نجيب فاضل" و"محمد عاكف". فهو كلاسيكي المنحى، يعشق الشعر الكلاسيكي الموزون، ولا يفضل الشعر الحديث أو الشعر الحر. وعندما قررت العمل معه كان يقرأ رسالة دكتوراه "لممتاز طورهان"، وأعجبت باهتماماته الواسعة ومطالعاته المتعددة... كان أول كتاب اقترحه عليَّ لأقرأه كتاباً عن بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم في الخطابة وحسن البيان. وذات يوم كنت سألقي كلمة في نادي (الموضة) وكنت أشعر بالضيق لأن هذا النادي لم يمنح أصواته لحزبنا، بل ونظروا باحتقار إلى صديقاتي اللواتي ذهبن إليهم آنذاك لإلقاء بعض الكلمات بسبب حجابهن... وعندما رآني "أردوغان" وقد خفضت رأسي نحو الأرض سألني عن سبب حزني فشرحت له الأمر فاقترب مني وقال لي: "انظري، سيأتي يومٌ نحكم فيه هذه المدينة وهذه الدولة"؛ فابتسمت من فوري وقلت له: "أحقًّا ما تقول؟"، فأجابني: "نعم، نعم، داومي طرق الأبواب من دون ملل أو كلل، فإن من أخرج يوسف من الجب سيهبنا الحكم في يومٍ من الأيام".

يهتم "أردوغان" دائماً بالشباب والنساء. فقد كانت النساء قبل ظهور "أردوغان" يستمعن إلى الندوات والمؤتمرات وهن في الطابق الثاني أو في البدروم. وكان "أردوغان" أول من أجلس النساء في مقدمة القاعات والصالونات. فقد كان حريصاً على أن يبذل ما في وسعه وييسر كل ما يلزم لتباشر النساء والفتيات مهامهن بشكل آمن وسليم. وقام بدعوة النساء عام 1991م لاستخراج رخصة قيادة السيارات، والالتحاق بدورات الدفاع المدني. وأحدثت دعوته هذه أصداءً واسعة فتوافدت النساء على هذه الدورات والمحاضرات...

تأسست شعب الجناح النسائي داخل 32 شُعبة من شُعب حزب الرفاه في مدينة اسطنبول خلال فترة رئاسة "أردوغان" لشعبة اسطنبول. وكان يعرف رئيسات هذه الشعب جميعهن واحدة واحدة كل باسمها، ويشارك في مجالس إدارتها، ويخاطب رئيسات الشُعب باسمائهن، ويسألهن ويستفسر عن أحوال الشُعب. كما أنه في تلك الفترة أيضاً أسس (805) فروع للجناح النسائي داخل أحياء اسطنبول البالغ عددها 863 حيًّا. ويعد هذا التنظيم النسائي الضخم إحدى القفزات الأساسية

التـي حقـق بهـا "أردوغـان" نجاحـاً حقيقيًّـا ضخ به دماء جديدة في شـريان الحياة بمدينة اسطنبول...".

* * *

وثمة مشـكلة ربما كانت من أكبر المشـكلات داخل حزب الرفاه وهي جناح الشباب الذي كان ينتظم تحت قيادتين.

فجنـاح الشـباب يعمـل ضمـن تشـكيلات حـزب الرفاه من ناحيـة، ومن ناحية أخرى في (وقف الشباب الوطني)(*).

وكانت المشـكلة الرئيسـية هنا تقع بين "أردوغان" وإدارة شـعبة اسـطنبول من جهة، وبين إدارة (وقف الشـباب الوطني) من جهة أخرى، حيث توجد اختلافات في وجهات النظر بينهما حول موضوعات تتعلق بتنظيم الشباب، والأنشطة التعليمية والتربوية، وعلاقة الشباب بالحزب.

وعلى سـبيل المثال نجد بعض أعضاء مجلس إدارة (وقف الشـباب الوطني) شعبة اسطنبول يقفون موقفاً معارضاً لمشاركة المرأة في الحياة السياسية. وفي الوقت الذي يُنتظر فيه من الشباب أن يكونوا أكثر تحررية في التفكير، وميلاً للحوار، نجد الأمر يسير في الاتجاه العكسي، وهو ما أدى إلى مشكلات وأزمات.

ونجد أن الموضوع الوحيد الذي اتفق فيه وقف الشـباب الوطني مع الحزب هو منع الشـباب من النزول إلى الشـوارع والاحتكاك بحركات العنف والاتجاهات الثورية التي خيمت على الأجواء السياسية آنذاك.

وينبغـي علينـا هنـا ألا نتجاهـل موقـف "نجـم الدين أربـكان" الحازم وإصراره القـوي علـى بقـاء شـباب حركـة الفكـر الوطنـي بعيـداً عن أحـداث العنف رغم كل التحريضـات والاسـتفزازات التـي تعرضـوا لهـا. فلـولا تدخـل "أربـكان" بتوجيهاته

(*) وقف الشـباب الوطني: مؤسسـة وقفية شـكَّلتها حركة الفكر الوطني بزعامة "نجم الدين أربكان" فـي الثمانينيـات والتسـعينيات مـن القرن العشـرين. وتُعد امتـداداً للاتحاد الوطنـي للطلبة الأتراك الذي مارس نشـاطه خلال عقد السـبعينيات. ويمثل ذلك الوقف تطوراً في مفهوم تثقيف الشـباب ثقافة إسـلامية، وتوجيهه نحو نشـاط فاعل في مختلف مجالات الحياة العلمية والعملية وفق رؤية منظمة. وقد اسـتطاع ذلك الوقف فتح فروع له في مختلف محافظات تركيا، وانضم إليه الشـباب من مختلف المراحل التعليمية والمهنية إلى أن تم إغلاقه وسـط أجواء الانقلاب العسـكري الذي وقع في 28 فبراير/ شباط 1997م. ثم عاد وتشكَّل بعد ذلك تحت مسمى "جمعية شباب الأناضول" ويُعد الجناح الثقافي لشباب حزب السعادة حالياً.

السياسية الحصيفة، وتحذيراته المشددة لكوادر حزبه، لكانت العواقب وخيمة لا يمكن تداركها.

كانت القضايا (المادية) أحد الموضوعات التي تطرح نفسها بقوة دائماً على جدول أعمال اجتماعات مجلس إدارة الحزب في شعبة اسطنبول؛ حيث كانت تعاني دوماً من أزمة مالية. فالأعباء المادية لشعبة اسطنبول كانت ملقاة على كاهل شخص أو شخصين من رجال الأعمال.

إن الأزمات في الناحية المادية كانت تنبع غالباً من موقف المركز العام للحزب. فالقاعدة العريضة لحركة الفكر الوطني كانت في الأصل محدودة الدخل والإمكانات، وتتكون من أشخاص فقراء يعملون من أجل حياة الكفاف. وعلى الرغم من ذلك كان توجه المركز العام نحو الأخذ أكثر من العطاء. ويعد "أردوغان" واحداً من الذين يعرفون جيداً خطأ هذا التوجه، لذلك، عندما أصبح بعد عدة أعوام صاحب كلمة ونفوذ في الكيان السياسي أرسى مبدأ انتقال الموارد المادية من المركز إلى شعب الحزب.

اجتماعات تشبه المنتديات

تتناول اجتماعات مجلس إدارة شعبة اسطنبول برئاسة "أردوغان" كل الموضوعات تقريباً ذات العلاقة بتركيا، وليس الموضوعات الخاصة بالحزب أو بالشعبة فقط. فلم تكن تلك الاجتماعات عبارة عن تهيئة أو تخطيط توازنات القوى داخل الحزب، بل كانت بمثابة منتديات نقاشية يتم فيها تناول قضايا تركيا ومعالجة مشكلاتها بإخلاص وصدق. فعلى سبيل المثال كانت مشكلة جنوب شرق تركيا أي مشكلة الأكراد، تطرح نفسها دائماً على جدول أعمال الاجتماعات ما لم تُعرض الأحداث التي تجري في البلقان على جدول الأعمال.

وفي تلك الأيام كانت هذه الاجتماعات تناقش موضوعات مثل حرب الخليج، والقضية الفلسطينية، والجمهوريات التركية المستقلة حديثاً عن الاتحاد السوفييتي المنهار، والتطورات السياسية الأخرى كافةً، بالإضافة إلى قضايا الداخل التركي.

وفي أحد اجتماعات مجلس إدارة شعبة اسطنبول كان موضوع (الانتخابات المبكرة) مدرجاً على جدول الأعمال. وتطور النقاش وامتد إلى مناقشة الأوضاع في الجزائر.

إدريس غولوجه: "اعتقد أن طرح الحكومة لفكرة الانتخابات المبكرة قد يكون له هدفان: الأول إرباك حزب الرفاه لعدم الاستعداد، وبالتالي عدم الفوز في الانتخابات، والاحتمال الآخر أن نفوز في الانتخابات ويتكرر معنا ما حدث في الجزائر بعد الانتخابات، وبهذه الكيفية يتم تقديم حزب الرفاه إلى الرأي العام العالمي باعتباره نموذجاً سيئاً للإسلام".

عارف داغلار: "لا اعتقد بصحة أنهم يخدعوننا أو يدبرون لنا مكيدة، كما لا أجد فكرة تطبيق النموذج الجزائري علينا فكرة مناسبة. ليتهم يخدعوننا، ليروا أنهم يخدعون أنفسهم عندما نصل إلى السلطة".

إدريس غولوجه: "إنهم يريدون من دفعنا إلى الانتخابات المبكرة، أن نتعجل

ونقطف الثمرة قبل نضجها، ليثبتوا للعالم أننا حركة وهمية حالمة. إن حزب الرفاه سيتبلور وينضج أكثر وأكثر بعد عدة أعوام، وعندها سيكون أكثر خطراً عليهم".

كانت اجتماعات مجلس إدارة شعبة اسطنبول برئاسة "أردوغان" تستمر فترة طويلة من الوقت بشكل عام، ولم تكن هناك فرصة لقطع الحديث والنقاش على المتحدثين. بل كانت بعض الاجتماعات التي تنعقد لمناقشة أمر خاص تتحول في معظم الأحيان إلى ندوة ممتدة ساخنة بالنقاشات والمحاورات.

وبينما كانت معظم الأحزاب السياسية في تركيا توظف جهودها لتقوية حزبها وإضعاف الأحزاب الأخرى، كان "أردوغان" يبذل ما في وسعه لإعادة إحياء قيم الممارسة السياسية التي تلاشت بمرور الزمن في الأوساط السياسية.

الانتخابات العامة المبكرة 1991م

بينما كانت إدارة حزب الرفاه في شعبة اسطنبول تستعد لعقد مؤتمرها العام في نهاية 1991م، إذ بالحكومة التركية تستصدر قراراً لإجراء انتخابات عامة مبكرة، فيترك حزب الرفاه كل شيءٍ جانباً ويستعد لخوض هذه الانتخابات.

وتحمل هذه الانتخابات معنى خاصاً بالنسبة لشُعبة اسطنبول؛ فالنجاح الذي حققته بزعامة "أردوغان" في كل من (باي أوغلو) و(بيرام باشا) كان على موعدٍ مع اختبار جديد حول مدى إمكانية تعميم التجربة في أنحاء اسطنبول كافة.

وبسبب قرار الانتخابات المبكرة كان الوقت ضيقاً إلى حد كبير في موضوع تحديد المرشحين والحملة الانتخابية.

قرر حزب الرفاه في هذه الانتخابات التحالف مع (حزب الجبهة القومية) و(حزب الإصلاحيين الديمقراطيين). وانزعجت شُعبة اسطنبول كثيراً من هذا القرار؛ إذ رأت أن حزب الرفاه لم تعد لديه مشكلة في تجاوز النسبة اللازمة لدخول البرلمان(*)، ومن ثم، إن الاتفاق مع هذين الحزبين ليس إلا زيادة في الضمان والاطمئنان، وفضلاً عن ذلك فقد أوضحت استطلاعات الرأي العام أن حزب الرفاه هو الحزب الأقوى في منطقتي شرق، وجنوب شرق الأناضول بتركيا. في حين أن ذلك الاتفاق لن يزيد الحزب إلا انتقاصاً من مكانته وقيمته في هاتين المنطقتين. وكانت بالطبع المكتسبات المنتظرة للحزب في منطقتي وسط الأناضول والبحر الأسود أقل ضرراً مما في غيرها.

وثمة أمر آخر أزعج شُعبة اسطنبول كثيراً، وهو أن المركز العام للحزب قد

(*) النسبة اللازمة لدخول البرلمان: يشترط نظام التمثيل البرلماني في تركيا حصول الحزب على نسبة عشرة بالمئة من أصوات الناخبين حتى يتمكن من الدخول إلى البرمان والحصول على مقاعده. وفي حالة عدم تمكنه من الحصول على هذه النسبة، فإن المقاعد التي فاز بها يتم توزيعها على الأحزاب الأخرى التي تمكنت من دخول البرلمان بالنسب ذاتها التي فازت بها.

اتخذ بمفرده قراراً مهمًّا مثل قرار (التحالف) هذا، فضلاً عن إصراره على تحديد المرشحين وفق مفهوم إملاء التعليمات من أعلى إلى أسفل. ورغم أن المركز العام يقول بأنه يقدر نجاحات شُعبة اسطنبول، إلا أن عملية اتخاذ القرار لديه كانت تشير إلى تراجع الشعور بهذا التقدير.

* * *

عزمت شعبة اسطنبول على تحقيق نجاح جاد في هذه الانتخابات، غير أن أسماء المرشحين التي حددها المركز العام كانت تقلل إلى حد كبير من إمكانية هذا النجاح. وشمرت شعبة اسطنبول عن ساعد الجد، وجعلت الفوز في هذه الانتخابات بمثابةِ تحدٍّ واختبار ذاتي لها. وكان واضحاً أنها تمتلك أساليب وطرق للعمل المؤثر والفعال، وذلك بالنظر إلى النجاحات التي حققتها في (باي أوغلو) و(بيرام باشا). إلا أن المشكلة أن الأشخاص الذين يمكنهم تحقيق الانسجام والتوافق مع هذه الأساليب الجديدة، وإكساب الحزب حركية وديناميةِ واضحة لم يكن لهم وجود في قائمة المرشحين. وحسب ما أفادت به الأنباء آنذاك فإن "سليمان عارف أمره"، و"علي أوغوز" رأس قائمة المرشحين، وهما من قدامى الحزب المسنين!

وتُقرر مجموعة من أعضاء مجلس إدارة شعبة اسطنبول الذهاب إلى أنقره، واللقاء بالسيد "حسن أقصاي"، وهو أحد الذين يدافعون عن فتح الطريق أمام الكفاءات الشابة في مقالاته التي يكتبها في صحيفة (ملي غزَّته)، وفي لقاءاته الخاصة، ومن ثم كان أنسب شخصية يمكنهم أن يطلبوا منه المساعدة في هذا الموضوع.

وخلال اللقاء يتقبل "حسن أقصاي" طلب وفد اسطنبول بترشيح عدد من الأشخاص على قائمة اسطنبول يتصفون بالشباب والحيوية، ويعدهم بأنه سيضغط على "أربكان" للنزول على رغبة إدارة اسطنبول، وأنه سيبذل ما في وسعه لتحقيق مطلبهم. ولكنه لم يفِ بوعده، بل وفعل نقيض ما قاله تماماً.

وبعد عدة أيام كتب "حسن أقصاي" مقالة في عموده بصحيفة (ملي غزَّته) بعنوان "ضباط الانقلاب". وينكر فيها أن وفداً من مجلس إدارة اسطنبول قد جاء إلى أنقره والتقى به، ويتهم ذلك الوفد بأنه يتصرف مثل ضباط الانقلاب العسكري.

شعر حزب الرفاه في نهاية الانتخابات بالفرح والسرور بسبب النتيجة التي حصل عليها في عموم تركيا، غير أن شعبة اسطنبول لم ترغب في مشاركة الحزب هذه الفرحة.

وسجل دفتر اجتماع مجلس إدارة شُعبة اسطنبول هذه التفاصيل:

عارف دغلر: "كان يمكن الحصول على كل هذه النتائج عن طريق المرشحين الذين عرض المركز العام أسماءهم".

أكرم شاما: "لقد اضطر المركز العام لتحديد المرشحين بسبب ضيق الوقت... التحالف لم يحقق أي فائدة، ولكن الحملة الانتخابية كانت ناجحة، وكنت أتوقع أصواتاً أكثر في اسطنبول".

إدريس غلوجه: "خسرنا المنطقة الثالثة في اسطنبول بسبب مرشحنا. فالرجل ليست له علاقة بنا، وغريب عن لهجتنا وطباعنا".

محمد عاكف بيرام أوغلو: "ليس لدي اعتراض على أحد من مرشحي المركز العام، ولكن التحالف كان ورقة ضدنا في جنوب شرق الأناضول؛ فقد ساعدنا حزب الجبهة القومي في تأسيس مجموعة له هناك رغم أنه في الأصل حزب ضعيف لا يمتلك سوى ثلاثة أو خمسة مرشحين".

فيض الله قيبقلق: "حققت اسطنبول نجاحاً في هذه الانتخابات، ولكن كان ينبغي لنا أن نقدم نواباً أكثر".

أردوغان: "نجحنا بنسبة 17 بالمئة من الأصوات. إن التحالف لم يحضر لنا أصوات ناخبي حزبي الجبهة القومي والإصلاحيين الديمقراطي فقط، بل جعلنا أيضاً نحصل على أصوات الشعب الذي فرح بمبدأ التحالف. فهذه الانتخابات توضح مرة أخرى أن أفضل الطرق للحصول على أصوات الناخبين هي إقامة الحوار الجيد مع المواطنين، والاقتراب منهم والتفاعل معهم إلى أقصى درجة ممكنة. لا تزال

هناك جدران بيننا وبين الشعب، علينا أن نهدمها ونحطمها. ينبغي لنا أن نتفاعل مع الشعب عبر قنوات التلفزيون والصحافة، وأن ننزل إلى الشوارع والأسواق لنلتقي بقطاعات شعبية لا تعرفنا بالقدر الكافي. وأوضحت هذه الانتخابات أيضاً أننا لا نستطيع الحصول على أصواتٍ انتخابية بالقدر المتوقع من الكتل الإسلامية، ولهذا علينا أن نتوجه في الانتخابات القادمة إلى قطاعات وفئات مختلفة يمكنها أن تفهمنا بشكل أفضل. إن هذه الانتخابات كانت انطلاقة، وعليها أن تستمر، وبإذن الله سنصل إلى النتيجة المرجوة".

كان "أردوغان" في هذا الاجتماع هادئاً إلى حد كبير، غير أنه كان مضطراً لمواجهة أوضاع بالغة الاضطراب، ومزعجة جداً جرتها عليه وقائع الانتخابات.

فقد كان "أردوغان" مرشحاً لعضوية البرلمان في الدرجة الأولى عن المنطقة السادسة في اسطنبول (أيوب، غازي عثمان باشا، وبيرام باشا). وكان "مصطفى باش" مرشحاً في الدرجة الثانية. وحسب نتائج الانتخابات، فإن حزب الرفاه كان سيمثله نائب واحد في البرلمان عن المنطقة السادسة. ومن الطبيعي أن يكون ذلك النائب هو المرشح الأول، أي "رجب طيب أردوغان".

غير أنه وبعد فترة قصيرة اتضح أن الأمر غير ذلك.

فيزعم "مصطفى باش" المرشح الثاني أنه أحق بنيابة المجلس وليس "أردوغان" متعللاً بالأصوات الانتخابية الترجيحية التي حصل عليها، وعلى الفور يتقدم بطلب إلى المجلس الانتخابي بالمنطقة، ويعترف له المجلس الانتخابي بحقه. غير أن شعبة اسطنبول لا تقبل بهذا الوضع، فترفع اعتراضها إلى المجلس الانتخابي بالمحافظة. وفي هذه المرة يحكم المجلس الانتخابي في المحافظة بأحقية "أردوغان" في نيابة المجلس ويبطل قرار المجلس الانتخابي في المنطقة. حتى إن "أردوغان" يحصل على مضبطة نيابة المجلس.

وتمر عشرة أيام. وبينما يتناول "أردوغان" الطعام في (بايلاربيي) مع "علي إيبيش" و"أحمد أرغون" يصلهم خبر مفاده أن "مصطفى باش" سيتقدم بطعن إلى المجلس الأعلى للانتخابات. فيقول "أحمد أرغون": "سيدي الرئيس دعنا نذهب نحن أيضاً إلى أنقره لنرفع شكوانا، ينبغي علينا أن نفعل شيئاً لإيقاف ذلك الطعن".

ويفكر "أردوغان" قليلاً ثم يقول: "كلا، لا تذهبوا فقد اعترض هو مرة،

واعترضنا نحن مرة، فلندع القدر يحكم بيننا بما يشاء".

ويتقدم "مصطفى باش" باعتراض إلى المجلس الأعلى للانتخابات. ويحكم المجلس لصالحه، ويتم إلغاء عضوية "أردوغان" في البرلمان.

يضم ذلك الحدث بين جنباته علامات استفهام كثيرة مرتبطة ببعضها بعضاً منها: كيف كان ينظر المركز العام إلى "أردوغان"؟ هذا هو السؤال الأول. لأن المركز العام كان يقف خلف "مصطفى باش" خلال فترة الاعتراض، ولم يكن يدخر جهداً أو عوناً لصالحه.

وسؤال آخر: هل كان "أردوغان" على علم بهذا الوضع؟ وإن كان يعلم، فلماذا لم يصدر منه أي رد فعل، بل وكيف كان يصبر أمام هذا الوضع؟

كان المركز العام قبل الانتخابات قد حظر رسميًّا استخدام الأصوات الترجيحية. ثم يحدث ذلك الأمر، أفلا يشير ذلك إلى ضعف أخلاقي؟ فلماذا لم يرفع أحد صوته؟

يقول أحمد أرغون: "لقد علمنا في الأسبوع الأخير من الانتخابات أن مصطفى باش يقوم بعمل أصوات ترجيحية، فقلنا لأردوغان نحن أيضاً يمكننا أن نفعل ذلك".

فتجاهل "أردوغان" اقتراحنا ورفضه رفضاً حاسماً، وقال: "لا يعنيني ما يفعله الآخرون. ألم يمنع المركز العام استخدام الأصوات الترجيحية؟ إذاً، علينا أن نطيع التعليمات"، ثم يغلق الموضوع.

* * *

لا ينجو شخص يعمل لسنوات طويلة في الحياة السياسية من الصدامات والنزاعات، بل وقد يتعرض في بعض الأوقات أيضاً للخيانة.

ويتضح من ذلك الموقف أن "أردوغان" كان حريصاً على حزبه. وقد حاولنا في ما سبق شرح بعض التطورات التي نجمت عن موقف "مصطفى باش" ولدينا مثالٌ آخر يتفق مع هذه الرؤية، وهو "نجدت كولونك".

كان "نجدت كولونك" هو الشخص الذي جعله "أردوغان" نائباً عنه عندما ذهب لأداء الخدمة العسكرية، ثم هو أيضاً الشخص الذي جعله "أردوغان" مساعداً له عندما تولى رئاسة شعبة اسطنبول.

إننا نتحدث الآن عن شخصين لطالما أزعجا "أردوغان" وسببا له المشكلات؛ الأول هو "مصطفى باش" والآخر هو "نجدت كولونك".

يقول أكرم أردم: "كان نجدت كولونك دائماً ما يتصرف تصرفاتٍ سلبية ضد أردوغـان. وأعتقـد أن بعـض هـذه المواقـف كانـت بسـببي". ويشـرح "أكرم" واقعة حول هذا الموضوع فيقول:

"كان نجدت كولونك هو الذي دعاني إلى العمل في إدارة شُعبة اسطنبول وعرض علي أن أتولى منصبه".

في عام 1989م كان السـيد "نجدت" مرشـحاً لرئاسـة البلدية في حي الفاتح، ولما كان السيد "أردوغان" أيضاً مرشحاً لرئاسة بلدية: "باي أوغلو" فقد كنت أباشر مهام رئاسـة شـعبة اسـطنبول بالنيابة. وحسـب مقتضيات وظيفتي كنت أنا الذي أدير العملية الانتخابية. وفي يوم الخميس، أي قبل ثلاثة أيام على موعد إجراء الانتخابات اتصلوا بي من صحيفة "ملليت"، وطلبوا رأيي وتوقعاتي لنتائج الانتخابات. وكنت لا أجيد مطلقاً المبالغة، فضلاً عن أنني كنت حديث العهد بهذه الأمور، فصرحت لهم بتوقعاتي الحقيقية، وأننا سـنحصل على أصوات كثيرة جدًّا في حي (الفاتح)، ولكن فرصتنا في الفوز ببلدية الفاتح تكاد تكون معدومة.

وفي اليوم التالي دق جرس هاتفي في الساعات الأولى من الصباح. فرفعت سـماعة الهاتـف، وقبـل أن أقـول "ألـو"، وإذ بصـوت يصـرخ فـي أذنـي، ويكيـل إليَّ السـباب والشـتائم التي يتعفف لسـاني عن ذكرها. ومن فرط الصدمة لم يرشـدني عقلي إلى إغلاق الهاتف فسألت:

- من أنت؟

- ألم تعرفني؟ أيها الخائن؟...

- يا أخي عن أي خيانة تتحدث؟ كفى سباباً وقل لي ما هي المشكلة!، هذا ما قلته بعد أن أخذ يكيل إليّ الشتائم.

- ألم تكن أنت الذي صرحت بهذا التصريح؟

وعندما بدأ يقرأ لي التصريح المنشور في الصحيفة بدأت أفهم الأمر وأعيه.

- صحيح أنا الذي قلت ذلك التصريح، ولكن أين الخيانة هنا؟ أنا لا أفهم... قل لي.

- إن مصيبتنا في حي الفاتح سـتكون بسـببك. فنحن سنخسـر الانتخابات في بلدية كان محققاً لنا الفوز فيها.

وأغلق الهاتف بعد أن ألقى عليَّ من غليظ السباب والشتائم.

وبعد قليل، جاء "نجدت كولونك"، وانشغلنا ببعض الأعمال حتى إنني لم أتذكر أن أسأل عن صاحب تلك المكالمة. وتوالت مكالمات أخرى أخرى تحمل سباباً وتهديدات، واضطرب يومي كله بسبب هذه الاتصالات الهاتفية.

وانتهت الانتخابات وكانت أعباء رئاسة شعبة اسطنبول لا تزال في عهدتي حيث كان "أردوغان" مختفياً عن الأعين بسبب مشكلة مع القاضي. وفي تلك الأثناء جاء "أربكان" إلى اسطنبول وفتح هذا الموضوع في حضور "نجدت". وبعد أن قصصت الأمر بكامله قلت لنجدت: "لم أستطع أن أحمي شرف الكرسي الذي جلست عليه نيابة عنك، وإنني لأترك لك الحكم فيّ"، فاستشاط "نجدت" غضباً، وقال إننا دبرنا له مؤامرة، ثم خرج وذهب.

لم ينطق "أربكان" بشيء. وكنت انتظر منه أن يصالحنا؛ فإذا به لا يتكلم بشيء ولا يظهر أي رد فعل ولو قليلاً. وبعد ذلك اليوم أخذ "نجدت كولونك" يهاجم أردوغان بسببي".

كان هذان الشخصان هما أكثر من عكر على "أردوغان" صفو حياته السياسية، فقد كانا أقرب زميلين له في العمل كما أنهما كانا من نفس بلدته (محافظة ريزه). ورغم ذلك كله لم يتحرز "أردوغان" من إتاحة الفرصة لهما للعمل بجانبه.

"فنجدت كولونك" يعمل الآن هو وأخوه "متين كولونك" في حزب (العدالة والتنمية) بشعبة اسطنبول.

وكذلك، فإن "مصطفى باش" قد انتقل إلى مجموعة الجناح التجديدي التي انفصلت عن حركة (الفكر الوطني)، وأصبح نائباً عن حزب العدالة والتنمية في انتخابات عام 2002م.

وفي انتخابات 2002م راجع بعض الناس "أردوغان" وقالوا له: "كان ينبغي عليك على الأقل ألا تضع "مصطفى باش" في الصفوف الأولى من حزبك"، وذكروه بما فعله ضده في الماضي، فأجابهم أردوغان بقوله:

"لو أنني عاملت مصطفى باش معاملة تختلف عن معاملتي لإخواننا الذين ساعدونا في تأسيس حزب العدالة والتنمية، لفقدت احترامي لذاتي، ولأصبحت كالذي يقدم أموره الشخصية على مصلحة حزبه، بل ويجعلها تتحكم في مبادئه".

الانتخابات التكميلية
للمجالس المحلية

رغم أجواء القلق والانزعاج التي خيمت على حزب الرفاه بعد الانتخابات، قام الرئيس "أردوغان" بجمع شُعَب الحزب. ومن دون أن تَبدُر منه أي إيماءة تُعبر عن ضيق أو ضجر، استأنف أعمال الحزب اليومية بقوله: "أين كُنا قد توقفنا؟".

وكان ينبغي على الحزب عقد مؤتمره الخاص بالمحافظات بعد أن تأجل بسبب الانتخابات المبكرة، إذ كانت المدة القانونية قد أوشكت على الانتهاء. وفضلاً عن هذا كانت السياسة العامة تنتظرها أيام ساخنة وأحداث مُتأججة؛ فاحتمالية مشاركة حزب الرفاه في حكومة ائتلافية كانت واردة إلى حد كبير.

وفي اجتماع مجلس الإدارة بتاريخ 16/ 11/ 1991م، يواصل "أردوغان" تحليله لتطورات الأوضاع وأحداث ما بعد الانتخابات، فيقول:

"كان الانفصال عن حزب العمل القومي أمراً جيداً؛ فقد كان ذلك التحالف يُشبه في الأساس اتفاقاً تجاريًا. وكُنا نعلم أنهم سيحافظون على تحالفهم معنا ما استمرت مصالحهم، وينقضون هذا التحالف في حال انقضت مصالحهم. وها هم قد رأوا أنه لم تعد لهم مصلحة معنا؛ فانفصلوا عنا. والأمر ذاته ينطبق على الحزب الديمقراطي الإصلاحي؛ فهو سينفضّ عنا أيضاً عندما يجد مصالحه في ذلك. ورغم هذا كله، إنني اليوم على قناعة بأن هذا التحالف لم يكن خطأ. فلو كُنا قد خُضنا الانتخابات بمفردنا ما كان لنا أن نحرز هذا النجاح، بل ولكان نصيبنا أقل مما أحرزناه الآن. فإذا نظرنا إلى المحافظات التي حققنا فيها نتائج ناجحة لوجدنا أنها المناطق والأماكن التي كان حزبنا ضعيفاً فيها. ومن ثَم فقد أحرزنا فيها هذا النجاح بسبب هذا التحالف. وهذه المناطق والأماكن هي: (قيصري، وسيواس، ومرعش، وأرضروم، وتشوروم، ويوزغات، وطوقات). والمهم الآن أن نحافظ بعد ذلك على

ما حققناه من مكاسب من وراء هذا التحالف.

لم يكن من الممكن التفكير في أن يظل الحزب حبيس تلك الانتخابات وما جرى فيها وما يليها من أحداث، فأمامنا موضوعات جادة تتصدر جدول أعمالنا. فينبغي علينا بين عشية وضحاها أن نعقد مؤتمر المحافظات الذي تأخر كثيراً عن موعد انعقاده. كما أن هناك انتخابات أخرى ستداهمنا قبل أن يكون قد انقضى شهران على الانتخابات البرلمانية، إذ ستجري انتخابات تكميلية للبلديات في بلدية كل من (باقيركوي)، و(كاغيت هانه)، و(تشاطلجه). كما سينعقد مؤتمر المحافظات في يناير/كانون الثاني عام 1992م من أجل التخطيط لانتخابات البلديات، وسيتم تكثيف الجهود كافة لهذه الانتخابات.

وليست لدينا مشكلة أو صعوبة كبيرة في تحديد مرشحينا لبلديتي (تشاطلجه)، و(باقيركوي)، ولكن الوضع مختلف بالنسبة لبلدية (كاغيت هانه)، ففرصة حزب الرفاه في الفوز ببلدية (كاغيت هانه) كبيرة جداً.

ويدعو "أردوغان" شُعب الحزب في مركز (كاغيت هانه) بمن فيهم ممثلو الأحياء ومساعدوهم إلى الاجتماع قبل الانتخابات، ويتقرر أن يكون اختيار شعبة مركز (كاغيت هانه) لمرشحها المحدد الأساسي في المقام الأول. وفي نهاية الاجتماع يتقرر ترشيح "عارف جالبان".

لم يتفاجأ حزب الرفاه بشيء لم يكن يتوقعه في نتيجة الانتخابات، بل على العكس لم يحقق نجاحاً في كل من بلديتي (تشاطلجه)، و(باقيركوي)، وفاز برئاسة بلدية (كاغيت هانه). وهكذا فاز حزب الرفاه ببلدية جديدة له في اسطنبول بعد بلديتي (سلطان بايلي)، و(أرناؤوط كوي).

الدعاية الخبيثة

وفي تلك الأثناء، كانت التطورات الخاصة بمؤتمر المحافظات الذي أُعلن أنه سينعقد في 11 يناير/كانون الثاني 1992م تحمل إشارات على اضطراب وشيك.

وكما يرفض المركز العام لحزب الرفاه قائمة الخمسين شخصاً (25 أصليًّا، و25 احتياطيًّا) التي أعدها مجلس إدارة المحافظة وقام بإرسالها إلى (أنقره)، فإنه يعقد النية أيضاً على معاقبة بعض الشخصيات باستخدام (حق الاعتراض) ضدهم بسبب أقوالهم وتصرفاتهم خلال الانتخابات النيابية وبعدها. وكانت شعبة الحزب باسطنبول تتخوف بالتأكيد من موقف (أنقره).

قال عارف داغلار: "بأي حق يؤجل المركز العام انعقاد المؤتمر؟ هل هناك من ينقل لهم عنا أي شيء؟ أعتقد أن في الأمر شيئاً آخر. إن رئيس بلديتنا هو من يقض مضجع المركز العام في أنقره، فهم لا يريدون لأردوغان الاستمرار. ولكنهم عاجزون عن الإفصاح عن ذلك، وعن المجازفة بالإعلان عنه جهاراً. إنهم يقومون فقط باستبعاد بعض الشخصيات من قائمة الريس أردوغان، والسبب أنهم يظنون - حسب أفكارهم - أنّ الريس سيكون بجانبهم وسيعارض المركز العام، وهم سيتخذون هذا سبباً للتخلص من الريس".

إن السبب الرئيس للأزمة بين "أردوغان" والمركز العام هي شائعة أن "أردوغان" يستعد للسيطرة على الرئاسة العامة لحزب الرفاه، وهي شائعة تتناقلها الألسنة خلف الأبواب المغلقة، وقد ترامت إلى أسماع المسؤولين في أنقره.

وشعر "أردوغان" بضرورة الإدلاء بتصريح حول هذه الشائعات، فيقول:

"ثمة دعاية خبيثة تتناقلها الألسنة مفادها أنني أستعد لرئاسة حزب الرفاه. وقد انتشرت هذه الشائعات والأقاويل بعد الاتفاق مع الحزبين، وبعد النجاح الذي حققناه في الانتخابات. إنهم يقولون: لقد خلعنا زعماءنا، فاخلعوا أنتم أيضاً زعماءكم، ولنبدأ في بناء تشكيل جديد. وها أنا أجد اسمي وسط هذه الأجواء. إن أول من

قال بهذا كان روشن تشاقير الكاتب بصحيفة (جمهوريت)، فضلاً عن وجود أصدقاء بيننا يحركون هذا الوضع، وفي مقدمتهم مصطفى باش ونجدت كولونك، فهما يبذلان جهوداً مكثفة من أجل نشر هذه الشائعات. وإلا، فلماذا يتصل بي محسن يازيجي أوغلو ثلاث مرات متتاليات، وهو الذي لم أتعرف إليه مطلقاً؟

أصدقائي المحترمين! إن هذه الفتنة خطيرة جدًّا، وينبغي علينا وأدها. إن واجبنا الآن هو التحدث عن هذا الموضوع في كل فرصة تتوفر لنا. فلا تتورعوا أن تتحدثوا بكل صراحة ووضوح في كل اجتماعاتنا ولقاءاتنا عن أنه لا يمكنني أن أُقارن مطلقاً بأستاذنا أربكان، بل إنني لست أهلاً لذلك أصلاً".

ويتدخل دورالي أوزارسلان بقوله: "إن نجدت كولونك يجوب شُعَب الحزب ويؤجج نيران الفتنة قائلاً إن أردوغان لهث خلف الرئاسة العامة وقد نال جزاءه".

ويقول أكرم أردام: "إن الهجمات الخارجية لا يمكنها أن تتصدى لدعوة من الدعوات بسهولة، إلا إذا كانت تلعب بها الفتن في الداخل...".

ويقول أردوغان: "سأدرج هذا الموضوع في جدول أعمال اجتماع رئاسة المحافظة المقبل، وأريد أن أقول إنّ نجدت كولونك هو مصدر هذه الشائعات. إن أستاذنا لا يهتم بهذا الموضوع؛ ولهذا أفكر في مناقشة الموضوع أمام رؤساء المحافظات ومفتشيها. أقول للمركز العام: لا يمكن الاستمرار بهذه الكيفية، فأنا أُواجَه بهذا السؤال في كل مكان. استمعوا إلينا وواجهونا ببعضنا، ومن كان مخطئاً فليعاقب، ولكن، أنهوا هذه المسألة".

مؤتمر شعبة اسطنبول

في الثاني من نوفمبر/ تشرين الثاني 1991م انعقد اجتماع مجلس إدارة شعبة اسطنبول. وفي أثناء الاجتماع اتصل من (أنقره) السيد "أحمد تكضال"، وقال للسيد "بحرى زنغين" الذي يدير الاجتماع إنه سيصل إلى اسطنبول في يومي العاشر والحادي عشر من هذا الشهر، وسيتبادل وجهات النظر ويناقش بعض الموضوعات مع أعضاء مجلس إدارة شعبة اسطنبول. وكان رؤساء شعب المدن في محافظة اسطنبول مدعوين أيضاً لحضور هذا الاجتماع مع أعضاء مجلس إدارة شعبة اسطنبول.

ويروي "بيرام سازغون" بعض التفاصيل عن هذا الاجتماع، فيقول: "اجتمعنا يوم الأحد الموافق في العاشر من نوفمبر/ تشرين الثاني في مبنى شعبة من شعب اسطنبول بحي (قاسم باشا). ووصل السيد "أحمد تكضال" مع "مُقدر باش أيماز". ويبدأ "أحمد تكضال" التحدث فيقول: "أشكر في البداية شعبة اسطنبول التي بذلت جهوداً خارقة في انتخابات 20 أكتوبر/ تشرين الأول 1991م، والتي بفضلها زادت نسبة ناخبينا 100 بالمئة وأصبح لنا أربعة نواب في المجلس هم: علي أوغوز، وحسن مازرجي، مصطفى باش، ومُقدر باش أيماز. وأنا هنا الآن لحل المشكلات التي تعاني منها شعبة اسطنبول قبل أن تعقد مؤتمرها. ومن حيث المنهج، سألتقي أولاً رئيس كل شعبة بمفرده. ثم أريد أن ألتقي أعضاء مجلس إدارة شعبة اسطنبول كل على حدة أيضاً.

وبعد كلمة "تكضال" يبدأ "مقدر باش أيماز" كلمته: "السيد تكضال! إن الإخوة الموجودين هنا الآن يعملون في ظل طمأنينة ونظام. وها أنت نفسك قد بدأت كلمتك بتوجيه الشكر لهم. فإنك إذا قمت باستجواب رؤساء الشُعب كل على حدة، ثم جئت لتعلن لنا عن رأي أو قناعة توصلت إليها بعد هذه اللقاءات، فإنك بذلك تكون قد أفسدت الانسجام وحطمت الثقة الموجودة بين أعضاء مجلس إدارة

شعبة اسطنبول وبين رؤساء الشعب في مدن اسطنبول؛ حيث سيبدأ كل شخص بالنظر إلى أخيه نظرة شكٍّ وارتياب. ولذا، فإنني أرجوك أن تعقد هذه اللقاءات علانية أمام الجميع".

ثم يبدأ "أردوغان" في التحدث: "سيدي المحترم تكضال إن أسلوبك أسلوبٌ خاطئ. فقد كان بإمكانك أن تتشاور معي حول الموضوع قبل أن تعرضه على الناس، لا سيّما وأنني موجود في الاجتماع. فإن الشخص الأول والوحيد المعني بشؤون اسطنبول كلها، والذي كان يجب أن توجه إليه حديثك هو أنا. وأنا الآن غير راضٍ أبداً عن أن تأتينا هنا وكأنك تفتش علينا؛ وتقوم باستجوابنا مستنداً على بعض الشائعات. أنا لا أقبل تصرفك الخاطئ هذا مطلقاً".

فرد تكضال قائلاً:

"لا توجد أبداً قوة يمكنها أن تمنعني عن القيام بهذا التحقيق اليوم".

ولم أتحمل ما قاله تكضال فتدخلت في الموضوع وقلت: "السيد تكضال، إنني بصفتي عضواً في مجلس الإدارة في شعبة اسطنبول لا أقبل مطلقاً هذا التحقيق. ثم إنك حتى يومنا هذا ما تدخلت في شؤون شعبة من الشعب إلا وقلبتها رأساً على عقب".

فيقول تكضال: "قل لي مثالاً؟".

ردّ قائلاً: "(أرضروم، جروم، تشاناق، وقيرشهير، بورصة...) ولو أردت المزيد لزدتك. ثم ها أنت الآن تتدخل في شؤوننا. فلا تفسد علينا استقرارنا لأسباب واهية. تقول إنه لا توجد قوة يمكنها أن تمنعك من إجراء هذا التحقيق. إذاً، فأنا أيضاً أقول لك: لا توجد قوة تجبرني أيضاً على أن أجيب عن أسئلتك في هذا التحقيق".

لا يأبه "تكضال"، ويلتقي رؤساء الشُعب واحداً تلو الآخر، وتستمر لقاءاته هذه حتى منتصف الليل. وفي اليوم التالي يواصل لقاءاته مع أعضاء مجلس إدارة شعبة اسطنبول في مبنى الشعبة.

ويستمر التوتر بين المركز العام ومجلس إدارة شعبة اسطنبول، ويقترب موعد انعقاد مؤتمر شُعبة اسطنبول. وبينما تستعد شُعبة اسطنبول للتغلب على مواقف المركز العام الاستفزازية، كانت من ناحية أخرى تواصل استعداداتها لعقد المؤتمر. كان المركز العام يعترض على ثمانية أسماء موجودة في القائمة التي أعدتها شُعبة

اسطنبول، وقد كلف المركز العام "شوكت قازان" الذي وصل إلى اسطنبول مع "أحمد تكضال" بمهمة إقناع "أردوغان" وأعضاء مجلس الإدارة بإخراج هذه الأسماء من القائمة. والتقى "قازان" الأشخاص الثمانية واحداً واحداً وهم: (فيض الله قيبقلق، بكير صدقي البيراق، وإدريس غلوجه، وعارف دغلار، وبيرام سازغون، وحسين أوليا أوغلو، ومحمد عاكف بيرام أوغلو، ونجم قاضي أوغلو). وحاول قازان الضغط على هؤلاء الأشخاص للانسحاب بأنفسهم من القائمة، واستمرت هذه المحاولات حتى منتصف الليل، ولكن من دون جدوى. وفي النهاية، سأل تكضال أردوغان عن قراره الأخير، فقال له: "ليس لديّ ما أقوله لك غير ما قلته لأصدقائي، لقد اتخذنا قرارنا". وعندما سمع تكضال هذا الرد أراد أن يغلق الموضوع بقوله: "إذاً، أنا مضطر لإعداد قائمة جديدة".

وما إن وصل الوضع لهذا الحد حتى تدخل "البيراق" واقترح أمراً جديداً: "دعنا نتبنى الآن هذه القائمة وننتخبها، ثم تستقيل خلال مدة لا تتجاوز ستة أشهر. وإذا لم يحدث ذلك فلينعقد مؤتمر طارئ".

وكان الخلاف قد وصل إلى مفترق طرق، ولذلك قَبِلَ تكضال هذا الاقتراح. وذلك لأنه لم يكن هناك شخص واحد سيقبل الدخول في القائمة التي سيعدها هو بنفسه.

ولكن، في صباح اليوم التالي، تم نقض ذلك الاتفاق، وذلك لأن الأستاذ أربكان لم يكن يريد هؤلاء الأشخاص الثمانية داخل القائمة مطلقاً.

وفي تلك الليلة شعر "أردوغان" بإرهاق وإنهاكٍ شديدين، واضطر على إثرهما إلى متابعة تطورات اليوم التالي من بيته.

ويتصل به أصدقاؤه هاتفيًّا للاطمئنان عليه فيقول لهم: "لقد أصبت بالضجر والملل بسببهم. فليأخذوا مني شعبة اسطنبول وليفعلوا ما يريدونه".

ويصل الأمر بأردوغان إلى عدم المشاركة في المؤتمر. وفي نهاية المناقشات والجدال المحتدم لا يبقى في القائمة المقدمة للتصويت من الأشخاص الثمانية سوى "فيض الله قيبقلق"، وينتقل الآخرون إلى القائمة الاحتياطية.

انعقد المؤتمر في قاعة "عبدي إيباكتش"، وتم بيع المشاركين دعوات الحضور. ويوضح "أكرم أردم" هذا الإجراء الذي يتم تطبيقه للمرة الأولى، فيقول: "كنا

نريد أن تمتلئ القاعة عن آخرها. وكان الشتاء قاسياً والجو شديد البرودة، ولهذا كان امتلاء القاعة أمراً صعباً إلى حد ما، فاشترطنا لحضور المؤتمر الحصول على دعوة خاصة بمقابل مادي، وبعنا دعوات الحضور إلى كل الشعب في اسطنبول. وذلك لأن الإنسان عندما يدفع نقوداً من أجل حضور شيءٍ ما، فإنه يهتم كثيراً بالحضور، بل وإن حدث له ما يمنعه من الحضور فإنه يعطي الدعوة إلى شخص آخر. ولم نكن مخطئين في ذلك؛ فقد امتلأت القاعة عن آخرها يوم المؤتمر، فضلاً عن أننا حققنا دخلاً ماديًّا كبيراً للحزب".

ندوة الجزائر

نظمت شُعبة اسطنبول ندوة عن الجزائر، وتمت دعوة الأحزاب السياسية كافة للمشاركة فيها.

وشارك في الندوة كل من حزب (الشعب الاجتماعي)، وحزب (الطريق القويم)، وحزب (الجبهة القومية)، بينما ظل حزب (الوطن الأم) صامتاً لا يبدي اهتماماً. وشاركت الأحزاب السياسية في هذه الندوة - التي يديرها "حسن أقصاي" - على مستوى رؤساء شُعب أحزابهم.

وتحدث مصطفى شاطر أوغلو من حزب (الجبهة القومية) قائلاً:

"إننا لا نستطيع أن نحصل على المعلومات والأخبار بخصوص الجزائر من مصدرها الأول. وقد طلب نواب من حزب الرفاه، وحزب الجبهة القومية السفر إلى الجزائر، غير أنهم لم يتمكنوا من الحصول على تأشيرة السفر. ولذلك، فإننا نتابع الأحداث التي تجري في الجزائر متابعة ضعيفة. إن كل ذي عقل سليم، وفطرة سوية لا يمكنه أن يؤيد ويوافق على ما انتهت إليه الأوضاع في الجزائر.

إن الغرب قد أملى على الشعوب المسلمة أمرين: أن باشروا بشؤون آخرتكم في الجوامع وشؤون دنياكم في معبد الديمقراطية. ولو استمر شعب الجزائر في نضاله مرتكزاً على مبررات وحقائق علمية فسيفوز حتماً في النهاية".

وتحدث نور الدين الرتورك من حزب (الشعب الاجتماعي) وقال:

"أشكر حزب الرفاه على تنظيمه لهذه الندوة فلقد أتيحت لي الفرصة لأنقل إليكم آرائي بشأن دولة الإسلام والديمقراطية. وسأقول لكم ما أعتقد به حتى وإن رددتم عليَّ أفكاري، وأعتقد أن ذلك أفضل من أن أحدثكم بما تطمئن إليه نفوسكم وتستحسنونه.

كانت جبهة التحرير الوطني بالجزائر التي تأسست عام 1954م رمزاً للاستقلال الوطني ولكنها بعد عام 1962م أصبحت جزءاً من تشكيلات الجيش

والمستعمرين. فلقد ناضل شعب الجزائر ضد الفرنسيين لمدة ثماني سنوات من أجل الحصول على استقلاله، ثم ها هو الآن يناضل ضد ظلم المستبدين في هذه الجبهة وبطشهم.

وهناك أيضاً خمسة أشخاص يتحركون باسم "حماية مصالح شعب الجزائر"؛ تماماً مثلما هو موجودٌ لدينا. وليس واضحاً مصالح من يحمون، ولكن الواضح أنهم ضد حرية الفكر.

لا تنظروا إليَّ بسبب ما قلته على أنني أؤمن بما يؤمن به شعب الجزائر. فأنا أنتمي لحزب الشعب الاجتماعي؛ وأريد أن يصل حزبي إلى السلطة. وأؤمن أن حزبنا سيمثل طريق النجاح لوطننا من خلال آرائه وأفكاره. فعلى سبيل المثال، أنا لا أريد أن يصل حزب الرفاه إلى السلطة، أما إذا أتى الشعب التركي بحزب الرفاه إلى سدة الحكم فسأنزل صاغراً عند قرار الشعب. إن الانقلابيين في الجزائر قد قطعوا الطريق على المسيرة الديمقراطية، وأرى أن ما فعلوه كان خطأ فادحاً، وأصفق للشعب الجزائري وأؤيده في نضاله ضد الانقلابيين.

محسن ديوان من حزب (الطريق القويم):

"لو سألتم كيف تتدفق الأنهار في الجزائر، لقلت لكم إن الأنهار قد توقفت عن التدفق وصارت تذرف الدموع وتلقي بها على ضفافها. وإن سألتم عن دور النساء في الجزائر لطلبت من السيدة "سمراء" رئيسة شعبة اسطنبول بحزب (الوطن الأم) أن تجيب عن هذا السؤال، ولكنني لا أراها هنا الآن.

إن الغرب يتعامل مع الأحداث في الجزائر بمعايير مزدوجة، ويكيل بمكيالين. إذ لا ينبغي بأي شكل من الأشكال أن يقف أحد حائلاً أمام حركة الشعب وإرادته الديمقراطية. ولو ظننتم اليوم أنكم فعلتم ما بوسعكم فقد أخطأ ظنكم، فالأيام القادمة ستكشف عن أحداث أكثر خطورة، كما هو الحال في تركيا.

لا يجوز لأحد يؤمن بالديمقراطية أن يقف مكتوف اليدين أمام هذه الأحداث، وإنني لأنتقد بشدة أولئك الصامتين.

ليس الغربيون وحدهم المتهمين بازدواجية المعايير والكيل بمكيالين؛ بل نحن

أيضاً فينا من يفعل ذلك. فالناس بيننا مختلفون حول إعدام "مندريس"(*)، فهل كان قراراً خاطئاً أم صائباً؟ فعلى سبيل المثال، كان المنتمون لحزب الرفاه أكثر حساسية وتفاعلاً إزاء ما أصاب الجبهة الإسلامية للإنقاذ بالجزائر. إنه ينبغي علينا أن ننظر إلى الأحداث والوقائع واضعين في الاعتبار حقوق الإنسان، وليس من زاوية الفكر والاعتقاد".

رجب طيب أردوغان من حزب الرفاه:

"إنني أدرك التطورات التي وقعت في الجزائر باعتبارها عدم احترام للشعب الجزائري وتحقيراً لإرادته. فرغم النظام الانتخابي الجائر، يفوز الإسلاميون بالسلطة، ثم وعلى الفور ينقلب عليهم الجيش، فيستولي على السلطة، ويمعن في البطش والتنكيل بهم.

إن الغرب يعجز عن نقل تعريفه للديمقراطية إلى ميدان الممارسة. فتعريفات الديمقراطية التي تعج بها دوائر المعارف بدت عاجزة عن الوقوف في ساحة التطبيق. فرغم المفاهيم، مثل "حكم الشعب للشعب"، "حكم الأغلبية"، نجد الجزائر لا تحترم النتيجة التي كشفت عنها العملية الديمقراطية، بل وتعجز عن تحملها، وتكون النتيجة أن عشرات الآلاف من الناس قد زُج بهم في السجون والمعتقلات الآن. إن العسكر في الجزائر قد صُمّت آذانهم عن سماع ما يقوله مسؤولو FIS: زجوا بنا في السجون كيفما شئتم، فقد انطلق السهم من قوسه، وسيصل حتماً إلى هدفه، وسيحكم الشعب بإرادته.

إن كل نظام يعجز عن الاستقواء بشعبه فليس لأي قوة أخرى أن تحميه أو تشد من أزره، وسيكون الانهيار والزوال حتماً مصيره، وعاقبته المنتظرة. وأولئك الانقلابيون تنتظرهم عاقبة السوء مثلهم...".

(*) عدنان مندريس: رئيس وزراء تركيا لمدة عشر سنوات في الفترة الممتدة من عام 1950م وحتّى الانقلاب العسكري عام 1960م. وهو رئيس الحزب الديمقراطي الذي يمثل التيار الليبرالي خلال تلك الفترة. وقد تم إعدامه على يد العسكر في أعقاب الانقلاب العسكري مع وزير الخارجية ووزير المالية في حكومته.

الشؤون الداخلية

كانت شعبة اسطنبول لحزب الرفاه مهتمة أيضاً بالشؤون الداخلية بقدر اهتمامها بالأحـداث الجاريـة فـي العالـم، وقـد تحـدد أن يكون موضوع النقاش في الاجتماع المقبل عن "التحالف الانتخابي".

ويرى "كاظم ناجي دوغان" أن التحالف الذي سيجري في انتخابات 20 أكتوبر/ تشـرين الأول سـيعرض حزب الرفاه لفقدان مكانته في منطقة جنوب شـرق تركيا، وقد يؤدي إلى خروج تلك المنطقة من يد حزب الرفاه.

أما "ديسـي بيان" فيرى أن المسـألة الأساسـية هي (قوات المطرقة)، بينما كان "صادق البيراق" متذمراً بسبب عدم وجود برنامج لدى الحزب يخص منطقة جنوب شرق تركيا.

وبناءً عليه، يتحدث "أردوغان" عن تقرير خاص بموضوع جنوب شرق تركيا قائلاً: "هذا التقرير لم تقم شعبة اسطنبول بإعداده، بل أعده بعض إخواننا وأضفنا عليه بدورنا بعض الآراء الشخصية، ثم قدمناه إلى المركز العام بأنقره".

غيـر أن بعـض أعضـاء مجلـس إدارة الشـعبة لـم يشـعروا بالارتيـاح إزاء هـذه النقاشات اليومية الحيوية.

يقـول محمـود وانلـي أوغلـو: "ينبغـي علينـا أن نخصـص وقتـاً للموضوعـات الروحانية بقدر ما نخصص الأوقات لقضايا الحياة اليومية. إن أولئك الذين يتابعون الشـؤون السياسـية في الصحف والجرائد لا يعرفون قراءة الفاتحة، ينبغي علينا أن نتخذ موقفاً معارضاً لكل القنوات التلفزيونية، وأن نفعل شيئاً أكبر من الكلام".

* * *

كانت إدارة شعبة اسطنبول تعقد بين الحين والآخر اجتماعات تخصصها لما يشـبه النقـد الذاتـي، وفـي أحـد هـذه الاجتماعات التي انعقـدت في 15 مارس/ آذار 1992م دارت المناقشات التالية:

محمود وانلي أوغلو: "بينما يرى بعض الإخوة أن إخواننا من ذوي اللحى والسراويل يمثلون عائقاً أمام الدعوة، نراهم لا يرون حرجاً في زيارة الخمارات، بل ومعانقة أحد المخمورين والمبالغة في ذلك. إن الأمر إذا استمر على هذا النحو، فإن الحزب قد يصبح بمرور الوقت معادياً للحية والسروال".

محمد علي بيرام أوغلو: "إن حزب الرفاه لا يوجد له تأثير في مسألة البيئة أو موضوعات الديمقراطية والعلم والتكنولوجيا. ينبغي علينا أن ننفتح، فنحن بحاجة إلى العلم والتعلم من أجل اتخاذ موقف واضح. وأزعجني بالفعل عدم تدعيم أمسيات الشهداء".

عاكف غوردوغان: "إن برنامج حزبنا عام 1992م كان لديه شعار مهم، وهو إنسان مؤدب ومحترم يراعي مشاعر الآخرين ولا يسخر منهم. غير أن فيض الله قيلقلق قد سب مصطفى باشى في اجتماع مجلس الإدارة. ألا يستحق أن نعاتبه على ذلك السباب".

عارف دغلر: "إننا قد نخطئ خلال أحاديثنا هنا، وقد نقول كلمات خاطئة، غير أن الخطأ الأكبر هو أن تخرج هذه الأخطاء خارج اجتماعاتنا".

كريم أيتاكين: "أسمع أنّ مرشحاً من مرشحينا قد قام بزيارة للبطريركية أو للكنيسة وبابَواتها غير أنني لم أسمع قط أنه قد زار مفتي اسطنبول".

سلمان أسمارل: "لقد علمت أنه في بلديات باي أوغلو، وبارتين، وبالكسر ترتدي الفتيات جيبات خليعة. لا أدري لماذا نشعر نحن بالخوف بينما يموت ثوريون يساريون من أجل مبادئهم... إن إدارة شعبة اسطنبول لم يكن لديها خبر عن التقرير الخاص بالأكراد الذي أمر حزب الرفاه بإعداده. في البداية كنت أنظر بإيجابية إلى مسألة تفعيل دور المرأة في العمل السياسي. ولكنني الآن أرى ضرورة إعادة بحث هذا الموضوع من جديد". ثم يتوجه بحديثه إلى أردوغان فيقول:

"كما أنك جعلت النساء يلقين الخطابات والأحاديث وسط جموع الناس". فيرد عليه أردوغان: "أنا الذي أسست هذه اللجان النسائية، ولسوف تستمر في أنشطتها".

بكير صدقي البيراق: "قيل لنا قبل هذا الاجتماع إن هناك مشكلات كثيرة سنناقشها في الاجتماع. وها نحن قد رأينا أنه لا توجد مشكلة، بل يوجد أشخاص لديهم مشاكل. فلم يكن ثمة داعٍ لأن يتحدث حسين باسلي عن نفسه لمدة نصف

ساعة. ويا أخي سلمان! لو كان هناك حزب يترك أبناءه في منتصف الطريق، فكلي ثقة أنك ستكون أول شخص يتركه الحزب".

أردوغان: "من بيننا من يقول إن اللجنة التنفيذية بالحزب قد استصدرت قرارات من دون استشارة مجلس الإدارة، وها هو سجل القرارات بين يدي، وليس به أي قرار لم تتم مناقشته داخل الإدارة.

بعض الإخوة لا يداومون على حضور الاجتماع، وإذا جاءوا فهم لا يقدمون نفعاً ولا ضرًّا.

إنني ألقي السلام على مصطفى باش ونجدت كولونك وأمد يدي لهما بالمصافحة، غير أنني لا أعمل معهما في شعبة واحدة أبداً. فنجدت كولونك ينقل إلى المركز العام أخباراً ضدنا، ويتحدث في حقنا حيث ذهب. وأنا الذي جعلت مصطفى باش يتحدث في المؤتمر. أنا أتصرف من منطلق الاحترام للدعوة، أما المشكلات الشخصية فأمر آخر.

نحن لا ننكر ما حدث قبل انقلاب 12 سبتمبر/ أيلول 1980م، فنحن نتاج تلك الفترة. ولكن تلك الفترة كانت لها أخطاؤها، وينبغي علينا مناقشتها، وعدم تكرارها. إن إخواننا الذين ينظمون أمسيات الشهداء إنما يمضون خلف الأخطاء ذاتها، ويريدون الدفع بشبابنا إلى المخاطر. فينبغي علينا ألا نعطيهم الفرصة. إن المرحلة الراهنة تستوجب منا تجاوز قضايا وموضوعات الشيخ والجماعة والسروال واللحية ومثل هذه الأمور.

ليس من الممكن أن نتحمل مسؤولية موضوع نشر في صحيفة "ميللي غازته"...

أنا لا أشك مطلقاً في إخلاص أي من إخواننا هنا، ولا أخطو خطوة إلا بعد الاستشارة.

وبخصوص موضوع اللجان النسائية، فأنا أتحدث في هذا الموضوع مع المركز العام وقد نرشح امرأة للرئاسة في انتخابات البلديات".

* * *

لقد تولى "أردوغان" رئاسة شعبة اسطنبول عام 1985م، وقد دارت أحداث الاجتماع الذي تحدثنا عنه الآن عام 1992م. أي أنه رغم مرور سبعة أعوام كان لا

يزال من بين أعضاء مجلس إدارة شعبة اسطنبول من يناقش قضايا اللحية والسروال والشيخ والجماعة وأمسيات الشهداء.

ويمكننا أن نفهم من هذه النقاشات أن "أردوغان" قد اضطر لقضاء جزءٍ كبير من حياته السياسية في مكافحة أفكار عقيمة داخل حزبه، أكثر من التصدي لأفكار الأحزاب الأخرى. فقد كان كل تجديد يدفع بحركة فكر الأمة إلى ساحة الممارسة، والواقع العملي يقابل بارتياب في معظم الأحيان، بل وكان ساحة كبيرة للنقد الذاتي.

تحسين دندار: "لو كان أردوغان قد استسلم وانسحب قائلاً ابقوا على ما أنتم عليه، لكننا لا نزال نقف أمام الجوامع من دون أن نفعل شيئاً".

ثم يتحدث عن واقعة يستهزئ فيها من قول محمود وانلي أوغلو: "إن الإخوة يعانقون المخمورين في الخمارات" فيقول: "كان أردوغان مرشحاً لعضوية البرلمان في الانتخابات التكميلية عام 1986م عن منطقة (زيتين بورنو). وكنا قد ذهبنا إلى جامع (سيد نظام). وخططنا لأن نصلي هناك، ثم نعقد جلسة مع المصلين هناك، إلا أننا تأخرنا كثيراً بسبب ازدحام الطريق، وعندما وصلنا إلى الجامع وجدنا الجماعة قد انتهت وانفض المصلون. ورأينا إلى جانب الجامع رجلاً مسنًّا ذا لحية. فقال له أردوغان: "السلام عليكم يا عمي الحاج". غير أن الرجل كان في عالم آخر.

فأراد "أردوغان" أن يجرب حظه مرة أخرى فلم يتلقَّ جواباً أيضاً، إذ أصر الرجل العجوز على الصمت وعدم رد السلام. وعندما غضب أردوغان وقال له: "يا عمي الحاج ألقينا عليك سلام الله فلم تنظر حتى إلى وجوهنا، فما يضيرك لو رددت السلام وقلت وعليكم السلام". فقال العجوز: "أنا أنتمي إلى حزب الوطن الأم ولا أعطيكم صوتي في الانتخابات".

فقال له أردوغان: "لا عليك، هلاّ دعوتنا إلى شرب الشاي عندك؟".

فأجاب العجوز: "كلا". وعندها تحول الأمر إلى عناد، وقال له أردوغان: "حسناً، نحن ندعوك إلى احتساء الشاي؟". فأجاب العجوز: "لا، أنا لا أشرب شايكم".

وفي تلك الأثناء سمعنا صوتاً ينادينا من على الجانب الآخر من الشارع ويقول: "يا ريِّس يا ريِّس". فتركنا العجوز وتوجهنا نحو صاحب الصوت. وقال صاحب الصوت لنا: "أنا تاجر أعمل هنا، وأتابعكما منذ عشر دقائق، وحسب ما رأيت

فأنتم لم تفلحوا في دخول قلب ذلك العجوز. فإن لم يكن لديكم مانع تفضلوا إلى متجري واشربوا الشاي معي".

فنظرت إلى المكان الذي يسميه الرجل متجراً فإذا به قد كُتِب عليه (متجر بيرة) فقال أردوغان: "بكل سرور". ولعلها كانت المرة الأولى التي يدخل فيها محلاً يبيع الخمور، ولكنه قبل الدعوة من دون أي تردد. أما عن داخل المتجر فلا يمكنني أن أصف لكم كيف كانت رائحة الأدخنة والخمور العتيقة تلف المكان، وكيف كان مكاناً لا يعرف الهواء طريقةً لدخوله إلا من منفذ ضيق من جانب واحد. ولكن، ولا أقول إلا صدقاً، أنا لم أرَ احتراماً أو ضيافة في مكان ما مثلما رأيت من أولئك السكارى، كانوا يأتون ويسلمون علينا فيحتضنوننا، ويقبلوننا. وكنت كلما حاولت أن أبتعد عنهم خشية أن يلطخني لعابهم، أو أشمّ رائحة الخمر، كان "أردوغان" ينحني على أذني ويحذرني ويقول لي: "تحمَّل تحمَّل، الرجل سيحتضنك وأنت أيضاً ستحضنه، لن يؤدي ذلك إلى موتك، فإنك في النهاية ستخرج وتنفض ملابسك إلى أن تصل إلى المنزل".

وكلما تحدث "أردوغان"، أقبل عليه أولئك المخمورون والدموع تنهال من عيونهم وقالوا له: يا ريِّس لقد ضعنا ولم يعد فينا أمل أو رجاء، فلا عليك بنا ولكن أنقذ أطفالنا وصغارنا من الضياع.

مكثنا ساعتين في تلك الخمارة في ظروف صعبة، وإن لم نطلب الإذن بالخروج لبقينا على الأقل ساعتين، فقد كانوا يستمعون بحرارة وشوق إلى "أردوغان".

وفي الطريق فكرت في سرّي: يا "تحسين"، إننا نتجول ونزور أماكن غير صحيحة، ونبذل جهودنا سُدى في صحون الجوامع وأفنيتها، بينما يرتاد الذين يحتاجون إلينا حقًّا هذه الأماكن.

ظهرت فرصة جديدة من شأنها أن تظهر قدرات وإمكانات "أردوغان" وشعبة اسطنبول التي يترأسها.

فبقرار أصدرته الحكومة، تم تقسيم مدينة (باقير كوى) فظهرت ثلاث مدن جديدة هي (باغجيلار، وغونغوران، وباهتشلي)، كما تم تقسيم مدينة (كوتشوك تشاكمجه) إلى مدينتين فظهرت مدينة جديدة باسم (أفجيلار)، وكذلك انقسمت مدينة (قالطار)، وظهرت معها مدينة (مال تبه)، وانقسمت أيضاً مدينة (بانديك) وظهرت مدينة (طوزلا). وبهذا تكون قد ظهرت ست مدن جديدة، وهو ما استلزم إجراء انتخابات محلية لبلديات هذه المدن الجديدة في الأول من نوفمبر/ تشرين الثاني 1992م.

وكانت الانتخابات العامة والمحلية التي أجريت بعد عام 1989م قد أظهرت أن لحزب الرفاه قوة ناخبة قد تبلورت، ولكنها لم تتمكن من التعبير عن نفسها بشكل كامل حتى ذلك الحين.

ورغم أن اتجاهاً متصاعداً بدت معالمه في أصوات الناخبين المتزايدة في انتخابات (باي أوغلو) 1989م، ثم في انتخابات (بيرام باشا) 1990م، إلا أن ذلك الاتجاه لم يستطع أن يرقى إلى أهداف حزب الرفاه في الانتخابات العامة عام 1991م وتوقعاته. كما أنه لم يتحقق النجاح المأمول في البلديات التي تأسست حديثاً، غير أن النجاح الذي أحرزه الحزب في بلدية (كاغيت خانه) كان مبشراً رغم كل شيء.

وعليه فقد ساد الاعتقاد داخل حزب الرفاه بشعبة اسطنبول أن الانتخابات المحلية التي ستجرى في الأول من نوفمبر/ تشرين الثاني ستحصد ثمار جهود الحزب في انتخابات اسطنبول السابقة وعلى هذا الاعتقاد وبكل عزيمة وإصرار شمّر الحزب عن ساعديه للاستعداد لهذه الانتخابات.

وبسبب المشكلات التي وقعت خلال العامين الأخيرين في موضوع تحديد

المرشـحين، أصبحت شـعبة اسـطنبول تحدد مرشـحيها من دون النظر إلى تدخلات المركز العام للحزب.

وحسـب التحليلات الميدانية واسـتطلاعات الرأي العام كان حزب الرفاه في المرتبة الأولى في مدن (باغجيلار)، و(غنغوران)، و(طوزلا)، وفي المرتبة الأخيرة في مدينتي (مالتبه)، (أفجيلار)، بينما كان على قدم المساواة مع حزب الوطن الأم في مدينة (باهتشلي أولار).

وكما هو متبع دائماً، فقد رشحت شعبة اسطنبول أكثر من مرشح في المدن التي رأت فيها فرصة أكبر للفوز، بينما رشـحت مرشـحاً واحداً في المدينتين الأخريين. فتـم ترشـيح "محمـد مـؤذن أوغلـو" فـي مدينة (أفجيلار)؛ وذلـك لأنها محل إقامته كما أنها محل عمله كذلك، حيث يعمل هناك طبيباً.

أما البحث عن مرشح في مدينة (مالتبه) فقد استغرق وقتاً طويلاً جدًّا. واجتمع مجلـس إدارة الحـزب عـن شـعبة (مالتبـه) اجتماعـاً خاصًّا وأخيراً لتحديد مرشـحيه الذين سـيقدمهم إلى مجلس إدارة شـعبة اسـطنبول؛ غير أن الاجتماع لم يسـفر عن اقتراح أي اسم. وفي النهاية، قرر مجلس إدارة شعبة (مالتبه) أن يجري تصويتاً بين أعضائه؛ بحيث يكون صاحب أكثر الأصوات هو مرشح الحزب.

وكانت نتيجة هذا التصويت ترشيح شخص غائب عن الاجتماع. وعليه أخبر المجتمعون صديقهم بالقرار الذي اتخذوه بشأنه، وانفضّ الاجتماع على أن ينعقد مرة ثانية في اليوم التالي.

وفي اجتماع اليوم التالي، أعلن الأخ المقترح للترشح أنه لا يمكنه قبول ذلك الاقتراح، ويوضح السـبب قائلاً: "لقد فكرت كثيراً بعد أن أخبرتموني بهذا القرار أمس. لدرجة أنني وقفت أمام المرآة وسألت نفسي: هل يمكن لهذا الشخص الذي أراه في المرآة أن يكون رئيساً للبلدية؟ فكان الجواب: كلا. فكيف بي وأنا لا أرى نفسي جديراً بهذا المقام أن أطلب من الآخرين أن يمنحوني أصواتهم؟".

والحقيقة أنه لم يكن لدى أحد ما يقوله بعد هذا المنطق. وبدأت عملية بحث جديدة. وتحدّث أحد الأعضاء عن صديق له عمل قبل ذلك في مدينة (قاضي كوى)، ودار حديث عن كبر سنه إلى حد ما، من دون أن يبدو عليه هذا الكبر. وقال آخرون إنه ربما كان الشخص المناسب الذي يبحثون عنه، وفي النهاية قرّروا اللقاء به.

ثم وجهوا لذلك الشخص الدعوة للحضور إلى شعبة الحزب في المدينة. يدق جرس الباب في الساعة المحددة تماماً، فيهرول أحدهم نحو الباب ويفتحه. فيجد عند الباب شيخاً عجوزاً هرماً بكل ما للكلمة من معنى، يبذل كل جهده ليتمكن من الوقوف على قدميه مستنداً على عصاه. فيصاب الجميع بخيبة أمل ويحدق كل منهم في وجه الآخر. وما إن تحدث ذلك الشيخ قائلاً: "أريد صدقة لوجه الله"، حتى تهلل الجميع من الفرح والسرور، وأخذوا يغدقون عليه الأموال حتى انصرف.

كان الشخص المنتظر هو "حسن البصري". وبعد قليل أتى "حسن البصري"، وبالفعل أصبح مرشح حزب الرفاه لرئاسة بلدية (مالتبه).

أما عملية تحديد مرشحي بلديات المدن الأربع الأخرى فقد جرت بشكل سريع إلى حدٍّ كبير؛ من حيث انعقاد اللقاءات وإجراء عمليات التصويت داخل شعب المدن الأربع، وكذلك داخل شعبة اسطنبول. وفي النهاية، تم الإعلان عن "فيض الله فيقليق" مرشحاً لبلدية (باجيلار)، و"يحيى باش" في (غونغوران)، و"مظهر دوغان" في (باهتشه أولار)، و"إدريس غلوجه" في (طوزلا).

وفي هذه الانتخابات قامت شعبة اسطنبول بفعل ما يحلو لها وتراه مناسباً، من دون أن يتدخل أحد في شؤونها؛ فطور "أردوغان" أساليبه الانتخابية التي طبقها قبل ذلك في (باي أوغلو) و(بيرام باشا)، ودخل بها الانتخابات محملاً بأفكار جديدة.

فنساء الحزب في هذه الحملة الانتخابية بدَون أكثر نشاطاً وفاعلية؛ فهن يطرقن أبواب البيوت باباً باباً في الأوقات التي تتواجد فيها النساء في المنازل. لدرجة أنهن في بعض الأحيان ومن دون أن يطرقن يسمعن صوتاً من داخل البيت يقول: "حسناً، حسناً سنعطيكم أصواتنا". وكان واضحاً أن ذلك الوضع قد تجاوز حدوده في بعض المناطق؛ حيث كن يذهبن إلى البيت الواحد مرات عديدة.

ولم يكن الشباب أقل نشاطاً من ذلك بل كانوا يعملون كخلايا النحل؛ حيث يعقد الشباب كل مساء اجتماعات مصغرة وبشكل منظم في المقاهي في مناطق عدة، ثم ينفضّون بعدها إلى الشوارع والأزقة، حتى تتحول جموعهم إلى ما يشبه المظاهرات الصغيرة.

أما استطلاعات الرأي التي يجريها حزب الرفاه، فتجري كل أسبوع تقريباً حتى تتمكن من الوصول إلى أدق نتيجة ممكنة. وحسب نتائج هذه الاستطلاعات

تتحـدد المناطـق التـي سـيلقي فيهـا الحزب بثقله، ويتـم تعزيزها بمجموعات خاصة من فرق الدعاية الانتخابية.

غير أن نتائج اسـتطلاعات الرأي كانت إما لا تُعرض إطلاقاً على المرشـحين والشُـعب، أو أنهـا تُعـرض مشـفوعة بالتحليـلات والـرؤى، وكان الرئيس والعاملون فـي مقـر إدارة الانتخابـات فقـط هـم الذين يعلمون نتائج الاسـتطلاعات، ويطوّرون خطتهم وفقاً لها.

ومنذ عام 1989م كان "حسـن البصري" يقوم باسـتطلاعات الرأي في شـعبة اسطنبول.

وذات يوم، وبينما كان "حسن البصري" يقوم بتقييم آخر استطلاع للرأي قام بإعداده، إذ برئيس شعبة (باهتشه أولار) أحمد طاش، يطل برأسه من خلف الباب وينـادي "حسـن البصـري" قائـلاً: "إننـي أعـرف أنـك لن تخبرنا بنتائج الاسـتطلاع، ولكنني أطلب منك طلباً واحداً، وهو أن تخبرني إن كان الفرق الموجود بين حزبنا وحـزب الوطـن الأم أقـل مـن ثـلاث نقـاط أم أكثـر. هذا فقط مـا أريده منك... وأنا أعدك إن كان الفرق أقل من ثلاث نقاط، فإننا سنفوز في هذه الانتخابات".

ويقع "حسن البصري" في موقف صعب؛ لأن الفرق بين حزب (الوطن الأم) وحزب الرفاه كان شاسعاً. ولم يرد "حسن البصري" أن يكسر عزيمة رئيس الشعبة فأجابه: "الفرق أقل بثلاث نقاط".

وفـي نهايـة الانتخابـات، لـم يحـرز حـزب الرفاه نجاحاً فـي بلديتي (أفجيلار) و(مالتبه)، وهو ما كان متوقعاً، وفاز برئاسة بلديات المدن الأربع الأخرى بما فيها بلدية (باهتشلى أولار) التي كانت في موقف خطر في البداية، وبهذه النتيجة يفوز حزب الرفاه بالمرتبة الأولى في اسطنبول في هذه الانتخابات.

أطلقت شـعبة اسـطنبول برئاسـة "أردوغان" في هذه الانتخابات حملة جديدة لأول مرة، عرفت باسم "مسيرات الحب".

فقد تجاوزت شعبة اسطنبول أخيراً في هذه الانتخابات النقاشات والجدالات الخاصة بمشاركة المرأة في العملية الانتخابية. ونظَّمَت مسيراتٍ في كل مدينة من مدن اسطنبول قبل الانتخابات بيوم أو بيومين تحت مسمى "مسيرات الحب" وتحت وقع أنغام الموسيقى. وشارك في هذه المسيرات الرجال والشباب والشيوخ والنساء

وأعضاء الحزب كافة.

وإلى جانب تأثير "مسيرات الحب" في فاعليات الحملة الانتخابية، فقد كانت تقدم رؤية وتصوراً عن النتائج المحتملة للانتخابات انطلاقاً من الاهتمام والمشاركة الشعبية الكبيرة في هذه المسيرات.

العمالة المؤقتة

شرعت البلديات الجديدة تباشر مهامها من أجل خدمة ناخبيها، غير أن هناك بعض المشكلات التي كان يجب حلها أولاً. فهذه البلديات الست الجديدة قد ولدت بعد انفصالها عن بلديات كانت قائمة بالفعل، وهو ما فرض مشكلات تتعلق بتقاسم الإمكانات والوسائل كلها مع البلديات القديمة، وعلى رأسها تقاسم وسائل المواصلات والخدمات والموظفين. وكان الوضع أصعب ما يكون في البلديات الثلاث التي انفصلت عن بلدية (باقير كوى).

وكان على رأس هذه المشكلات مشكلة (العمال المؤقتين). حيث شغلت هذه المشكلة جدول أعمال شعبة اسطنبول، بل وجدول أعمال المركز العام لحزب الرفاه فترة طويلة. ومما زاد الأمر صعوبة أن هؤلاء العمال المؤقتين قد شرعوا في التظاهر والتمرد خلال تلك الفترة بدعم من العمال المثبتين.

استغرق اجتماع مجلس إدارة حزب الرفاه بشعبة اسطنبول أكثر من اثنتي عشرة ساعة أي من الساعة التاسعة والنصف صباحاً حتى العاشرة مساءً لمناقشة هذه المشكلة والبحث في سبل حلها.

وفي هذا الاجتماع أدلى أعضاء مجلس الإدارة كافة بآرائهم وأفكارهم، ولكن من دون جدوى. وفي حوالى الساعة الثامنة مساءً، قرر المجلس باقتراح من "أوزدامير بيراق تار" أن يظل الاجتماع منعقداً إلى أن يتم التوصل إلى حل تتفق حوله الآراء، وأن تبدأ جولة جديدة من النقاشات.

واتفق أغلبية الأعضاء في الاجتماع على: "تقديم تعويضات إلى هؤلاء العمال المؤقتين، وإنهاء خدمتهم في البلدية، وأنه إذا لم يحدث ذلك، فإن البلدية ستكون مضطرة لتحمل أعباء 700 عامل، وهو ما سينعكس سلباً على قدرة البلدية في تقديم الخدمات للمواطنين".

وفي ما يلي بعض الآراء التي دارت حول هذا الموضوع:

أوزدامير بيراق تار: "إننا إن قمنا بتعيين هؤلاء العمال المؤقتين فسنصبح عرضة للتظاهرات والتمردات المستمرة بسبب المشكلات التي ستنجم عن دفع رواتبهم في المستقبل".

مصطفى أطاش: "إننا نقصد من تولّي أمور هذه البلدية تقديم الخدمات للمواطنين. وبالتالي، إنّ الأعباء المالية التي ستفرضها علينا أجور هؤلاء العمال ستمنعنا من تقديم تلك الخدمات".

أكرم شاما: "هناك شعب ينتظر منا تقديم الخدمات له، وعلى الطرف الآخر هناك 700 عامل... فلندفع لهم التعويضات اللازمة وليخرجوا من البلدية".

محمد عاكف بيرام أوغلو: "إنني بالطبع مع تسريح هؤلاء العمال، وعلينا ألا نخشى من الدعاية المضادة لأننا سنوضح للشعب مدى اضطرارنا إلى ذلك".

حسين باسلي: "ينبغي علينا أن ننهي عقود هؤلاء العمال، وأن نصدر قرارنا هنا على الأقل من جانبه السياسي، وأن نترك للمسؤولين الجوانب الأخرى. وعلينا ألا نخشى كل هذه الخشية من الإعلام. فنحن لم نصل إلى هذا المكان بدعم الإعلام وتأييده، بل بقوة حزبنا، ولذلك علينا أن نشرح للمواطنين الموقف بواسطة حزبنا".

الطان يالووز: "إن اضطرّنا النظام لارتكاب الأخطاء، فلا ينبغي علينا أن نتخذ قرارات تمنع البلديات من ممارسة أعمالها ومهامها".

أكرم أردم: "إن المواطنين في صفنا الآن بشأن تسريح هؤلاء العمال. إننا نتكلم اليوم ونناقش هذا الموضوع ولكننا قلنا لرؤساء البلديات كل على حدة: حذار من أن تقوموا بتعيين هؤلاء العمال المؤقتين، فليذهبوا إلى البلديات القديمة لتحل لهم مشكلتهم. ولذا علينا الآن ألا نترك رؤساء البلديات وحدهم".

إبراهيم أيتش تشايي: "أرى أنه من المفيد أن نفرد لمثل هذه الموضوعات المهمة جدول أعمال خاصًّا. ينبغي علينا إزالة كل عائق يحول دون تقديم الخدمات للمواطنين".

وعلى الطرف الآخر كان من بين الأعضاء في الاجتماع من لا يتفق مع رأي الأغلبية ومنهم:

محمود وانلي أوغلو: "ينبغي علينا ألاّ نفكر في البلديات كما لو أنها شركات. فليكن ما يكون، ولكن علينا ألا نطرد العمال. فهل أولئك العمال وحدهم هم الذين

يأكلون حق المجتمع؟ إننا إذا قمنا بتسريح هؤلاء العمال، فإن هذه التظاهرات والتمردات ستتحول إلى انفجار رهيب يقضي علينا".

مصطفى أيدينار: "لا أحد منا يعلم حتى الآن مقدار الميزانية المخصصة للبلدية، في حين أننا نتحدث عن طرد العمال حتى لا يكونوا عبئاً ماليًّا على ميزانية البلدية. فلندافع عن الهتافات المعادية التي ترى أن النظام العادل(*) يسحق العمال".

عارف داغلي: "إننا حزب سياسي، ولهذا لا ينبغي علينا أن نقيس الأمور بمعيار المكسب والخسارة".

محمد علي برتقال أوغلو: "إن التسريح الجماعي للعمال إحدى خصائص فترة الأحكام العرفية فقط".

وبعد هذه المناقشات الطويلة التي استغرقت أكثر من عشر ساعات يتدخل أردوغان في النقاشات، فيستجمع الآراء ووجهات النظر ثم يعلن قراره: "الإخوة الأعزاء، يعيش نحو مليون مواطن داخل حيز البلدية التي نتحدث عنها. وهذا الموضوع الذي نتحدث عنه موضوع متعدد الجوانب. إن مسألة تقاسم الإمكانات والخدمات والعمال ليست ضدنا فقط في قضية العمال، فالأمر ذاته يسري على موضوع وسائل النقل والمواصلات. فلقد خصصوا لبلدياتنا كل ما لديهم من عربات ومركبات لا ترقى إلى مستوى الخردة. بل ولم يكتفوا بذلك، فقد أحالوا إلى بلدياتنا الجديدة كل المواطنين الذين أوشكوا على بلوغ سن التقاعد، وذلك من أجل أن تقوم بلدياتنا بدفع مكافآت نهاية الخدمة.

إن هؤلاء العمال قد تمت دعوتهم إلى العمل باعتبارهم (عمالاً مؤقتين)، ثم مرت السنون والسنون ولم يتم تعيينهم عمالاً دائمين. وها هو يُراد لنا الآن أن نتحمل هذا العبء.

وكما أوضحتم، إنّ السؤال الأساسي الآن هو: هل نريد بلدية تقوم بتعيين هؤلاء العمال ثم نفلس بعد ثلاثة أشهر، أم بلدية تقدم الخدمات لمليون مواطن؟

لقد أجبنا عن هذا السؤال واتخذنا قرارنا. لن يتم تعيين هؤلاء العمال، وسيتم دفع التعويضات اللازمة لهم ثم تسريحهم من العمل".

(*) النظام العادل: هو مصطلح يُعبر في حقيقته عن "الشريعة الإسلامية"، وقد استخدمه حزب الرفاه في برنامجه وفي دعايته الانتخابية للتعبير عن رؤيته ومشروعه النهضوي في تركيا.

اتخذت شعبة اسطنبول قرارها أخيراً، بيد أن المركز العام لحزب الرفاه يتدخل مرة أخرى في الأمر، ويصدر توصية لتعيين هؤلاء العمال.

وفي الاجتماع التالي بشعبة اسطنبول تمت مناقشة قرار المركز العام الذي وضع الشعبة في مأزق، ولكن بعد طول نقاشات وسجالات لا يتغير من الأمر شيئاً، وتحافظ شعبة اسطنبول على قرارها.

* * *

لم تكن تدخلات المركز العام لحزب الرفاه في شؤون شعبة اسطنبول وقراراتها هي الأولى، وليست الأخيرة أيضاً.

كان أبرز الجوانب اللافتة في ارتفاع قدر "أردوغان" داخل الحزب هو قدرته على تحقيق نجاحاته بأساليبه المتميزة بالرغم من معارضة المركز العام أحياناً. وعند النظر من هذه الزاوية، نجد أن أردوغان ليس ممتنًّا أو مديناً لأحد في هذا الموضوع.

فمنذ الفترة التي بدأت بتوليه رئاسة جناح الشباب حتى رئاسته لبلدية اسطنبول، لم يكن "أردوغان" مرشحاً من الدرجة الأولى من قبل المركز العام للحزب، ولم يحظَ باتفاق وقبول عام من المركز العام، بل على النقيض من ذلك نافس المرشحين الذين أعلنهم المركز العام في الانتخابات الداخلية التي يجريها الحزب وفاز دائماً.

ورغم أن المركز العام للحزب كان يبدو مرحباً بجهود "أردوغان" داخل الحزب بل ومصنعاً له، ولا سيما بآرائه خلال الفترات الانتخابية بصفته رئيساً لشعبة اسطنبول، إلا أنه في الحقيقة كان يقترب من أردوغان دائماً اقتراباً حذراً، ولم يستطع إخفاء مخاوفه من أن تؤدي نجاحات "أردوغان" إلى ميلاد زعيم بديل.

وإن أحد الإجراءات التي دفعت المركز العام إلى القلق والتخوف من أردوغان - بل ولعلّه أهم هذه الإجراءات - هو تحقيق أردوغان للديمقراطية داخل الحزب في شعبة اسطنبول. إذ كان المركز العام يخشى من اتخاذ شعب الحزب الأخرى من هذا الإجراء الديمقراطي نموذجاً لها، ثم ينتشر ويعم أرجاء الحزب، وبالتالي ينتقل إلى إدارة المركز العام، وهو ما جعله يدرك أن ذلك يعتبر تهديداً موجهاً وبشكل مباشر لسلطة "أربكان" المطلقة. إذ إن الزعامة المركزية في الحزب كانت ذات صفة "أبوية" أكثر من كونها زعامة سياسية. وكما أنها لا تنظر بارتياح إلى أي نمط من أنماط العلاقات التي تخالف مفهوم الطاعة المطلقة، فإنها كانت لا تتورع

عن اتهام المعارضين لها بأثقل الاتهامات وأغلظها.

في حين أن مناخ حرية الفكر والنقاش في أفضل أشكاله كان متوفراً في شعبة اسطنبول بزعامة "أردوغان". فقد كان لكل عضو يشارك في اجتماع الشعبة الحق في اقتراح مواد جدول الأعمال، فضلاً عن حقه في التحدث وإبداء الرأي بكل صراحة بشأن المواد المدرجة في جدول الأعمال. فضلاً عن ذلك كله، لم تكن اجتماعات شعبة اسطنبول تعترف بحدود المدة الزمنية للمتحدثين في أغلب الأحوال، لذا، كانت الاجتماعات تمتد لساعات طويلة.

وبالنظر إلى تلك الفترة نجد أن "أردوغان" وأعضاء مجموعته قد حققوا إسهامات بالغة الأهمية في الممارسة السياسية.

وحسبما قال "أكرم أردم" فإن أردوغان يولي أهمية كبيرة وبشكل دائم لمناقشة كل موضوع مناقشة جامعة شاملة، وعدم ترك أي جانب من جوانبه محاطاً بالغموض من دون إيضاح أو تفسير، فيقول:

"ما من أحد إلا ويحب أن يعبر عن رأيه وفكرته بصراحة، وذلك من الطبائع التي جبل الإنسان عليها. ولا شك في أننا نلحظ ذلك كثيراً عندما نلتقي ونجتمع لاحتساء الشاي أو القهوة، بحيث نتجاذب أطراف الحديث، وفي أغلب الأحيان نتجاهل بعضاً مما يقال ونسعى لتجاوزه للدخول في موضوع آخر. ولكن أردوغان ليس كذلك؛ فهو يجيب على كل التساؤلات المطروحة، ويتدخل في كل النقاشات ولا يتهرب منها".

رئاسة بلدية مدينة اسطنبول الكبرى

على الرغم من وجود وقت طويل يقدر بأكثر من عام على إجراء الانتخابات المحلية، غير أن حرارة المشهد السياسي قد شرعت تؤثر مبكراً في الحياة الحزبية. فانشغلت كل الأحزاب السياسية في اختيار مرشحها لرئاسة بلدية اسطنبول الكبرى. ولم يكن الوضع مختلفاً بالنسبة لحزب الرفاه أيضاً.

حيث اجتمع مجلس إدارة شعبة اسطنبول في 20 مارس/آذار 1993م، وفي الاجتماع دارت مناقشات منها: علي طاشقيران: "إن إحدى الصحف المهتمة بمرشحي الأحزاب لرئاسة بلدية اسطنبول تذكر اسم أردوغان في اختيارها. ولهذا ينبغي علينا أن نحدد مرشحنا في أسرع وقت. لقد سبق وأن ذكر قيبقليق في أحد الاجتماعات أن أردوغان هو مرشحنا وأنا أيضاً أؤيد ذلك".

"أردوغان": "اتصلت بي إدارة تحرير صحيفة (حريت) ووُجِّه إليّ سؤال: إن اسمك تتداوله الألسنة، فما قولك؟ فقلت إن تحديد المرشح لا يتم لدينا حسب رغبة الشخص، وإنما تتم تسمية المرشح عندما ترغب فيه قاعدة الحزب. فكتبوا عن هذه المكالمة الهاتفية وقالوا إن أردوغان يقول إنه يمكن أن يكون مرشحاً إذا أرادت قاعدة الحزب ذلك، وأنه ينظر بإيجابية إلى هذا الترشح. هذا هو كل ما حدث. وأرى أن الوقت لا يزال مبكراً، وأنه ينبغي علينا أن لا نتحدث في هذا الموضوع الآن. سنتحدث عنه عندما يحين وقته".

وإن يكن أردوغان قد قال "الوقت لا يزال مبكراً... سنتحدث عنه عندما يحين وقته"، إلا أن الجهود والاستعدادات لخوض الانتخابات البلديات التي ستجري في العام التالي 1994م قد أخذت تتبلور وتعبر عن نفسها. حيث تأسست جمعية باسم الإدارة المحلية، وتم إعداد برامج تدريبية داخل هذه الجمعية لتثقيف المشاركين في موضوعات تتعلق بالحكم المحلي وتدريبهم.

وفي اجتماع بتاريخ 15 إبريل/نيسان 1993م يتحدث "أردوغان" ويعرض أفكاره

ورؤيته لهذه الجهود فيقول: "أتوجه بالشكر إلى إخواني الذين أعدوا هذا المبنى، بكل إخلاص وتضحية. وجهزوه لإلقاء المحاضرات والدورات التدريبية. فلا تنسوا أنهم بذلك قد صنعوا حدثاً تاريخيًّا. وكلي ثقة أن قيمة هذا المشروع ستدركها الأجيال القادمة بشكل أفضل. وإننا سنضم هذه الجهود والأنشطة اعتباراً من يونيو/ حزيران 1993م إلى أنشطة دورات التدريب السياسي، وهو ما سيفرز تفرعات أكثر تخصّصاً. إن كوادر المستقبل ستنشأ وتتدرب داخل هذه البرامج.

ليت الإمكانيات المالية كانت لدينا حتى لا نأخذ من المشتركين رسوماً مقابل هذه الدورات. ولكن، للأمر جانب إيجابي أيضاً. فكون هذه الدورات مدفوعة الأجر يعطي الأمر أهمية وقيمة. وأنا اشتركت في المحاضرات الأولى، وأساتذتنا المشتركون كلهم على قدر ومكانة جيدة، وكانوا موفقين إلى حد كبير جدًّا".

وفي الاجتماع نفسه أخبر أردوغان أصدقاءه بما وصله من أخبار فقال: "إن حزب الوطن الأم قد بدأ من الآن استعدادته للانتخابات، ويعد الآن مقرًّا خاصاً من أجل إجراء عملية تحديد مرشحيه".

وفي تلك الأثناء توفي رئيس الجمهورية "تورغوت أوزال". وفي اجتماع بتاريخ 22 إبريل/ نيسان من العام نفسه، عبّر أعضاء الحزب عن مشاعرهم وآرائهم حيال "أوزال"، وامتدح غالبيتهم الرئيس التركي الراحل، وأعرب أحدهم عن ضيقه وانفعاله بقوله: "إذا كنا نحب أوزال كل هذا الحب ونقدره، فلماذا توزعنا في أحزاب سياسية أخرى؟ كان يجدر بنا أن ننضم لحزب الوطن الأم".

الشعب يختار رئيس جمهوريته

بعد وفاة الرئيس التركي "تورغوت أوزال" انشغلت الساحة السياسية بمسألة انتخابات رئاسة الجمهورية. فنظمت شعبة اسطنبول التابعة لحزب الرفاه لقاءً جماهيريًّا في حي (غازي عثمان باشا). وأطلق على هذا اللقاء عنواناً يتفق مع الرسالة التي يريد إبلاغها للمواطنين، وهو "الشعب يختار رئيس جمهوريته".

وينقل أردوغان إلى إخوانه موقف المركز العام لحزب الرفاه بشأن انتخابات رئاسة الجمهورية، فيقول: "إن حزب الرفاه لا يمكنه أن يؤيد سليمان ديمرال رئيساً للجمهورية لأنه يتحين كل فرصة للوقوف ضدنا. والأهم من ذلك أنه عندما يلتقي جنيرالات الجيش لا يخلو حديثه من كلام ضدنا.

ولكنني لا أرى أنه من الصواب أن نرشح "حسام الدين جين دوروك" لأننا نعارض "ديمرال". إذاً، ما هو الفرق بينهما؟ كلّ منهما مثل الآخر. إن "شوكت قازان" و"مليح غوكتشاك" اقترحا ترشيح "جين دوروك" بتعليمات من الأستاذ "أربكان" من دون أي مناقشة داخل المجلس الأعلى لإدارة الحزب.

لقد أخطأوا في حق الأستاذ "لطفي دوغان". إذ إن تراجعهم عن ترشيح الأستاذ "لطفي" وترشيح "جين دوروك" بدلاً منه أمرٌ أرى أنه لم يكن مناسباً مطلقاً. وأياً كان الأمر، فإنني أفضل الأستاذ "لطفي دوغان"، وأدعمه وأؤيده حتى النهاية...".

جهود وانتقادات ذاتية

انعقد اجتماع في 27 مايو/ أيار 1993م، وهو اجتماع خاص أُعد له سلفاً، يحتوي جدول أعماله على موضوع واحد فقط هو "أعمال هذه الفترة وجهودها والنقد الذاتي".

وعلى عكس الاجتماعات السابقة لمجلس إدارة شعبة اسطنبول، يفتتح الاجتماع بكلمة الرئِّس "أردوغان". ويستهل أردوغان كلمته بالتأكيد على أن تركيا تمر بمرحلة انتقالية، وأن حزب الرفاه يمر بمنعطف مهم. ووفقاً لما قاله أردوغان في هذه الكلمة، إنّ التفاعل والتقييم الجيد لهذه العملية الانتقالية سيجعلان حزب الرفاه قادراً على إحداث طفرة كبيرة، وسيمنحانه قدرات وطاقات ليدشن مرحلة جديدة في تاريخ تركيا. ولذلك ينبغي على كل واحد منا أن يعمل بجد واجتهاد من دون كلل أو ملل.

وبعد كلمته هذه يقترح برنامجاً للعمل فيقول: "على إدارة شعبة اسطنبول أن تعقد اجتماعاً مع مجالس إدارة حزب الرفاه في شعب اسطنبول في اثنتين وثلاثين مدينة. إذ ينبغي علينا أن نناقش معاً الأعمال التي سنقوم بها خلال الفترة القادمة، وأن نتوصل إلى قرارات محددة. ينبغي علينا في هذه الفترة أن نلتزم بالنظام والدقة إلى أقصى الحدود. يوجد بين أعضاء مجلس إدارة شعبة اسطنبول من لا يشاركون في اجتماعات الشعبة أو في أنشطة الشعب الأخرى أو من لا يراعون الدقة في تنفيذ المهام الموكلة إليهم، فسامحوني حين أقول لهم إنني انتقدهم في تقصيرهم.

إن السياسة عمل تطوعي، وما دمنا قد قبلنا العمل فيها طواعية وعن رغبة منا، وتحملنا مسؤوليات فيها؛ فعلينا عندئذ ألا نخون أماناتنا، فنقصر في ما عُهد إلينا من مهام، بل ينبغي علينا أن نضطلع بمسؤولياتنا ونؤدي مهامنا على أكمل وجه. ولو أن أحداً من بيننا لسبب من الأسباب يريد أن ينسحب من المهمة أو المسؤولية المسندة إليه فليعلن ذلك بصراحة اليوم في هذا المكان.

كما أنني أدعو إخواننا إذا كانت لديهم أي خلافات أو مشكلات معنا أو مع أي شخص آخر أن يتحدثوا في ذلك بكل وضوح حتى نقف على حقيقة الأوضاع بشكل واضح.

لقد أجرينا عدداً من التعديلات والتغييرات المهمة حتى يتسنى لنا خوض انتخابات 27 مارس/ آذار 1994م باستعدادات جادة وعزيمة قوية. وها قد بدأنا في أول هذه التعديلات بتغيير مسؤولي شعب الحزب في مدن اسطنبول. ولو سمحتم لي، فلن أطرح هذه القائمة الجديدة للنقاش. لأننا أعددنا هذه القائمة وراعينا فيها الأوضاع والاختلافات الموجودة بين مدن اسطنبول، وكذلك أخذنا بعين الاعتبار البدائل الأخرى كافة. وقد قررنا أن نبدأ هذه المرحلة الجديدة من العمل عقب العيد".

كان هذا الاجتماع هو الأخير الذي عقدته شعبة اسطنبول لمناقشة قضاياها الداخلية حتى تم إجراء انتخابات 27 مارس/ آذار 1994م. لأن أجواء الانتخابات كانت تداهم جدول أعمال الحزب، وتدفعه دفعاً نحو الخروج إلى العمل العام والساحة السياسية، ولم تسمح له بعقد اجتماع موسع بهذه الصورة بعد ذلك.

وبعد أن أنهى "الرئيس" كلمته طلب الحاضرون في الاجتماع الكلمة، وعبر كل منهم عن آرائه ومقترحاته ومنها ما قاله سلمان أسمرار: "إنكم تتحدثون عن مرحلة تستوجب العمل الشاق والمضني، وتتحدثون عن التضحية وبذل الجهد، ولكن لدي أسئلة لم أحصل على إجابتها إلى الآن. فعلى سبيل المثال، إنني لست مطمئنًا بالشكل الكامل إلى موضوع تفعيل دور المرأة في العمل السياسي. كما أنكم تقولون: نحن منفذون، نتلقى القرارات والأوامر، وأنتم ما عليكم إلا أن تعلنوا عن توجيهاتكم وتحذيراتكم. هذا الوضع يقلل من عزيمتنا على العمل. إنني أبحث عن تلك الروح الحربية التي كانت موجودة قبل عام 1984م".

مصطفى أيدينار: "إذا جئنا إلى هذا الاجتماع ونحن مستعدون، كان الأمر سيكون أفضل من ذلك. إنني أقترح على رئيسنا أن يقلل من ذهابه إلى الأناضول، ويخصص وقتاً أكثر لاسطنبول".

نجدت غوكتشينار: "لقد تعلمت هذا العمل الحزبي. وأرى (موجهاً حديثه لأردوغان) تغيراً وتبدلاً في تصرفاتك. فبعد موضوع مشاركة المرأة في العمل

السياسي خرج علينا الآن موضوع استخدام الموسيقى في المسيرات. فعلى الأقل كان يجب أن نستخدم موسيقى محلية".

حسين باسلي: "إن رجال السياسية يمضون دائماً خلف المجتمع وتوجهاته. وعندما ينهج حزب الرفاه هذا النهج، فإن المسافة بينه وبين المجتمع تزداد اتساعاً. فإدارة شعبة اسطنبول قد فقدت أصواتاً من داعميها بسبب إجراءات عديدة، منها مشاركة المرأة في العملية السياسية واستخدام الموسيقى.

أرى أنه من الواجب علينا أن نفكر بشكل أفضل وبأفق أكثر اتساعاً. ولكنني لا أعتقد أن إدارة اسطنبول بوضعها الحالي يمكنها أن تنجح في تحقيق ذلك. كما أننا الآن مخطئون من حيث المبدأ في مسألة (التنفيذ). فالأشخاص الذين يقومون بالعملية التنفيذية منذ فترة طويلة هم أنفسهم من دون أي تغيير. إن العمل بهذه الطريقة لفترة طويلة يجعل هؤلاء الأشخاص بمرور الوقت يصدرون ردود أفعال متشابهة ومتكررة إزاء الأحداث والمواقف، كما أنه يجعلهم يتأثرون بالوقائع بالدرجة ذاتها التي تأثروا بها من قبل؛ أي أن الأفكار تكرر بعضها بعضاً من دون تجدد أو تطور. ولذلك أرى أنه من المفيد أن يتم إجراء تعديلات".

علي طاشتيران: "أنا لا اتفق مع ما قاله حسين باسلي. ولنضرب مثلاً عن السفينة. فقبطان السفينة قد يغير أحياناً دفتها بسبب الأحوال الجوية. والمهم في هذا الأمر أن تصل السفينة إلى هدفها".

أوزدمير بيراقتار: "ينبغي علينا أن نرفع معدلات جودة أنشطتنا، وأن نطور الأنظمة المناسبة بشكل بناء. ولذلك نحن بحاجة الآن إلى مكان مناسب، لا يقل عن ألف متر مربع فضلاً عن وجوب الاهتمام بشكل قوي بمسألة الاتصالات والتواصل فهي مسألة مهمة للغاية في العملية الانتخابية".

إبراهيم أيشتشك: "سعدت بتطرق إخواني إلى هذه الموضوعات المهمة. وأعتقد أن هدف الجميع في هذه النقاشات هو: "كيف يمكن أن أكون نافعاً للدعوة؟".

خالد ديمرال: "كان هذا الاجتماع اجتماعاً جيداً، ولا أرى فيه أمراً يرقى إلى مستوى المشكلة".

محمد عاكف بيرام أوغلو: "إن بعض إخواننا صدموا عندما طرحت الآراء

المختلفة. وهذا خطأٌ. فهذا السلوك يمنعنا من التعبير عن أفكارنا، وعندئذ سأجد أنّه يتحتم عليّ أن أختار كلماتي وجملي حتى لا تُستخدم أقوالي ورقة ضدي بعد ذلك".

بكير صدقي البيراق: "يجب أن يعلم الذين يقولون إنهم يتبوأون مواقع متقدمة داخل الحزب أنهم ما وصلوا إلى ما وصلوا إليه إلا بفضلنا وتحت مظلتنا. فالله عز وجل يهب من يشاء بعض الوظائف والمهام. وليس لأحدٍ أن يشغل المناصب كافة ويقوم بالأعمال كافّة. إن حزبنا يعيش اليوم أفضل فتراته وعهوده. فكم شخصاً كان يمكنه أن يتحدث عام 1969 عن الموضوعات التي تحدثنا عنها اليوم؟ الحزب قد ربّى رجالاً له خلال هذه الفترة، وها هم اليوم يدافعون عنه ويناقشون قضاياه".

ويجري "أردوغان" تقييماً عامًّا يُنهي به الاجتماع ولكنه قبل ذلك يجيب عن تساؤلات بعض الأشخاص فيقول:

إلى صادق البيراق: "متى طلبت اللقاء بي ولم تجدني؟ ألم نلتقِ قبل خمسة عشر يوماً لمدة ساعة ونصف؟".

إلى حسين باسلي: "إن حزب الرفاه ليس وراء المجتمع يتلمس توجهاته ويندفع نحوها، بل يكافح من أجل أن يضفي على المجتمع شخصيته الحقيقية".

إلى أوزدامير بيراقتار: "إننا نسعى الآن للعثور على مكان جديد للحزب، وعندما ننتقل إليه ستكون لدينا شبكة اتصالات قوية، وسنتلافى مشكلة التواصل مع شُعبنا الأخرى في مدن اسطنبول".

* * *

كان "أردوغان" من ناحية يدير الأعمال في شُعب حزب الرفاه لمدينة اسطنبول، ومن ناحية أخرى يتابع بشكل دقيق شؤون بلديات اسطنبول، ويتبادل مع إخوانه الآراء والانطباعات الخاصة ببلديات مدن اسطنبول داخل اجتماعات مجلس إدارة شعبة اسطنبول:

"إن البلديات التابعة لنا وحدها فقط هي التي استطاعت جمع القمامة في أيام العيد".

"إن فيض الله في بلدية بجيلار يقيم علاقات طيبة وجيدة مع الشعب، وقد شرع أيضاً في إقامة مشروعات استثمارية".

"يقدم يحيى باشى خدمات جيدة إلى مواطنيه. ولكن لديه مشكلة في العلاقات العامة".

"هناك مشكلة إدارية في بلدية (باهتشيله أولار) فإخواننا هناك يسافرون خارج البلاد من دون أن يخبرونا، والأدهى من ذلك أنهم قد سافروا من دون أن يدفعوا مكافآت العيد التي قررنا أن تدفع لأصحابها قبل حلول يوم العيد".

"انتقلت بلدية طوزلا إلى مبنىً جديد خلال هذه الفترة القصيرة. إنها على علاقة طيبة مع المواطنين".

"ينبغي علينا أن نتعاون مع "عارف" في بلدية (كاغيت خانة)؛ فقد حقق خدمات ناجحة، وأرى أن نرسل له فريقاً محترفاً يسجل إنجازاته وخدماته بكاميرا الفيديو لنعرضها ونبرزها لأعضاء الحزب".

وتقترب انتخابات 1994م. ويرى "أردوغان" أن أفضل الدعايات وأكثرها تأثيراً ينبغي أن تكون الخدمات التي ستقدمها البلديات. كما يرى أن هذه العملية تطلب أن يتعلم مسؤولو البلديات ما يجهلونه عن إدارتها لتلافي أوجه القصور والأخطاء الإدارية.

إن "أردوغان" يجيد في الأساس عملية المتابعة. ورؤساء البلديات أصدقاؤه؛ إما في إدارة شعبة اسطنبول، أو عملوا معه في شعب اسطنبول الأخرى، وأيًّا كان وضعهم الوظيفي الجديد، فإن "أردوغان" بالنسبة لهم هو "الرئِّس". وبالإضافة إلى ذلك، يرى "أردوغان" ضرورة وجود ارتباط نوعي بين هذه البلديات. وقد سبق وأن شكل الحزب بداخله لجنة باسم لجنة الإدارات المحلية، تقوم بدورها في فترات محددة بدعوة رؤساء البلديات ومعاونيهم إلى اجتماعات محددة. وتنعقد معظم هذه الاجتماعات تحت إشراف "أردوغان".

وفي هذه الاجتماعات، يجد المشاركون فرصة لنقل تجاربهم إلى الآخرين، وتبادل الأفكار والمشروعات معهم، ومناقشة المشكلات التي تواجههم، والبحث عن سُبل لحلها.

وفي تلك الأثناء، بدأت مسألة الانتخابات تطرح نفسها بشكل متزايد في وسائل الإعلام. وأخذ اسم "أردوغان" يتردد على صفحات الصحف والمجلات.

ولم يكن يوم يمر من دون أن تتصل إحدى الصحف هاتفيًّا بأردوغان وتسأله

عن انتخابات 1994م وموضوع ترشحه فيها، كما تطلب رأيه في موقف المركز العام لحزب الرفاه في هذه الموضوع.

وكانت الصحافة تهدف إلى إعلام الرأي العام بآخر التطورات، غير أن ذلك لم يكن الهدف الوحيد بل كانت تسعى لإبراز الاختلافات المنهجية والخطابية الموجودة بين المركز العام لحزب الرفاه وبين شُعبته في اسطنبول باعتبارها اختلافات جوهرية وشرخاً عميقاً في البنية الفكرية للحزب.

ويدرك أردوغان أن تلك الصورة التي تسعى الصحافة لتقديمها إلى الرأي العام ستضر ضرراً بالغاً بحزب الرفاه خلال العملية الانتخابية. ورغم ذلك، لم يكن أردوغان يتهرب بأي صورة من التعليق على التطورات والتعبير عن أفكاره. وكان دقيقاً إلى أقصى درجة في بياناته وتصريحاته، وواعياً إلى الأسئلة الملتوية التي توجه له، والشراك التي تنصب له. فعلى سبيل المثال، أجاب على أحد الصحفيين حين سأله عن علاقته "بأربكان"، فقال: "حتى لو كان قرار أستاذي أربكان مخالفاً لما أعتقد به فإنني أطيعه وأنفذه".

وفي تلك الأيام، كتبت الصحافة أن بعض الشخصيات مثل "عبد القادر أقصوي"، و"علي جوشقون"، و"جميل تشتيشاك"، و"كوركوت أوزال" سينضمون إلى حزب الرفاه، وأن أردوغان يعارض انضمامهم. فأعلن أردوغان أن ما كتبته الصحيفة ليس إلا محض شائعات، وأوضح الموضوع بقوله:

"أنا لا أعارض قطعيًّا انضمام السيد كوركوت أو غيره للحزب. ولست مع فكرة النظر بعين سلبية إلى الأشخاص ارتكازاً على مواقفهم القديمة. إن ما قلته كان بخصوص انضمام هؤلاء الأشخاص مباشرة إلى الهيئة التنفيذية للحزب. فالمهام التنفيذية تستوجب عمقاً وتراكمات محددة. وإلحاق المنضمين الجدد إلى الحزب إلى هيئته التنفيذية مباشرة أمرٌ غير صحيح، ويؤثر على حركية الحزب. كما أن النقطة الأساسية التي عارضتها في هذا الموضوع هي مسألة الصفقة. فأنا أنظر إلى الصفقات باعتبارها أمراً دنيئاً. والمشكلة الأخرى التي أريد التطرق إليها هي الأخبار التي تناولتها الصحف ولا سيما (حريت)، (صباح) ضد الثلاثي نجم الدين أربكان، وأوغور خان أصيل تورك، وشوكت قازان، وحول أنهم يقفون ضد مطلب اسطنبول في التجديد، وضخ الدماء الشابة في العمل السياسي. إن مثل هذه الشائعات تصب

جميعها في باب إشعال الفتن، ونحن لن نكون سبباً لهذه الفتنة".

وفي تلك الأثناء تم تنظيم مؤتمرات لحزب الرفاه في شُعبه باسطنبول كافة. إذ كان من الضروري أن تجري "عملية تجديد داخل شعب الحزب كلها قبل الانتخابات. وكان لهذا التغيير هدفٌ أبعد؛ وهو تقوية الشعب الضعيفة، وبث الروح والحيوية داخل شعب الحزب.

وكلما اقترب الوقت تبدأ أسماء المرشحين المحتمل توليهم رئاسة شعب الحزب في شعبة اسطنبول المركزية وشُعبها في المدن الأخرى في الظهور.

وقبل تحديد أسماء المرشحين، أو الإعلان عن الأساليب التي ستُتخذ لذلك بدأ اسم "أكرم أردام" يتردد بين شُعب مدن اسطنبول على أنه أفضل مرشح.

وفي الوقت الذي تتواصل فيه أنشطة شُعبة اسطنبول وجهودها لعقد المؤتمرات في شعب مدن اسطنبول، وللتحضير للانتخابات، يقترب موعد عقد المؤتمر الكبير لحزب الرفاه.

وخلال تلك الفترة تم الانضمام الفعلي "لكوركوت أوزال"، و"جميل تشيتشاك"، و"عبد القادر أقصو"، و"علي جوشقون" إلى الحزب.

وفي هذا الإطار، يحمل الاجتماع الذي عقدته شُعبة اسطنبول في الثاني من أكتوبر/ تشرين الأول عام 1993م أهمية كبيرة سواء أكان ذلك على مستوى التطورات اليومية أو من حيث مستقبل حزب الرفاه ومستقبل أردوغان.

وفي هذا الاجتماع، تم طرح ترشيح أردوغان رسميًّا لرئاسة بلدية (اسطنبول الكبرى)، وتم ربط القرار بموافقة المشاركين كافة. وفي ما يلي بعض هذه المشاركات:

بدأ الاجتماع برنامجه بكلمة "أكرم أردم". وأوضح فيها بعض التطورات التي حدثت في الاجتماع الأخير الذي عقدته الهيئة العليا لإدارة حزب الرفاه، وكذلك الأحداث التي وقعت بعد ذلك:

"خلال الاجتماع الذي عقد في محافظة (أردم) تم توزيع قائمة تتعلق بالشخصيات التي انضمت حديثاً إلى الحزب. ورغم أن أحمد تاكدال قال إن هذه القائمة قد وزعت على غير علم منا، وإنها تستخدم اسم أستاذنا أربكان إلا أن القائمة توضح أن "جميل تشيكشاك" سيكون مرشحاً لرئاسة بلدية أنقره، و"علي

جوشقون" لرئاسة بلدية اسطنبول، وبرهان أوزفاتوره لرئاسة بلدية بورصة، ووهب أوغول لرئاسة بلدية صامسون. ورغم أن "علي جوشقون" يتم التفاوض معه منذ فترة طويلة ليكون مرشحاً لرئاسة بلدية اسطنبول إلا أنه لن يتمكن من ذلك، وهو ما أوضحه بنفسه في حوار أدلى به إلى مجلة (نقطة).

وبعد هذا الاجتماع اتصلت هاتفيًّا بالسيد أوغوز خان، ونقلت إليه انزعاج شُعبة اسطنبول، ورأيها بشأن علي جوشقون. فشكا إليَّ قائلاً: إنكم تسعون لتقديم مرشحٍ من تلقاء أنفسكم. فأوضحت له أن شيئاً من هذا لم يحدث، ثم سألته عن سبب إرساله رسالة إلينا يقول فيها: سنهدم إمارة اسطنبول، فأجابني قائلاً: ألا تعلم أنني لا يمكن أن أقول شيئاً كهذا؟

وقد التقى السيد أردوغان أيضاً الأستاذ أربكان في لقاء خاص بشأن "علي جوشقون" وقال أربكان إنه سيأمر بإجراء استقصاء رأي من أجل بلدية اسطنبول، غير أن "علي جوشقون" لم يتحمس لذلك الرأي".

قوتش: "إن إبرام الصفقات الانتخابية أمر غير مقبول أبداً. ولا أعتقد أن "علي جوشقون" سيضيف أصواتاً انتخابية إلى حزب الرفاه، وكذلك لا أعتقد أن كوركوت أوزال سيكون مفيداً. إن القاعدة الحزبية في اسطنبول ترى في أردوغان المرشح الأنسب لرئاسة البلدية، وأنا أيضاً أعتقد ذلك".

بكير صدقي البيراق: "إن مسألة كوركوت أوزال و"علي جوشقون" ليست مسألة جديدة، فإدارة الحزب تبحث في هذا الأمر منذ مدة طويلة. وكنا نحاول ضبط هذه المباحثات والوصول إلى وضع مقبول. إلا أن ما كنت أخشاه قد وقع بالفعل. فأنا لا أفهم معنى ترشح كوركوت أوزال ووهبي جول لرئاسة البلديات".

خالد ديمرال: "أنقل إليكم آراء شعبة مدينة (شيشلي)، إنها ترغب في ترشح أردوغان لرئاسة بلدية اسطنبول، بل وتقول إنها لن تقوم بلصق "بوسترات" أي مرشح آخر غير أردوغان. وأرجو أن تسمحوا لي أن أذهب إلى المركز العام في أنقره لأبلغهم بما قلته لكم الآن".

حسن يلمازار: "إنهم ينضمون الآن إلى حزب الرفاه لأنه أصبح قوياً. أنا لا يمكنني أن أقبل أن يترشّح الآن باسم حزبنا أولئك الذين احتقروا حزبنا أعواماً طويلة وسخروا منه".

مصطفى أيدينار: "إن العمل في البلدية يقوم على أكتاف كوادرها. فحتى وإن أصبح جوشقون رئيساً للبلدية، فمن هم الذين سيعملون معه ويشكلون كادره؟ على أيّ حال، إن هذا الوضع سيزعج أكثر ما يزعج أستاذنا أربكان. إن أردوغان هو مرشحنا".

آلطان باوز: "إن سبب هذه المشكلات جميعها هو أن حزب الرفاه في وضع سيمكنه من الفوز ببلدية اسطنبول. وما لم يحصل الحزب على اسطنبول، فإن الفشل سيكون حليفه حتماً في بلديات محافظات الأناضول. لعل أستاذنا أربكان لا يريد الفوز في اسطنبول في هذه المرحلة. ينبغي علينا أن نسأله: هل تريد الفوز باسطنبول أم لا؟ فإذا كنت تريد ذلك فلتترك الأمر لشعبة اسطنبول لتختار مرشحها بنفسها".

محمد علي برتقال أوغلو: "حتى وإن فزنا ببلدية اسطنبول من خلال علي جوشقون، فإنها ستكون بلدية معارضة لنا".

محمد علي بيرام أوغلو: "لقد تأخرنا كثيراً في بحث هذا الموضوع. إن ما ينبغي أن نفكر فيه هو: هل وصل حزب الرفاه إلى الوضع الذي وصل إليه على أيدي هذه الشخصيات؟".

وبعد هذه الكلمات يعاود "أكرم أردم" التحدث، فيقول: "إننا لسنا ضد انضمام هذه الشخصيات إلى حزبنا. ولكننا ضد أن يقولوا: ننضم إليكم ولكننا نريد كذا وكذا. والآن فالجواب الذي ردّ به الأستاذ أربكان على مجموعة كوركوت أوزال وعلي جوشقون كان في محله. فلو ترشح علي جوشقون بالفعل، فإن تأثير ذلك الترشح لن يتوقف عند بلدية (مدينة اسطنبول الكبرى)، بل سيمتد تأثيره إلى رئاسة بلديات مدن اسطنبول الأخرى، كما أنه سيؤثر في تحديد أعضاء البرلمان بعد ذلك. إن كل شخص ينضم لحزبنا من الخارج غريبٌ علينا، ولم نجربه ويُعتبَر خطراً دفينا. كما أن عدم ترشح أردوغان سيؤثر سلبيًّا على منطقة الأناضول، حيث إن اسم أردوغان يمثل دينامية وحيوية لدى شُعب حزب الرفاه كافة".

ويستمع "أردوغان" إلى كل هذه الحوارات والمناقشات في هدوء وصمت، ثم يتكلم قائلاً:

"بالنسبة لي، هذه المسألة لم تكن في أي وقت من الأوقات مسألة شخصية؛ إنها مسألة مبدأ. فإنني حتى هذه اللحظة سبق لي وأن ترشحت ثلاث مرات. ولم

أخشَ في أي منها قطّ أن أكون مرشح حزب الرفاه في بلديات ومناطق فرصة الفوز فيها تكاد تكون معدومة، بينما كان بعض الأشخاص يتهرّبون من الترشح فيها. إذاً، لماذا ترشحت؟ لأن أستاذي أربكان قال أنت المرشح".

التقيت أستاذي أربكان، وعبرت له عن أفكاري بشكل واضح. ونقلت إليه آرائي وآراءكم بشأن علي جوشقون، وعلمت أن السيد جوشقون لا يقبل بموضوع استقصاء الرأي، ورفض كذلك الترشح لمنصب نائب رئيس البلدية.

وعلمت أن صحيفتي (تركيا) و(زمان) تقولان إن جماعة السليمانيين(*) وجماعة النور وعدداً من الجمعيات الإسلامية تقف خلفنا وتساندنا.

في الحقيقة، إن هذا الوضع يزعج أيضاً الهيئة العليا لإدارة الحزب، لأن هذه اللقاءات تجري عبر شخص أو شخصين فقط.

يقول علي جوشقون: "سيصبح موقفي موقف الذليل إذا لم أخرج فائزاً في استقصاء الرأي".

إذاً، ماذا سيحدث لنا؟ فنحن نعمل في هذه الحركة منذ نعومة أظفارنا، وأنا رئيس لشعبة اسطنبول منذ عشر سنوات تقريباً. والآن يقولون لي سنجري استقصاء رأي، وستدخل في منافسة مع شخص انضم حديثاً إلى الحزب، ونحن لا نصف ذلك بأنه مذلة لنا. ونقول يقدر الله الخير دائماً".

* * *

وإذ تتواصل التطورات المتلاحقة الخاصة بالاستعداد لانتخابات 27 مارس/ آذار 1994م كان موعد المؤتمر الكبير لحزب الرفاه يطل برأسه منذراً باقترابه.

وفي هذه المرحلة، تتبلور المخاوف من أن يقوم المركز العام للحزب بتجاهل رغبة شعبة اسطنبول في تحديد مرشحها بنفسها. وما يعزز هذه المخاوف أن شعبة اسطنبول ليست ممثلة بالقدر الكافي داخل الهيئة العليا لحزب الرفاه، فضلاً عن الاعتقاد السائد بأن المركز العام لا ينظر بارتياح إلى شعبة اسطنبول.

(*) جماعة السليمانيين: تُنسب جماعة السليمانيين في تركيا إلى مؤسسها الشيخ سليمان حلمي طوناخان. وهي طريقة صوفية نقشبندية انتظمت في شكل جماعة تهدف إلى تربية الأطفال والشباب على المفاهيم الإسلامية وتحفيظ القرآن وتعليم اللغة العربية. وتعمل في شكل مؤسسات مجتمع مدني تقدم خدمات طلابية ترعى طلابها من الناحيتين العلمية والدينية. وقد حققت انتشاراً واسعاً في عموم أنحاء تركيا وخارجها من خلال مناهجها ومؤسساتها الناجحة.

وينعقد الاجتماع الدوري لحزب الرفاه في 10 أكتوبر/ تشـرين الأول 1993م. وكان من أبرز التطورات اللافتة في هذا المؤتمر اختيار شخصيات منها: "عبد الله غول"، و"أردوغان" لعضوية الهيئة العليا لحزب الرفاه. أما التطور الثاني المهم فكان الكلمـة التـي ألقاهـا "نجـم الديـن أربكان" في المؤتمر بصفته الرئيس العام للحزب. ففي كلمته هذه استخدم "أربكان" خطاباً ديمقراطيًّا مدهشاً، ولم يكن متوقعاً بشأن القضايا التي تشغل الساحة التركية في تلك الأيام، ويُعد ذلك الخطاب أيضاً طفرة في تاريخ حركة الفكر الوطني. ومما جاء في كلمته: "ينبغي أن يُتاح لكل شخص أن يتحدث بلغته الأم". إن تعبير "أربكان" الصريح عن مطالب مجموعات وجمعيات هامشية يعد تطوراً مهمًّا بالنسبة لتركيا في ذلك الوقت. غير أنه ينبغي قراءة ما وراء هذه التطورات قراءة واعية.

فعند النظر إلى بعض التطورات التي ظهرت في الماضي، وكذلك إلى النزاعات التي شهدتها العلاقة بين شعبة اسطنبول برئاسة أردوغان وبين المركز العام للحزب، نجد أن مجرد القول إنّ ثمة بعض الضغوط قد دفعت "أربكان" إلى استخدام مثل هذه اللغة قولٌ له ما يؤيده ويدعمه.

فبالرغـم مـن أن حركـة الفكـر الوطنـي تبـدو من الخارج وحدة واحدة لا تقبل التجزئـة، إلا أنهـا فـي الحقيقـة بنـاءً سياسـيًّا يضم بداخله أفكاراً وسياسـات متباينة، ومفاهيم لا تنسجم مع بعضها البعض.

كانت الإدارة العليا لحركة الفكر الوطني تتألف من أشخاص يُقدّسون الطاعة العميـاء لتعليماتهـا، ويعجـزون عـن تحمل الأفكار المعارضة، وتسـتنكف نفوسـهم المسائلة. بيد أن هذه البنية لم تخلُ من تيار يرفض المواقف القمعية التي يتخذها المركـز العـام، وينهـج نهجـاً أكثـر تحرّراً، ويولي أهمية كبرى للشـورى، وينفتح عن العالم الذي يعيش بداخله.

ويمثل هذا التيار أردوغان وشعبة اسطنبول التي يترأسها. ورغم أن هذا التيار قد تعرض كثيراً للقمع والتضييقات، إلا أنه استطاع أحياناً القيام ببعض المناورات الناجحـة مثلمـا حـدث فـي مؤتمـر 1978م، وهـو الآن سـيصبح ذا كلمة داخل إدارة الحزب، وسيصبح في وضع يمكنه من الإعلان عن خطابه الجديد.

إن تغيـر الأسـلوب الخطابـي لأربـكان يعكـس ملامـح مرحلـة جديـدة تعـج

بالتطورات المتلاحقة في العالم وتأثيراتها. وإن إعداد المتن الذي قرأه أربكان من قِبَل مجموعة معروفة بقُربها من أردوغان يعد أحد ملامح هذه المرحلة التي نتحدث عنها.

* * *

انتهى المؤتمر الدوري لحزب الرفاه على النحو الذي كان متوقعاً له. وشرعت أجواء الانتخابات تطغى على الساحة السياسية. وفي الاجتماع الذي عقد بتاريخ 6 نوفمبر/تشرين الثاني 1993م تمّت الموافقة على القرارات المبدئية ولائحة العمل الصادرة بشأن تحديد المرشحين لرئاسة بلديات المدن. وعليه تشكلت ثماني فرق داخل مبنى شعبة اسطنبول تتألف كل منها من خمسة أشخاص، وأصبح كل فريق منها مسؤولاً عن عدد من مدن اسطنبول. وحسب خطة زمنية محددة تعقد هذه الفرق اجتماعات تشارك فيها أيضاً شعب الحزب في الأحياء الموجودة داخل المدن التابعة لها، ثم تُقدم هذه الفرق إلى رئاسة شعبة اسطنبول ثلاثة أسماء يتم تحديدها عن طريق التصويت والشورى.

ورغم أن هذه الانتخابات كانت تخص أردوغان بشكل مباشر، إلا أنه كان إلى جانب اهتمامه بها يتابع أيضاً عن كثب تطورات العملية الانتخابية في المناطق الأخرى من تركيا، ويخبر بها أعضاء مجلس الإدارة. حيث يقول: "إن حزب الرفاه وحده اليوم يغطي بشكل كامل منطقتي شرق تركيا وجنوبها الشرقي. وكل مرشح لا ينتمي لحزب الرفاه يفكر كثيراً قبل أن يترشح في هاتين المنطقتين. فالكلمة التي ألقاها الأستاذ أربكان في مؤتمر الحزب قد قوبلت بحفاوة بالغة في تلك المنطقة، حتى إن المحافظات كافة هناك تتمنى دعوة الأستاذ أربكان وزيارته لها:

"أيها الإخوة! ينبغي أن نكون منفتحين ومرحبين بكل مشاركة. ولكن، يجب ألا نرحب بأصحاب المآرب الخاصة، فعليهم أن ينضموا إلى الحزب في البداية، ويصبحوا ضمن أعضائه، ويشاركوا في أعماله. وإن الحزب يقيّم كل أعضائه وما أنجزوه من نجاحات، ويثمن قدرات كل منهم.

إن التوجه السياسي لرئيس البلدية ينبغي أن يكون توجهاً قويًّا من حيث المبدأ. أما الشؤون الإدارية للبلدية فينبغي أن يضطلع بها نواب الرئيس؛ إذ ينبغي أن يكون هؤلاء أهلاً لهذا العمل. وإلا أصبحنا دُمى في أيدي موظفي البلدية.

وعلـى أولئـك الذيـن يريـدون أن يصبحـوا مرشـحين ولـم يفلحوا في ذلك ألا يغضبـوا وألا يرحلـوا. فيمكننـا تصورهـم كأعضـاء فـي البرلمان أو في منصب نائب رئيس بلدية. وينبغي علينا أن نبذل جهودنا للبحث عن شخصيات محبوبة نرشحها لعضوية المجلس. فلننفتح على الخارج، ولنتخلص من عزلتنا وإحجامنا هذا".

وينعقد مجلس إدارة شُعبة اسطنبول انعقاداً طارئاً هذه المرة في نوفمبر/ تشرين الثانـي 1993م. وتكـون القضيـة الأولـى مـن جدول أعماله هي مسـألة الهجوم الذي قام به حزب العمال الكردسـتاني على شُـعب حزب الرفاه في منطقة جنوب شـرق تركيـا. ويلخـص أردوغـان الوضـع، فيقول: "يولي حزب العمال الكردسـتاني أهمية كبرى للانتخابات المحلية. فإنه عندما يفوز برئاسـة عدد كبير من البلديات، يكون رجاله في وضع يؤهلهم للتفاوض مع الدولة التركية، ويستخدم ذلك الوضع كورقة ضغط لصالحه. أي أنه يخطّط لمخاطبة الدولة خطاباً رسـميًّا، واكتسـاب نوعٍ من المشـروعية. غيـر أن حـزب الرفـاه قـد تعـززت مكانته في تلـك المنطقة بعد الكلمة التي ألقاها أربكان في مؤتمر الحزب، وهو ما أضعف خطته فشرع يناوشنا ويعتدي على مقارّ حزبنا".

أما المادة الثانية من جدول الأعمال فكانت تتعلق بمراجعة أسماء المرشحين الواردة من شُعب مدن اسطنبول وتقييمها.

وفـي التصويـت الـذي أُجِـريَ داخـل 32 شُـعبة مـن شُـعب حـزب الرفـاه فـي محافظة اسطنبول من أجل اختيار مرشحها لرئاسة بلدية (مدينة اسطنبول الكبرى) فاز أردوغان بعدد 3308 أصوات من مجموع 3993 صوتاً.

وعليه تم اتخاذ قرار بإرسال هذه النتائج إلى المركز العام لحزب الرفاه.

وفي هذا الاجتماع تم تقييم الجهود المبذولة من أجل اختيار مرشحي رؤساء بلديات مدينة اسطنبول، وإجراء التعديلات على بعض الشخصيات الواردة من هذه الشُعب، وقبول الأسماء الأخرى كما هي.

واكتملت هذه الجهود في الأيام الأولى من شهر ديسمبر/ كانون الأول 1993م. وذهـب أردوغـان إلـى أنقـره ومعـه رئيس شـؤون الانتخابات، والأمين العام لشُـعبة اسطنبول، ورؤساء شُعب الحزب في اسطنبول. وهناك التقى شوكت قازان، وقدم له قائمة المرشحين لرئاسة البلديات.

وعقب هذه الزيارة بدأ المركز العام للحزب في الإفصاح تدريجيًّا عن أسماء المرشحين لرئاسة شعب الحزب في اسطنبول، ولكن من دون أي تصريح أو بيان يتعلق بالمرشح لرئاسة بلدية (اسطنبول الكبرى).

وأمر المركز العام بإجراء استطلاعات رأي عديدة الواحدة تلو الأخرى؛ فإذا بها جميعاً تصب بقوة لصالح أردوغان، ويفوز فيها بأغلبية ساحقة. وتكشف استطلاعات الرأي عن أن 70 بالمئة من الذين سيعطون أصواتهم لحزب الرفاه سيصوتون لصالح أردوغان، فيما سيصوت 30 بالمئة لصالح مرشحين آخرين. فضلاً عن أن نسبة الذين يعرفون أردوغان حسب هذه الاستطلاعات قد بلغت أيضاً 70 بالمئة، بينما لم تتجاوز نسبة الذين يعرفون "علي جوشقون" 22 بالمئة.

عليكم بالتوبة

تسيطر على شُعب حزب الرفاه في اسطنبول حالة من الانزعاج والقلق بسبب عدم إعلان المركز العام لحزب الرفاه حتى الآن اسم أردوغان كمرشح لرئاسة بلدية (مدينـة اسـطنبول الكبـرى). وإلـى جانب اسـتطلاعات الرأي التـي أمر المركز العام بإجرائها، قام أيضاً "أحمد البيراق" بإجراء استبيان خاص امتاز بالدقة لاستطلاع رأي المواطنين في اسـطنبول. وظهرت نتائج هذا الاسـتبيان مؤكدة بشـكل أقوى وأكثر تفصيـلاً مـن نتائـج اسـتطلاعات الـرأي التـي أجريت من قبـل المركز العام. ورغب "أحمد البراق" و"أحمد أرغون" في تقديم هذه النتائج إلى (أنقره) وبمعنى أدق إلى "أربكان"، فأجريا لقاءات مع "سليمان عارف أمره"، و"شوكت قازان"، و"أوغوز خان أصيل ترك"، وطلبا اللقاء مع "نجم الدين أربكان" الرئيس العام لحزب الرفاه، فحُدِّد لهما موعد للقاء، وذهبا إلى (أنقره).

ويتذكـر "أحمـد أرغـون" تفاصيـل ذلـك اللقـاء لحظـة بلحظة، حيث وصفه بأنه لقاء لا يمكن أن ينسى، فيقول:

"كنا قد اتفقنا قبل أن ندخل على أربكان على ما سنعرضه عليه، وكان "أحمد البيراق" سيقوم بذلك، إذ إنه الشخص الذي أمر بإجراء استبيان الرأي العام، ومن ثم كان أفضل من يمكنهم شرح تفاصيل ودقائق نتائج هذا الاستبيان. غير أننا عندما دخلنـا علـى أربـكان، جلسـت فـي مكانٍ قريب من الأسـتاذ "أربـكان"، ولذلك حتّم الوضع عليَّ أن أفتح أنا الموضوع. ولله الحمد كنت أعرف الموضوع بشكل جيد، وكنت قد حفظت نتائج هذا الاستبيان والتفصيلات المتعلقة به. فبدأت في الحديث، وأخذت أشرح لمدة نصف ساعة من دون توقف نتائج الاستبيان والأسباب الموجبة لترشيح "أردوغان" لرئاسة بلدية (اسطنبول الكبرى). أنصت الأستاذ "أربكان" إلى حديثـي فـي هـدوءٍ، ولـم يقاطعنـي قـط. وتحدث في كل نقطة تسـتوجب الحديث. وعندمـا تيقنـت مـن أنـه لـم يتبـقَ لديّ شـيء أوضحه توقفت عن حديثي. وشـعرت

بارتياح كبير لأنني قلت كل ما يحمله صدري.

سـألني الأسـتاذ: "هل أنهيت حديثك؟". فقلت: "نعم يا أسـتاذي، وهذا من فضلكم عليَّ".

ويبدو أن تعبير "من فضلكم عليَّ" قد راق للأسـتاذ ولقي لديه قبولاً حسـناً، حيث افتر ثغره عن ابتسـامة قصيرة لا تخطئها الأعين. وعلى أيّ حال، لا أعرف، لعلني أنا الذي شعرت بذلك. فقد تمتم بينه وبين نفسه قائلاً: "الآن!! من فضلكم عليَّ..." ثم قال: "نعم من فضلنا عليكم".

كان بادياً عليه السـكون حتى هذه اللحظة، ولم أسـتطع تفهم ذلك السـكون، حتى إنني بدأت أشعر بالقلق والاضطراب فأخفضت رأسي أمامه بأدب، فقد كنت لا أجرؤ على أن تلتقي عيناي عيني أستاذي "أربكان".

وتنحنح الأستاذ خفيفاً ثم قال: "أخي العزيز... ". وفي تلك اللحظة قلت في سـرّي: "يا الله! انتهينا". وشـعرت بأن السـماء قد أطبقت علينا، وحاولت أن أرفع رأسـي وأنظر إلى وجهه. ولم يكن الغضب الذي تحمله نبرات صوته مختلفاً عن نظرات الاشمئزاز والضيق التي تعبر عنها عيناه.

ثم قال:

"بأي حق تقومون بمثل هذه الاستبيانات من دون إذن مني ومن المركز العام للحزب. من أعطاكم الحق لتسـألوا الناس وتسـتنطقوهم باسـم حزبنا. هل تظنون أنفسكم بلطجية؟ من أنتم؟! ألا تعرفون أنكم بسؤالكم الناس هذه الأسئلة من دون إذننـا قـد أكلتـم حقـوق العبـاد؟ عليكـم أن تتوبـوا الآن. بل إنّ التوبة أيضاً لا تكفي. اذهبـوا وابحثـوا عـن هـؤلاء النـاس الذين وجهتم إليهم الأسـئلة واطلبوا منهم العفو واحداً واحداً...".

كان رد فعلـه صادمـاً حقًّـا، وأطلـق للسـانه العنـان يقذف بـه من ألفاظ التوبيخ والتقريـع القاسـية. وكنـت آنـذاك لـم أسـمع فـي حياتي توبيخاً بهـذه الطريقة وعلى هـذه الدرجـة. فقمنـا وقـد أخذتنـا الصدمـة كل مأخذ، واحتقنت الدماء في وجوهنا، وانصرفنا".

خـرج أعضـاء الوفـد مـن حضـرة "أربـكان"، واسـتقلوا سـيارتهم وعـادوا إلى اسطنبول. وفي الطريق تنبهوا إلى أنهم نسوا التقرير الذي كان معهم لدى "أربكان"

مـن هـول الصدمـة؛ فقالـوا لبعضهـم البعض والأمل يحدوهـم إنه ربما يجد أربكان التقريـر فيقـرأه بهـدوء، ويـدرك أن الطريـق التي سـلكها ليسـت بالطريق الصحيحة، ويتخذ قراره بأن أردوغان هو المرشح الأنسب لرئاسة بلدية اسطنبول الكبرى.

* * *

لـم يكـن "أردوغـان" شـخصاً يتـرك أعمالـه وأحوالـه في انتظار قـرارات مهمة بشـأنه. فالأمر يقتضي منه في الوقت ذاته تحديد المرشـحين لرئاسـة 32 بلدية في اسطنبول وكذلك أعضاء مجالس إدارتها، وفضلاً عن هذا كله، إنّ "أردوغان" بحكم رئاسته لشعبة اسطنبول في الحزب مكلف بإدارة العملية الانتخابية في مدن اسطنبول كافة، حتى وإن لم يكن مرشحاً لرئاسة بلدية (اسطنبول الكبرى).

ورغم أن الأسـتاذ "أربكان" لم يتوصل إلى قرار بشـأن المرشـح لرئاسـة بلدية (اسـطنبول الكبـرى)، إلا أنـه كان يتصـل أحيانـاً بأردوغـان رئيس شـعبة اسـطنبول، ويستفسر عن آرائه في ما يخص مدينة اسطنبول.

وفجأة، دق هاتف السيارة، وكان المتصل هو "أربكان" الرئيس العام للحزب، فقـال أردوغـان لسـائق السـيارة: "توقـف علـى جانـب الطريـق حتـى لا ينقطع خط الهاتف". ثم قال:

- أستاذي، تفضل...

- برأيـك هـل نرشـح "خيـر الديـن ألمـاس" أم "يلمـاز بليـات" لرئاسـة بلديـة (أسكودار)؟ أنا لا أريد اسماً ثالثاً.

- أسـتاذي، إن "خيـر الديـن ألمـاس" ليـس معروفاً داخل شُـعبة (أسـكودار)، وأرى ألا يضيع الوقت في هذه الفترة الحرجة من أجل التعريف به. كما أن السيد يلماز غير مؤهل...

- قلـت إننـي لـن أسـألك عـن اسـم ثالث. إذا لم تسـتطع الاختيـار بين هذين الشخصين، فإننا نحن الذين سنقرر الأمر...

- حسناً، فليكن يا أستاذي "يلماز بليات".

- على بركة الله.

فالتفـت "أردوغـان" إلـى "حسـين باسـلي" الذي يجلس إلـى جواره، وقال له: "ها قد رأيت، إنه يضطرنا للاختيار بين اثنين".

وكان "حسين باسلي" أحد المرشحين الذين اقترحتهم شعبة اسطنبول لرئاسة بلدية (أسكودار) في القائمة التي تم إرسالها إلى (أنقره). فقد كان واضحاً أن المركز العام (بأنقره) قد استبعد أسماءً كانت مدرجة في القائمة.

وبينما كانت السيارة تتقدم بهما نحو كوبري اسطنبول، قال "أردوغان" لحسين باسلي: "يقدر الله الخير، لا تتضايق. يبدو أن ذلك الترشح من نصيب يلماز". ثم اقترح عليه اقتراحاً بقوله: "إذا تم الإعلان عن ترشحي لرئاسة بلدية اسطنبول الكبرى، فهل تقبل بأن نعمل معاً؟".

ولم يتردد "حسين باسلي" ولو للحظة واحدة، وقبل اقتراح الرئيس أردوغان. ومنذ ذلك اليوم بدأت صداقة طويلة ممتدة حتى اليوم...

* * *

لم يبقَ سوى يوم واحد فقط لانتهاء فترة الإعلان عن المرشحين لخوض الانتخابات في 27 مارس/ آذار 1994م. وتوجه "أردوغان" إلى مطعم (مرمرة الزرقاء) في حي (فلوريا) للمشاركة في أمسية نظمها أهالي محافظة (ريزه). وبينما كانت السيارة تمر من شارع (أقدنيز) للتوجه نحو شارع (وطن)، دق هاتف السيارة، وكان الاتصال من المركز العام فانتبه كل من في السيارة؛ حيث إنهم كانوا ينتظرون خبر ترشح أردوغان. وحدث أن انقطع خط الهاتف أكثر من مرة، ثم اتصل المركز العام مرة أخرى. وفي هذه المكالمة تلقى أردوغان خبراً مفاده أن موضوع ترشحه لم يتم البت فيه حتى الآن. ففارت الدماء في عروق أردوغان وحاول عدم إبداء غضبه وواصل طريقه.

وصل الجميع إلى المطعم بعد فترة صمت طويلة خيمت عليهم طوال الطريق. ولم يكن أردوغان في حالة نفسية تسمح له بالابتهاج والسرور مع الحاضرين والتبسم في وجوههم. وما هي إلا دقائق معدودة قد لا تتجاوز خمس عشرة دقيقة حتى انصرفوا من المطعم. وبينما هم يركبون السيارة دق الهاتف مجدّداً. وخلال المكالمة الهاتفية أخذ التوتر الذي كان يعلو وجه أردوغان يتلاشى تدريجيًّا؛ فاستبشر الجميع خيراً. وعندما أنهى المكالمة موجهاً الشكر لمحدثه ألقى أردوغان على أصدقائه البشرى التي ينتظرونها، بقوله:

- الحمد لله.

- هل الأمور على ما يرام يا "ريِّس".

- نعم إنها على ما يرام إن شاء الله. لقد كان المتصل هو أحمد تاكدال، وقال لي بالتوفيق إن شاء الله.

ركب الجميع السيارة، وتحركوا نحو شُعبة اسطنبول في حي (طوب قابى)، وفي الطريق انتبهوا إلى أن السيارة لا يوجد بها وقود كافٍ، فتوجهوا نحو حي (يادى قوله)، ودخلوا محطة البنزين الموجودة هناك. وبمجرد أن توقفت السيارة نزل "مصطفى آطاش" الذي يجلس إلى يسار الريِّس أردوغان، وتوجه مسرعاً نحو باب السيارة المجاور لأردوغان، وبينما كان يغلق بيده اليسرى أزرار سترته كان يفتح بيده اليمنى باب السيارة ويقول:

- تفضل سيدي "الرئيس".

- خيرٌ؟ ماذا في الأمر يا "مصطفى"؟

- ألست مرشحاً لرئاسة بلدية (اسطنبول الكبرى)؟ إننا نبدأ منذ الآن وفعليًّا حملة الدعاية الانتخابية.

فاستجاب أردوغان ونزل من السيارة. ونادى "مصطفى آطاش" العاملين في المحطة وقال:

- أيها الإخوة، أقدم لكم السيد "رجب طيب أردوغان" المرشح لرئاسة بلدية (مدينة اسطنبول الكبرى). إنه يعرب لكم ولكل أهالي اسطنبول عن حبه وتقديره البالغين.

نظرية الفراشة

زال التوتر والقلق بعد أن تقرر ترشيح أردوغان لرئاسة بلدية (مدينة اسطنبول الكبرى)، ولكن الأعباء والصعاب الحقيقية تبدأ الآن. فالوقت ضيق للغاية؛ وتراكمت الأعمال التي كان يجب إنجازها قبل ذلك بكثير، وذلك بسبب تأخير الإعلان عن المرشح حتى اليوم الأخير. بالإضافة إلى أن الفترة الأخيرة التي كان الجميع ينتظرون فيها الإعلان عن الشخصية المرشحة قد استنفدت الكثير من أعصاب أردوغان وطاقته النفسية.

وبعد يوم واحد من الإعلان عن ترشيح أردوغان، عكف أردوغان في أحد الفنادق بحي (سليفرى) مع مجموعة اختارها من أجل إدارة الحملة الانتخابية. وتألفت هذه المجموعة من "حسين باسلي"، و"نابي آنجى"، و"أوزكول آران"، و"علي إيبيش". وخلال ثلاثة أيام أمضوها هناك في الفندق كان عليهم مراجعة خطة الحملة الانتخابية. وكانت تلك فرصة لهم لاستعادة قواهم من أجل حملة انتخابية صعبة تنتظرهم.

ولست على يقين، هل كانت هذه المجموعة تدرك أنها تغرس بذور مغامرة على المستويين الحركي والفكري؛ لن تغير اسطنبول فقط بل ستغير مصير تركيا كلها؟

اجتمعت مجموعة الحملة الانتخابية، وطرح السيد "نابي" على الفور موضوعاً مدهشاً، فقال:

"سيدي الرئيس، في هذه الأيام ينام الناس ويستيقظون على نظرية جديدة. وأصل النظرية يعتمد على أنه ما من تطور صغير يحدث في بقعة من بقاع الأرض إلا ويمكن أن ينعكس على مناطق أخرى بمقاييس ومعايير مختلفة. وتتضح هذه الفكرة بمفهوم إدوارد لورنيز المعروف (بتأثير الفراشة)؛ وهو مفهوم يقول إنه يمكن لرفرفة الفراشة بجناحيها في الهواء أن تغير بعد فترة معينة حالة المناخ الجوي بأكمله.

وعندما نفكر في هذا الأمر نقول إن رفرفة الفراشة بجناحيها تؤدي إلى ذبذبة

هوائية لا نكاد نشعر بها. ولكن هذه الحركة المتناهية في الضعف تنمو ككرة الثلج كلما امتدت في الجو وتتحول إلى عاصفة في مكان ما لا نعرفه قد يبعد عنا آلاف الكيلومترات. ومن هذا المنطلق، تم تشبيه الأحداث الاجتماعية بتأثير الفراشة، فأحياناً يتصرف إنسانٌ تصرفاً ما، ثم يتحول هذا التصرف تدريجيًّا إلى حركة اجتماعية. ونحن أيضاً سنُقيّم الوضع الذي نحن فيه الآن بهذه الطريقة. فلا ينبغي أن نتناول العمل الذي نحن بصدده باعتباره فقط مسألة ترشح لإدارة محلية فحسب. فنحن نعجز عن معرفة الطريقة التي سينعكس بها هذا الوضع اليوم وغداً على تركيا والعالم كله. ولذلك سنضع في اعتبارنا ونحن نضع خطة حملتنا واستراتيجيتها انعكاسات خطواتنا وتأثيراتها على المستقبل".

ويواصل السيد "نابي" الحديث عن ذكرياته في ذلك اليوم فيقول: "كنت أشرح هذه الأمور للرئِّس أردوغان معتقداً بها ومتحمساً لها. ولكن، من ناحية أخرى، كنت أخشى أن يقول لي: "يا أستاذ! استمر في حديثك، ولكن ادخل صلب الموضوع. وأثبتت الأحداث والتطورات التي جرت بعد ذلك صحة وجهة نظري التي طرحتها في ذلك اليوم".

وفي تلك الأيام كانت مصطلحات مثل مصطلح "صناعة الصورة" منتشرة في تركيا، بل وكان يتم استقدام خبراء أجانب من أجلها. وعندما سألونا: ما هي (صورة) مرشحكم؟ وأي دور سيلعب؟ كنا نقول لهم بكل صدق واطمئنان إن مرشحنا "سيلعب دور شخصيته ذاتها".

وكان أهم مرتكزات الحملة الانتخابية هو "التميز" و"الإخلاص"، وكان علينا أن نبرز هذين العنصرين بشكل واضح. فمرشحنا يتميز عن المرشحين في هذه الانتخابات وفي الانتخابات السابقة، بأنه قد أتى من بيئة ووسط مختلفين، وصاحب تاريخ سياسي مختلف، ويمتاز بإدراك مختلف للإنسان والمجتمع، ويفكر بمنهج وأسلوب مختلفين، وله أهداف مختلفة.

أما الإخلاص، فهو في الأصل فضيلةٌ وخُلُقٌ يُعرف به أعضاء حزب الرفاه، ولا يحتاجون إلى بذل الجهد من أجل إظهاره للناس... فها هو إخلاص "رجب طيب أردوغان"، وإخلاص مجموعته، وتضحية أعضاء الحزب وإخلاصهم... إخلاصٌ لا تُخطِئه عين.

كانت المدينة والإنسان هما الشغل الشاغل لأردوغان؛ إذ يهتم بكل صغيرة وكبيرة في المدينة من مياه، وطرق، وقمامة وحدائق متنزهات، وخضرة، وأشجار بل وحماية هوائها من التلوث، كما يهتم بأطفال المدينة، وشيوخها، ومرضاها، ومعوقيها. فقد جمع حوله الخبراء لحل مشكلات المدينة، ووضع الخطط والمشروعات للنهوض بها.

وكنا نحن أيضاً شركاء له في جهوده وأنشطته؛ إذ أعددنا ملفات متخصصة لكل مشكلة من مشكلات اسطنبول. وفي أول اجتماع صحفي عقده أردوغان بصفته مرشحاً لرئاسة بلدية (اسطنبول الكبرى) عرضنا هذه الملفات على رجال الصحافة والرأي العام. وعقدنا اجتماعاً صحفيًّا في (حجرة الفضاء) التي استخدمناها كمركز للحملة الانتخابية. وفي هذه الحجرة يوجد جدار كامل تكسوه خريطة كبيرة لاسطنبول تم التقاطها من الفضاء. وكان باستطاعة كل منا أن يشرح أي شيء يتعلق باسطنبول، ويوضح تفاصيله من خلال هذه الخريطة، كما أن أردوغان نفسه قد استخدم هذه الخريطة في أثناء إدلائه بتصريحاته في المؤتمر الصحفي. واستطعنا خلال المؤتمر الصحفي الأول أن نقدم للرأي العام (خطة عمل عاجلة)، تركت لديه يقيناً بأننا نعمل وفق معلومات وبيانات صحيحة وعلمية. وأعتقد أن أي حزب آخر لم يستطع القيام بما فعلناه آنذاك.

وكان يوجد في وحدة الإنتاج "حسين باسلي"، و"نابي آفجي" وأنا و"أوزهان". وبالطبع كان الأستاذ "نابي" رئيسَ المجموعة، إذ كان - بعد أن يستشيرنا - صاحبَ القرار الأخير في ما سيتم الإعلان عنه إزاء كل موضوع من الموضوعات، وفي ما ينبغي أن يتصور جدول أعمالنا، وفي ما سنقوم به من مهام، وتوقيت هذه المهام".

وكان الأستاذ "نابي" في أثناء تلك الأيام لا يزال شابًّا، ويعمل أستاذاً مساعداً في الجامعة. وكان يقوم بتدريس الاتصال والتواصل مع الرأي العام. غير أنّ معلوماته بشأن الحملة الانتخابية لم تكن تتجاوز المستوى النظري، ولم يكن قد نزل إلى الميدان بعد. ولكن كانت لديه خصائص وسمات مهمة مكنته من تدارك ذلك النقص. كانت أولاها إدراكه لمسات شخصية المرشح الذي سيعد له حملته الانتخابية وهو "رجب طيب أردوغان". فبداية، إنّه مرشحٌ يتمتع بتجربة سياسية وإمكانات جيدة، فضلاً عن صفاته القيادية، وكذلك تميزه وإخلاصه في عمله.

يقول الأستاذ نابي: "إن أردوغان لاعب يؤدي دوره بشكل جيد جدًّا". ولكنه يضيف قائلاً: "أنا لا أقصد بالدور دور الممثل، أو ذاك الذي يؤدي دوراً قد كُتب له. إن أردوغان يتمتع بالقدرة على الفهم السريع والإدراك لمتطلبات الدور المنوط به، كما أنه لا يجد صعوبة في توظيف خطاباته، واستخدام لغة الجسد في أداء ذلك الدور. فهو قادر على ضبط ذلك الأداء بكل سهولة ويسر كممثل قدير. لقد برزت في تلك الفترة سمات ومميزات مهمة في شخصية أردوغان. فقد تحول من صورة شاب تقليدي ينتمي لحزب الرفاه إلى صورة زعيم شاب منتظر. وكان حزب الرفاه آنذاك يضم عدداً كبيراً من الشباب الذين يخطون خطواتهم نحو الترقي داخل الحزب أو في العمل البرلماني. غير أن أردوغان كان يتميز عنهم جميعاً بوسامته، وقامته الطويلة، وحديثه البليغ، وقدرته على الحوار بسهولة مع الأوساط الشعبية كافة، غير أنه في النهاية كان واحداً من حزب الرفاه. وبهذه الحملة الانتخابية انسلخ أردوغان عن زمرة شباب حزب الرفاه، وانتقل إلى وضع جديد مختلف. فقد غير فجأة المستوى الذي كان يقف فيه؛ وأصبح رجل سياسة تركيًّا. أصبح رئيساً لبلدية اسطنبول، وأضحى يتحدث لتصل كلماته إلى تركيا كلها، ويعتني بما يقوله، ويراعي الوضع العام في تركيا كلها. فقد بدأ ينطق الكلمة وهو يقصد بها أن تصل إلى أسماع أهل محافظة (وان) بقدر ما تصل إلى أسماع الناخبين في اسطنبول. وأنا أعتقد أن أردوغان قد وجد في هذه الحملة الانتخابية فرصة لتكوين شخصيته وشخصية مجموعته على نحو جديد.

وإذا كانت الميزة الأولى التي يتحدث عنها الأستاذ "نابي" هي أردوغان ذاته، فإن الميزة الثانية كانت شعبة حزب الرفاه باسطنبول. حيث تمكنت هذه الشعبة من الانتظام والتشكل داخل أحياء اسطنبول كافة؛ من أقصاها إلى أدناها. ويروي الأستاذ "نابي" بكل حماسة - رغم مرور أعوام طويلة على تلك الأحداث - كيف قامت شعبة اسطنبول بحملتها الانتخابية منذ اليوم الأول لانطلاقها وحتى يوم الانتخابات من دون كلل أو ملل، وفي عمل دؤوب لا يعرف الليل أو النهار، وبعزيمة وإصرار على النجاح لا تخطئهما عينٌ متابعة، فيقول:

"كان لدينا شعار فكَّرنا في استخدامه في اليوم الأخير وهو: تمام إن شاء الله. حيث قررنا تعليق هذا الشعار على لافتاتٍ في أرجاء اسطنبول كافة في الليلة

الأخيرة من الحملة الانتخابية، حتى يستيقظ المواطنون في الصباح ويروا ذلك الشعار في أثناء ذهابهم للإدلاء بأصواتهم. تمام إن شاء الله هو شعار مرشحنا. وأردنا أن نغتنم فرصة حملتنا الانتخابية لتعليق هذا الشعار على اللافتات، ليكون بمثابة الملح في الطعام، وليكون دعاية ضمنية لا تحمل اسم مرشحنا، بحيث لا نتعرّض للمساءلة القانونية بسبب انتهاء مدة الدعاية الانتخابية. ولا شك في أن شعاراً بهذه الطريقة كان سيضيف إلينا أصواتاً كثيرة من الناخبين؛ ولا سيما الناخبين الذين يتوجهون إلى صناديق الاقتراع وهم لم يحسموا أمرهم بعد. ونجحت شُعبة اسطنبول في ليلة واحدة في نشر هذا الشعار في أنحاء اسطنبول كافة، وفي المدن والأحياء والضواحي ومداخل الجسور والشوارع الرئيسة. ولقد دُهشت بذلك النجاح. فحقًّا كان الشعار رائعاً، ولكن القدرة على تعليقه ونشره في كل مكان في ليلة واحدة، كانت تشير إلى شيءٍ آخر وهو أن شُعبة اسطنبول وأردوغان كانا يسيطران حقًّا على المدينة.

وعلاوة على ذلك، كان لدى شُعبة اسطنبول "مركز لتنسيق الانتخابات"، وقد تم تنظيمه وتشكيله بشكل جيدٍ جدًّا. ويعمل بهذا المركز عدد من إخواننا الذين أسسوا شعبة حزب الرفاه في اسطنبول، وتولوا مهامّ ووظائف في كل مجالٍ من مجالات الشعبة، وهم كذلك خبراء استطاعوا القيام بتحليلٍ متميز لشخصية الناخب في اسطنبول في أحيائها كافة، ولا سيما في أحيائها البعيدة. وقد تمكنوا من توفير بيانات كثيرة ومقترحات جادة لنا خلال الحملة الانتخابية، استفدنا منها كثيراً خلال إعدادنا للخطابات والهتافات والشعارات، وكذلك في إعداد المطبوعات والمنشورات اللازمة للحملة الانتخابية. وفي الحقيقة، كان أردوغان هو مصدر النجاح الأساسي في هذه الحملة الانتخابية، حيث كان آنذاك قد أدار بنفسه العديد من الحملات الانتخابية، وتراكمت لديه خبرات وتجارب لا حصر لها. فما كان يعقد جلسة صغيرة لشرب الشاي أو القهوة مع المواطنين، إلا وتتحول إلى لقاء جماهيري كبير بمجرد أن يبدأ في التحدث إليهم. وفضلاً عن تجربة أردوغان الشخصية فقد كان المرشح الوحيد القادر على الحوار بنفسه مع الشعب وتفهُّم قضاياه والإحساس بها، وهو ما سهل علينا عملنا.

كان أردوغان مرشحاً مهضوم الحقوق، ومحبوساً عن شاشات التلفاز، ومُبعداً عن الميكرفونات؛ إذ تتجاهله وسائل الإعلام ولا تمنحه حقه كما ينبغي. كان الشعب

يدرك ذلك جيداً، ولم نتهاون نحن بدورنا في إبراز هذا الوضع، فقمنا بتطوير شعار "صوت من لا صوت له" واستطعنا بذلك أن نعبر عن صرخة الشعب ومطالبه من خلال صوت أردوغان. لأننا لم نرفع ذلك الشعار من باب الوجاهة، بل كنا نشير به إلى آلام حقيقية وواقعية. فنحن في هذه الحملة لم نكن نقدم إلى الشعب سوى الحقيقة والواقع، لم نقدم له مطلقاً خيالاً وأوهاماً، ولم نستخدم أدوات التجميل. وفي الحقيقة، إننا لم نكن بحاجة إليها. فقد كان أردوغان ناجحاً لأقصى درجة في إبراز شخصيته الحقيقية أمام المواطنين. ولذلك كان مرشحنا في هذه الحملة يتصرف وحده ومن تلقاء نفسه، ولا ينتظر سيناريو يكتبه له آخرون ليقول هذا أو يكتب عن ذاك.

أما الجانب الأكثر إبهاراً في هذه الحملة، فهو أنها كانت حملةً تطوعية، احتسب كل المشاركين فيها أجرهم على الله، فبذلوا فيها الجهد والمال والوقت. فقد كان أردوغان تنقصه الإمكانات المادية المتوفرة للمرشحين الآخرين، وكان مضطراً لإدارة حملته الانتخابية بميزانية ضعيفة للغاية. غير أنه في المقابل، كان ارتباط أردوغان بشعبة اسطنبول وعزيمته وإصراره على النجاح طوال فترة الحملة الانتخابية هي التي أدّت إلى نجاح بالغ الأهمية لم يتوفر للمرشحين الآخرين".

ويستطرد الأستاذ "نابي"، فيتحدث عن وقائع وأحداث لطيفة تتعلق به شخصيًّا، فيقول: "في الأعوام التالية للانتخابات، كنت أُدرّس مُقرر الحملات الانتخابية في جامعة (بيلغى)، وكنت أشرح لطلابي عن هذه الحملة الانتخابية كنموذج للحملات الانتخابية قائلاً: كان أحد المرشحين في هذه الانتخابات يدعى "ذلفى ليوانالى"، وكانت لديه إمكانات مادية ضخمة. وقد أدار حملته الانتخابية "أوغوز أوزردان" ومجموعته، وقد وضعت تحت أيديهم ميزانية ضخمة لا تقارن مطلقاً بميزانية حملتنا. وخسروا الانتخابات في النهاية، ولكنهم بعد هذه الحملة الانتخابية أسسوا هذه الجامعة، أي جامعة (بيلغى). لقد كانت الحملة الانتخابية التي نظمتها حملة ناجحة، وفاز مرشحنا فيها بالانتخابات. ولكن، وكما ترون أصبح الذين خسروا الانتخابات رؤساء وأرباب عمل، أما الذين فازوا في الانتخابات فأصبحوا أساتذة يعملون في الجامعة التي أسسها أولئك الذين خسروا الانتخابات. ثم كنت أداعب طلابي وأمزح معهم فأقول: ما معنى هذا؟ معناه أن فوز المرشح الذي تديرون

حملته الانتخابية أو خسارته، كليهما لا يضمنان لكم المكانة الوظيفية.

وفي الحقيقة، إن تعارفي مع "أوغوز أوزردان" رئيس مجلس إدارة جامعة (بيلغى) كان بسبب هذه الحملة الانتخابية. فعندما انتهت الانتخابات سأل السيد "أوغوز" أصدقاءه: "من أولئك الرفاهيون؟ لقد وضعونا في موقف حرج. من أولئك الناس؟ ومن أدار لهم حملتهم الانتخابية؟". وعندما علم أنني أستاذ في علوم الاتصال الجماهيري اتصل "بآصاف صواش" وقال إنه يريد التعرف إليَّ فتعارفنا واقترح عليَّ العمل معه، وبدأت أُدرّس في جامعة بيلغى".

كان الأستاذ "نابي" وهو يطور حملته الانتخابية يضع في اعتباره أمرين: أولهما الطموحات التي ينتظر الشعب أن يحققها له حزب الرفاه في شعبة اسطنبول؛ وهي طموحات وصلت إليها شعبة اسطنبول بتحسس نبض المواطنين وقضاياهم. أما الأمر الآخر، فكان عن المزاعم والشائعات التي يطلقها الطرف الآخر. إذ كان الأستاذ "نابي" يدرك أن الإعلام لن يفسح لهم المجال مطلقاً ليعبّروا عن أنفسهم، فيقول: "كان الإعلام يعتقد أن المنافسة الانتخابية ستجري فقط بين إيلهان كاسيجى، وذلفى ليوانالى، وبدر الدين والان، وينظر إلينا باعتبارنا شيئاً هامشيًّا". ويقول أيضاً: "إن موقف الإعلام هذا لم يكن مقصوداً، لأن الإعلام كان بالفعل يرانا هكذا".

كانت مجموعة (صباح) الإعلامية تعمل لصالح "ذلفى ليوانالى"، بينما كانت مجموعة (دوغان) الإعلامية تعمل لصالح "إيلهان كاسيجى" أما "بدر الدين والان" فكانت المجموعات الإعلامية تنظر إليه نظرة محايدة، ولم تهتم وسائل الإعلام الرسمية أو الخاصة مطلقاً بأردوغان. ولكن، ما إن بدأ تأثير الحملة الانتخابية في الظهور واتضحت توجهات المواطنين تجاه حزب الرفاه، حتى أدركت وسائل الإعلام أن أردوغان لم يكن لقمة سائغة وشرعت في الهجوم عليه.

وذات يوم، خرجت صحيفة (حريت) على المواطنين بخبر رئيس عنوانه: "عجباً لك يا أردوغان آغا!". وكتبت أن أردوغان يمتلك ثلاث فيلات في حي (سلطان بايلي) أو أربع فيلات، ولكنه رغم ذلك يخرج إلى المجتمع ويحدثه عن الفقر والفقراء.

وتم تدعيم هذا الخبر الذي وَقَّعت تحته "بينار تورنتش" بصور قيل إنها للفيلات التي يمتلكها أردوغان. وبالطبع، لم تكن لهذه الصور ولهذا الخبر علاقة بأردوغان.

وكانت بلدية (سلطان بايلى) في ذلك الوقت تخضع لإدارة رئيسٍ من حزب الرفاه. ولذلك كان يبدو منطقيًّا الادعاء بأن هذه الفيلات تقع في حي (سلطان بايلى).

واقترح أردوغان مناقشة هذا الخبر على الهواء مباشرة في مواجهة وتحدٍّ "لبينار تورنتش". وكانت النتيجة أن خسرت صحيفة (حريت)، وقناة (شو تي في) هذه المواجهة بسبب "بينار تورنتش".

وفي لقائه المباشر على قناة (شو تي في)، اختتم أردوغان حديثه بهذه الكلمات: "أنا لن أطيل الكلام والنقاش حول ما إن كانت لديَّ فيلا أم لا، ولكنني أتعهد أمام كل المشاهدين من أهالي اسطنبول: اذهبوا وابحثوا عن هذه الفيلات في حي سلطان بايلى، وإنني أهبكم كل الفيلات التي أملكها هناك. ولكن، إذا ذهبتم إلى هناك ولم تستطيعوا العثور على هذه الفيلات، ولن تجدوها، فإنني عندئذ سأترك لتقديركم اختيار صفة تناسبكم وتناسب افتراءاتكم عليَّ!".

وبالطبع لم يجدوا شيئاً يقال أمام هذا التحدي، ورغم ذلك لم ينتهِ الأمر بهم عند هذا الحد، فقد استمروا في أساليبهم الوضيعة، وفي نشر مثل هذه الأخبار والشائعات، وكان الخبر الثاني.

وموضوع ذلك الخبر يتعلق بكون منزل أردوغان الكائن بحي (أسكودار) منزلاً غير مُرخص باسمه. واستهدفت الصحيفة من وراء هذا الخبر التعويض عن هزيمتها في المرة السابقة. وفي اليوم الذي نُشر فيه الخبر، كان أردوغان يقوم بزيارة لأحد شوارع اسطنبول. ولاحقه مراسلون من صحيفة (حريت) وقناة (شو تي في) وحاولوا الحصول على تصريحات منه بشأن ذلك الخبر. غير أن أردوغان رفض وبشكل قاطع الإدلاء بأي تصريحات إلى هؤلاء المراسلين، وأخبرهم أنه لن يتكلم بشأن هذا الموضوع إلا في برنامج تلفزيوني على الهواء مباشرة.

وفي المساء استضافت قناة (شو تي في) أردوغان في برنامجها الحواري، وكانت أمامه هذه المرة أيضاً الإعلامية "بينار تورنتش". وفي هذه المرة لم يُكذِّب أردوغان السيدة "بينار"، بل قال:

"نعم إن المنزل الذي أقيم فيه في (أسكودار) غير مرخص رغم أنه ملكٌ لي. ولكن ينبغي عليَّ أن أوضح أمراً هنا عندما أقول إنه غير مرخص، فالأرض المقام عليها البيت أرضٌ لها أوراق رسمية، وقد تم شراؤها بعد دفع ثمنها. أما المبنى

المقام فوق هذه الأرض فهو بيت غير مأهول، ولذلك يُعتبَر بيتاً "غير مرخص".
وليكن، فهل أشعر بالامتعاض من هذا الوضع؟ قطعاً لا! لأنني أعلم أن 60 بالمئة على الأقل من بيوت اسطنبول على الشاكلة ذاتها.

فالمسؤولون عن تخطيط المدن وتطويرها في اسطنبول هم السبب في ذلك الوضع لأنهم لم يقوموا بمهامهم، ولم يقوموا بإعمار البيوت غير المأهولة على نحو يتوازى مع حركة التطور العمراني والنمو السكاني داخل مدينة اسطنبول، ومن ثم أصبحت العديد من المباني القديمة غير مأهولة، ومن ثم اضطر المواطنون أيضاً للإقامة في هذه البيوت. وأنا أيضاً أحد أولئك المواطنين، ولا أشعر بأي انزعاج من أن أكون واحداً منهم؛ فأعيش معهم المشكلات ذاتها، وأشاركهم القدر والمصير نفسيهما".

وما إن سمع مُخرج البرنامج "أفق غول دامير" هذه الكلمات من أردوغان، حتى استشاط غضباً ولم يتحمل البقاء خلف الكاميرا كثيراً، وغادر الاستديو بسرعة. إذ يبدو أنه أدرك أنه قد غامر بمناقشة مع أردوغان، وكانت النتيجة أنه شعر كمن كبل نفسه بالأصفاد في قدميه مرة أخرى.

ويحكي الأستاذ "نابي":

"وتم عقد برنامج تلفزيوني ضم كل المرشحين. وفي هذا البرنامج، بدأ ذلفى ليوانالى يستخدم شعار (الشفافية) الذي كثُر استخدامه في تلك الأيام، وعندها لم يتردد أردوغان قط في التقاط هذه الكرة وتصويبها إلى مرمى الخصم فقال له: "نعم إنك شفاف لدرجة كبيرة؛ حتى إنني عندما أنظر إليك من هنا أرى خلفك إدارة المياه والصرف الصحي".

أما أكثر ما كنا نخشاه في هذا البرنامج فهو أن يطلب البرنامج من "إيلهان كاسيجي" أن يغني أغنية (طائر الجنة)، وهي أغنية شعبية وطنية شهيرة. فقد كان "إيلهان كاسيجي" من محافظة (سيواس)، وكنت أعرفه منذ أيام الدراسة الجامعية وأعلم أنه يجيد غناء هذه الأغنية. ولذا، إذا قام "إيلهان" بشيء من هذا، فإنه سيتفوق علينا بنقطة أو نقطتين على الأقل. حيث إن اسطنبول يعيش فيها عدد كبير من أهالي محافظة (سيواس).

وعلاوة على ذلك، كنا نخشى أيضاً أن يطلب البرنامج من "ذلفى ليوانالى"

أن يغني أغنية (غابة الأشجار الثلجية) وهي أغنية شعبية وطنية شهيرة أيضاً. وفي هذه الحالة أيضاً سيتفوق كلاهما على مرشحنا بعدد من النقاط. ولم أكن أعلم في ذلك الوقت أن أردوغان يمتلك صوتاً جميلاً، فلو كنت أعلم لما كنت قد أنهكت نفسي في البحث عن حل لهذه المشكلة. والخلاصة أنني طلبت من أردوغان ألا يسمح لهذين الشخصين بغناء هاتين الأغنيتين في البرنامج بأي صورة من الصور. فإذا حاول المحاور أن يطلب من الضيفين الغناء، وأصرَّ على ذلك، ينبغي على أردوغان أن يقوم بإغلاق الموضوع بقوله: "ينبغي علينا وقد وصلنا إلى نهاية البرنامج ألا نغير مساره، ونفرغه من قضاياه ومضامينه الجادة ونحوله إلى برنامج منوعات. الأجدر بنا أن نتحدث عن مشكلات اسطنبول وقضاياها، وأن نؤجّل الأغاني إلى ما بعد الانتخابات".

وحدث ما قلته بالضبط. فقد جاء الرجلان وقد استعدا للغناء أتم الاستعداد. وكان "أوغور دوندار" هو المحاور حسبما أتذكر، وضغط على الضيفين كثيراً ليقوما بالغناء. وقاوم أردوغان كثيراً ولم يسمح لهما بمثل هذه الاستعراضات. وأغلق الموضوع بقوله: "إن صداقتنا ممتدة ولن تنتهي هنا. فلنأتِ مرة أخرى بعد الانتخابات إلى هنا ولنغنِّ معاً".

وتذكرت شيئاً آخر بخصوص "إيلهان" خلال تلك الفترة، وهو أن الروائية "أمنية أيشينصو" قد كتبت في إحدى رواياتها أن "إيلهان" ينتمي إلى الفكر القومي المتشدد. وقد عَثر إخواننا على هذا الموضوع في الرواية، وأرادوا أن يستخدموه خلال الحملة الانتخابية. وذلك لأن "إيلهان" مرشح عن حزب يميني وسطي - هو حزب (الوطن الأم) - لتولي رئاسة بلدية (اسطنبول) بينما هو في الأصل شخصية ذات ماضٍ عميق في الحركة القومية المتشددة. وفكر إخواننا في أن تنبيه أعضاء حزب (الوطن الأم) إلى هذه النقطة سيكون أمراً مفيداً بالنسبة لنا، غير أننا في اللجنة الانتخابية لحزب الرفاه قلنا إنّ هذا السلوك لن يكون سلوكاً أخلاقيًّا. فالأمر لا يتعلق بسرقة أو مثل هذه الأعمال المنافية للأخلاق، بل إنّ كل ما في الأمر عبارة عن مسألة توجه إيديولوجي، ولديه مطلق الحرية في اعتناقه. كما أن وصفنا لهذا الوضع بأنه أمر سيئ لن يكون في صالحنا فإذا قال الرجل: لقد تغيرت، فقد تغير. وبناء عليه لن نسمح لإخواننا بفعل ذلك".

ويواصل الأستاذ "نابي"، فيقول:

"وثمة مثال استخدمته خلال محاضرتي عن الحملات الانتخابية، وخاصة في ما يتعلق باستطلاعات الرأي العام. فلو تذكرتم، لقد نشرت صحيفة (صباح)، خبراً رئيساً على صفحتها الأولى بعنوان (ها هي نتائج الانتخابات)، واستهدفت من هذا الخبر تقديم الدعم للمرشح "ذلفى لوانالى"، وحسب الخبر حصل ذلفى لوانالى على المركز الأول، وبدر الدين دالان على المركز الثاني، وإيلهان كاسيجي على المركز الثالث، وطيب أردوغان على المركز الرابع.

واتضح من هذا الخبر أن "ذلفى لوانالى" هو الفائز في هذه الانتخابات. وذُكِر في الخبر أن شركات تركية محلية قد أجرت استطلاعات للرأي وكشفت عن توجهات الرأي العام تجاه المرشحين الأربعة.

ولهذا طلبنا نحن أيضاً من شركة (بريتش غالوب) إجراء استطلاع للرأي، ونشرنا نتائجه والتي كانت الأقرب إلى الواقع والحقيقة. حيث كشفت نتائج الاستطلاعات التي أجريناها بواسطة شركة (بريتش غالوب) عن نتائج تختلف تماماً عن النتائج المنشورة في صحيفة (صباح)، فقد احتل "طيب أردوغان" المركز الأول بدلاً من المركز الرابع، ويأتي "إيلهان كاسيجي" في المركز الثاني بدلاً من المركز الثالث، بينما أصبح "ذلفى لوانالى" في المركز الثالث بعد أن أظهرته صحيفة "صباح" في المركز الأول، أما بدر الدين دالان فيظهر في المركز الرابع.

وكان أردوغان قد أعلن في اجتماع صحفي عقدة قبل الانتخابات بأسبوع عن نتائج آخر استطلاع للرأي قام به حزب الرفاه. ونشرت هذه النتائج في صحيفة (مللي غزته) التابعة لحزب الرفاه، ولم تنشرها أي صحيفة أخرى، وفوجئ المواطنون بأن هذه النتائج كانت متطابقة تماماً مع النتائج الحقيقية للانتخابات، بل وكانت النسب المئوية التي توصلت إليها نتائج استطلاعات الرأي قريبة إلى حد كبير من النسب المئوية الحقيقية.

وكان لدي كتاب إحصائي مكتوب في بدايته: "الأرقام لا تنطق بالكذب، ولكن الكاذبين ينطقون بالأرقام". وقد استخدم أردوغان هذه العبارة في أحد لقاءاته الصحفية، حيث قال: "ها أنتم ترون! الكاذبون يعلنون عن أرقامٍ تظهرنا في المرتبة الأخيرة، وسنلتقي مرة أخرى بعد الانتخابات؟!".

لم يكن الإعلام يتوقع قط فوز أردوغان في الانتخابات، ولذلك لم يرَ داعياً أو ضرورة لتقديم الدعم له، ولم يكن أردوغان بالنسبة لوسائل الإعلام مغنماً تسعى للفوز به؛ إذ كانت تدرك جيداً أن أردوغان لا يمتلك من المال ما يجعله قادراً على نشر صفحة إعلانية كاملة في صحفهم، وهو ما كانت تعتقد به أيضاً شركات استطلاع الرأي العام.

وما إن وصلت الحملة الانتخابية إلى أسبوعها الأخير حتى اتضحت الصورة، وبدا أردوغان على عكس كل التوقعات؛ فهو الأقرب إلى الفوز بالانتخابات. وعليه تحركت بعض الأوساط الإعلامية على الفور لاغتنام الفرصة. وفي يوم من الأيام اتصل "أحمد أوزال" صاحب القناة السادسة التلفزيونية هاتفيًّا "بأردوغان"، وطلب لقاءه وألح في ذلك.

فذهب أردوغان ومعه بعض أصدقائه إلى مبنى القناة السادسة في حي (أسان تبه)، بعد أن أنهى أعماله اليومية، وكانت الساعة تشير إلى ما بعد منتصف الليل بكثير. ولم يكن "أحمد أوزال" ينتظر أردوغان في غرفته وحده، بل كان معه ضيف آخر. وما إن وصل أردوغان ومجموعته حتى تعرف الجميع إلى بعضهم. وقال "أحمد أوزال" لأردوغان:

"أقدم لك صديقي مصطفى سوزار، لعلك سمعت باسمه من قبل، إنه من أكبر رجال الأعمال في بلدنا...".

وبينما كانوا يقدمون للضيوف واجب الضيافة تطرق الجميع إلى موضوع الانتخابات. فقال "مصطفى سوزار": "إن استطلاعات الرأي العام التي قمنا بإجرائها تظهر أنك في المرتبة الأولى. ولكن، يلزمك القيام بحملة أخيرة من أجل تعزيز موقفك أكثر من ذلك".

فرد عليه أردوغان قائلاً: "وماذا تقترح عليَّ بخصوص هذه الحملة؟".

فقال: "يمكنك القيام بهذه الحملة خلال الأسبوع الأخير عن طريق نشر إعلانات في الصحف والجرائد بكثافة، وبحجم كبير يستوعب صفحات كاملة. وأنا أعلم أن إمكانياتكم المادية لا تسمح بذلك. فإذا سمحتم لي، فأنا أريد أن أتكفل بهذه المصاريف، وكل ما عليكم فعله هو إعداد الصور والمعلومات اللازمة".

وكأن أردوغان كان قد استنبط مغزى هذه الدعوة قبل الحضور إلى مبنى

القناة، لذلك نهض واقفاً وقال من دون أن يعطي محدثه الفرصة لأن يضيف إلى كلامه شيئاً: "أشكرك على نصائحك واقتراحاتك. ولكنني لن أضع نفسي مطلقاً تحت هذه الأعباء".

لقد أراد "مصطفى سوزار" أن يكون صاحب فضل على (رئيس المستقبل) حتى يضمن لنفسه حلاً للمشكلات التي تتعرض لها شركته (غوك قفص) التي تعمل في مجال الإنشاءات غير الشرعية، ولكنه فوجئ بردٍّ عنيف من أردوغان لم يتوقعه فأخذته الدهشة كل مأخذ وظل في مقعده، ولم يستطع النهوض عنه.

* * *

وفي صباح يوم من أكثر أيام الحملة الانتخابية ازدحاماً بالأعمال، تصل رسالة إلى "مصطفى آطاش" رئيس مركز تنسيق الانتخابات. تقول الرسالة إن الرِّيس أردوغان يريد إلغاء برنامج عمله اليوم من أجل المشاركة في جنازة أحد الأقارب.

فتكون إجابة آطاش: "لا يمكن... يستحيل". ويصر "آطاش" على رفضه إلغاء البرنامج رغم اتصالات عديدة تصله من أجل هذا الغرض؛ فقد كان من المقرر في ذلك اليوم أن يتم عقد اجتماع بعد الظهر مع أصحاب المحال والتجار في سوق (آق سراي)، وهو موعد قد تحدد منذ عدة أسابيع، وكان إلغاؤه أو تأجيله سيتسبب في مشكلة كبيرة.

وفي النهاية يأتي أردوغان إلى مركز تنسيق الانتخابات، ويدخل حجرة "مصطفى آطاش" رئيس المركز، ويحاول إقناعه شخصيًّا بإلغاء أعمال اليوم، قائلاً له:

"يا سيد مصطفى! لقد فهمنا. نحن في حملة انتخابية، وأنت رئيس مركز تنسيق الانتخابات؛ ولكن يا أخي، هل نضحي بواجباتنا الإنسانية في سبيل الانتخابات؟ لقد توفِّي والد أحد إخواننا، أفلا ينبغي أن نقف إلى جواره في هذا اليوم العصيب، أو على الأقل أن نشارك في جنازة والده؟".

فيحبس "مصطفى آطاش" مشاعره، ويظهر "لأردوغان" أنه لا توجد لديه أيّ نية للتراجع عن قراره أو التنازل عن إصراره على استكمال أعمال اليوم، ويقول: "انظر يا سيدي الرئيس! ها هي استقالتي! يمكنك أن تفعل ما بدا لك بعد أن توقع عليها. ولكنني من منطلق المسؤولية التي أتحمل أعباءها لن ألغي أعمال اليوم. لأننا أعطينا كلمة لأصحاب المحال والتجار، وهم ينتظروننا. أولست أنت من قال

لنا إن مصلحة الدعوة مقدمة على كل شيء!!؟ هل نحن من منطلق الحماسة فقط نحكي قصة أخينا في شعبة حزب الرفاه "جى شيشلى" الذي لم يتوانَ عن أداء عمل كُلف به في ليلة من الليالي صادفت أن توفيت فيها زوجته؟".

فاحتضن أردوغان أخاه، وقال له: "هيا بنا انهض فلدينا أعمال كثيرة اليوم".

وفي الحقيقة، كان هناك الكثير من الأعمال التي يتوجب على أردوغان إنجازها. لأن هذه الانتخابات تعد بمثابة اختبار لتجربة أردوغان السياسية وسماته القيادية، ولرصيد من العمل السياسي "لأردوغان" طيلة ثمانية عشر عاماً منذ عام 1976م، وحتى عام 1994م. كما أنها تُعتبر أيضاً اختباراً حقيقيًّا لشعبة اسطنبول التي شارك أردوغان نفسه في تطويرها.

وبالتغاضي عن انتخابات عامي 1986م و1987م التي تم ترشيح أردوغان فيهما على غير رغبة منه، يمكننا القول إن الانتخابات المحلية عام 1989م، والانتخابات العامة عام 1991م كانتا من الانتخابات الأولى التي يترشح فيها أردوغان برغبته، ويخوض غمارها بكل جد واجتهاد. فلقد نجح حقًّا في إدارة هاتين العمليتين الانتخابيتين، وفاز فيهما بأصوات المواطنين، ولكنه خسرهما رسميًّا.

فقد سُرقت أصواته الانتخابية في انتخابات رئاسة بلدية (باي أوغلو) عام 1989م كما أنه فاز بمقعد برلماني عام 1991م، ولكنه سُحب منه بناء على اعتراض قدمه "مصطفى باش" إلى الهيئة العليا للانتخابات في (أنقره).

لقد تلقى أردوغان بكل رضا واحتسابٍ عند الله ما تعرض له من ظلم وضياع لحقوقه عياناً جهاراً في هاتين العمليتين الانتخابيتين. ورغم نصيحة إخوانه له بأن يتتبع حقه، ولا يفرط فيه، إلا أنه لم يهتم بهذه الأمور، ومضى في طريقه نحو نجاح جديد. ورغم أنّ أردوغان كان يرى أن الفوز في الانتخابات أمر مهمٌّ، إلا أن التحقق من قدرته على الفوز وثقته بذاته يعتبران فوزاً وانتصاراً في حد ذاتهما، ولا يقلاّن عن الفوز في الانتخابات.

فقد حقق أردوغان نتائج مذهلة في هاتين العمليتين الانتخابيتين من خلال الطرق والأساليب الجديدة التي ابتكرها وطبقها للمرة الأولى في تاريخ حزب الرفاه. واستطاع أن يقنع إخوانه الذين يعملون معه في المركز العام (بأنقرة) أو في شعبة اسطنبول أنه من السهل جدًّا تحقيق انتصار في أي معركة انتخابية متى استطاع

الحزب إزالة الجدران الموجودة بينه وبين الشعب، وانتهاج الأساليب اللازمة لذلك بمراعاة ظروف العصر ومواكبتها. وفي هذه الحملة الانتخابية كان ذلك الاعتقاد يوجه أداء (شعبة اسطنبول) المتميز، ويعزز من إيمانها بالفوز.

* * *

وتبدأ شركات استطلاع الرأي العام ووسائل الإعلام في تغيير وجهة نظرها في أردوغان وشعبة حزب الرفاه باسطنبول، وتتولد لديها قناعة راسخة بأن أردوغان سيخرج فائزاً من هذه الانتخابات.

وتتشكل مجموعة من الأكاديميين، وتعمل بشكل منفصل عن المجموعة التي تدير الحملة الانتخابية "لأردوغان"، فتجري دراسات حول أهم المشكلات التي تعاني منها اسطنبول والتي تتطلب حلولاً سريعة، وتُقدم ما توصلت إليه من نتائج مصحوبة بمقترحات إلى أردوغان.

والعجيب في الأمر أن كلَّ واحدة من المجموعتين كانت تجهل وجود الأخرى؛ حتى إن كلاًّ منهما كانت تعتقد بأن البيانات والمعلومات التي يستخدمها أردوغان في حملته الانتخابية هي من نتاج أعمالها فقط.

ويشرح الأستاذ "نابي" كيفية تعرّفه بالمجموعة الأكاديمية فيقول:

"كان أردوغان يتحدث أحياناً في خطاباته عن أمور ومعلومات لم يكن لنا دخلٌ في جمعها أو معرفتها. فعلى سبيل المثال، كان يقول: سنقوم بتطهير مياه خليج البوسفور بالفلاتر وأجهزة التنقية، وكنا نتعجب من قوله هذا فهو يتحدث عن أجهزة تنقية لم نعرفها، بل ولم ندرس الموضوع بهذه التخصصية. وفي يوم من الأيام ذهبنا إلى أحد البرامج التلفزيونية، وتعرفنا هناك على "عمر دينتشار". وقالوا لنا إنه من المجموعة الأكاديمية التابعة للسيد أردوغان. فاندهشت وأصابتني الحيرة. ما هذه المجموعة؟! ومن أين خرجت الآن؟! إنهم يقولون مجموعة أكاديمية!... إذاً، من نحن!؟ أولسنا نحن المجموعة الوحيدة التي تدير الحملة الانتخابية؟

وعندما علمنا حقيقة الأمر أدركنا أن دهشتنا لم يكن لها داعٍ. فالريس أردوغان كان قد أسس مجموعة من الأكاديميين يترأسها "نوزات قور" من جامعة "تكتيك"، ويعاونه فيها "آدم باش ترك"، و"مصطفى أوز تورك"، والسيد "عدنان"، والسيد "عمر". وكانت مهمة هذه المجموعة دراسةَ عدد من مشكلات اسطنبول، وطَرحَ

حلولٍ لها مثل مشكلة المياه والصرف الصحي، والمواصلات، والبيئة، والقمامة.

وكان طبيعيًّا أن نغضب عندما علمنا بذلك. فقلنا له: "ألم يكن من الواجب أن تخبرونا بوجود هذه المجموعة الأكاديمية، حتى نسوق لها بين الناخبين ونستفيد مما تتوصل إليه، ونوظفه في حملتنا الانتخابية؟".

وقبل أن نتعرف على هذه المجموعة كنا نحصل على المعلومات التفصيلية الخاصة بمشكلات اسطنبول من بلديات أحياء اسطنبول التي يديرها حزب الرفاه. وكان رؤساء هذه البلديات يقومون بإمدادنا بمعلومات عن المشكلات الموجودة في مناطقهم والتي تنتظر حلاً لها من قِبَل بلدية (مدينة اسطنبول الكبرى). فمثلاً كانت بلدية (كاغيت خانه) تقول إن هناك جدولاً مائيًّا يحتاج إلى إصلاحات، وإن هذا الأمر من مهام بلدية (مدينة اسطنبول الكبرى). فكنا نقوم بجمع هذه المعلومات واستخدامها في الحملة الانتخابية. والحقيقة أننا لم نكن نبذل الكثير من الجهد لتحديد مشكلات اسطنبول، إذ كانت اسطنبول في تلك الأيام غارقة في المشكلات لدرجة كبيرة.

وذات مساءٍ، نظرنا ونحن نعبر من خليج البوسفور، فإذا بأطفال يلعبون كرة القدم في أرضٍ فضاء، واستطعنا أن نميز اللاعبين ولكننا لم نتمكن من رؤية الكرة؛ إذ كان الهواء ملوثاً لدرجة حجبت عنا مشاهدة الكرة. وأنا أتذكر جيداً أنّ أردوغان قد انزعج انزعاجاً شديداً بسبب ذلك التلوث الجوي المتزايد في تلك الأيام وقال: "هذا التلوث الجوي سيصيب الأطفال بالتسمم".

وهل كان التلوث الجوي هو المشكلة الوحيدة؟ لقد كانت مشكلة توفر المياه أشد وأنكى. كما أن أكوام القمامة قد تكومت كالتلال في حي (عمرانية)، وتسببت في أمراض أودت بحياة عدد من المواطنين آنذاك. أما وسائل النقل والمواصلات فكانت في غاية السوء والتعقيد. وإذا تكلمنا عن الصرف الصحي، فقد تفجرت مصارفه وأنابيبه، وأضحت روائح مياه الصرف الصحي تفوح من معظم الشوارع والطرقات. ولم يعد أحد يستطيع التمتع بمنظر البوسفور والسير على جانبيه وذلك بسبب رائحته النتنة وهوائه الملوث.

وكان السيد "أوزكول" قد التقط في (بيار لوتى) الصور الفوتوغرافية التي سيستخدمها أردوغان في الحملة الانتخابية. وكنا قد ذهبنا معاً لذلك الهدف. وعندما

استرحنا لبعض الوقت في أثناء العمل لاحظنا أن أردوغان قد توجه بناظريه تجاه خليج البوسفور، ثم غاص في التفكير وشرد عنا. وعندما وقفت قربه قال لي: "سمعت أن بعض المتخصصين قد قالوا إن هذا الخليج قد فسد أمره ولا يمكن إصلاحه بعد ذلك. في حين أن أصدقاءنا في جامعة اسطنبول للتقنيات يقولون عكس ذلك. إن شاء الله سيكون إنقاذ هذا المكان أول عمل نقوم به بعد الفوز بالانتخابات".

لم يكن أردوغان – ونحن معه في ذلك المكان – يتحدث إلينا من منطلق الدعاية الانتخابية، بل كان يحدثنا عن مشاعره وعن المهام التي يخطط لها ويفكر في إنجازها. لقد كان صادقاً في ما يقوله لأقصى درجة. كانت كلماته هذه تعبر عن رجل يطلب صلاحيات ومسؤوليات لأداء عمل ما. إن قوة التأثير لدى أردوغان تنبع في الأساس من هذا المنطلق".

وكان أردوغان قد صرح عندما كان يتحدث عن سبب ترشحه للانتخابات في بلدية (باي أوغلو): "إن المواطنين يريدون أن يمنحونا أصواتهم، ولكنهم يشعرون وكأن جداراً يفصل بيننا وبينهم. وهذا الجدار هو الذي يحول بيننا وبين الاتصال بهم. فلو استطعنا أن نجد طريقة أو أسلوباً للتواصل مع الشعب، لانهار ذلك الجدار، ولأصبح حزبنا الحزب الأول في تركيا".

وأثبتت نتائج انتخابات رئاسة بلدية (باي أوغلو) وما بعدها من انتخابات صحة رؤية أردوغان. حيث استطاع حزب الرفاه أن يتوصل إلى لغة تمكنه من التعبير عن نفسه أمام الشعب.

وكانت الموسيقى التي أعدها "أوزهان آران" من أجل هذه الحملة الانتخابية تشير إلى هذه الحقيقة بشكل تام، وكان عنوانها: (حان وقت الرفاه).

واستطاعت أغنية "أوزهان" أن تصل إلى أسماع أهل اسطنبول وقلوبهم بصدق كلماتها، وتأثير لحنها، وأصبحت أصداؤها تتردد في شوارع اسطنبول وجنباتها يوماً بعد يوم:

"ولم لا؟
أهل اسطنبول غرقى في المشكلات
محرومون من المياه

خنقتهم أكوام القمامة

محبوسون في زحام الطرق والمواصلات

مخنوقون بالهواء الملوث".

والخلاصة كانت مدينة اسطنبول تحتضر

وعند هذا المقطع يعلو صراخٌ يقول: "أليس لهذه المشكلات حل؟ فاض بي الكيل...". وأدت هذه الأغنية دورها بشكل رائع حتى انتهاء الحملة الانتخابية. ثم ملأت الساحات أغنية جديدة لصاحبها "أركين قوراى".

أليس لهذه المشكلات حل؟ فاض بي الكيل

يا الله، لا تجعل مصيبة تنتهي وأخرى تبدأ

يا الله، أخشى من دوام الحال

يا إخواني، أليس لهذا الليل فجر؟ سبحانك ربي سبحانك

ومع غروب شمس 27 مارس/ آذار 1994م فُتحت صناديق الاقتراع، وإذ بأهالي اسطنبول قد وجدوا بُغيتهم، وانجلى ليلهم بصبح مشرق هو "رجب طيب أردوغان"...

* * *

وتحول الإصرار على النصر إلى هتاف ترددت أصداؤه قبل يوم من إجراء الانتخابات في كل شارع وزقاقٍ من أزقة اسطنبول: "تمام إن شاء الله".

ولم يخذلهم الله! ويؤدي أردوغان أول صلاة جمعة له بعد الانتخابات في مسجد السلطان أيوب. وشهد الجامع ازدحاماً شديداً كيوم الحشر، وبعد الصلاة تدفق المصلون من صحن المسجد إلى الخارج في مسيرة مهيبة صامتة ووقورة ملأت كل شبر في الشوارع المحيطة بمسجد السلطان أيوب. ولم يستطع المتظاهرون إخفاء فرحتهم وفخرهم بذلك النصر، فقد فضحتهم عيونهم ببريق الفرحة والسرور. لقد دخلوا ذلك السباق وهم أضعف المتنافسين، وخرجوا منه منتصرين فائزين على الجميع. فالحمد لله والفضل منه!

وفي يوم الجمعة الأول من إبريل/ نيسان استلم الرئِّس أردوغان ختم رئاسة بلدية اسطنبول من "نور الدين سوزان".

وفي ذلك اليوم، احتشد نحو مليون شخص منحوا أصواتهم "لأردوغان" أمام

مقـر بلديـة (مدينـة اسـطنبول الكبـرى)، ووقفـوا في هدوء يعبـر عن نضج ووعي لا يتركان مجالاً للاضطرابات أو الفوضى. وقفوا ينتظرون كلمة الريس أردوغان بعد انتهاء حفل تسليم السلطة رسميًّا في مقر رئاسة البلدية:

"لقد خضنا بهذه الانتخابات اختباراً في الممارسة الديمقراطية... وها نحن أمامكم اليوم كتعبير عن إرادة الشـعب... إن بعض الدوائر البيروقراطية لا تمتلك سلطة التدخل بأي شكل من الأشكال في إرادة الشعب... وإننا لنخطو كل خطوة فـي طريقنـا وفـق القانـون. فنحـن نلتزم بالقوانين وتعليماتها؛ ولكننا لا نسـمح لأحد أن ينتهك القانون...".

كان المواطنـون ينظـرون إلـى الطريقـة التـي يُلقـي بها أردوغان خطابه أكثر من اهتمامهم بما يتحدث فيه؛ فقد انبهروا أمام مصداقيته وإخلاصه الواضحين في حديثه، وكلماته التي بدا أثرها باستخدامه لغة البدن من إشـارات بيديه، وإيماءات برأسـه، وحركات بذراعيه. وقد بدت وجوه المواطنين مشرقة باسمةً من فرط الفرح والسرور، وكيف لا وقد عانوا نحو قرن من الزمان القهر والاستبداد والتخلف والتهميش.

وبينما يتسلل صوت أذان العصر من فوق مآذن جامعة (الشهزاده باشى) إلى مبنى بلدية (اسـطنبول الكبرى) عبر نوافذه المفتوحة، ويمر على مكاتبها وطرقاتها كنسـمات الربيع وهي تداعب أوراق الشـجر وأصناف الورود، ينفضّ ذلك الجمع الغفير من المواطنين، ويبدأ الهدوء يخيم على مكاتب البلدية وقاعات الاجتماعات فيها، وينصرف الناس.

وكان الريـس أردوغـان مـع مجموعـة مـن أصدقائـه في حجـرة صغيرة بجانب حجـرة رئيـس البلديـة. ومـا إن سـمع أردوغان صـوت الأذان حتى نهض بكل أدب ووقـار عـن الأريكـة التـي كان يجلـس عليهـا، وقال: "لو سـمحتم تفضلوا بالخروج الآن...".

بسم الله...

حي على العمل

بمجرد انتهاء انتخابات 27 مارس/ آذار 1994م بدأت الصحافة حملة مضادة:

"إن حزب الرفاه سيستخدم كل إمكاناته وصلاحياته ليتدخل في أسلوب معيشة المدن التي فاز بإدارة البلديات فيها وعلى رأسها اسطنبول! وسيُطبّق نظام الحرملك والسلاملك في الحافلات! وستغلق المطاعم والحانات والمحال التي تقدم الخمور! وستُخيَّر العاملات في البلديات بين وضع الحجاب أو ترك العمل! حتى إنه منذ الآن قام العديد من الرجال الملتحين بمنع الفتيات الشابات من ركوب الترام!".

كان مقصد مروجي الشائعات واضحاً، وهو الإمساك بزمام الأمور منذ البداية وإظهار أعضاء حزب الرفاه بمن فيهم أردوغان كأشخاص غير جديرين بهذا العمل. ولهذا كان الرئيس قد أصدر قراره منذ فترة طويلة:

"هل سنعمل أم سنستمع إلى هذه الشائعات؟ فمن أهدر وقته في الاستماع إلى الشائعات، فسيظل في مكانه، أما نحن، فسنهتم بعملنا.

ونحن سنقوم بعملنا بحيث إن جبال القمامة ستختفي من اسطنبول!

وستنساب من الصنابير المياه النظيفة وليس الصدأ!

ولن يتنفس أهالي اسطنبول السموم!

ولن تتسبب المواصلات في اسطنبول في إتلاف الحالة المعنوية للمواطنين!

وستنجو الآثار التاريخية والثقافية بمدينة اسطنبول من أعمال السلب والنهب!".

وهذه ليست شعارات حملة إعلانية، وإنما هي عناوين موضوعات البرنامج العملي الذي أعده أردوغان بالتعاون مع العلماء والخبراء في معهد الإدارات المحلية.

مشاكل اسطنبول واضحة ومحددة، والحلول جاهزة، وحينما جاء الدور لتكوين فرق العمل قام السيد أردوغان باستدعاء عمر دينتشر للقيام بذلك.

وقال السيد أردوغان في أواخر أيام حملته الانتخابية محذراً عمر دينتشر: "يا سيدي، يمكنك البدء في العمل. وإننا ممسكون بالخيوط في أيدينا ما لم تخدعنا الأبحاث التي قمنا بها وما شاهدناه على الطبيعة، فأرجو ألا نقدم على العمل بلا استعداد". وكان "عمر دينتشر" قد قام بدراسة تمهيدية قبل بدئه العمل.

ذهب "عمر دينتشر" إلى مقر البلدية قبل انتقال رئاستها إلى السيد أردوغان بيوم واحد، واختار مقرّ عمله ليكون بغرفة الاستماع الصغيرة الموجودة خلف غرفة الرئيس. وكان يلزم للدخول إلى هذه الغرفة المرور أولاً من داخل غرفة الرئيس: فكان ذلك أنسب مكان نظراً لخصوصية العمل الذي سيقوم به.

وكان فريق عمل آخر قد جاء إلى البلدية قبل استلام السيد أردوغان رئاستها، وهو فريق العمل المكون من حسين باسلي، ونجمي قاضي أوغلو، وسردار يلماز، وكان هذا الفريق سيرافق السيد أردوغان في عملية استلامه مهام وظيفته الجديدة من ناحية، ومتابعة الإدارة الجديدة حتى لا تقترف أي أعمال خاطئة من ناحية أخرى.

وقد تم تكليف "قهرمان أمين أوغلو" بالسكرتارية العامة، وعُيِّن "آدم باشتورك" مساعداً للسكرتير العام ومسؤولاً عن الاستثمارات، و"مصطفى أتشيق ألين" مساعداً للسكرتير العام عن الشؤون المالية، و"ألتان رشيد جيفان" مساعداً للسكرتير العام عن الشؤون المعمارية، و"حسين باسلي" مستشاراً عاماً.

وظهرت بعض الصعوبات حين جاء الدور في التعيينات على إدارة اسطنبول للمياه والصرف الصحي. فقد اقترح "عمر دينتشر" على الرئيس تعيين "حلمي غولار" للإدارة، إلا أن "نوفزاد كور" والإدارة العليا بالحزب كانا يريان أن "فيصل أر أوغلو" أفضل لهذه الوظيفة. ولو روعي الجميع في هذا الاختيار، فلن يتم اختيار أحد أساساً. وفي النهاية، تم تعيين "حلمي غولار" كعضو منتدب ورئيس مجلس إدراة شركة توزيع الغاز الطبيعي باسطنبول، أما فيصل أر أوغلو فقد تم تعيينه مديراً عاماً لإدارة المياه والصرف الصحي باسطنبول.

أوضح أردوغان في أول مؤتمر صحفي قام به في أثناء حملته الانتخابية الأسس التي سيختار على أساسها فريق عمله في حال تم انتخابه رئيساً للبلدية. وهي كما يلي:

"يجب أن أوضح منذ الآن أن حكومة حزب الرفاه لن تكون أبداً حكومة شخص أو فئة سياسية ما، بل ستكون مختلفة عن كل الحكومات التي جاءت على رأس السلطة. وإن التطورات العالمية توضح أنك مهما كنت ناجحاً أو لديك قدرات عالية، فإنك لن تتمكن وحدك من حل كل المشاكل السياسية والإدارية المعقدة بصورة تفوق المعتاد. وإنما الحل يكمن في عمل الجميع كفريق واحد. والإداري الجيد في مفهوم الإدارة المعاصرة هو من يستطيع تكوين فريق عمل جيد ويقود فريقه هذا في العمل بحيث يتمكن من الحصول على أفضل نتاج من المتخصصين بفريقه، ويؤلف ما بينهم جميعاً بأفضل صورة ممكنة.

ونحن نعد أهالي اسطنبول بفريق عمل يليق باسطنبول، ويعرفها جيداً، ويقف على مشاكل مدينتكم، ويعرف حلول هذه المشاكل، وفي الوقت نفسه يكون فريقاً يُعتمد عليه وأهلاً للثقة. وبالإضافة إلى ذلك، إنّ عمل هذا الفريق الذي وعدنا به أهالي اسطنبول هو في الأصل ضرورة نابعة من الوضع الموضوعي لاسطنبول وليس من اختياراتنا الشخصية. فاسطنبول مدينة عالمية انصهرت بها الأفكار المتنوعة عبر التاريخ. ونسيج هذه المدينة متعدّد الأصوات يُلزِمنا أول ما يُلزِمنا بأن يتولى أمورها فريق بهذه الطريقة".

الفريق جاهز الآن لمباراته المصيرية، وكل عضو بالفريق يعلم عن ظهر قلب ماهية عمله، وممن سيتلقى الدعم، وما ينبغي عليه فعله. وهذه المباراة بالنسبة لكل واحد في فريق العمل هي مباراة العمر. ولم يكن أي عضو منهم ينظر إلى نفسه على أنه مجرد موظف، وإنما يعتبر نفسه رجلاً لمهمة صعبة. وكانوا ينظرون إلى أنفسهم أيضاً على أنهم أهل من لا أهل له، وصوت الجموع الصامتة، وحيلة من لا حيلة له.

لقد وعد أردوغان المواطنين من خلال الصحفيين في حملته الانتخابية بما يلي: "إن أول أعمال منضدة الأزمات التي سننقلها إلى ساراتش هانه صباح يوم 28 مارس/آذار هو تفعيل خطة الأمور العاجلة التي قمنا بتطويرها لحل المشاكل اليومية والآنية لمدينة اسطنبول، وإنقاذ أهالي اسطنبول من قلة الحيلة والضياع اللذين حلاّ بهم في مواجهة الأزمات والمشاكل...

إننا نؤمن بأن خطتنا للأمور العاجلة لن تتفادى المخاطر الكبرى التي تسببت

في أزمات مزمنة فحسب، وإنما وفي الوقت ذاته ستخفف من وطأة الضغط النفسي على أهالي اسطنبول الناجم عن مشاكل المدينة، من خلال حل هذه المشاكل سواء أكان ذلك على المدى البعيد أو المتوسط. وإن أهالي اسطنبول سوف يرون بأنفسهم أن حكومة الرفاه اعتباراً من اليوم الأول لها في الحكم قادرة على حل المشاكل التي طالما ظن الأهالي أنه لا حل لها، وستعود للأهالي من خلال ذلك ثقتهم بأنفسهم مرة أخرى. والثقة بالنفس هذه بالنسبة لنا أهم وأكثر قيمة من كل الإمكانات المادية الأخرى".

استلم أردوغان بالفعل وظيفته في الأول من إبريل/ نيسان، ولم يتبقَّ سوى وقت قصير على الاحتفال بالعيد القومي وعيد الطفولة في 23 إبريل/ نيسان. وعلى الرغم من أنه لم تكتمل الخطوات حتى الآن، إلا أنه ينبغي القيام باستعدادت الاحتفال الذي سيقام في 23 إبريل/ نيسان.

لم يبقَ سوى عشرين يوماً تقريباً. وقامت بلديات المناطق بالاتصالات اللازمة مع الإدارات التعليمية، وتمّ اختيار خمسة تلاميذ منتظمين في دراستهم الابتدائية عن كل منطقة، ومن خلال هؤلاء التلاميذ تمّ تشكيل مجلس (أطفال اسطنبول).

عقد مجلس (أطفال اسطنبول) أولى جلساته في صالة المجلس بمبنى بلدية المدينة. وأعلن أردوغان على الملأ "وثيقة إعلان حقوق الأطفال" عقب الكلمة الافتتاحية التي ألقاها.

وكان أوّل القرارات التطبيقية المتعلقة بالحياة اليومية والتي اتخذها مجلس الأطفال متعلّقاً بالأطفال المعوّقين: "إنه اعتباراً من 23 إبريل/ نيسان سيتمكن الأطفال المعوّقون من ركوب سيارات النقل الجماعي الخاصة بالبلدية مجاناً، وسيتلقون علاجاً مجانياً في المؤسسات الصحية". وقد قام رئيس البلدية بالتصديق على هذا القرار الأول لمجلس الأطفال، وأمر بتنفيذه على الفور.

ومن جانب آخر فإن طريقة توزيع الأعضاء في أول اجتماع لمجلس البلدية والمنعقد يوم الجمعة الموافق في 15 إبريل/ نيسان أظهرت أن التوزيع سيجعل رئيس البلدية في موقف عسير. إذ بلغ عدد أعضاء مجلس بلدية مدينة اسطنبول الكبرى 198 عضواً موزعين على الشكل التالي: 88 عضواً من حزب الرفاه، و64 عضواً من حزب الوطن الأم، و21 عضواً من حزب الشعب الاجتماعي، و20 عضواً من

الحزب الديمقراطي الشعبي، و5 أعضاء من حزب الطريق القويم.

فعلى الرغم من فوز أردوغان بمنصب رئيس البلدية إلا أن حزب الرفاه لم يفز بأغلبية أعضاء المجلس.

وفي التصويت الذي تم من أجل اختيار النائب الأول لرئيس المجلس فاز كمال أوزجان عضو حزب الشعب الاجتماعي بالمنصب بأن حصل على 104 أصوات، في حين أن علي مفيد جورتونا عضو حزب الرفاه حصل على 94 صوتاً. كما أن المعارضة فازت أيضاً بكل رئاسات اللجان.

بعد مئة يوم

أجريت عملية تنظيف لصندوق التبرعات الأثري المدفون تحت الأرض! وكان قد امتلأ بالعملات المعدنية عن آخره. وبإفراغه، تم استخراج 5000800 ليرة تركية، و2432 سنتاً ألمانيًّا، و432 سنتاً و127 فرانكاً، وخمسة فرانكات سويسرية، و475 عملة إسبانية، و23295 ليرة إيطالية، و244 فرانكاً بلجيكيًّا، و6 كرونات دانماركية، و11 كرونة سويسريّة و421 جنيهاً استرلينيًّا.

وكان الصندوق المدفون تحت الأرض هو ذلك الصندوق الأثري الذي لم يعد يراه السائحون الآتون إلى اسطنبول أو حتى يمرون عليه نتيجة الإهمال الذي تعرض له لسنوات حتى انتهى به الحال إلى ما يشبه صندوق القمامة، إذ كانت القمامة تحيط به من جميع الجوانب. وبعد أن تمت أعمال النظافة والعناية به تغير به الحال تماماً وخاصة بعد إلحاق المؤثرات الموسيقية به.

إننا الآن في شهر مايو/أيار، واسطنبول يتم تنظيفها بشكل مكثف كتنظيف الأمهات بيوتهن ليلة العيد.

استلم أردوغان وظيفته كرئيس لبلدية اسطنبول، وإذ به يجد صورة اسطنبول الفوتوغرافية الموجودة فوق مكتبه صورة باهتة ممتلئة بالرماد ومعتمة. والله وحده يعلم أنه لو كان أحد مكانه لفر خوفاً من ثقل المسؤولية الملقاة على عاتقه.

فاسطنبول هي المدينة التاريخية التي قال فيها الشاعر "نديم" إنّه لا مثيل لبهائها، والتي من أجلها يفديها بملك الأعاجم كله. أما الآن فهذه "المدينة المجهدة" أشبه بطفل من أطفال الشوارع وقد أصبح وحيداً شريداً بلا شخصية أو هوية، لم يستحم لشهور وقد استطالت أظفاره، وتجعد شعره.

وها هي الآن تخضع لعمليات تنظيف وتطهير مكثفة؛ فتضاء شوارعها وطرقاتها، وتنسق حدائقها، وتُزيَّن متنزّهاتها. فقد أضحت كمريض على حافة الموت، ثم جاءه الطبيب ليضمد جراحه، ويبث فيه روح الأمل والحياة.

نظم رئيس البلدية مؤتمراً صحفياً وقدم كشف حساب للأيام المئة التي مرت على استلامه مهام وظيفته:

"إنني الآن معكم مرة أخرى بغرض أن أقدم لشعبنا كشف حساب للفترة القصيرة التي قضيتها منذ أن توليت الإدارة إلى اليوم، ولكي أعرض على الرأي العام أيضاً المشروعات التي سوف نشرع في تنفيذها خلال الفترة المتبقية لنا في الخدمة الجماهيرية.

إنه وكما نعرف جميعاً، إن بلدنا قد أدارته على مدار النصف قرن الأخير أحزاب سياسية ومفاهيم وعقليات وكوادر مختلفة. وكان زعمهم جميعاً هو نقل هذا البلد إلى مصافّ الدول المعاصرة والمتقدمة. إلا أنهم ومع الأسف لم يستطيعوا الوفاء بهذا الادعاء، بل إنهم لم يقدموا حلولاً جذرية لأي من قضايانا. والأكثر من ذلك أنهم دفعوا ببلدنا إلى طريق مسدودة وحوَّلوا قضاياه ومشاكله إلى صورة أكثر تعقيداً. فالإداريون الذين لم يكن في فكرهم من الأساس تفهُّم متطلبات سكان الأناضول قد ظلوا دائماً بعيداً عن الشعب، وشعر الشعب من خلالهم بالغربة، وتضررت الدولة، وانشغلوا دائماً بانتهاج طرق ومسالك غير التي يريدها الشعب وضد أسلوب حياته.

لقد مرت مئة يوم على استلامنا لإدارة البلدية. وخلال هذه الفترة واجهنا ممثلي العقليات التي طالما ظلمت الشعب، وهم يسألوننا نحن الآن عن حساب ما اقترفوه وما نهبوه بأيديهم خلال التسعين عاماً الماضية. وبدأوا بصورة منظمة وجماعية حملة افترائية ضدنا بقصد إقصائنا.

... فنحن أمام هجمات ظالمة ومغرضة بشأن انقطاع المياه. حيث إننا حينما تسلمنا المسؤولية بشكل رسمي كان وضع إدارة المياه والصرف الصحي باسطنبول مزرياً؛ إذ إن الفساد قد أحاط بكل شيء فيها، وكان عليها ديون يستوجب دفعها عاجلاً تبلغ سبعة ترليونات ليرة، إضافة إلى دين آخر يبلغ 30 ترليون ليرة على المدى البعيد، ولم تقم الإدارة على مدار ست سنوات بأيّ استثمارات خاصة بمصادر مياه الشرب، مع العلم أن الماكينات التي استوردتها الإدارة من الخارج تُركت في الجمارك حتى تعرضت للتلف، وبعد كل هذا يأتي من ينتظر منا أن نحل كل مشاكل المياه في اسطنبول بعصا سحرية. إن هذا ظلم بيّن. وإنني أقول إننا إذ نفكر في الاستثمارات التكنولوجية التي لم يفكر بها أحد من قبل من أجل حل مشكلة

المياه لدينا، فإنّ هؤلاء النفر يسخرون من قيم الشعب وتراثه مستهزئين بدعاء المطر.

وأريـد أن أؤكـد علـى أننـي حيـن أقـوم بهذا التوضيح، فأنا لا أقصد سـوى أن يبدأ عملنا من الآن من دون أن نكرر الأخطاء التي اقترِفت في الماضي، وألا نبكي علـى اللبـن المسـكوب. بـل علـى العكـس مـن ذلك، فأنا أريـد أن يعرف كل أهالي اسـطنبول أننا الآن مسـتمرون بعزم وبحماسـة بالغين في أعمالنا من أجل أن ينجو أهالي اسطنبول من المشاكل المتعلقة بالمياه".

وحينما قال السـيد رئيس البلدية: "الاسـتثمارات التكنولوجية التي فكرنا فيها من أجل حل مشـكلة المياه لدينا"، قوبل ذلك في الصحافة بعدم اهتمام مقصود، وكأن هذه المشـروعات غير كائنة في حين أن أحد هذه المشـروعات وهو مشـروع خط إسـالة (عمرلي تشـامليجا) سـيحقق بمفرده لاسـطنبول كمية من المياه تعادل إجمالي الكمية التي تحصل عليها اسـطنبول. فهذا الخط بطول 23 كلم وتُسـتَخدَم فيه مواسير صلبة بقطر 2200 ملم.

كان خط الإسالة هذا أول مشروع عملاق طرحته إدارة المياه والصرف الصحي باسطنبول للتنفيذ، ومن الطبيعي أن تقوم الإدارة بجعل مناقصة هذا المشروع العملاق الأول لها مفتوحة أمام الشعب والصحافة.

وفي يوم المناقصة، وبينما كان المدير العام فيصل أر أوغلو مجتمعاً في غرفته مع نائبه دورسون علي تشودور، إذ بمدير القلم الخاص لطفي أيدين يدخل الغرفة ويقول لهما إن هناك مشـكلة وهي: إن السـيد رشـاد سـوزان صديق أردوغان يريد أن ينضم إلى المناقصة، وكذلك الأمر بالنسـبة إلى اتحاد مجموعة من الشـركات. إلا أن لجنة المناقصة رفضت الطلب لأن المناقصة قُدِّمت عند الساعة 12.05 بينما كان آخر موعد لتلقي الطلبات هو الساعة 12.00.

قام المدير العام باسـتدعاء رشـاد سـوزان إلى غرفته، وقال له إن الطلبَ قُدِّم في وقت متأخّر وإنه لم يعد هناك شيء يمكن فعله. وفي تلك الأثناء تأتي مكالمة على هاتف السيد رشاد، فيعطي الهاتف إلى دورسون علي تشودور، وكان المتكلم هو رجب طيب أردوغان:

"يا سيد دورسون، ما المشكلة؟".

"يا سـيدي لقد جاء الأصدقاء متأخرين خمس دقائق، وآخر موعد لتلقي

الطلبات هو عند الساعة 12.00 فقط، أما هم فقد تقدموا بطلبهم عند الساعة 12.05. ولهذا السبب رفضت لجنة المناقصة طلبهم".

"فهمت، فلنكمل حديثنا عندما أصل. فسأكون عندكم وقت المناقصة".

وقبل موعد المناقصة يحضر السيد أردوغان إلى إدارة المياه والصرف الصحي باسطنبول، ويدخل الغرفة المخصصة له هناك. وكان دورسون علي قد أتم استعداده ظناً منه أن السيد الرئيس سيطلب منه معلومات خاصة بالموضوع، إلا أن السيد طيب أردوغان لم يستدعه ولم يطلب منه أيّ معلومات.

وحينما حان موعد المناقصة بدأها السيد دورسون علي بصفته رئيس اللجنة. وبعد أن أنهى عمله، وهو في طريقه إلى غرفته أخذ يقول بينه وبين نفسه: "لو أنني سأعمل وسيكون عملي مع رئيس على هذا النحو، فيا له من حظ كبير من أجل اسطنبول!".

إن السيد أردوغان لم يتدخل بأي صورة قط في رفض لجنة المناقصة طلب صديقه لتأخره خمس دقائق فقط، وبالفعل لم يستطع السيد "رشاد سوزان" الانضمام إلى المناقصة.

لقد استلموا مسؤولية إدارة المياه والصرف الصحي باسطنبول وهي غارقة حتى النخاع في الديون، ومسؤولوها السابقون في السجون بتهم الرشوة والفساد، وهي الآن إدارة بلا أموال ولا مشروعات وحتى بلا ماء.

فكان أول ما قامت به الإدارة الجديدة هو أنها عملت على ضبط أحوال الإدارة من جديد، فبدأت في تطبيق المشروعات الجديدة في إطار ما قامت به هذه الإدارة في فترة ما قبل الانتخابات من تحديد لمشاكلها، وتقديم اقتراحات لحلّ هذه المشاكل.

وكان مشروع متعلق بجداول مياه (إسترانجا) من أوائل المشروعات التي تم تطبيقها، وكان هذا مشروعاً على مرحلتين، وسيوفِّر المزيد من المياه من سبعة جداول. وقد تم تقييم كمية المياه التي تصب في البحر الأسود في المنطقة الممتدة حتى حدود بلغاريا.

وعقب ذلك مباشرة اكتمل إنشاء خط إسالة (تيركوس كاغيت هانه)، وهو خط يتكون من مواسير بقطر 1000 ملم وبطول 6 كلم.

وبعد ذلك بعدة أسابيع تمت إعادة مؤسسات تنقية المياه إلى العمل من جديد. وقد تم إصلاح هذه المنشأة، في 63 يوماً، وأصبحت تقوم بالتنقية من خلال الأوزون والكربون النشط.

وفي تلك الفترة أيضاً كانت قد اكتملت الاستعدادات الأولية المتعلقة بمشروع خط إسالة عمرلي تشامليجا، وبدأت بالفعل الأعمال الإنشائية.

وحين حل شهر نوفمبر/ تشرين الثاني كان قد تم البدء مرة ثانية في إنشاء تأسيسات التنقية البيولوجية بطوزلا، وقد نزلت أولى مواسير التفريغ البحري بالمشروع بالفعل إلى البحر. وقدرة هذا المشروع اليومية هي أنه يمكنه تفريغ 484,000 متر مكعب من المياه العادمة وبعمق 46 متراً.

وقبيل نهاية العام تم البدء في مشروع المياه الجوفية، وتم بالفعل افتتاح بئرين في حي سلطانبيلي، وباهتشه لي أفلار من بين 40 بئراً يُراد حفرها.

وكل هذه الأعمال والمشروعات التي ذكرناها تمت في حيز من الزمن يبلغ تسعة أشهر من عام 1994م.

وبينما كان يتم عمل كل هذه المشروعات، إذ بالصحافة تتصرف وكأن شيئاً لم يكن، بل وتتعامل مع إدارة البلدية بصورة معيبة بحجة مشاكل المياه، لكن إدارة البلدية أمام كل هذه الهجمات التي لا تستند على الواقع تتبنى مفهوماً يقتضي الإجابة على تلك الهجمات وإعلام الشعب بكل هذه الأعمال التي تتم. ونتيجة لهذا، تتخذ البلدية قراراً بتنظيم مؤتمر صحفي على فترات باسم رسالة اسطنبول الإخبارية.

بدأت إدراة المياه والصرف الصحي باسطنبول العمل بسرعة، وهي لا تفكر في تخفيف وتيرة هذه السرعة. وتحول عام 1995م بأكمله إلى عام الانطلاق:

فقد تم افتتاح خط إسالة عمرلي تشامليجا، والثلث الأول من مشروع جداول إسترانجا، وسد دوزداره وإنشاءات تعلية قدراته، وسد قوزولداره وإنشاءات تعلية قدراته، وسد بويوك داره وإنشاءات تعلية قدراته، كما تم وضع حجر الأساس لمشروعات لا حصر لها، إضافة إلى أنه قد دخل في حيز الخدمة أيضاً كل من مركز تعلية قدرات قوتشوك كوي، ومنشأة عمرلي مرادية لتنقية مياه الشرب، ومنشأة تفريغ توزلا البحرية، ومركز تعلية قدرات أتاكوي للمياه العادمة.

وكان عام 1996م هو عام البيئة:

فقد تم قطع مسافة كبيرة في استثمارات المشروعات المتعلقة بالمياه، كما دخلت حيز الخدمات مشروعات كبرى مثل: آبار شيلا كيسون، ومنشأة كاغيت هانه ويلديريم بايزيد لتنقية مياه الشرب، وخط الأنابيب الممتد تحت البحر لمياه الشرب بجزب مالتبه، وأنفاق مرفأ قاباتاش، وخط إسالة دودوللو تشامليجا، وخزان مياه صفا كوي حلقة لي. وهبَّت إدارة المياه والصرف الصحي باسطنبول على قدميها من أجل بيئة نظيفة وأكثر خضرة في اسطنبول بأن أولت أهمية بالغة لمشروعات المياه المستعملة.

أما عام 1997م فكان عام البوسفور:

البوسفور هو حلم اسطنبول الأزرق. فقد تم الانتهاء من مشروع شمال البوسفور وخط تفريغ ومنشأة تنقية المياه المستعملة بمرفأ بالطه، وتم البدء في مشروع إنقاذ البوسفور. وفي العام نفسه دخل الخدمة أيضاً كل من سدَّي المه داره وسلطان داره، وإنشاءات تعلية قدراتهما، ومراكز تجميع المياه المستعملة بقينالي أده، وإنشاءات تعلية قدراتها، ومركز التفريغ البحري بها، وكذلك خط وشبكة بايكوز لإسالة مياه الشرب، ومجمّعي قاغيت هانه وعلى بي قوي للمياه المستعملة، ومراكز تعلية قدرات سلاحتارأغا للمياه العادمة.

عام 1998م هو عام بحر مرمرة الأزرق:

قامت إدارة المياه والصرف الصحي باسطنبول عقب الحلول التي طبقتها لحل مشاكل المياه بالبدء في تنفيذ مشروعات من شأنها جعل بحر مرمرة أكثر نظافة وزرقة. والمشروعات الرئيسة التي دخلت حيز الخدمة بالفعل في عام 1998م هي: المشروع البيئي بجنوب البوسفور- شبكة مياه شرب بيرام باشا - خزان مياه محمود بي ومركز تعلية قدراته - شبكة مياه شرب أمين أونو - خط الإسالة المعدني ومركز تعلية القدرات، وخزانات مياه تشاليك تبه وأيازاغا وصاري ير وبويوك داره - منشآت توزلا للتنقية البيولوجية للمياه المستعملة - مركز إيكي تالي فاتح سلطان محمد خان لتنقية المياه المستعملة - خط إسالة إيكي تالي التابع لسد صالي داره ومركز بويوك تشكمجه لتنقية المياه المستعملة.

وهكذا، ومثلما نرى، فإن مجرد ذكر أسماء المشروعات التي رأت النور يحتاج لصفحات، فما بالنا بكمية المجلدات التي قد نحتاج إليها لو كنا سنتحدث عن هذه

المشروعات بالتفصيل، وبالطبع لن نفعل ذلك حتى لا نصيب القارئ بالملل. لكننا إذا أردنا أن نوضح ولو قليلاً كيف تشكلت أسطورة أردوغان، فينبغي علينا الحديث عن ماهية المشروعات التي حققها ولو بصورة مختصرة.

فإذا كان أردوغان في الأعوام العشرة الأخيرة قد تحول إلى قائد غير من صورة تركيا، فإن ذلك قد تحقق من خلال المشروعات التي قام بها في اسطنبول، وما أثارته هذه المشروعات من ثقة به على المستوى الشعبي.

وحينما كانت الحملات الانتخابية للبلدية مستمرة وجدنا الكثير ممن قالوا: فليأتِ من يأتي إلى منصب رئيس البلدية، وليحلَّ لنا مشكلة المياه، وليظلَّ رئيساً للبلدية طوال العمر. وبالفعل فعلها أردوغان، لكنه لم يكتفِ بحل مشكلة المياه في اسطنبول فحسب، وإنما حافظ أيضاً على التراث التاريخي لاسطنبول والذي ظل مهملاً لسنوات طويلة وذلك من خلال مجهودات جبارة. وأعاد في فترة قصيرة لاسطنبول مكانتها مرة أخرى كمدينة تراثية عالمية. والحقيقة أن ما جعل من اسم أردوغان أسطورة هو هذا النجاح. وحينما تم عزله من منصبه ليزج به في السجن انتشرت أسطورته هذه بمختلف أنحاء الأناضول. فهو الآن ملك القلوب والمرشح الحقيقي لقيادة تركيا.

كان من تقاليد أردوغان طوال فترة السنوات الأربع والنصف التي قضاها كرئيس للبلدية أن يحدد تاريخ الانتهاء من المشروع وذلك في حفل افتتاح المشروع ووضع حجر الأساس له، والجدير بالذكر هنا أنه لم يخلف ميعاداً من المواعيد التي تخص الانتهاء من المشروعات قط. فلم يحدث أن تم تأجيل هذا الميعاد أو حتى تم تغييره، بل كان العمل ينتهي وفقاً للجدول الزمني المحدد له تماماً.

ويحكي "دورسون علي تشودور" الذي كان يشغل منصب مدير إدارة المياه والصرف الصحي باسطنبول آنذاك أحد الأحداث المتعلقة بذلك:

"كان السيد رجائي قوطان معنا في مراسم وضع حجر الأساس لمشروع سد قازان داره، وقام الرئيس في كلمته بتحديد ميعاد الانتهاء من إنشاءات السد كما يفعل في كل المشروعات، فإذا بالسيد رجائي يشعر بالاضطراب من ذلك، وما إن أنهى السيد أردوغان كلمته حتى مال عليه وقال له: "يا سيدي الرئيس، ماذا فعلت؟ إنني على علم بهذه الأمور، إذ إنني عملت لسنوات في شركة المياه الحكومية.

وليس من الممكن الانتهاء من السد في التاريخ الذي حددته. وأسوأ ما في الأمر أن تربط نفسك بوعد أمام الصحافة!".

فرد عليه أردوغان بقوله: "لا تقلق يا أخي! إن شاء الله سندعوك إلى الافتتاح أيضاً وسترى أننا لن نخذلك".

وتم الانتهاء من إنشاء السد في الميعاد المحدد، وكان السيد رجائي أيضاً من بين مدعوينا. وقد بارك لنا جميعاً بعد أن حكى لنا الاضطراب الذي شعر به عند الافتتاح وما قاله للسيد أردوغان آنذاك".

وحين يتم عمل مناقصة ما فإن السيد أردوغان لا يترك عاقبة الأمور لإنصاف المتعهد صاحب المناقصة، بل يأتي في ساعات متأخرة من الليل ويزور أماكن العمل، وحينما يجد تقصيراً ما يأتي بالمتسبب فيه ويحاسبه. فهو رجل لا يغض النظر عن إهمال العمل أبداً.

وكان يراقب موظفيه أيضاً بقدر ما كان يراقب المتعهدين، فهو لا يسمح للكسل أن يكون سمة للموظفين أبداً، ولا يترك الأعمال لأهواء من يقومون بها.

ومن أهم مميزات السيد أردوغان وفاؤه بالعهود التي يقطعها على نفسه مهما كانت الظروف. ففي الشهور الأولى من تولي السيد أردوغان لرئاسة البلدية لم يكن هناك سبيل لتخطّي الأزمة المالية التي تحيط بالبلدية، ولقيام شركات الشحن المتعهدة بالوفاء بالتزاماتها في الوقت المحدد إلا من خلال اطمئنانها لوعود السيد أردوغان لها.

وحينما رأى السيد أردوغان في الأيام الأولى لتوليه منصب رئيس البلدية أنه ليس هناك أي تقدم في مشروع إنشاء المترو دفعه حب الاستطلاع إلى معرفة السبب، فتوجه على الفور إلى زيارة هادي أوزقازانتش رئيس مجلس إدارة شركة (تكفن) لإنشاء المترو وكان يرافقه كل من أدم باشتورك ومصطفى أتشيق ألين.

ويلخص السيد هادي الموقف بقوله: "لقد أخبرنا الإدارة السابقة للبلدية كتابةً أننا سوف نعمل بقدر الأموال المدفوعة لنا. وأننا الآن لا نقوم بأي عمل في المشروع لأنه لم يتم دفع مستحقاتنا منذ فترة طويلة، وحقيقة الأمر أننا الآن متوقفون نهائياً عن العمل بالمشروع".

فقال له السيد أردوغان: "لتبدأوا الآن في عملكم يا سيد هادي، فهناك الكثير

من الأموال في اسطنبول، ونحن على كل حال سنحصل على هذه الأموال وندفع لكم مستحقاتكم".

ويقول السيد هادي: "إنني حينما رأيت العزيمة والثبات على الموقف لدى السيد رئيس البلدية شعرت بالاطمئنان، ووثقت في ما وعد به، ومن دون أن أطلب أي ضمانة أخرى أصدرت التعليمات للعودة إلى العمل بالمشروع مرة أخرى. والحمد لله أننا عدنا للعمل ثانية حيث إنه تم صرف كل المستحقات في وقتها، ونحن أيضاً سلمنا المشروع في وقته".

وكانت شركة (آنقه) للتشييد والتعمير إحدى الشركات التي وثقت في كلمة السيد أردوغان واستمرت في عملها من دون انقطاع. ويقول "شاريق طاره" في التقرير الصحفي الذي أدلى به "لعائشة أرماغان" الصحفية بصحيفة (حريت) في 16/5/2010 ما يلي:

"لقد كنا نقوم بإنشاء المترو في أثناء رئاسة السيد أردوغان للبلدية، واستدعانا أردوغان وقال لنا: "إنني أستطيع أن أدفع لكم مستحقاتكم كاملة وفي أوقاتها المحددة". والحقيقة أننا سمعنا من البلدية الكثير من الوعود، إلا أن الغريب في الأمر أن السيد أردوغان صدق في كل ما قاله لنا".

أما السيد "غولار يوز ولدان" صاحب شركة (غولارماق) فهو رجل في الخامسة والسبعين من عمره، بشوش الوجه، ذهب في أحد الأيام لزيارة السيد "أدم باشتورك" مساعد السكرتير العام المسؤول عن الاستثمارات، وكان هدفه من هذه الزيارة هو التعبير عن دهشته التي يشعر بها تجاه الإدارة الجديدة للبلدية وكذلك التعبير عن امتنانه لها.

أما سبب دهشته فيرجع إلى أنّ رئيس البلدية قام بإيداع مبلغ ترليون ليرة تركية دفعةً واحدةً من مستحقات الشركات القائمة بالاستثمارات في حسابها بالبنوك.

وكان "أدم باشتورك" يصغي بكل هدوء إلى ما يرويه السيد "ولدان"، ثم قال له: "إن هذه الأموال هي مقابل ما قدمتموه بالفعل من أعمال، إذاً، فلماذا الدهشة؟".

وكان جواب السيد "ولدن" على ذلك عجيباً ويدعو للتأمل: "يا سيدي، إننا قمنا من قبل بالعديد من الأعمال للبلدية، وكنا حتى نأخذ مستحقاتنا من البلدية نقوم بما لا يصدقه العقل، إذ كنا نتباحث مع كل الأشخاص المسؤولين كل على

حدة، وكنا بالطبع نعمل على جعلهم ممتنين! وفي النهاية، وفي أحسن الظروف، كانت مستحقاتنا تُقسم على اثنتي عشرة دفعة. أما الآن فمستحقاتنا بالكامل توضع في حساباتنا، وهذا أمر لم أره طوال عمري البالغ خمسة وسبعين عاماً، فهذا الأمر لم أكن أتخيل مطلقاً حدوثه".

إن السيد أردوغان في العام الأول له في رئاسة البلدية قد استطاع التغلب على مشاكل المياه باسطنبول. وأنقذ إدارة المياه والصرف الصحي باسطنبول من مستنقع الرشوة والفساد وعدم المسؤولية الذي كانت غارقة فيه حتى أصبحت مؤسسة تتعاقب فيها المشروعات الناجحة الواحد تلو الآخر.

اهتم السيد أردوغان بصورة متوازية مع مشاكل المياه بمشكلة تلوث الهواء أيضاً، فحينما استلم السيد أردوغان منصبه كرئيس للبلدية كان عدد المساكن التي تعمل بالغاز الطبيعي 180,000 منزل، وبعد فترة قصيرة قفز هذا العدد إلى 300,000 مسكن، إلا أنه ما زال الفحم يستخدم بكثرة حتى الآن.

السبب الرئيس لتلوث الهواء هو أن معظم الفحم المستخدم في اسطنبول من الأنواع المهربة رديئة النوعية. ولأجل التغلب على هذا الأمر ينبغي أولاً وقبل أي شيء انتقال سلطة الرقابة على ذلك الأمر من الولاية إلى البلدية. وبالفعل بمجرد انتقال سلطة الرقابة والتفتيش على الفحم قامت دائرة حماية البيئة التابعة لبلدية مدينة اسطنبول الكبرى بتحديد جديد لأنواع الفحم المصرح بها وللمعايير الجديدة التي سوف يتم تطبيقها في هذا الشأن. وبهذا ومن خلال منع بيع الفحم رديء النوعية والسماح فقط بالفحم الغني والجيد والعالي تحقق تحسن ملموس في تلوث الهواء باسطنبول بنسبة وصلت إلى 70 بالمئة.

وإذا كانت قد حدثت زيادة كبيرة في عدد المساكن التي وصل إليها الغاز الطبيعي، فإن منزل رئيس البلدية لم يأتِ عليه الدور حتى الآن لتوصيل الغاز الطبيعي إليه. والحقيقة هي أن الجميع يتمنون أن يأتي عليهم الدور ويتم توصيل منازلهم بالغاز الطبيعي، ومن أجل هذا يقومون بتقديم الالتماس المطلوب. إلا أن مسؤولي شركة توزيع الغاز الطبيعي باسطنبول يقولون إنهم يعملون وفقاً لخطة محددة، وإنهم لن يقوموا بأي شيء استثنائي حتى يأتي الدور على منطقة أسكودار أمنيت التي يقطن فيها رئيس البلدية.

وبعد عام واحد

لـم يقطـع السـيد أردوغـان قـط الحـوار الذي أقامه بينـه وبين الأهالي في أثناء حملته الانتخابية، بل كان يتحين الفرص لأن يوجه إليهم كلماته. إن وفاءه بالعهود التي قطعها على نفسه في أثناء فترة الانتخابات كان يبدو جلياً من خلال المشروعات التي قام بها، كما أنه أكَّد في كل المواقف أنه رجل يميل للشفافية في إدارته، ولا يخشى المحاسبة أبداً. كما أن سلوكه وتصرفاته التي سلكها كرجل سياسة تشير إلى أنه سوف يغير في المفهوم السياسي لدى الشعب وسوف يؤثر بعمق في اختيارات الشعب السياسية في ما بعد.

وبقـدر مـا توضـح الكلمـة التـي ألقاهـا أردوغان عقب نهاية العام الأول له في إدارة البلدية أن نشاطه السياسي لن يتوقف على حدود اسطنبول فحسب، فإنها أيضاً تبدو كما لو كانت إعلاناً منه لما سوف يفعله سياسياً على مستوى الدولة ككل:

"أهالي اسطنبول الأعزاء

إننا منذ عام نعمل على إدارة مدينة كبيرة مثل اسطنبول، ونعمل كذلك على حل مشاكلها اليومية والروتينية والمشاكل الأخرى طويلة الأجل. وقد ظهرت خلال العام المنصرم - وعلى وجه الخصوص في فترة ما قبل الانتخابات - نقطتان تتجاوزان حدود العدل بحقنا. وأولاهما أننا سـوف نسـخر إمكانيات البلدية لصالحنا ونقلب الحياة اليومية لأهالي اسـطنبول رأسـاً على عقب؛ أما ثانيهما فهي أننا سـوف نعجز عن القيام بالخدمات على أكمل وجه.

وقبل أي شـيء، ينبغي أن نوضح أنه ليس هناك وجود في مفهومنا أو رؤيتنا للعمل السياسي لأي نوع من التدخل في آراء من يفكرون بطريقة مخالفة لنا. فأي إنسـان له حق التفكير مثلما يشـاء وأن يحيا مثلما يرتضي. ونحن مع مرور الزمن عشنا جنباً إلى جنب مع من يخالفوننا في التفكير أو الاعتقاد، بل ونحن أصحاب خبـرة متطـورة للغايـة فـي هـذا الصـدد. ونحن من خلال تراكـم الخبرات هذا الذي

نتمتع بـه لدينـا التصميـم والعـزم علـى أن نعيش مع الكيانات المختلفة بروح تتسـم بالتسـامح والنية الحسـنة المتبادلة. ولم يتبقَّ سـوى أن تمضي هذه الفترة الحرجة التـي يمـر بهـا بلدنـا بـأن نـرى الخلافات التي بيننا على أنها ثراء وتعدد فكري، وأن نقبل بعضنا على هذا الأساس. فيجب على الجميع معرفة ذلك.

لقـد مـر عـام علـى إدارتنـا للبلديـة، وظهر خلال هذا العام أننا قدمنا الخدمات للجميع بالتسـاوي، وأننا سـعينا من أجل توفير حياة أفضل للجميع واحترمنا الكل أيضاً. وإن معرفة أفراد المجتمع لذلك شيء يسعدنا جميعاً.

وأخيراً، إنني أريد التأكيد بشكل خاص على أننا بحاجة إلى التعاون والتوحد بيننا بصورة أكبر، ويجب علينا في الوقت نفسه أن نتكتل ضد قوى الضغط السياسية الخفيـة التـي تتربـص بنـا داخليـاً وخارجيـاً حتـى لا نسـقط في فخها. فهـذه المدينة الجميلة وهذا الوطن البديع ملكٌ لنا جميعاً، وسيظلان هكذا إلى الأبد إن شاء الله".

وها نحن الآن في عام 2010م، وقد مرت خمسة عشر عاماً على هذه الخطبة، والسيد أردوغان الآن هو رئيس الوزراء، وكأنه كان يعيش كل كلمة قالها في تلك الخطبة آنذاك، فالدولة في هذه الآونة تتناقش حول الانفتاح الديمقراطي. فإذا نظرنا لهـذه الكلمـة مـن هـذه الناحيـة، فسـنجد أن أردوغان قد أصبح رئيسـاً للوزراء ليس لأنه قد تغير، وإنما على العكس من ذلك تماماً لأنه ظل ثابتاً على مبادئه، ويمارس سياسـته الآن أيضاً بالقدر نفسـه من الثبات. والذين نجحوا في النظر إلى أردوغان بمنأى عن الأحكام المسبقة التي اعتادوا عليها يعلمون قدره بحق، ويرون أردوغان علـى حقيقتـه. فهـو هكـذا مـن قبل، وسـيظل دائمـاً هكذا، وليس فقط بعد أن أصبح رئيساً للوزراء.

آه يا اسطنبول الجميلة!

جاءت "تانسـو تشـيلار" تلك المرأة الشـقراء الحسـناء إلى مركز معالجة قمامة (هالقالي)، وصرخت بشدة قائلة:

"أردوغان لا يمكنه أن ينجح! إنني سأتولى مسؤولية اسطنبول بأكملها! وأنا أغلق مركز القمامة هذا...".

إنها امرأة جيدة أيضاً. إذاً، فلتقل لنا أين ستلقي بمخلفات اسطنبول من القمامة التي تقدر بثمانية آلاف طن يومياً؟ فلتتفضل ولتشرح لنا ذلك!

وبمجـرد أن اسـتلمت الإدارة الجديـدة المسـؤولية وضعـت يدهـا علـى هـذه المعضلـة، وخططـت لإنشـاء سـت محطـات "تدويـر" في إطار "مشـروع اسـطنبول للمخلفـات الصلبـة". وعندمـا اكتملت المشـروعات، دخلـت المحطات واحدة تلو الأخرى في الخدمة، فأصبحت الشوارع نظيفة للغاية، ولم يتبقَّ أثر من جبال القمامة التي كانت موجودة في كل مكان. أهو أمر يسير أن يتم جمع ثمانية آلاف طن من القمامة يومياً من الشوارع؟!

إننـا نتحـدث عـن إحـدى المـدن العالميـة الكبـرى، والتي يجـب أن يتم جمع القمامة منها من دون أي تأخر، ثم يُذهب بها إلى مراكز التدوير وتخزن في أماكن مناسـبة للتخزين، وحين يتم عمل كل ذلك يجب ألا يحدث أي خطأ. إنها مدينة ضخمة يبلغ عدد سـكانها 12 مليون نسـمة، إنها اسـطنبول، ومن ثَمَّ ينبغي أن تظل دائماً على درجة كبيرة من النظافة.

والحقيقة أن قمامة اسطنبول اكتسبت جانباً سياسيًّا من خلال تصرفات السيدة "تانسو تشيلار"، لكن هذه القمامة أصبحت في وضع سيئ للغاية بعد أن تحكمت السيدة "تانسو" في الصحافة. فعلى مسؤولي البلدية أن يجدوا حفرة مناسبة لوضع القمامة فيها، والأكثر من ذلك، إنّ الأهالي في القرى المجاورة قد تم دفعهم للعصيان فقامـوا بقطـع الطـرق فجـأة، ومنعـوا حافـلات جمـع القمامة من عبـور هذه الطرق،

ووصل بهم الأمر بأن قاموا بتخريب هذه الحافلات!

فقد ظهرت الألعاب السياسية التي يتم تدبيرها حتى على القمامة، وكذلك كتاب المقالات في الصحف الذين سعوا وراء هذه الألعاب المدبرة معاً، ولننظر إلى ما كتبته "أجا جانسون" في صحيفة (حريت) في إحدى مقالاتها، وكيف أنها تحرض الأهالي بصورة واضحة:

"لقد كتبت الكثير من المقالات بشأن القمامة، وسأكتب العديد منها أيضاً مستقبلاً؛ لأن هذا الموضوع سيسمح لنا أن نرى بوضوح شديد العديد من الأفعال الزائفة المنتشرة في حياتنا الاجتماعية والتي كان ينبغي علينا أن نقذف بها في سلة المهملات منذ فترة بعيدة.

فاليوم سأتناول بالحديث الوضع الفني والاقتصادي فقط واللذين تحوّلا إلى مادة غالبة على السياسة الداخلية للدولة بصورة ظالمة.

إنه وفقاً للمعلومات التي حصلنا عليها تُخرج اسطنبول يومياً عشرة آلاف طن من القمامة، ويجب جمع هذه القمامة ووضعها في أماكن مناسبة لأن هذه القمامة لا يمكن أن تظل داخل المدينة. وهذه الوظيفة تقع على عاتق بلدية اسطنبول، وبلدية مدينة اسطنبول الكبرى تواصل جهودها لجمع القمامة وتخزينها بصورة أفضل من الإدارات السابقة. والأماكن التي تم اختيارها لهذا الغرض كان قد تم تحديدها منذ عشرين أو ثلاثين عاماً مضت (ربما أيضاً في تاريخ أقدم من ذلك) وهي كانت آنذاك أماكن غير مأهولة بالسكان، بل ولا توجد بها كائنات حية. أما الآن، فقد تغير الوضع بسبب اتساع المدينة، إذ أصبحت هذه الأماكن داخل الكتلة السكانية. إذاً، يجب اختيار أماكن جديدة ومناسبة وتكون أكثر بعداً. وقد تم اختيار أماكن جديدة بالفعل.

ولقد رُوعِيَ في مخازن القمامة الجديدة أن تكون في المناطق التي أفسدها المشتغلون بالتعدين، وتمت كل الاستعدادات. ووفقاً لما أدلى به المسؤولون الرسميون، فقد تم صرف ثلاثة ترليونات ليرة لهذا الغرض.

إلا أن المقيمين على مقربة من هذه المناطق التي تم اختيارها أخيراً كمخازن للمخلفات، أو من يمتلكون أراضيَ هناك، أو حتى من وضعوا في اعتبارهم سرقة هذه الأراضي هم أيضاً يصرخون: لا تلقوا بالقمامة هنا!

وعلى الفور سينتهز هذه الفرصة كل من السياسيين وبعض الذين يسيرون في دربهم والمعادين لأردوغان رئيس البلدية الحالي وسيقولون: إن المواطنين محقون. فلا تلقوا بالمخلفات هناك! وسيتدخل في ذلك الأمر أيضاً الكثيرون ممن يدعون أنهم أصدقاء للبيئة، وربما نجد الحشرات التي تعيش على هذه القمامة هي الأخرى تدلو بدلوها في هذا الموضوع. وأنتم ترون ما تفعله تانسو تشيلار وكذلك السيد المحترم جيندوروك الذي لم يجد في نفسه الشجاعة لأن ينافس تشيلار في ساحتها. والسؤال هنا هو: متى قام رؤساء مجلس الشعب بأعمال البلدية؟

والسيد أردوغان المسكين يتساءل الآن: إذاً، أين نلقي بالمخلفات؟ والجواب هو أن تحديد مكان إلقاء المخلفات وظيفة البلدية، فلتفكر فيه أنت. ولكن، ماذا سيحدث لترليونات الليرات التي تم إنفاقها حتى الآن؟ وكم ستكلف أماكن إلقاء المخلفات الجديدة؟ ومتى ستكون جاهزة بالفعل؟

ولنفترض أنه تم إيجاد هذه الأماكن، ألن يعترض آخرون عليها أيضاً؟

والجواب هو فلتفكر أنت يا سيد أردوغان في ذلك!

يا لها من إجابات لا تتسم بالعقلانية ولا بالضمير الحي! أليس كذلك؟

إن أهالي اسطنبول يجب ألا يسمحوا لرئيس البلدية أردوغان بهذا القدر من الظلم الذي يرتكبه بحقهم. بل يجب أن يقفوا ضد رؤيته للأمور التي يمثل بها حزب الرفاه. إلا أن رئيس البلدية كان يجب عليه ألا يضرب بصرخات أهل مدينته عرض الحائط بهذه الصورة لمجرد أنه منتسب لحزب الرفاه.

إنني على يقين بأنهم في القريب العاجل سوف يدفعون مقابل هذا الظلم وهذه القسوة التي ارتكبوها في حق أهالي اسطنبول. وسوف تتكشف خلال عملية تصفية الحسابات هذه العديد من القضايا مثل قضية القمامة الموجودة في كل مكان، وانقطاع المياه، وزيادة نهب الأراضي".

آخر الكلام: ليس من حق أي شخص أن يظلم غيره! (16 ديسمبر/ كانون الأول 1995م، صحيفة حريت).

لقد أرجع أردوغان العاصفة المثارة حول موضوع القمامة إلى سببين رئيسين وذلك في مقالته التي كتبها في رسالة اسطنبول الإخبارية وهما: "مشكلة الإيرادات، وإسقاط صورة البلدية التي تقدم خدمات ناجحة".

وهدف الحكومة تعجيز أردوغان وجعله في وضع لا يسمح له بتقديم الخدمات، والقضاء على التعاطف الشعبي المتنامي بسرعة بالغة يوماً بعد يوم نحو أردوغان ورفاقه.

إن عمل إدارة البلدية على حل مشاكل المياه، وتلوث الهواء، والمواصلات، والمخلفات، وحصولها على نتائج إيجابية في هذا الصدد، وكذلك سعيها الدائم نحو الارتقاء بمستوى معيشة الأهالي، لا تُقوّي مكانة أردوغان فحسب، وإنما في الوقت نفسه تمهّد الطريق لتقوية حزب الرفاه بأكمله وبصورة سريعة.

إن نيلوفر نارلي وعلي جيزار وسينان ديريكليك وهم من خبراء الإدارة العامة بجامعة مرمرة قاموا بنشر أحد أبحاثهم في صحيفة (القرن الجديد) بعنوان: "ماذا يحدث لو تم عمل انتخابات محلية اليوم؟". واعتمد الخبراء في هذا البحث على منطقة (قاضي كوي)، ورأوا أن حزب الرفاه منذ آخر انتخابات محلية لم يفقد أصواتاً في اسطنبول، وعلى العكس من ذلك، فإن قسماً كبيراً ممن أعطوا أصواتهم الانتخابية للأحزاب الأخرى سيختارون حزب الرفاه لو حدثت انتخابات اليوم.

ويستطردون بالقول في جزء آخر من الدراسة بما يلي: "من الملاحظ أن حزب الرفاه يحافظ بشكل مستقر على نسبة الأصوات الانتخابية التي يحظى بها. وبينما يفقد حزب يمين الوسط وحزب الشعب الاجتماعي نسبة من أصواتهم الانتخابية، فإن الفئات الشعبية متوسطة الدخل وعالية الدخل والتي تشعر بإحباط سياسي تتجه الآن نحو حزب الرفاه الذي يَعِدُ من خلال رسالة إسلامية بالمساواة والعدالة".

وعليه، فإن حزب الرفاه الذي حاز على نسبة 16.88 بالمئة من الأصوات الانتخابية في الانتخابات العامة عام 1991م وحصد 62 مقعداً في مجلس الشعب قد عزز من موقفه في انتخابات عام 1995م بأن نال نسبة 21.38 بالمئة من نسبة الأصوات، وحصد 158 مقعداً في مجلس الشعب.

وإن الجانب المشترك للممارسات الحكومية التي تعمل على عرقلة أردوغان بأي طريقة يشير إلى أن هذا ما هو إلا خصومة من طرف واحد.

يحكي مصطفى أتشيق آلين ما يلي:

"لقد أخذنا أنا والسيد أردوغان موعداً مع رئيسة الوزراء تانسو تشيلار، وكان هدفنا هو أن نطلب زيادة في الميزانية المخصصة للبلدية والتي تقل يوماً بعد يوم

من خلال استقطاعات مستمرة وذلك كي نستمر في مجهوداتنا من أجل حل مشاكل اسطنبول.

ودخلنا الغرفة التي ستقابلنا بها وانتظرنا. وجاءت السيدة رئيسة الوزراء وهي غاضبة، وبعد أن رحبت بنا عن غير طيب خاطر اتجهت ونظرت إلى الساعة المعلقة على الحائط، وكأن لسان حالها يقول لنا: ليس لدي وقت لأضيعه معكما، وطالما أنكما قد جئتما فلا تطيلا اللقاء.

فقام السيد أردوغان بوضع الورقة التي كان قد كتب بها ملاحظاته في جيبه، وخرجنا لأننا في وضع لا يسمح بأن نتحدث فيه بصراحة وصدق".

أما موقف رئيس الحزب الحاكم حزب الشعب الديمقراطي، ونائب رئيس الوزراء السيد مراد قره يالتشين فلا يختلف في قليل ولا كثير عن موقف السيدة تشيلار. فشركاء الحكومة يبدون وكأنهم مصممون للغاية على موقفهم من أردوغان الذي بدأ نجمه يسطع بقوة في سماء اسطنبول، فكانوا يعملون على إيجاد سبيل بأي شكل كان لإيقاف أسطورة رجب طيب أردوغان.

وعرض مراد قره يالتشين مشروعاً على مجلس الوزراء، ووفقاً لهذا المشروع الذي تم قبوله في مجلس الوزراء، فقد تم تأسيس وحدات أمنية جديدة تحت مسمى شرطة المعمار وتكون مرتبطة بالحكومة المركزية، ثم نقل سلطة البلدية لهذه المؤسسة الجديدة.

وبهذا ستنتقل سلطات كثيرة مثل توزيع الغاز الطبيعي، واستخدام الفحم، والتحكم في مؤسسات المخلفات الصلبة من شرطة البيئة إلى الحكومة المركزية.

ثم بعد ذلك يتم إنشاء وحدات الأمن الخاصة التي ستخضع للحكومة المركزية وتأخذ صلاحيات شرطة البلدية.

ورغم هذا، فإن رئيسة الوزراء ونائبها مصمّمان على قطع الطريق أمام أردوغان وجعله في وضع لا يسمح له باستكمال خدماته أياً كانت الطريقة، حتى إنهما لا يعيان أن هذه الطريقة أساساً منافية للبروتوكول الذي تسمح به الحكومة.

فالقسم الذي أدّياه عندما كوّنا الحكومة ينص على العمل الديمقراطي بصورة كبيرة، وعلى تنظيم القوانين التي من شأنها تدعيم الإدارة المحلية وتمهيد الأوضاع لها.

أما الآن، فإنهما يسلكان مسلكاً مخالفاً لذلك. أما العذر الذي ذكراه لكل هذه الأعمال فهو أنهما يجدان أردوغان غير كفوء بالنسبة لاسطنبول. ومن الطبيعي أنهما لم يقنعا أحداً بهذه الحجة الواهية. لذا بدأ قسم كبير من الإعلام ومن المعارضة بإعطاء رسائل تصف ما تفعله الحكومة بأنه ضرب من تحت الحزام:

"إن قيام الحكومة في أنقره بإدارة اسطنبول يعود بتركيا إلى فترة ما قبل عام 1980م". (مسعود يلماز، رئيس حزب الوطن الأم)

"يقولون: لن نفرط في اسطنبول، ونقول لهم: ونحن لن نفرط في حقوقنا الدستورية". (نجم الدين أربكان، رئيس حزب الرفاه)

"إنهم يعتدون على الديمقراطية، ويريدون أن يجعلوا من الوقوف ضد حزب الرفاه ضرباً من ضروب الديمقراطية". (نجاتي دوغرو، صحيفة الصباح)

"... إذا كان المقصود هو تعجيز رئيس البلدية الذي أعطيته أنت أيها القارئ صوتك الانتخابي، ونقل الصلاحيات التي يتمتع بها إلى أنقره، فما الذي ينبغي عليك فعله أيها الناخب؟ إذاً، فلنضع أيدينا نحن على أنقره... طالما أن معركة السلطة هدفها اسطنبول، فلنوجه نحن أيضاً وجهة معركتنا إلى أنقره. وإلى أي مدى ستمتد المعركة لو أصبح في الغد وزير الثقافة مثلاً من أعضاء حزب الرفاه؟ هل ستمتد المعركة إلى رئاسة أركان الجيش؟ إن ذلك ليس حلاً للأمور، فهذا منطق حل المشاكل بالانقلاب...". (جان دوندار، صحيفة يني يوزييل)

"إن الحكومة تريد أن تصور لنا وجهات نظرها على أنها حقيقة. ومن وجهات نظرها هذه نقل سلطات تعمير مضيق البوسفور من المحليات إلى الإدارة المركزية، ووجهات نظرها المتعلقة برغبتها في وضع مراكز حزب الرفاه تحت المراقبة، وكذلك خلافاتها مع جمعية تورينج. ومع ذلك، فإن النتيجة التي لم ولن تتغير، هي أن هذا أمر معيب. حيث إننا نتحدث هنا عن أمر معيب يقترف (لاستجلاب الأموال)، وسوف يظل ألماً في رأس السياسيين مستقبلاً... وإننا نحذر بأنكم حين تستقطعون أموالاً من مخصصات اسطنبول، فإنكم بذلك تثيرون غضب تركيا بأكملها!". (فهمي قورو، صحيفة زمان)

وحينما علت الأصوات المعارضة الواحد تلو الآخر اضطرت السيدة "تانسو تشيلار" ونائبها السيد "مراد قاره يالتشين" إلى تعطيل (مشروع خطة الاستيلاء

على اسطنبول) بهدوء.

والسيدة "تانسو تشيلار" التي كانت مصابة بحالة مرضية مزمنة اسمها (وهم اسطنبول) بدت وكأنها وقعت في بئر لا قرار لها، وما لا تحسب له حساباً. ولم تلبث أن أخرجت هذه المرة من جعبتها مشروعاً جديداً اسمه (هيئة اسطنبول 2001م).

ورأت أنها الشخصية المناسبة لرئاسة هذه الهيئة. وضمت لهذه الهيئة كلاًّ من نائب رئيس الوزراء "حكمت تشتين"، ووزير الدولة "يلديريم أقتونا"، ومستشار رئاسة الوزراء "علي ناجي تونجر"، ونائبي اسطنبول بمجلس الشعب السيد "بهاء الدين يوجال" والسيد "والي خيري قوزاقتشي أوغلو"، ورئيس بلدية مدينة (اسطنبول الكبرى) "رجب طيب أردوغان"، ورئيس اتحاد بلديات البوسفور، وبحر مرمرة "علي طالب أوزدمير".

وكانت إدارة أمور (اسطنبول) ستقع على عاتق هذه الهيئة، ولن تكون الإدارة لرئيسها أردوغان. وبهذا كانت "تانسو تشيلار" بصدد تحقيق أحلامها من خلال هذه الهيئة التي اختارت أعضاءها بنفسها والتي كانت تمثل الحكومة بشكل كبير، إذ إنها كانت من خلال هذه الهيئة سوف تتخلص من أردوغان من ناحية، وستضع يدها على اسطنبول من ناحية أخرى.

وكان الإعلام الحكومي يعرب عن سعادته بذلك، والصحف تنشر موضوعات عناوينها مثل: "رئاسة أردوغان تنتهي"، و"أردوغان سيترك مقعده"، إلا أن الأهالي كانوا لا يصدقون الأمر ويمر عليهم وكأنه ضرب من الخيال.

وفي أول اجتماع لهذه الهيئة تم تقسيم اسطنبول إلى ثلاثة أقسام هي: منطقة الشرق، ومنطقة الغرب، ومنطقة البوسفور. وإن تحقق هذا التقسيم فستكون صلاحيات أردوغان قد انتهت، بمعنى أن رئاسة البلدية ستنتزع منه. لكنها لم تسقط!

إذ إن حلم اليقظة الذي لا ينفك يراود "تانسو تشيلار" بوضع يدها على (اسطنبول) سيواجه عائقاً هذه المرة أيضاً. ويتمثل هذا العائق في الانتخابات المقبلة. فقد تم إعلان موعد الانتخابات العامة في 24 ديسمبر/ كانون الأول 1995م. وأسوأ ما في الأمر أن الإعلام قد تعرض لصدمة كبيرة بعد أن أكد أردوغان أنه لن يترك منصبه.

فقد كانت الصحافة آنذاك في أزمة كبيرة، حيث كانت وعلى مدار أكثر من

عـام تتشـدق بعناويـن ضـد أردوغـان ورفاقه، فإذا بالإدارة المحلية برئاسـة أردوغان تقوم بإنشاء السدود، وخطوط تسييل المياه، والمشروعات الجديدة لحل أزمة المياه بدلاً من أن تدعو الشعب لصلاة الاستسقاء والابتهال (بدعاء المطر)، بل ولم يلقوا بالفتيات غير المحجبات من مقصورات القطارات، ولم يعتدوا على وجه الحياة اليومية للأهالي كما صورتهم الصحف من قبل، وتطبيقاً لمبدأ الشفافية جعلوا المناقصات مفتوحة أمام الشعب والصحافة، ولم يفسدوا أيًا من الأمور، بل اهتموا بمشاكل الأهالي وحاولوا إيجاد حلول فورية لها.

وأمام هذا الوضع، لم يعد هناك من سبيل أمامهم سوى الاتجاه للأخبار الصحفية الكاذبة. وما كانت تنشره الكثير من وسائل الإعلام من قبل، ألم تكن مجرد أخبار كاذبة أساساً؟!!

إن الموقف العدائي الذي تبنته الصحافة خلال رسالة اسطنبول الإخبارية الخامسة عشرة قد برز أمام الجميع بملف تم إعداده والاتفاق عليه مسبقاً. إذ قامت الصحافة بدلاً من تغطية الحدث بجلب عدد من الأخبار العشوائية حتى يتم التشويش على الحدث أساساً.

فنجد على سبيل المثال الصحفي "علي قيرجا" يشير إلى الرسالة الإخبارية هذه بأنها كانت ممتلئة بالصحفيين الأجانب، ويستطرد "علي قيرجا" في مقالته بصحيفة (يني يوزيل) موضحاً للقارئ التركي نظرة الصحافة الأجنبية إلى تركيا بإعطاء العديد من النماذج كالتالي:

"ها هي الجملة المستخدمة كمدخل للرسالة الإخبارية بالتلفزيون الأمريكي (أيه بي سي): رجال شرطة أردوغان رئيس البلدية الأصولي الديني في اسطنبول يقتلون المسلمين المعتدلين".

ويستمر قائلاً: "أتوجد ضرورة لكلام آخر؟".

أما (الكلام الآخر) الضروري فيقوله "حسن بولور" مرة أخرى ولكن هذه المرة بعد ثلاثة أيام في عموده المسمى (ناس وأحداث) في صحيفة (مِلليت) كالتالي:

"ألا تفرض عليكم أخلاقكم أن تقولوا لهذا الثرثار (صه)؟".

ولنعطِ مثالاً آخر:

المقالة التي يكتبها "أردال بيلالـلار" تحت عنوان (الإنسان أولاً) عقب وفاة

الفنان الشهير "صدري أليشيق":

"هل تعلم يا سيد صدري ماذا كنا نريد؟ كنا نتمنى أن يقول السيد أردوغان إنه قد أعد أجمل مكان في (مدافن أشيبان) من أجلك، ومن أجل زوجتك المسنة السيدة تشولبان أليشيق حتى يتسنى لك أن تشاهد من هناك البوسفور الذي طالما أحببته كثيراً".

وكان عنوان هذه المقالة أيضاً مثيراً للدهشة: "فليخجل من رأوا أن قبراً من أجل صدري أليشيق شيئاً كثيراً!".

ما الذي سيظنه أي شخص يقرأ هذه المقالة؟ سيظن أولاً أن صدري أليشيق لم يتم دفنه في مقابر البلدية، ثم سيظن أن صدري أليشيق أراد أن يدفن في هذه المقابر، وقامت زوجته السيدة "تشولبان أليشيق" بنقل وصية زوجها الفنان الشهير إلى البلدية، إلا أن بلدية اسطنبول التي يرأسها أردوغان قد رفضت، ورأى أردوغان أن القبر شيء كثير لا يستحقه الفنان صدري أليشيق...

المعنى الوحيد الذي يمكننا أن نخرج به من المقالة هو ذلك لكنه غير صحيح، حيث لم يأتِ إلى البلدية أي طلب بهذه الكيفية، والصحفي هنا يريد أن يحاسب أردوغان بلا إنصاف على ذنب لم يرتكبه أساساً.

وهدف المقالة هو استغلال حب الشعب لصدري أليشيق لإحداث حالة من النفور والكراهية ضد رئيس البلدية أردوغان.

حينما نلقي نظرة عامة على الأخبار الواردة بالصحف في ما يتعلق ببلدية مدينة اسطنبول الكبرى سنجد أنها تجعل الإنسان يقع في حيرة بالغة؛ لأننا قد نجد خبراً ما في إحدى الصحف ونجد خبراً آخر في صحيفة أخرى يتناقض مع هذا الخبر. وعلى سبيل المثال الخبر المنشور في صحيفة (أقشام) بتاريخ 26 مارس/ آذار 1995م بعنوان "الشعب يعطي رجب طيب أردوغان 5.4 درجات". وفي اليوم التالي نجد المانشيت الرئيس في صحيفة (بوجون) هو "كشف الدرجات السنوي لحزب الرفاه هو صفر".

فبينما الكاتب في المقطع الثاني للخبر المنشور في صحيفة (أقشام) في اليوم السابق يشير إلى أن الشعب أعطى تقديراً متوسطاً لأردوغان، إلا أن العنوان الموجود تحت الصورة للخبر نفسه يقول فيه الكاتب إن كلاً من أردوغان وغوكتشه لم يستطيعا

أن ينجحا في نظر الأهالي. أي أن الخبر هنا يكذب نفسه بنفسه.

أحد النماذج الأخرى التي اخترناها من الصحف التي تعمل جاهدة على إدانة رئيس البلدية أردوغان بأي شكل من الأشكال والتي تكذب بعضها بعضاً هو خبر متعلق بمشكلة المياه في اسطنبول.

فصحيفة (يني يوزيل) التي كانت قد بدأت حياتها الإعلامية بشعارات موضوعية ومحايدة وواقعية، ففي نسختها الصادرة في 27 مارس/ آذار 1995م قامت بتقييم الخطوات التي اتخذتها البلدية على مدار العام بمقالة بعنوان "الوعود لم تأتِ لنا بالمياه" وتقول فيها:

"لقد وعد أردوغان أهالي اسطنبول في كل كلماته التي ألقاها قبل السابع والعشرين من مارس/ آذار بوعود طموحة مفرحة، إلا أن اسطنبول بعد هذا التاريخ عاشت أسوأ أيامها من حيث انقطاع المياه بها. فقد جف سد بويوك تشكمجه الذي يمد المدينة بالمياه، بل وخرج عن نطاق الخدمة، والوضع في السدود الأخرى لا يختلف عنه. وبحلول شهر سبتمبر/ أيلول لم ترَ المدينة الماء إلا خلال 35 يوماً فقط. ولم تتخذ البلدية أي خطوة نحو مشروع يمكنه المساعدة على حل هذه المشكلة. والأكثر من ذلك هو رفض رئيس البلدية أردوغان لموضوع المطر الصناعي بحجة أنه يخل بالنظم الطبيعية".

ولنقل إن المقالة حتى هذا الجزء غير مهمة، فقد تقوم الصحف بمثل هذه الأشياء. إلا أن الجملة التالية لذلك شيء لا يمكن وصفه إلا بأنه أكثر من سيئ، إذ يقال في هذه الجملة:

"لم يؤثر دعاء المطر الذي تم القيام به في قليل ولا كثير".

فيا ترى، ما الذي سيفكر فيه أهالي اسطنبول حينما يقرأون هذه الجملة؟

إن كاتب المقالة يشير إلى عدم تأثير دعاء المطر، ويلمح لأن هذه الأدعية لم تجلب المطر على اسطنبول. وإن أهالي اسطنبول يعلمون جيداً أن الأمطار التي هطلت على اسطنبول خلال العام الأخير كانت كثيفة لدرجة أنهم أحياناً لم يستطيعوا القيام بأعمالهم. لكن الكاتب الصحفي حينما كان يكتب مقالته هذه لم يكلف نفسه حتى بأن يخرج رأسه من النافذة، إذ إن في ذلك الوقت كان المطر منهمراً على اسطنبول.

هناك تعبير مستخدم في الصحافة وكل الصحفيين يعرفون هذا التعبير ويستخدمونه وهو الخبر الصادم!

وهو يعني أن خبراً ما أحدث ردود أفعال صادمة. فمثلاً إذا وقع حدث ما وكتب الصحفي خبراً في اتجاه معاكس تماماً لهذا الحدث يكون هذا هو الخبر الصادم. تماماً مثل ما كتبته صحيفة (يني يوزيل) عن المطر. ومع الأسف، فإن هذا منتشر جداً هذه الأيام. وأكثر هذه الأخبار الصادمة أصبح أمراً معتاداً.

على سبيل المثال، تناول الصحافة للحريق الذي اندلع في منطقة المخازن في (لفنت) ومات على إثره شابان بشكل مفجع نموذج واضح لهذه النوعية من الأخبار. إذ كتبت الصحف "موت المضيفات" وألصقت الذنب في ذلك برجل الإطفاء من دون القيام بأي تحرٍّ، فوفقاً لما تناولته الصحف كان موت الفتاتين ناجماً عن الإهمال البالغ لرجال الإطفاء. وفي تلك الأثناء أيضاً ظهر في البرنامج المذاع على قناة (أي تي في) السيد "سافاش" وهو مقدم البرنامج ومعه يالتشن باكاشان من صحيفة (حريت)، والسيد مليح عاشق من صحيفة (ملليت) وجميعهم تخطوا حدود المنطق بكثير إذ ذهبوا إلى أن الحاسبات الآلية بجهاز الإطفاء والتي يتم فتحها (بالبسملة) هي المتسببة في وقوع مثل هذه الحرائق.

والسؤال المهم هنا هو: لماذا؟

لماذا الصحافة تتخذ هذا الموقف العدائي من بلدية مدينة اسطنبول؟ ولماذا تعمل على طمس الخدمات التي قدمتها البلدية للأهالي أو التصرف كأنها لم تكن من الأساس بدلاً من أن تقوم بتوضيحها وإظهارها؟ ولماذا كل هذه الانتقادات والإدانات ناجمة في الأساس عن اختلافات في الرؤى الدينية أو السياسية وليس على أساس مدى الخدمة المقدمة للأهالي؟ ولماذا هؤلاء الكتاب والصحفيون الذين لم يخاطبوا من قبل أي رئيس للبلدية باسمه مجرداً من دون لقب أو صيغة احترام نجدهم يستخدمون مع السيد أردوغان صفات مثل (طيب) أو (طيب أفندي) وذلك من أجل التقليل من شأنه؟ وهؤلاء الصحفيون الذين لو وجه أحد الأشخاص لهم أي انتقاد ولو كان في محله، نجدهم يهبّون كالأسود ضده ويجدون أنه من حقهم الرد عليه بكل الأشكال، فإذاً، لماذا يضربون بحق الأهالي عرض الحائط حينما يتعاملون بهذه الصورة مع رئيس للبلدية اختاره وانتخبه الأهالي بأغلبية الأصوات؟

من اليسـير أن نضع العشـرات والعشـرات من الأسـئلة في هذا الصدد، إلا أن إيجاد الإجابة عن هذه الأسئلة ليس بالأمر اليسير أبداً.

ومن المثير للدهشـة محاولة أحد أعضاء الصحافة الإجابة عن هذه الأسـئلة؛ وهـو الكاتـب "محمـد دوغـان" في مقالته التي بعنوان "لماذا الصحافة ليسـت ممتنة من إدارة البلدية الجديدة؟" كالتالي:

"إن تخمين ذلك ليس بالأمر العسير، كانت الصحافة تمتدح البلديات في الفترات السـابقة وكانت على علاقة جيدة معها، إذ إن البلديات سـابقاً كانت تقدم امتيازات كبيرة لبعض من الصحفيين، أما الآن فقد انغلق ذلك الصنبور الذي كان مفتوحاً من قبل، ومن الطبيعي أن ذلك يثير استياء من اعتادوا عليه!".

إن تخميـن "محمـد دوغـان" كاتـب المقالـة يبـدو صحيحـاً إلى حـد ما حينما نضع أمام أعيننا ما قام به السـيد "بدر الدين طالان" أحد رؤسـاء البلدية السـابقين من تخصيص فيلاّت مطلة على البوسفور للعديد من الصحفيين بالصحف الكبرى، وسيزداد التخمين صحة حينما نعرف أن الإدارة الحالية للبلدية قامت باسترداد هذه الفيلاّت وهدمتها مما أثار حفيظة هؤلاء الصحفيين. كما يجب أن نشـير أيضاً إلى أن هذا الأمر لا ينطبق على كل الصحفيين.

إذاً، يجب التفكير مرة أخرى في الإجابة عن الأسئلة السابقة.

إننـا حيـن نقـوم بتقييـم وجهـات نظر الصحافة للأنشـطة الثقافيـة التي تقوم بها البلدية، سـنجد أن هناك بعض الأسـباب السياسـية والنفسـية إلى جانب الأسـباب الاقتصادية التي تقف خلف وجهات النظر هذه.

وها هي بعض الأمثلة:

في 27 مارس/ آذار لعام 1994م تم انتخاب السيد أردوغان رئيساً لبلدية مدينة اسطنبول الكبرى، وفي ذلك اليوم تساءلت معظم الصحف بسؤال واحد وهو: هل سـيغلق رئيس البلدية الجديد أردوغان بيوت الدعارة والحانات الموجودة في باي أوغلو؟

وجـاء رد أردوغـان علـى هـذا السـؤال مانعاً جامعـاً إذ قال لهؤلاء الصحفيين: "ألا توجد في اسطنبول مشاكل سوى هذه؟".

فالصحافـة التـي طالمـا تحدثت عن مشـاكل اسـطنبول العديـدة والحيوية مثل

مشـاكل الميـاه والمخلفـات والمـرور وتلـوث الهـواء إذ بها تنسـى كل ذلك بمجرد انتخـاب أردوغـان لرئاسـة البلديـة، وعملـت علـى إحـداث أزمـة "الحانات وبيوت الدعـارة". والصحافـة بهـذا السـؤال توحـي لنـا بـأن ثمة معجزة حدثـت مع اللحظة الأولى لاختيار أردوغان رئيساً للبلدية وكأن تلوث الهواء انتهى ومشـكلة الماء تم التغلب عليها والمرور فجأة تم تنظيمه، ولم يعد أمام الصحافة سوى هذين السؤالين الهامين فقط وهما الخمر والجنس.

فالصحفيون الذين تجولوا لأسابيع في منطقتي (باي أوغلو)، و(قاضي كوي) من أجل تنفيذ هذا السيناريو الأسود لم يولوا أي أهمية لمشكلة فقر الأهالي الذين يعيشون في شوارع باي أوغلو الخلفية والذين يصارعون من أجل الحياة، إنما كل ما لفت انتباههم هو الحانات والملاهي الليلية والأماكن التي تقدم الخمور وبيوت الدعـارة الموجـودة علـى الأرصفـة العاليـة. وافتعلـوا مسـرحية مخيفة من أجل هذه الأماكـن. إن الحانـات والملاهـي الليليـة وبيـوت الدعـارة لا تـزال تعمل (بمقتضى القانون) ولـم يحدث شيء.

إلا أنـه وعلـى الرغـم مـن ذلـك لـم تغيـر الصحافة من موقفهـا العدائي لإدارة البلديـة، بـل ومـن الواضـح أنهـا لـن تغيـر موقفهـا ما لم يتغير رئيـس البلدية ويحل محله الرئيس الذي تريده هي.

تقول الكاتبة بينار كور: "إنني أحب الشـراب، ولكنني لا أسـتطيع أن أشـرب في صالون رشـيد بك. ولهذا السـبب فأنا لا أحب البلدية". ونختصر ما يجب أن تقوم به إدارة البلدية من خدمة للشعب في جعلها شرب الخمور بحرية وفي مقالتها المنشـورة بصحيفـة (الجمهوريـة) بعنـوان "أزمـة الهويـة في البلديـات" تتحدث عن اشتياقها لهذا الأمر كالتالي:

"يمكننا القول إن اسطنبول بدأت طوال العام المنصرم في البحث أكثر من أي فترة مضت عن رئيس للبلدية يغني وهو يسير على طرقاتها أغنية اسطنبول الشهيرة التي تقول: لقد تجولت هذا المساء في كل حانات اسطنبول... وبحثت عنك عن طريق آثار الشفاه الموجودة على الأقداح...".

هذه هي الهوية المطلوبة والمناسـبة في رئيس البلدية من وجهة نظر صحيفة (الجمهوريـة)، أن يكـون رئيسـاً ممـن يرتـادون الحانات ويتفقدون آثار الشـفاه على

الأقداح!

ولكن الحمد لله أنه لا يزال هناك كتاب يرون الأمور على حقيقتها وليسوا كغيرهم لا يرون سوى أوهام، وواحد من هؤلاء "تشتين ألتان" الكاتب في صحيفة (صباح)، إذ يقول في مقالته المنشورة بتاريخ 31 مارس/آذار عام 1995م منتقداً غوغائية هذه الأغنية قائلاً:

"إن رغبات استخدام صالون جمال رشيد بيك الثقافي لغير الهدف المؤسس من أجله، كان السبب في الكثير من المشاكل بين الفنانين المسؤولين عن إدارة الصالون. وصديقتي القديمة والعزيزة آيدين كور تريد أن تسير أمور الصالون وفقاً لأهوائها وليس وفقاً للأصول والقواعد المعمول بها بالصالون الثقافي هذا، لذا، كانت أحكامها متسرعة. والسادة الإداريون يحافظون على عمل الصالون الثقافي أيضاً وفقاً للبرنامج المعد سلفاً من دون إحداث أي ضجة. فمساء يوم الأربعاء شاهدنا حفلة موسيقى الجاز (جويز دالاس) والتي يتم عرضها في الصالون منذ عام 1940م حتى الآن بمصاحبة الرقصات والمقطوعات الغنائية...".

أما "أيهان قاطيرجي قاره" من صحيفة (تركيا) فكتب في مقالته ما يلي أيضاً ناقداً تصرفات إداريي البلدية:

"فلنقل ولو لمرة أن البلديات المنتسب أعضاؤها لحزب الرفاه قد عانوا كثيراً جراء ما نعتوا به من أوصاف، فهناك الكثير من أصحاب الأقلام المغرضة قد قاموا باستخدام ألفاظ شديدة وحادة ضدهم...".

ويستمر "أيهان قاطيرجي قاره" في مقالته على هذا النحو التالي:

"وحينما نتحدث عن أن يأخذ كل ذي حق حقه... فيجب أن نذكر أولاً أنه لم يتوقف أي مشروع استثماري قط، بل وازداد دخل البلديات في عهدهم، وقاموا بحل المشكلات التي واجهتهم. وأبرز مثال على ذلك مشكلتا المياه والمرور. ولم يحتاجوا لعاملين من الخارج، بل قللوا من ذلك مكتفين بمن هو موجود بالفعل على قوة البلدية. والمسارح ودور السينما مفتوحة أمام كل الفاعليات الترفيهية، ولا يختلف النشاط الثقافي بدور الثقافة عن ذلك، حيث إن الاحتفالات الثقافية في اسطنبول شهدت زيادة كبيرة لم تشهدها في أي فترة سابقة".

والناقد السينمائي "أتيلا دورصاي" قال في حوار تم معه: "إننا فهمنا أنه

لا ينبغي أن نخشى من حزب الرفاه". أما الصحفي الشهير فقال رداً على بعض الادعاءات بتقاضي الرشوة الموجهة للبلدية: "إنني رجل أصغي لكل الناس إلا أنني لم أسمع أي شيء قط عن الرشوة". والصحفي "مراد بيرسل" الذي يكتب في صحيفة (يني يوزيل) كان دائماً ما يوجه انتقادات للبلدية في مقالاته، إلا أنه في ما يتعلق بمجهودات البلدية مع المعوّقين أوضح كل تقديره لهم قائلاً: "إنه عمل جيد من البلدية".

أردوغان وساحات التعمير

قامت بلدية مدينة اسطنبول الكبرى بتطوير مشروعات تحت مسمى (حلول من أجل اسطنبول)، وأسست العديد من ساحات التعمير في كل أرجاء اسطنبول بُغية إنجازها في غضون الأعوام الثلاثة المتبقية. وكان أردوغان يستفيد من كل فرصة تسنح له بأن يشرح لأهالي اسطنبول تلك الاستثمارات التي طالما شعر بالفخر بها.

وفي إحدى المرات وجد الفرصة مواتية لعرض إنجازات أكبر خمسة مشاريع من بين مئات استثمارات بلدية المدينة الكبرى والمنتشرة في أنحاء اسطنبول كافة، وذلك أمام مجموعة مشكّلة من رجالات الصناعة والأعمال والإعلام.

واختار الرئيس أردوغان مشروع المترو ليكون أولى محطات جولته. فقبل استعراض مشروعات العمل الموجودة فوق سطح الأرض تفقد "أردوغان" الأنفاق العملاقة الموجودة على مسافة ثلاثين متراً تحت سطح الأرض. فمشروع المترو الذي كان يعد حلماً لاسطنبول على مدار مئة عام قد أصبح حقيقة. فقد اكتمل بالفعل 90 بالمئة من إنشاء النفقين حتى الآن ويبلغ طولهما 7500 مترٍ ما بين (تقسيم) و(دوردونجو لفنت)، ولم يتبقَّ سوى أعمال بسيطة ووضع القضبان الحديدية.

أصبحت هناك استثمارات عملاقة تحت اسطنبول تقدر بنحو 30 ترليون ليرة تركية، وليس في الإمكان سوى إبداء الإعجاب بها. ونزل "أردوغان" إلى أرصفة المحطة التي لم تستقبل الركاب على بُعدٍ وصل إلى ثلاثين متراً تحت الأرض. وكان من الواضح امتنان أردوغان وسعادته مما يرى، بينما كان يجيب على أسئلة بعض المرافقين. كان يقوم أحياناً ببعض الإرشادات ثم يذكر أهدافه التي يصبو إليها. ويشير إلى أن خط تقسيم - دوردونجو لفنت يمثل المرحلة الأولى لمشروع المترو، وأن هذا الخط سوف يمتد إلى (أيازاغا)، وأن المرحلة الثانية ستمتد من (تقسيم) إلى (يني قابي)، وأن هناك خطاً آخر سيتم إنشاؤه هو خط يني قابي - توب قابي.

وبينما كان يتفقد الأنفاق فقد ازداد الناس قناعة بمدى الأهمية التي يمثلها

هـذا المشـروع لتخفيـف سـوء وتكـدس المواصلات بالأعلـى. وانتهت الرحلة التي كانـت أسـفل اسـطنبول عنـد نهايـة النفـق فـي (جايرت تبه)، ثـم اتجهت المجموعة لتفقد مشروع آخر.

وفي أثناء هذه الجولة التفقدية تم توضيح كل مرحلة من المراحل التي تمر بها قمامة اسطنبول والتي تُقدر بآلاف الأطنان. حيث إن الوضع لا ينتهي بترك القمامة أمـام الأبـواب!. وحيـن يتـم وضـع القمامة أمـام الأبواب ينبغي التفكير في المراحل التي سـتمر بها هذه القمامة بعد ذلك. فالسـيارات التي تحمل القمامة الملقاة في الشوارع لا تذهب مباشرة إلى مركز التخزين.

ويوضح الرئيس أن هذه العملية ستكون مكلفة جداً، وأن نقلها يتم إلى مراكز التحويل الموجودة في العديد من المناطق، وتحويل هذه القمامة إلى مخلفات صلبة أكبر في الحجم عملية أقل تكلفة.

وبينمـا كان أردوغـان يوضـح ذلـك كانـت شـاحنات القمامـة واحـدة تخـرج والأخـرى تدخـل إلـى مركـز تحويـل القمامـة في (باروت هانـه). ويتم تحويل هذه القمامة إلى مخلفات صلبة بضغطها ثم تحميلها مرة أخرى على الشاحنات الكبرى، ونقلها من مركز التدوير إلى المراكز الحديثة لتخزين القمامة، حيث يتم تخزين هذه المخلفـات فـي تلـك المراكـز التـي تبعد عـدة كيلومترات عن المدينة بصورة صحية للغاية وغير مضرة للبيئة.

يقول أردوغان إنه حينما خطط لمستقبل المدينة وضع في ذهنه أن تكون هذه الاسـتثمارات موجهة لخدمة الإنسـان. وواحدة من أجمل هذه الأفكار هي مشـروع مراكز (جمال قاماجي) الرياضية.

حينما وصلت السيارة التي تحمل المشاركين في هذه الجولة إلى ميدان (أوق ميداني) تحدث الرئيس عن كيفية تسيير هذا الملتقى لحركة المرور في هذه المنطقة، وبهذا بدأ الحديث عن المشـكلات المرورية في اسـطنبول. فتحدث عن الميادين والطـرق التـي يتـم افتتاحهـا. وعلـى وجه الخصوص الحديث لا ينتهي عن مشـروع (ملتقى الطرق الذكية). فقد تم إنشاء 160 ملتقى طرق ذكية تدار عن بعد بالحاسب الآلي والكاميرات مما لا يعرض حركة المرور للارتباك. ويقول أردوغان إن هدفهم هو إنشاء 1000 ملتقى طرق ذكية تعمل بهذا النظام نفسه.

واستقبلهم جمع غفير حينما وصلت السيارة إلى مراكز (جمال قاماجي) الرياضية، وكان الاحتفاء بالرئيس احتفاءً بالغاً، فقد كان يحاط بمحبة وأحضان أهالي (أوق ميداني) الذين حرموا لسنوات من الاستثمارات، فإذا بهم يجدون أردوغان وقد أكسبهم أضخم مشروع رياضي بالمقاييس الأولمبية.

وقال أردوغان إنه سوف يتم إنشاء صالة رياضية في كل منطقة من مناطق اسطنبول وذلك إضافة إلى المنشآت الرياضية العشر التي ستقوم بها بلدية مدينة اسطنبول الكبرى، ويوضح أنه يستهدف من خلال هذه الإنشاءات جعل المدينة تنافس للترشح للأولمبيات.

وكانت إحدى مناطق التفقد الأخرى هي مركز المخلفات والنفايات (حكيم باشي) القديم. فالساحات الرياضية التي تم تشييدها في هذا المكان - الذي كان قديماً مركزاً للمخلفات - لا يمكن أن ينسب الفضل فيه إلا إلى أردوغان. حيث توجد الآن فوق هذه المساحة - التي كانت سبباً لوفاة 37 شخصاً - أربع ساحات رياضية مكسوة بالنجيل الصناعي، وساحة لكرة القدم لأندية الهواة. ومن خلال هذه المنشآت التي تقدم خدماتها يعمل قاطنو منطقة (حكيم باشي) على نسيان تلك الأيام الصعبة التي عاشوها عقب كارثة انفجار المخلفات. فمساحة مركز المخلفات بالكامل أصبحت تكسوها الخضرة والأشجار.

وعقب نهاية هذه الجولة التفقدية تحدث الرئيس عن المشاكل البيئية باسطنبول. وأفاد بأنهم قد قطعوا مسافة كبيرة جداً بشأن حل مشكلة المخلفات. ويبشر بأن الدور الآن على مشروعي (البوسفور الأزرق) و(بحر مرمرة النظيف)، وأن البوسفور سيكون قد تم تنظيفه تماماً بنهاية العام الحالي، وأنهم لن يكتفوا بذلك، إنما سوف يعود للبوسفور رونقه من جديد من خلال تنفيذ مشروع (صاداباد).

أردوغان لا يكفيه الوقت لإنهاء حديثه عما تم من إنجازه من أجل البوسفور وبحر مرمرة فيقول:

"إن هناك أحد عشر مشروعاً في حيز التنفيذ تستهدف تنظيف البوسفور، وفي المستقبل لن تُلقَى قطرة ماء من مياه المخلفات لا في البوسفور ولا في بحر مرمرة".

حينما كان أردوغان يشرح ذلك كان بجانبه السيد "فيصل أر أوغلو" المدير العام لإدارة المياه والصرف الصحي باسطنبول وكانت عيناه لا تخفيان مدى سعادته.

إذ إنه يشعر بالفخر لأن إدارته تحولت من هيئة غارقة في الديون والفساد إلى أكبر مؤسسات تركيا في الاستثمار.

وكان "فيصل أر أوغلو" هو المرشد في هذه الجولة التي تمت بمشروع (بلطه ليماني) للتصفية. فيشرح المشروعات، ويُذكّر بأنه في عام 1997م كان قد أُعلن أنه (عام البوسفور) يقول: "البوسفور النقي وبحر مرمرة الأزرق وأحواض المياه الخضراء والجداول النظيفة وخرائط البنية التحتية المشتركة هي فقط بعض من أهداف إدارة المياه والصرف الصحي باسطنبول وليس كلها".

إن أغلب المشروعات على وشك الانتهاء. ومحطة تصفية (بلطه ليماني) التي تتجمع فيها مياه الصرف الآتية من المجمعات الموجودة في مختلف أنحاء البوسفور وساحل (بحر مرمرة) هي في الحقيقة مشروع عملاق.

أما آخر محطات هذه الجولة التفقدية فكان (قصر الخديوي)، وكان موعد الإفطار قد اقترب. وتبدو السعادة الغامرة على الضيوف الذين وجدوا الفرصة للتعرف على الرئيس وفريق عمله وعلى هذه المشروعات العملاقة. ربما أيضاً قد أصبحوا في حالة من التفاؤل بما شاهدوه وما استشرفوه عن مستقبل المدينة التي يعيشون فيها.

فرئيس مجلس الغرف الصناعية باسطنبول "أتالاي شاهين أوغلو" عبّر عن ذلك بقوله: "إنني سعيد للغاية. ويبدو أننا ابتعدنا عن دعم الاقتصاد، فلم نكن على معرفة بكل هذه الاستثمارات. والآن وقد رأينا بأعيننا المراكز الرياضية الكاملة في المناطق الفقيرة، إنني سعيد للغاية وفخور لأنني مواطن تركي. إذ إن رياضيّي المستقبل سوف يخرجون من هذه المؤسسات. وكل ما آمله ألا يبتعد الشعب عن هذه المؤسسات".

أما رئيس مجلس الغرف التجارية باسطنبول "محمد يلديريم" قال: "الآن لم تعد اسطنبول بحاجة إلى مشروعات البنية التحتية بقدر احتياجها إلى مشروعات ذات هدف اجتماعي لحل المشاكل البيئية.

إن كل المشروعات التي بدأتها بلدية مدينة اسطنبول الكبرى إيجابية. بل ويلزم التوسع فيها أيضاً. فهذه المشروعات قامت بها البلدية وفقاً لإمكانياتها، لذا، على الحكومة المركزية دعم البلديات".

أما رئيس مجلس المصدرين الأتراك أوقان أوغوز قال: "لقد تم عمل مشروعات جيدة جداً بقدر ما رأيناه خلال جولتنا. وإن قيام السيد أردوغان ببدء حوار مع ممثلي مراكز الأعمال العالمية الموجودين في اسطنبول يُعد أهم منحىً من مناحي هذه الجولة التفقدية. فحتى الآن لم يقم أحد بمثل هذا العمل. وإنني أرى أن ذلك سيوطد التعاون المتبادل بصورة أكبر".

أما الكتابات الموجودة تحت الصور المنشورة في وسائل الإعلام فكانت كالتالي:

"الإعلام أبدى اهتماماً بالغاً بالجولة التفقدية".

"أردوغان سعيد بأنه وفَّر من خلال مراكز جمال قاماجي الرياضية الإمكانيات لأبطال المستقبل".

"أخيراً، أصبحت هناك منشآت رياضية على أرض حكيم باشي التي كانت مركزاً للمخلفات قديماً".

"الرئيس أردوغان يخطو خطوات عملاقة".

1996م هو عام تيسير المواصلات

أعلنـت بلديـة مدينـة اسـطنبول الكبـرى أن عـام 1996م هـو (عام حالة التأهب القصوى) من أجل تخفيف حركة المرور داخل مدينة اسطنبول وتسريع المواصلات، وتم رصد ميزانية خاصة لهذا المشروع تبلغ 16 ترليون ليرة.

ويوضـح الرئيـس أفـكاره بهـذا الصـدد والأعمال التي يمكـن من خلالها إنقاذ الحركة المرورية باسطنبول بشكل سريع وانتشالها من هذا (الوضع المزري) فيقول:

"لـم تتبقَّ سوى أكبر وأصعب قمة في هذا القرن".

فبسبب قمة (هابيتات)(*) الثانية أعلنت البلدية حالة التأهب القصوى. ووجدنا الفرصة لأن نشرح جمال مدينة اسطنبول لآلاف الأشخاص الذين يأتون إليها.

إنـه ومثلمـا أشـار الضيـوف والمسـؤولون الأجانـب الذين اشـتركوا في القمة، فإن بلدية مدينة اسطنبول الكبرى قد نجحت نجاحاً باهراً في استضافتها وتنظيمها لهذه القمة العالمية. فالأنشـطة التي نظمتها البلدية وفقاً لأهداف وروح (هابيتات) قد تابعها الجميع بإعجاب شديد.

والآن، فإننـا نعيـش أيـام الصيـف الحـارة. والحمـد لله لا نعيش أزمة مياه كما كانت في السـنوات الماضية. فأهالي اسـطنبول يجدون باسـتمرار المياه، بل والمياه النظيفة.

لم يتبقَّ إلا مشكلة المواصلات التي تعد من أهم المشاكل التي تواجهها مدينة اسـطنبول. وإننا نعمل على حلها. والعمليات التنظيمية لا تزال مسـتمرة في العديد

(*) قمة هابيتات الثانية: عبارة عن اجتماع ضخم لبرنامج الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية، انعقد في اسطنبول بتاريخ 3 و14 يونيو/ حزيران 1996م. وشاركت فيه المنظمات غير الحكومية والمنظمات القاعدية التي تضم عدداً كبيراً من الناشطين على المستويات المحلية والإقليمية والدولية في عملية الدعم المتبادل من أجل تحقيق العدالة في توزيع الثروات والعدالة الاجتماعية. وكان اجتماع القمة الذي جرى عام 1992م قد قرر عقد اجتماع قمة هابيتات الثانية في اسطنبول عام 1996م.

من أنحاء المدينة. فعبور المنشأة، ومفارق الطرق، والإرشادات الإلكترونية، سوف تسهم بنسبة كبيرة في تخفيف الحركة المرورية بالمدينة، ولن يعيش أهالي اسطنبول ذلك الكابوس حينما يخرجون أو يعودون إلى منازلهم. إلا أنه ينبغي أن نوضح أنه ليست هناك أي حلول فورية لهذه المشكلة. لأن المدينة في حالة اتساع ونمو مستمرين. وكل يوم هناك زيادة كبيرة في عدد السيارات التي تؤثر على الحركة المرورية. والتنظيم المروري الذي كان قد تم تصميمه ليستوعب الحركة المرورية قديماً يبدو الآن غير قادر على استيعاب المستجدات الظاهرة حديثاً.

والجسران اللذان يربطان القسمين الآسيوي والأوروبي بالمدينة أصبحا أيضاً غير كافيين، وحين نفكر في حلول دائمة وجذرية، يجب أن نضع المترو الذي يستمر العمل فيه حتى الآن نصب أعيننا. وعند اكتماله ستتحسن الحالة المرورية باسطنبول.

مثلما تعرفون، فإن (مشروع المواصلات عبر الأنفاق) الذي سيربط بين شطري اسطنبول والذي هو أحد تصوراتنا في ما يتعلق بالمستقبل يحتل مكانةً خاصة... وعلى الحكومة المركزية أن تقدم لنا الدعم اللازم، لأنه لا يتسنى لأي بلدية أن تنهض بمفردها وبإمكاناتها الخاصة بمشروع عملاق كهذا.

أما في ما يخص مشروع المترو فينبغي بذل المزيد من المجهودات لتشغيله، ونحن نقوم بكل ما يلزم بكل تفانٍ وارتياح.

يأتي ملتقى طرق (أوق ميداني) ذات الجسور على رأس الاستثمارات التي تم عملها في ما يتعلق بالمواصلات. فقد كان من الممكن حتى هذا اليوم أن يقام في اسطنبول العديد من ملتقيات الطرق ذات الاتجاه الواحد كالتي في (أق سراي) و(سراتش هانه).

وقد كان مشروع (أوق ميداني) أكبر ملتقى للطرق ذات الجسور في تركيا سواء أكان ذلك من حيث التكلفة أم من حيث الحجم، وهو يتشكل من عدة وصلات طرق وجسور وملتقيات طرق والذي يربط طريقي (E5) و(TEM) اللتين تعدّان شرياني الحياة المرورية في اسطنبول.

ويقع ملتقى طرق (أوق ميداني) على طريق الرئيسة، خلال ذهابه وعودته من المنزل، فهو هناك ويرى بشكل مستمر تطور البناء فيه. وكان يراقب كل يوم تقريباً العمل في هذا المشروع الذي كان يتم على ثلاث فترات عمل يومياً، وكان يتدخل

في العمل في حالة رؤيته لأي سلبية أو إهمال أياً كان المتسبب فيها.

إن اكتمال مشروع (أوق ميداني) بنجاح وبدءه في تقديم خدماته للجمهور يعتبر إنجازاً هاماً بالنسبة للرئيس ولفريق عمله، وتعبيراً عن نجاح إدارتهم، ودليلاً على وفائهم بكل الوعود التي كانوا قد قطعوها على أنفسهم.

وتخلصت الحركة المرورية بالمدينة من الاكتظاظ والمشاكل المرورية المزمنة إلى حد كبير بسبب الأعمال المستمرة دوماً من دون انقطاع، ومن خلال إضافة 35 ملتقى طرق في النقاط المرورية الهامة.

وفي يوم السبت الموافق 8 أكتوبر/ تشرين الأول 1997م، بدأت العبارات في أداء رحلاتها بين يني قابي- يالوفا والتي تستغرق 45 دقيقة. وقد سميت العبارتان اللتان تعملان على خط يني قابي- يالوفا باسم جزايرلي حسن باشا وتورجوت رئيس.

الواحدة منهما كلفت 3 ترليونات و750 مليار ليرة وتستوعب 95 سيارة و500 راكب.

عندما يتحدث أردوغان في أي وقت عن المواصلات داخل اسطنبول، فأول ما يذكره هو الميادين التي تم إنشاؤها، والجسور والطرق الجديدة، وزيادة خطوط النقل الملاحية، وتلك المعتمدة على السكك الحديدية، ويكون مسك الختام في هذا الموضوع هو مشروع المواصلات عبر الأنفاق. فهذا الموضوع كان دوماً في مقدمة جدول أعمال رئاسة البلدية منذ الأيام الأولى لها.

إن هذا المشروع يُعد من المشاريع العملاقة، إلا أنه بسبب النقص التكنولوجي من ناحية، واحتياج هذا المشروع لتمويل ضخم من ناحية أخرى فقد تم تأجيله. وعلى الرغم من ذلك، فإن الرئيس لم يتوانَ أبداً في الحديث عن هذا المشروع. فهو يريد من الحكومة المركزية الصلاحية والمصادر لإتمامه. وإيماناً من أردوغان بأن هذا المشروع سيتحقق في يوم ما كان يستمر في أعماله من دون نسيانه. لأنه يؤمن بأن هذا المشروع سيكون الخلاص الوحيد لاكتمال المواصلات في اسطنبول داخل منظومة واحدة، ويعبر عن أمله هذا بهذه الصورة:

"في حالة إذا ما تحقق هذا المشروع فسيتاح ربط كل من وسائل النقل التي تسير على سكك حديدية بالتي تعتمد على الإطارات بعضها ببعض، وسيتسنى

لأهالي اسطنبول توفير الكثير من الوقت. والنظام ذو السكك الحديدية المزمع إنشاؤه في القسم الآسيوي من اسطنبول سيمتد من (حرم) إلى (طوزلا) وسوف يلتقي مع النظامين القائمين على الإطارات والسكك الحديدية في الجزء الأوروبي من اسطنبول عن طريق الأنفاق، أو على العكس من ذلك، سيتبع خطًا آخر متكاملاً، وهذا سيحقق الراحة في الحركة المرورية. وباكتمال خط تقسيم - يني قابي، فإن ذلك سيجمع مترو اسطنبول مع خط الترام الذي يبدأ من (أمين أونو) ومع خط حيدر باشا لأطراف المدينة وأيضاً مع خطوط الترام المزمع إنشاؤها ما بين هارم وطوزلا، وسيتم إلحاق نظام الخطوط الحديدية بينها جميعاً. كما أن نظام المواصلات الموجود داخل المدينة والمعتمد على الإطارات وكذلك نظام المواصلات البحرية سوف يتكاملان مع النظام المعتمد على السكك الحديدية في كل من حرم ويني قابي. وبهذا سيتسنى لاسطنبول نظام للمواصلات موفر للوقت وأكثر سرعة وفاعلية".

تطهير البوسفور من الطين

كان تلوث البوسفور مشكلة تثير قلق أردوغان على الدوام. فكان يريد أن يتم تنظيفه وأن يعود لاسطنبول رونقها التاريخي من جديد.

كان يراقب ليلاً ونهاراً الأعمال المستمرة فيه من دون انقطاع، رغبة منه في انتهاء هذا المشروع الذي وصفه في 31 ديسمبر/ كانون الأول 1997م بأنه "أكبر استثمارات اسطنبول بعد المترو".

وكانت الأعمال المتعلقة بإصلاح مضيق البوسفور تشمل تمشيطاً عموديًّا للطين الموجود بسمك يتراوح من 3 إلى 5 أمتار في المنطقة الواقعة بين بالات-هاسكوي وعلي بي كوي - سلاحتار، وإصلاح المنطقة المطلة على البوسفور.

وقد تم سحب نحو 3 ملايين مترٍ مكعّب من الطين عن طريق قوارب خاصة، وتفريغه قبل أن يجف ماؤه أو يلتقي بالهواء الطلق في المناطق المحفورة في منطقة علي بي كوي التي كانت تستخدم محجراً قديماً.

وعند اكتمال المشروع فقد ازداد عمق المنطقة الواقعة بين خطي بالات - هاسكوي وسوتلوجه - أيوب خمسة أمتار، أما باقي المناطق فقد ازداد عمقها ثلاثة أمتار، كما عاد من جديد لاسطنبول رونقها التاريخي الذي كانت قد فقدته.

أهالي اسطنبول والقصور

إن بلديـة اسـطنبول ثريـة بعـدد كبيـر مـن القصور والفيلاّت. فقـد انتقلت إليها ملكيـة كل القصـور والسـرايات التـي كانـت تعـود ملكيتها للدولة أو لأشـخاص أو وجدت عند إنشائها.

فيحتوي منتزه (يلديز) على قصر (مالطه)، وقصر (تشـادير)، والبيت (البمبي الزجاجي)، والبيت (الأخضر الزجاجي).

وتحتوي حديقة الخديوي على قصر (الخديوي).

وتحتوي حديقة (أميرجان) على القصر (البمبي)، والقصر (الأصفر)، والقصر (الأبيض).

وهذه الأبنية التاريخية التي تمتلكها البلدية قد تم تأجيرها إلى مؤسسة (تورينج) لمدة عشرة أعوام بمقابل مادي رمزي، وذلك من أجل فتحها للجمهور بعد ترميمها. إلا أن مؤسسـة (تورينج)، وبغرض الكسـب التجاري، قامت بإنشـاء محال تجارية ومطاعـم ضاربـة بشـروط الترميـم والإصـلاح عرض الحائـط، مما أدى إلى حدوث أضرار بالغة لهذه المباني وتقليل قيمتها من الناحية التاريخية.

فمؤسسة (تورينج) بما فعلته من زيادة لتعرفة دخول هذه الأماكن، وما قامت به من تعديلات فظة عليها من دون تصريح من البلدية أو هيئة الآثار؛ قد أدت إلى إحداث حاجز كبير بين هذه الأماكن الأثرية وبين الشعب المالك الأصلي لها. لذا، لم يقم أردوغان بتجديد الاتفاق مع مؤسسـة (تورينج)، بل وقام بتعديل الأسـعار بهذه الأماكن لتكن في متناول الشعب بمستوياته كافة.

ولم يكتفِ أردوغان بسحب هذه القصور من مؤسسة (تورينج)، إنما قرر قبل ذلك أيضاً أن يفتح للشـعب كلاً من بيت (فتحي باشـا) الزجاجي في (أسـكودار)، والمنشـآت الموجـودة فـي (أرنـاؤوط كوي)، و(فلوريـا)، وهذه الأماكن كانت تقدم خدماتها لعاملي البلدية فقط. وظلت الأسـعار بهذه الأماكن مخفضة حتى يتسـنى

أن تقدم خدماتها لأكبر عدد من الأهالي.

وقد عبَّر "محمد نوري يازيجي" عن موقف عاشه في تلك الفترة بقوله:

"كنت أتناول طعام الغذاء مع أردوغان على هضبة تشامليجه، وتصادف وجود ازدحام كبير في ذلك اليوم، فكان المكان يعج بالناس فقيرهم وغنيّهم، وقد انتشر الأطفال بالمكان يصيحون فرحاً وسروراً. ففكرت أنه ربما سببت هذه الضوضاء ازعاجاً لكبار السن أو للضيوف الذين لا يصطحبون معهم أطفالاً فقلت لأردوغان: "يا سيادة الرئيس ليتنا رفعنا أسعار هذا المكان قليلاً حتى لا يدخله إلا من يحسنون التصرف ومن لم يعتادوا على ارتياد مثل هذه الأماكن الفارهة".

إلا أن الرئيس لم تعجبه هذه الفكرة، وقال لي: "عليك ألا تفكر بهذه الطريقة. فربما لا يعرف هؤلاء الناس كيفية التصرّف في هذه الأماكن ولا حتّى كيفية توجيه أبنائهم حتى لا يسببوا إزعاجاً للآخرين، إلا أنهم من خلال تكرار مجيئهم إلى مثل هذه الأماكن سيرون أناساً آخرين يحسنون التصرف ويتعلمون منهم، حتى إنهم سيتعلمون من هؤلاء الناس كيفية تناول الطعام بالشوكة والسكين وكيفية الجلوس وما إلى ذلك".

لقد وعد أردوغان الأهالي في دعايته الانتخابية من خلال الصحافة بما يلي: "إن أول أعمال (منضدة الأزمات) التي سننقلها إلى (ساراتش هانه) صباح يوم 28 مارس/آذار هو تفعيل (خطة الأعمال العاجلة) التي قمنا بتطويرها لحل المشاكل اليومية والآنية لمدينة اسطنبول، وإنقاذ أهالي اسطنبول من قلة الحيلة والضياع اللذين حلاّ بهم في مواجهة الأزمات والمشاكل... إننا نؤمن بأن أهالي اسطنبول سوف يرون بأنفسهم أن المشاكل التي طالما ظنوا أنه لا حل لها، قد تم حلها وستعود لهم من خلال ثقتهم بأنفسهم مرة أخرى. والثقة بالنفس هذه بالنسبة لنا أهم من كل الإمكانات المادية الأخرى وأكثر قيمة".

نعم لقد وعد بكل ذلك.

وما إن جاء على رأس الوظيفة، وفى بكل ما وعد به تماماً. فقال: "إن أهالي اسطنبول سوف يرون بأنفسهم أن المشاكل التي طالما ظنوا أنه لا حل لها قد تم حلها"، وبالفعل رأوا بل واندهشوا بشدة.

فتلك المشاكل التي عاشوها لسنوات كما لو كانت مقدرة عليهم والتي بسببها

وقعوا في فخ اللامبالاة، وفجأة يعرفون أنها ليست مكتوبة عليهم مثلما كان يقال لهم، وكان اندهاشهم نابعاً من ذلك.

وفطنوا إلى أن هذه المشاكل التي جعلتهم يقولون: "إنها من سوء طالعنا وحظنا الأسود" نابعة من أنهم ولّوا أمورهم إداريين لا يستحقون أماكنهم".

أما الآن، فقد خرج من بينهم رؤساء للبلديات ورئيس للبلدية لم يكتفِ بحل المشاكل القائمة فحسب، إنما أيضاً فتح للأهالي القصور والسرايات التي انتقلت لمؤسسة (تورينج) إضافة إلى المباني التابعة للبلدية، بل ويُمكّن الشعب بكل طبقاته وبعدالة من الانتفاع من المزايا التي كان يتمتع بها البعض فقط.

أظهر أردوغان من خلال قراراته هذه أنه قد وقف بعيداً عن كل السياسات التي تعتمد على تصنيف الشعب بمنطق (ليس كل ما تملكه الدولة لكل الشعب)، والذي كان مفعلاً منذ قيام الجمهورية التركية وحتى ذلك الوقت، بل الأكثر من ذلك كان يقوم بتعريف (للملكية العامة) بصورة جديدة ومختلفة، وكان أيضاً غير راضٍ عن الطبقات الحاصلة على امتيازات أكثر من غيرها.

إن أردوغان طوال حياته السياسية كان يضع نصب عينيه مسؤوليتين: الأولى مسؤولية تاريخية، والأخرى مسؤولية اجتماعية.

أما مسؤوليته التاريخية فيمكن تلخيصها بأنه عمل على تحقيق تصالح بين الدولة وبين تلك الشرائح الاجتماعية التي تم إهمالها وتنحيتها جانباً؛ لأنهم سلكوا مسلكاً وتبنوا إيديولوجية مخالفة لإيديولوجية الجمهورية والدولة القومية، بل وعمل على انتزاع هذا الفتور القائم بين كلا الطرفين منذ عقود طويلة.

فعادة (الفتور من الدولة) التي بدأت في الظهور منذ نهايات الدولة العثمانية قد ازدادت سرعة مع العصر الجمهوري. فالدولة في اتباعها لسياسة الاتجاه نحو الغرب قد أدت لشعور الشعب بالاغتراب.

أما في فترة التعددية الحزبية فقد وجد الشعب إمكانية التعبير واتخاذ القرار، ولأول مرة أصبح يتصرف بحرية. والبناء السياسي لتركيا بدأ في الخروج من مركزية الدولة شيئاً فشيئاً، وبدأت تضعُف أيضاً - وإن كان بصورة أقل - الشخصية الديكتاتورية للتحديث.

وهذه الفترة التي بدأت مع "عدنان مندريس" ومع "تورغوت أوزال" قد أخذ

يشتد عودها أكثر فأكثر مع أردوغان، حتى حققت للشعب إمكانات جديدة لإمكانية التعبير عن مطالبهم بصورة أكثر فاعلية من خلال الديمقراطية والتغيير.

وثمة مسؤوليتان وجد أردوغان نفسه مجبراً على الشعور بهما، وهما أن يكون علمانياً ليحافظ على محبة الشعب، وألا يُضيّع هباءً الثقة التي أولاها له هذا الشعب. وهما مسؤوليتان تكملان إحداهما الأخرى، فإذا نقصت إحداهما، فلا تستقيم الأخرى.

وفي استطلاعات الرأي تأتي نتيجة حب الشعب له بنسبة 70 بالمئة. وحينما كان في السجن تسلم خطاباً من اثنين مخطوبين يقولان له: "إننا ننتظر خروجك من السجن حتّى نتزوج، فلا نريد أن نتزوج طالما أنت مسجون".

وذات مرة وهو ذاهب إلى وكيل النيابة ليدلي بشهادته حول موضوع ما، فإذا بسيدة حامل تقابله وتشير إلى بطنها وتقول له: "سأطلق عليه اسمك".

وبينما هو عائد إلى منزله مساءً، فإذا بأحد أبناء جيرته وهو في العاشرة من عمره يقابله ويقول له: "يا عمي طيب! لقد أعدت أمي شطيرة باللحم، وإننا ننتظرك على الطعام". واستطاع أن يدعوه للمنزل، وهو حينما فعل ذلك كان يتحدث إليه بكل راحة وكأنه عمه الحقيقي. إلا أن الأكثر دهشة في ذلك هو مدى السلاسة التي يتحلى بها السيد أردوغان، إذ يقول للفتى: "حسناً، تعال لترشدني إلى الطريق، فعشائي هذا المساء عندكم".

إن السبب الوحيد لتصرف الأهالي معه بهذه الحرية والراحة هو أردوغان نفسه، فطالما شعروا به وكأنه واحدٌ منهم، وليس بعيداً عنهم. لأنه في الأساس واحد من الذين عاشوا كما يعيش الناس في هذا البلد؛ مشاكلهم، وآلامهم وأحزانهم، له ما لهم وعليه ما عليهم. أي أن أي واحد من الأهالي يمكنه أن يشعر بالقرب منه، فهو يعرفه. وأردوغان لا ينكر أبداً البيئة الشعبية التي نشأ فيها وتربى بداخلها. بل وفخور بما أضفته عليه البيئة الشعبية من خصال وسمات حميدة.

إن أردوغان على دراية بكل ذلك، ويجمع بين المميزات الشخصية التي يمتلكها وبين ذكائه السياسي، ويعمل على تغيير تركيا تغييراً حقيقيًّا ملموساً.

إفطار رمضان مع الفقراء

يقول السيد علي إبيش:

" اتجهنا أنا والسيد أردوغان للإفطار عند إحدى العائلات الفقيرة. وكانت كغيرها زيارة مفاجئة. فكنا لا نخبر صاحب المنزل مسبقاً لعدم التسبب في إحراج له أو نثقل كاهله باستقبالنا. فاندهش أهل المنزل وسعدوا بمجرد رؤيتنا. وعلى الفور دعونا للمائدة. وكان المنزل أشبه بكوخ وأرضيته من التراب. وبالداخل كانت توجد رائحة نفاذة. إضافة إلى ذلك كانت مائدتهم عبارة عن قطعة خشبية على الأرض ولا يوجد فوقها سوى الخبز والحساء. وبدأ أردوغان إفطاره بالحساء، إلا أنني لم أقدر أن أمد يدي لأي مما كان على هذه المائدة.

وعلى الرغم من أن السيد أردوغان قد فطن لسبب بعدي عن المائدة، إلا أنه لم يعلق على ذلك. وانصرفنا بعد أن قمنا بتقديم المواد الغذائية والأشياء الأخرى التي كنا قد جلبناها معنا.

كنت أفكر أنني عندما تسنح لي الفرصة سأجد مكاناً بالخارج وأتناول فيه طعام إفطاري، إلا أنني لم أجد هذه الفرصة أبداً. لأن السيد أردوغان لم يتركني سوى قرب موعد السحور. ثم فهمت أنه كان يعمل على أن يتعايش أصدقاؤه في العمل مع هذا الفقر ولو لمرة واحدة، وألا يظلوا عديمي الإحساس بهؤلاء الفقراء ويتعايشوا مع (الفقر) ورؤية مستوى معيشتهم وألا يظلوا بعيدين عن هؤلاء الأهالي".

ويحكي السيد محمد نوري يازيجي:

"كنا في أحد أيام شهر رمضان وذهبت أنا والرئيس إلى أحد المنازل للإفطار في قاغيت هانه. كان المنزل – وحتى لا يفهمني أحد خطأ – مجرد كوخ حصير لا يتعدى ثلاثة أو خمسة أمتار. وكان مدفع الإفطار على وشك الانطلاق، ودخلنا. كان المكان عبارة عن غرفة ضيقة جداً وأرضها من التراب. ويوجد على الحائط رف فوقه أطباق بلاستيكية، وبأسفله يوجد صنبور، وتحت هذا الصنبور

يوجد قارورة بلاستيكية تستخدم كالحوض، وهذا هو مطبخ المنزل. وقد بُسِطت على الأرض سجادة بسيطة وقد جلس عليها الجميع وقد التفوا حول صينية من الألومنيوم عليها نوع من الأعشاب المسلوقة، وعلى أطراف الصينية هناك قطع جافة من الخبز. وكانوا ينتظرون موعد الإفطار ليأكلوا.

إنها عائلة مكونة من أربعة أشخاص، أم عمرها 40 عاماً، وأب مشلول عمره 45 عاماً، وولدين أحدهما يبلغ عمره 12 سنة والآخر 5 سنوات. والعائلة بالكامل صائمة.

قام السيد أردوغان بخلع حذائه واتجه مباشرة إلى المائدة. وعندما رأى صاحب المنزل أردوغان أمامه فجأة، فإذا به يبكي بشدة. فأخذ أردوغان يعمل على تهدئة الرجل قائلاً له: "إننا ضيوف الرحمن، وجئنا لنتناول طعام الإفطار عندك، فلتفسح لنا مكاناً على الأرض بجانبك". وربت بخفة وبحنان على كتفيه. إلا أن الرجل لم يكفَّ عن البكاء بأي صورة قط قائلاً: "يا سيد طيب... يا سيد طيب".

في تلك الأثناء كان السيد أردوغان قد وجد لنفسه مكاناً حول المائدة وجلس. وحينما رآني واقفاً على قدمي قال لي: "تعال، لِمَ أنت واقف هكذا؟".

فقلت: "يا رئيس لا يوجد مكان، أين أجلس؟"، وعلى الفور خرجت بصعوبة وأنا أتألم مما رأيت. فقد أصبت بصدمة من هول ما رأيت من فقر مدقع، لقد تأثرت لدرجة أنه كان من الممكن أن أقع على الأرض مغشياً عليّ. وحتى لا أتعرض للجفاف فقد أنهيت صيامي بشرب الماء.

وكان يوجد على مقربة من ذلك المكان مطعم سيئ، فذهبت وشربت الحساء هناك. ولن أذهب إلى هذا المكان مرة أخرى لأتناول هذا الحساء حتى ولو كنت سأتعرض للقتل. إلا أنني حينما كنت أتناول هذا الحساء كنت أتناوله بمتعة كما لو كان أفضل حساء أتناوله في حياتي لهول ما رأيت آنذاك من الفقر.

وحينما عدت إلى المنزل كان الرئيس لا يزال جالساً إلى المائدة، وبعد أن تناول بقطعة الخبز الجافة التي بيديه آخر الأعشاب المتناثرة على الصينية نهض قائلاً: "سلمت أيديكم". وقمنا بتسليم المواد الغذائية والمساعدات الموجودة في السيارة إلى سيدة المنزل وانصرفنا.

وفي الطريق سألني السيد أردوغان "خير؟ ماذا حدث؟ لقد ساءت بك الحال...

أليس كذلك؟". فأجبت بقولي: "يا رئيس، إنني رأيت فقراء من قبل، إنما وبالله ما رأيت مثل هذا قط".

ثم بعد ذلك عرضت على السيد "أردوغان" رأيي بأن نقوم بإرسال هذه المعونات إلى الأهالي من دون أن نذهب إليهم، وبهذا نكون قد أدينا المهمة ووفينا بمسؤولياتنا.

فقال أردوغان: "أبداً"، وقام بإيضاح سبب رفضه قائلاً: "إنني أوقع كل يوم على مستندات كثيرة فيها مبالغ ضخمة، وإن للأموال جاذبية. ولو لم نرَ فقر هؤلاء الأهالي، فكيف يتسنى لنا إصلاح نفوسنا؟ كيف نتغلب على ألا نأكل الحرام، أو نستسيغ منه لقمة واحدة؟ وكيف نقاوم جاذبية هذه الأموال في لحظة نكون فيها بمفردنا؟".

وحينما قال لي السيد أردوغان ذلك وجدت أنه محق، وقلت له: "حسناً يا سيادة الرئيس، إنني لم أكن أفكر بالموضوع من هذه الناحية، إنك محق...".

إحياء التاريخ
في حي (أيوب سلطان)

أصبحت منطقة (أيوب سلطان) ذات أهمية تاريخية وقيمة دينية كبرى بعد أن عُثِرَ فيها على قبر الصحابي الجليل "أبو أيوب الأنصاري" حامل لواء الرسول صلى الله عليه وسلم.

فالمجمع الأثري الموجود فيها واحد من أول الآثار الإسلامية التي تم إنشاؤها هنا من بعد الفتح العثماني للقسطنطينية، وتحولت المنطقة المحيطة به خلال فترة قصيرة إلى منطقة إسلامية.

تعرض هذا المكان الذي يعج بالآثار الإسلامية النادرة كغيره من الكثير من الأماكن الأخرى للتخريب والإهمال الشديد. و(أيوب سلطان) الذي أصبح في العهد العثماني مكاناً يزوره الأهالي خصوصاً في ليالي شهر رمضان المعظم تحول إلى مكان يفر الناس منه بسبب تلك الرائحة الكريهة المنبعثة من مياه مضيق البوسفور العطنة.

وكان أردوغان يقول: "إن اسطنبول ربما تأتي على رأس أكثر المدن المهملة عالمياً. فقد أصبحنا بمثابة ورثاء لا يعرفون قيمة وقدر الثروة التي ورثوها... وها هو ذا أيوب سلطان ومضيق البوسفور اللذان طالما اهتم بهما العثمانيون قد تحولا الآن إلى مكانين يعجان بالقمامة وينشران الأمراض والأوبئة".

وأُجريت الدراسات لإعادة تخطيط منطقة (أيوب سلطان) ومضيق البوسفور بالتوازي على ثلاثة مراحل. فأولاً تم إنشاء نظام ضوئي لمسجد وضريح "أبي أيوب الأنصاري" اكتسبت من خلاله المدينة رونقاً رائعاً ليلاً. وعقب الانتهاء من العمل مباشرة تم إنقاذ الأسبلة وعيون المياه التاريخية لدينا من الإهمال والحال الرديئة التي وصلت إليها وجعلها صالحة للاستخدام مجدّداً. كما تم إصلاح وتجديد الأحجار

الناقصة والتالفة بها، ورُوعِيَت إعادة نقوشـها إلى ما كانت عليه في الأصل ولكن بحروف ذهبية اللون.

إضافة إلى ذلك تم إنقاذ منطقة (أيوب سلطان) المركزية من التكدس المروري بها، حتى أصبح الأهالي والزائرون يتجولون فيها بكل سهولة ويسر.

وكانت الآثار التاريخية مدفونة بما يقارب نصف حجمها تحت سطح الأرض نتيجة لرصف الطرق التي ارتفعت بمرور الزمن، وبالفعل تم إنقاذها من هذه الحالة، وتم رصف الطرق بالجرانيت أو بالأحجار السوداء بما يتناسب والمكان.

وبالإضافة إلى كل ذلك فقد تم إحياء ضريح "أبي أيوب الأنصاري" من جديد، وتمت العناية بأحجار الضريح وإعادتها إلى حالتها الطبيعية، كما تم إصلاح ممرات عبور المشاة بجوارها. وتمّت صيانة وترميم أضرحة الشخصيات المهمة مثل "نجيب فاضل قيصه كوراك" والأماكن المحيطة بها. وتمت أعمال الصيانة والإصلاح للمنازل الخشبية المطلة على البوسفور والتي تمثل نماذج معمارية فريدة، والتي كان قد تم تأميمها عقب انهيار المباني المطلة على البوسفور عام 1985م، وتم وضعها جميعاً تحت الحماية.

العفو عن الأراضي غير المرخصة

تشكلت حكومة ائتلافية من حزبي الرفاه والطريق القويم. وكان أحد مشروعات هذه الحكومة يقوم على توفير سبل للموارد وخزانة الدولة، فقامت الحكومة بإصدار عفو عن المباني العشوائية المبنية على أراضٍ غير مرخصة، ثم تحصيل الرسوم منها.

وبدأت المناقشات تحتدم، ومن الطبيعي أن تكون اسطنبول إحدى بؤر هذه المناقشات. فهذا أمر طبيعي بمجرد ذكر المباني العشوائية. لأن عدد المباني المبنية بوضع اليد في اسطنبول وحدها يبلغ 600 ألف من بين مليونَي مبنىً فيها. أما المباني العشوائية فهي كثيرة جداً. وباختصار، فإن أكثر من نصف المنازل باسطنبول خارج القانون.

واجتمعت الحكومة المركزية مع البلدية، والتقى أربكان مع أردوغان لمناقشة هذه القضية. وبعبارة واضحة، إن هذا الجو صنعته الدعاية الإعلامية والكتابات في شتى وسائل الإعلام أكثر من أي شيء آخر.

وقال أردوغان من قبل مراراً وتكراراً إنه ضد هذا العفو، ووجهة نظره في ذلك تتلخص في أن بناء أحد ما منزلاً على أرض لا يمتلكها مثله مثل من يسرق مالاً ليس له، فكلاهما مخالفان للأخلاق والقانون، بل إن العمل الأوّل يُعتبر جرماً أكبر. لأن من يسرق المال في النهاية يكون قد استولى على مال شخص ما لمرة واحدة. أما من أقام منزلاً على ملك الدولة، فإنه قد تعدى بذلك على الملكية العامة، وهذا جريمة مستديمة طالما الأمر قائم. ولهذا السبب لا يجب أن نؤيدهم على هذا الفعل.

إلا أن الحكومة تريد توفير مصدر للدخل لتغطي به عجز ميزانيتها بأن تبيع هذه المنازل المخالفة لأصحابها.

إن أردوغان ليس ضد إضفاء الشرعية على هذا الأمر بأن تباع هذه المباني المخالفة لأصحابها؛ إلا أنه لا يريد أن يكون هذا التطبيق هو النهاية، بل أن تطبق عقوبات أكبر كالحبس والعقوبة المالية والمنع من الحقوق الاجتماعية ليكون هناك ردع لمن تُسوِّل له نفسه القيام بذلك مستقبلاً.

جامعة قوتش

أجرى رئيس الجمهورية "سليمان دميريل" اتصالاً هاتفيًّا، ولكنه لم يصل إلى النتيجة المرجوة مع من تحدث إليه، فقام بإجراء اتصال هاتفي آخر، ولكن هذه المرة كان الاتصال برئيس بلدية مدينة اسطنبول الكبرى أردوغان، وقال له: "يا رئيس! لنُقيِّم موضوع جامعة قوتش هذه (مرة أخرى)... السيد "وهبي" يرغب في رؤية الجامعة قبل وفاته، إنه كبيرنا، ونريد أن نحقق له هذه الرغبة".

المكان الذي يريد أن يقيم عليه (وقف قوتش) الجامعة هو مساحة كبيرة من الأراضي التي حبتها الطبيعة بجمال نادر، فهي غابة داخل حدود مقاطعة (صاري ير). ولهذا السبب فرئيس البلدية لم تكن لديه النية للموافقة على بناء الجامعة أو اتخاذ خطوة إيجابية في هذا الموضوع، ومن ناحية أخرى، فإن إعطاء الترخيص للبناء في هذه المنطقة غير ممكن من الناحية القانونية.

ولكن (وقف قوتش) لم يتراجع عن إصراره على محاولة البناء؛ وبدأت بلديات حزب الرفاه (في المدن الكبرى وصاري ير) تبحث عن سبل لتظل خارج هذه المشكلة.

بدأت حكومة حزب (الوطن الأم) اليسارية الديمقراطية في عملها بعد أن نالت الثقة من البرلمان وذلك بتاريخ 12 يوليو/ تموز 1997م. وفي العاشر من أغسطس/ آب انضم رئيس بلدية (باهتشه قوي) "مظفر آلتينصوي" المنتسب لحزب (الطريق القويم) إلى حزب (الوطن الأم). وبهذا وجد (وقف قوتش) الحل الذي يبحث عنه خلال مدة وجيزة ومن دون عناء.

فقام "مظفر آلتينصوي" في اليوم الخامس من انضمامه لحزب (الوطن الأم) بتقديم التماس إلى إدارة بلدية (صاري ير) لضم أراضٍ تُقدر مساحتها بثمانية آلاف ومئة هكتار والتي تضم كلاًّ من (زكريا كوي)، و(دميرجيكوي)، و(كيليوس)، و(أوسقومروكوي)، و(قيزيلقايا) إلى زمام بلدية (باهتشه كوي).

وقامت الإدارة بتحويل هذا الالتماس المسمى باسم (تغيير أراضي الجوار) المقدم إليها إلى مجلس إدراة المدينة على اعتبار أن الأمر عاجل والبت فيه في غضون ثلاثة أيام.

وقام المجلس بحجز الملف لاتخاذ القرار مبدياً نظرة إيجابية للموضوع وذلك في جلسة 21 أغسطس/آب أي خلال الفترة المقررة بثلاثة أيام.

أصدرت وزارة البناء والإسكان وهي الجهة المعنية بالفصل في الموضوع قرارها في غضون يومين وأصبح القرار ساريَ المفعول من تاريخه.

أي أن الأمر استغرق 23 يوماً!! فالبيروقراطية لدينا حطمت الرقم القياسي بصورة مدهشة. فبهذا القرار، يكون المكان المختار لإنشاء جامعة (قوتش) قد انتُزِع من (صاري ير) وأصبح بمنأىً عن بلديات أعضاء حزب الرفاه. لأنه وفقاً لقانون البلدية الكبرى المطبق آنذاك، فإنه ليس هناك أي صلاحية للتصرف لا من البلدية الكبرى ولا من بلديات المحافظات على بلديات المراكز.

أردوغان مع الطلاب

قبل أردوغان الدعوة المقدمة إليه للانضمام إلى برنامج (اليوم الثاني والثلاثون) التلفزيوني والذي يذاع على الهواء مباشرة على قناة (شو تي في)، وكي يجيب على أسئلة الطلاب الذين تم استضافتهم في البرنامج.

وكان على رأس الأسئلة الموجهة إلى أردوغان أسئلة تتعلق بمستقبله السياسي، وكان أردوغان يجيب عليها بقوله: "إنني مستعد للوظيفة التي يراني فيها الشعب مناسباً لها، والشعب يراني الآن رئيساً لبلدية مدينة اسطنبول الكبرى، وأنا أعمل كل جهدي لتأدية واجبات هذه الوظيفة كما ينبغي، أما ما بعد ذلك فالشعب أيضاً هو من سيحدده". كما وُجِّه إليه عدد كبير من الأسئلة تتعلق بالديمقراطية والعلمانية.

ورداً على سؤال يتعلق بكيفية تعريف نفسه وهويته يجيب أردوغان: "إنني مسلم مخلص"، ويضيف أن كونه مسلماً مخلصاً لا يتعارض مع كل من الديمقراطية والعلمانية.

وكانت هناك أسئلة للطلاب يمكن وصفها بالمدهشة، تتعلق بنشاطات بلدية مدينة اسطنبول الكبرى. وكانت بعض هذه الأسئلة تتعلق بالمساعدات التعليمية الكبيرة التي تقوم بها بلدية مدينة اسطنبول الكبرى. ورداً على سؤال يدور حول المقاييس التي يتم اختيار الطلاب طبقاً لها من أجل حصولهم على المساعدات والمنح التعليمية، وأن بعضاً ممن تقدّموا لهذه المنح التعليمية لم يحصلوا عليها؛ فأجاب أردوغان موضحاً: "إنه يطُلب من الطلاب المتقدمين لهذه المنح التعليمية العديد من المعلومات الخاصة بهم، ويتم إخضاع هذه المعلومات لنظام التقويم بالدرجات"، وأضاف "إنه وفقاً لهذا النظام لا يمكن بأي شكل من الأشكال أن يتم الانحياز لمجموعة من الطلاب". وقام أردوغان بذكر إحدى ذكرياته في هذا الشأن، بأنه في ساعة متأخرة من مساء أحد الأيام وبينما هو خارج من البلدية، فإذا به يجد ثلاثة شبان على الباب، وقال له أحد هؤلاء الشبان: "إنني علوي، وقد

تقدمت بطلب من أجل منحة تعليمية، وقد حظيت بها؛ إلا أن لي صديقة محجبة، وقد تقدمت بطلب هي الأخرى، إلا أنها لم تحظَ بالمساعدة، وظروفها أكثر صعوبة مني، ولهذا السبب، فإنني أريد أن أتنازل عن منحتي من أجلها".

وسؤال آخر وُجِّه "لأردوغان" يتعلق بمدينة اسطنبول وعن إمكانية العيش فيها من عدمه، جاءت إجابة أردوغان مطابقة للواقع وصادقة إلى حد كبير حيث قال: "إن اسطنبول ليست مدينة مثالية في كل شيء؛ ولكنها تتجه نحو الأفضل، فالمساوئ التي تراكمت فيها طوال 50 عاماً لا يمكن أن يتم علاجها في أربعة أعوام".

ورداً على سؤال أحد الطلاب حول بعض الادعاءات بأن هناك انحيازاً في بعض البنود الخاصة بالمناقصات التي طرحتها بلدية مدينة اسطنبول الكبرى. فتحدث أردوغان حول هذه النقطة بصراحة قائلاً: "إن قانون المناقصات واضح، ويتسنى لأي شخص أن يتقدم للمناقصات في إطار هذا القانون، ونحن أيضاً نوكل المناقصة لمن يتقدم بأقل سعر أياً كان".

وأشار أردوغان في كلماته إلى مدى ظلم الشائعات وأثنى الطلاب على كلامه بالتصفيق الحاد إذ قال: "إن هدفنا في المناقصات هو إرساء مبدأ الشفافية، ولا يعني أن إدارة البلدية بانتسابها إلى حزب الفضيلة ألا يفوز أحد بمناقصة في هذه البلدية ينتمي لهذا الحزب، ويتحدث البعض عن قطعة الأرض التي أخذها "قومباس" ويديننا الجميع بسبب هذا الموضوع، في حين أننا طرحنا قطعة أرض أخرى في نفس المنطقة وأكثر قيمة من القطعة السابقة وحظي بها آجزاجي باشي. فلِمَ لا يتحدث أحد عن ذلك؟".

وعن سؤال حول مدى انتهاج البلدية للديمقراطية في إدارتها وأنشطتها أوضح أردوغان: إن الديمقراطية لا تكتمل حتى تتم المحافظة على حقوق الأقليات، وقد نجحت البلدية في إفساح مكان للأقليات في المجالس التي يتم إنشاؤها.

وسأل أحد الطلاب أردوغان عن آخر تطورات مشروع السكك الحديدية المزمع إنشاؤه في القسم الآسيوي من اسطنبول. وأجاب أردوغان: "تم تجهيز المتطلبات كافة لإتمام المشروع". غير أن تكاليف إتمام هذا المشروع والذي سيمتد من (حرم) إلى (طوزلا) ستكون باهظة للغاية، وكنا قد خططنا لعبور القطار من خلال رصيف المشاة الموجود وسط الطريق البرية (E-5). إلا أن إدارة الطرق

البرية لا تقبل ذلك وتريد أن تنشىء السكك الحديدية على يمين أو يسار الطريق البرية (E-5). وهذا غير ممكن وتقابله معوقات كثيرة. أي إن إنشاء هذا المشروع بالجزء الآسيوي من اسطنبول يعني هدم الطريق البرية (E-5).

وقال أحد الطلاب: "إن مشروع الخليج قد باء بالفشل، والأماكن التي تم تنظيفها قد تحولت إلى بحر من الوحل مجدّداً، إضافة إلى أن هناك مضاربات في البورصة تحسباً لعدم إتمام المشروع في موعده المحدد، ماذا تقول في هذا الموضوع؟"، أجاب أردوغان بقوله: "إن كل ذلك محض افتراء؛ لأنه تم استخراج حوالى 3 ملايين و700 ألف مترٍ مكعّبٍ من الوحل، فأين الفشل في ذلك؟ وسوف يتم الانتهاء من هذا المشروع في غضون شهر من الآن.

استمرت أسئلة الطلاب حول موضوعات عديدة منذ بداية اللقاء حتى نهايته، واستمرت المناقشات حوالى ساعة ونصف الساعة، وأحاط الطلاب برئيس البلدية أردوغان ووجهوا له أسئلة خارج البرنامج المقرر وأجابهم بصدر رحب، وقد عبّر الطلاب عن انطباعاتهم حول التفاعل والود المتبادل خلال هذا اللقاء بقولهم:

"إن التقارب الذي حدث بيننا في مظاهرات جامعة اسطنبول وعبّر عن ردود أفعالنا تجاه الإدارات المنعزلة عنا، قد وجد في هذا اللقاء متنفساً له، ونرغب دائماً في وسط مماثل له يعبّر عن طموحاتنا".

قمة "هابيتات" العالمية الثانية

كان ترشيح أردوغان لرئاسة بلدية (باي أوغلو) عام 1989م - مثلما أوضحنا سابقاً - يمثل منعطفاً مهمًّا بالنسبة له، بسبب ما حققه من نجاحات خاصة في توسيع مفهوم حركة الفكر الوطني، حتى إنه تحول إلى نموذج فريد باعتباره (نموذجاً سياسيًّا يلزم اتباعه أو التآسي به).

أما ترشيحه لرئاسة بلدية مدينة اسطنبول الكبرى عام 1994م، فقد مثَّل أيضاً منعطفاً ثانياً على درجة بالغة الأهمية نظراً لأنه قد أصقل تفكيره ومكانته السياسية بشكل كلي، وتحول من المستوى المحلي إلى المستوى العالمي، كما ظهر كسياسي تركي محنك له رؤية خاصة.

أما قمة (هابيتات) فقد مثلت الفترة التي جعلت من أردوغان مشهوراً على المستوى العالمي، وهي الفترة التي تطورت فيها رؤيته السياسية وتفتحت فيها آفاقه بصورة كبيرة للعمل في الحقل السياسي على المستوى العالمي.

حضر 25 ألف شخص إلى اسطنبول بسبب قمة (هابيتات) الثانية والتي عقدت في الفترة ما بين 3 و14 يونيو/ حزيران لعام 1996م.

وبلدية اسطنبول باعتبارها مضيفة ومشاركة في القمة في الوقت نفسه كانت تطور من مفهومها الخاص للعمل في إدارة المدن، بجانب تحملها مسؤولية تقديم اسطنبول للعالم بأسره من خلال احتفائهم بالضيوف الذين أتوا إليها من مختلف الدول.

ومن خلال انضمام عدد من رجال العلم الأجانب والمحليين فقد تم تنظيم مؤتمرات ومحاضرات عامة وحلقات دراسية على مدار أسبوعين تحت عنوان "إدارة المدن وأنظمة الاستقرار البديلة"، هذا بالإضافة إلى أنه تم إعداد المجسمات والأفلام الوثائقية والألبومات الموسيقية والكتب الخاصة باسطنبول وكتيبات الإرشاد لمدينة اسطنبول وغيرها المعدة خصيصاً لهذا الأمر.

ومع أن أردوغان قام بزيارات لمدن العالم قبل هذه القمة، فقد وجد الفرصة في أثناء القمة ليزيد من التقارب والإفادة من الخبرات لرؤساء البلديات والمسؤولين من جميع أنحاء العالم، كما أسس صداقات جديدة.

وكان "عمر دينتشر" مع أردوغان في إحدى الجولات التي قام بها إلى مدينة (نانتس) الفرنسية. وفي ما يتعلق بقمة هابيتات يقول: "لقد كانت جولتنا في مدينة نانتس في فبراير/ شباط عام 1996م، وكنا في شهر رمضان. وعندما هبطنا في مطار باريس كان وقت الإفطار لم يحن بعد، فذهبنا إلى البوفيه لنجلب بعض المأكولات لتكن معنا من أجل الإفطار. وقال عامل البوفيه إنه ليس لديهم سوى شطيرتين فقط. إحداهما بالجبن والأخرى بالجمبري، ولا يوجد شيء آخر. فقال السيد أردوغان: "أنا لا آكل الجمبري"، فقلت: "فلتأخذ حضرتك شطيرة الجبن".

وحين وصلنا إلى مدينة (نانتس) كانت الساعة قد تخطت الحادية عشرة. وكان كل منا قد أفطر على شطيرة واحدة فقط، ولم يكن معنا أي طعام من أجل السحور؛ فتوجه الرئيس إليّ قائلاً: "ماذا سنفعل يا أستاذ عمر؟ هل سنصوم غداً؟".

فقلت: "إننا مسافرون، لسنا مضطرين للصيام، إلا أنني سوف أصوم".

فقال أردوغان: "إذاً، سأصوم أنا أيضاً. وإذا كنت ستجازف بمعدتك الفارغة من أجل الصيام، فأنا أيضاً سأفعل الشيء نفسه"، ونوينا الصيام.

وفي اليوم التالي انتهينا من اجتماع ما قبل الظهيرة وفي أثناء توجهنا إلى الفندق خرجت امرأة شبه محجبة من أحد المحال المصطفة على جانبي الطريق واتجهت نحونا قائلة: "يا سيدي الرئيس، إنني عرفتك... أم إنني أخطأت؟".

فعرّف السيد أردوغان بنفسه وأخبرها أنها لم تخطئ. فقالت المرأة: "إنني لست مهتمة كثيراً بالسياسة، إلا أن زوجي حين يعرف بوجودك هنا سيسعد للغاية، إنه أحد معجبيك".

وعقب برنامج ما بعد الظهيرة عدنا مرة أخرى إلى الفندق، فإذا بمجموعة من الأشخاص في انتظارنا. وأصبحت وكأنني أرى مائدة الإفطار لهذا اليوم جاهزة، فقلت على الفور: "يا سيدي الرئيس من فضلك لا تردّ الدعوة".

وبعد السلام والتحية، فإذا بامرأة من بين الجمع تخرج وتقول: "هيا... طعام الإفطار لليوم عندنا".

وإذا بالسيد أردوغان كما لو كان يعاندني يقول: "إننا مشغولان للغاية، لا نستطيع المجيء"، إلا أن المرأة ازدادت إصراراً، ولم يستطع أن يثنيها عن إصرارها هذا.

وأصرت على دعوتها أكثر، فإذا بالسيد أردوغان يقول: "إذا لم يكن على المائدة محشي كرنب، فلن آتي!".

وفي النهاية أدركت ما يرمي إليه الرئيس، فقد اتضح من لهجة المرأة أنها من أهالي منطقة البحر الأسود، وأنه كان يمزح.

وحينما قالت المرأة: "أيعقل ألا يكون هناك على المائدة في هذا اليوم المبارك محشي كرنب يا سيدي؟". اتجهنا معاً لتلبية الدعوة...

وطوال الأيام الأربعة التي قضيناها بالمدينة، كنا نتناول طعام الإفطار والسحور كل مساء في منازل مختلفة. إن ما أبداه إخواننا المغتربون للسيد أردوغان لم يكن نابعاً سوى من الحب والاحترام، ومن ناحية أخرى، فإن السيد أردوغان قد تأثر أيضاً بصدق هذه المشاعر وسعد كثيراً من هذا الاهتمام".

لقد وجد "عمر دينتشر" فرصة للاقتراب من السيد أردوغان رئيس بلدية اسطنبول طوال الأربعة أيام التي قضاها معه خلال جولته هذه، وازداد التقارب مع ارتباطهما طوال الوقت واللحظات السعيدة التي عاشاها معاً، وأصبح كما لو كان يرى المستقبل المشرق الذي ينتظر أردوغان.

وفي طريق العودة قال "عمر دينتشر": "يا سيدي الرئيس... إننا نعمل معاً منذ فترة طويلة، إلا أنني بعد هذه الرحلة الأخيرة آمنت بأن اسطنبول لا تكفي طموحك وقدراتك، وعاجلاً أم آجلاً سوف تذهب إلى أنقرة، وينبغي الاستعداد لذلك من الآن. ولو أنك ترى ذلك مناسباً، فإنني أقدر على فعل ذلك من دون علم أحد".

اكتفى السيد رئيس البلدية بالتبسم بدلاً من الإجابة.

لم يستطع "عمر دينتشر" أن يحصل على جواب صريح على عرضه الذي تقدم به، إلا أن ذلك لا يعني كبح وتقييد حريته في التصرف. فقام بتشكيل فريق مكون من 15 شخصاً من أصدقائه من الجامعة والبيروقراطيين وموظفي السوق الحرة، وبدأ العمل على دراسات حول مشاكل الدولة والمقترحات لحلها، وبدأ في عرض كل ذلك على رئيس البلدية على فترات منتظمة.

قبل أردوغان الدعوة الرسمية التي تلقاها لحضور قمة (هابيتات) الثانية، فقام بزيـارة مدينـة برشـلونة الإسـبانية. وكان اهتمـام الجميـع "بأردوغـان" اهتماماً كبيراً. واحتلت رحلته مساحة كبيرة على صفحات الصحف الإسبانية.

وعلـى هـذا النحـو، فـإن الرئيـس لـم يسـتخدم في أيٍّ مـن أحاديثه جملة بهذه الصـورة مـن قبـل؛ بمعنـى: "إن حـزب الرفـاه يمثل صرخة للأشـخاص الذين ظلوا ظمأى لفترة طويلة جداً".

وعندما قمنا ببحث الأمر ظهر الأصل الذي استند إليه العنوان. فالعبارة التي استخدمها أردوغان وهي "إننا صوت الجموع الصامتة"، عند ترجمتها إلى الإسبانية أصبحت على الصورة التالية: "إن حزب الرفاه هو صرخة للأشـخاص الذين ظلوا عطشى لفترة طويلة جداً"، واكتسبت بعداً عالمياً يشمل كل الأشخاص الصامتين.

ربما كان خطأ بسيطاً في الترجمة، إلا أن العبارة التي خرجت كعنوان رئيس بدت كما لو أنها تعبر عن إدراك أردوغان السياسي المتطور بسرعة، بداية من كونه رئيـس بلديـة مدينـة اسـطنبول الكبـرى، فقد انتقل مـن المحلية إلى العالمية، وهكذا رسخ في أذهان العالم مدى اهتمامه بقضايا الإنسانية بأسرها.

مزيد من الديمقراطية

في نهاية عام 1996م نشرت مؤسسة (الدراسات المتوازنة) نتائج دراسة قامت بها في جميع أنحاء تركيا تقيس بها الرأي العام حول الانتخابات.

ووفقـاً لنتائـج الدراسـة، فإنـه إذا تـم إجـراء انتخابـات الآن؛ فإن البلديات التي يرأسها المنتمون إلى حزب الرفاه سوف تحصد حوالى 32 بالمئة من الأصوات في عموم تركيا، غير أن بلدية اسطنبول سوف تحصد 43 بالمئة من الأصوات، ووفقاً لنتائج الدراسة أيضاً، فإن عدد الأصوات التي سوف يحصل عليها حزب الرفاه في انتخابات مجلس الشـعب لن تتعدى 22.4 بالمئة. وعلى الرغم من أن هذه النسـبة أعلى بنقطة واحدة من الأصوات التي حصل عليها حزب الرفاه في آخر انتخابات عامة، فإنها تُعدّ نسبة منخفضة إلى حد ما وفقاً للإداريين المحليين.

وكان من الملفت أن نسبة الأصوات التي تحصل عليها البلديات التي يترأسها أعضاء حزب الرفاه أكثر بكثير من الأصوات التي يحصدها الحزب نفسـه، وهناك عدد من الأسـباب يمكن ذكرها لتبرير ذلك وأهم تلك الأسـباب انتهاجهم سياسـة الاتصال المباشـر بالجماهير وخدماتهم الناجحة لجموع الشـعب، بجانب أعمالهم التي تميزت بالجودة، واشتغالهم بالعمل السياسي أفضل من مركزية الحزب.

فسياسة (المنضدة البيضاء)[*] والسياسات المشابهة لها، والتي بدأتها بلدية مدينة اسـطنبول الكبرى لأول مرة في تركيا، ثم تبعتها في ذلك البلديات المتبقية، كانت مؤثرة للغاية، فقد حققت من خلالها اتصالاً حقيقيًّا ومباشراً مع الشعب.

قـدم أردوغـان بصفتـه رئيـس بلديـة مدينة اسـطنبول الكبرى إلـى رئيس وزراء الحكومة الجديدة تفسيراته وأفكاره المتعلقة بموضوع الانتخابات انطلاقاً من نتائج الدراسة سابقة الذكر وذلك على صورة تقرير مكتوب، وبصورة تفصيلية جاء فيه:

(*) المنضدة البيضاء: لجنة لتلقي الشكاوى والطلبات من الشعب.

"إن النتيجة التي نصل إليها هي: إذا كانت تركيا تريد مجتمعاً أكثر ديمقراطية، ويتمتع مواطنوها بحرية أكثر وحياةً أكثر رفاهية، وأن تصبح دولة أكثر تكاملاً مع العالم، فكل ذلك لا يمكن أن يتأتى في ظل بيروقراطية معوقة لذلك، وإدارة مركزية بدأت في التفكك. والسبيل لتدارك هذا الانهيار هو تقوية الإدارات المحلية من خلال مفهوم اللامركزية، وتحويل بعض صلاحيات وإمكانيات الإدارة المركزية إلى هذه الإدارات المحلية".

وبعد أن قام رئيس بلدية اسطنبول أردوغان بتقييم عام للإدارات المحلية قدم عدداً من المقترحات الخاصة باسطنبول على النحو التالي:

- رئيس واحد، ونظام مجلس واحد.
- نقل خدمات الصحة والتعليم والمواصلات إلى البلدية.
- حدود بلدية مدينة اسطنبول الكبرى تكون هي حدود المدينة نفسها.
- إشراف البلديات على المناقصات.
- قيام مجلس البلدية بتشكيل مختلف المجالس التابعة له.
- نقل خزانة الأراضي إلى البلدية.
- زيادة صلاحيات قوات أمن البلدية لتصل إلى صلاحيات الشرطة.
- إنشاء صندوق دعم منفصل لاستثمارات قطاع المواصلات.
- زيادة الحصة المخصصة للبلديات من الميزانية العامة.
- إنشاء ميناء بحري في كل قسم من قسمي اسطنبول الآسيوي والأوروبي على أن يكونا خارج المدينة، وإنشاء مطار في (قورت كوي).
- نقل تمويل ومسؤولية (مشروع ميلين) من الحكومة إلى البلدية.
- البدء الفوري في مشروع الأنفاق.
- مساعدة الحكومة للبلديات في إصلاح الأنهار.
- توفير الاحتياجات اللازمة من الغاز الطبيعي.

وكما هو واضح، فإن ما أراده رئيس بلدية اسطنبول من رئيس الوزراء هو زيادة صلاحيات وسلطات البلدية وتقليص صلاحيات الحكومة المركزية على البلديات، ولم يطلب مجرد الدعم من الحكومة، بل هدف أردوغان إلى تشكيل آلية جديدة للعلاقة بين الإدارة المحلية والحكومة المركزية تتسم بالسهولة والمنطقية.

ندوة الديمقراطية

إن انقلاب 28 فبراير/ شباط(*) تجربة مريرة لن تُمحَى آثارها لسنوات طويلة؛ لما خلفه من تخريب وانهيار مجتمعي واسع، إضافة لكونه انقلاباً تم ضد السلطة المدنية. وعلى الرغم من صحة هذا الادعاء، فإن آثاره سوف تستمر لألف عام.

لقد استطاع هذا المجتمع أن يتعايش مع كل أنواع الابتلاء عبر تاريخه بما في ذلك الانقلابات، إلا أنه لم يفقد الأمل قط بأنه بمجرد أن تتسنى له الفرصة، فسيقوم بتضميد جروحه ويقف على قدميه مجدداً.

أما إذا تحولت ساحات المحاكم في دولة ما إلى ثكنة عسكرية ووقع القاضي وممثل الادعاء تحت الوصاية، فإن العدالة داخل المجتمع تتلقى جرحاً لا يمكن مداواته، ولا تستطيع أن تقف على قدميها مرة أخرى بسهولة لتمارس حقها في سيادة القانون. فهذا هو الجرح الذي عاشته تركيا في 28 فبراير/ شباط وما تلاه من أيام. فالمجتمع كانت تسوده خيبة أمل كبيرة.

وفي ظل هذه الأجواء القاتمة قامت بلدية مدينة اسطنبول الكبرى برئاسة أردوغان بكسر حاجز الخوف بأن نظمت ندوة في اسطنبول تحت عنوان "ندوة الديمقراطية" في الوقت الذي أُلغيت فيه الديمقراطية وضاعت فيه هيبة القضاء

(*) انقلاب 28 فبراير/ شباط: عُرف هذا الانقلاب بأنه انقلاب (ما بعد حداثي)، نظراً لأنه انقلاب عسكري لم يستخدم الآلة العسكرية، بل استخدم نفوذ العسكر داخل مجلس مدني. فقد انعقد مجلس الأمن القومي بجناحيه العسكري والمدني في 28 فبراير/ شباط 1997م، وقدم توصيات من 18 مادة، أرغم فيها رئيس الوزراء أربكان على توقيعها. واعتُبرت هذه التوصيات بمثابة خطة لضرب الحركة الإسلامية في تركيا وتصفية مؤسساتها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. وعاشت تركيا بعد تطبيق هذه التوصيات سنوات طويلة من النكسة الديمقراطية خسر فيها الإسلاميون الكثير من إنجازاتهم، كما أنها كانت من ناحية أخرى فترة أعادت فيها الجماعات الإسلامية كافة مراجعة رؤاها الفكرية، وتصحيح مساراتها السياسية، وعلاقاتها بالعمل السياسي والاجتماعي. راجع في هذا كتاب: الحركات الإسلامية في تركيا؛ دراسة في الفكر والممارسة، تأليف: طارق عبد الجليل.

فكان ذلك بمثابة شمعة مضيئة وسط الظلام.

ودارت الندوة حول أربعة محاور رئيسة: "نظرية الديمقراطية"، و"الديمقراطية والثقافات المختلفة"، و"الديمقراطية كسلوك سياسي"، و"الديمقراطية في تركيا".

وألقى الدكتور "شـريف ماردين" الكلمة الافتتاحية للندوة التي بدأت في 13 ديسمبر/ كانون الأول 1997م. وتناول "ماردين" العلاقة ما بين الديمقراطية والمجتمع من خلال ثلاثة محاور:

الأول: إن ثراء المجتمعات ناتج عن الفوارق الطبقية بالمجتمع.

الثاني: عدم ثبات القيم الاجتماعية وتعرضها للتغير والتطور.

الثالث: مدى اعتماد التغيير على الماضي وقيمه.

عرض كل من "ممتاز أر توركونه" و"محمد ألتان" بحثيهما في الجلسة الأولى التي كانت بعنوان "نظرية الديمقراطية"، وذلك في اليوم الأول للندوة، بينما انضم كل من "فرحات قانتال"، و"عمر تشـاليك"، و"كاظم بيرزيج" إلى الجلسـة لمناقشـة البحثين.

وتحـدث فـي الجلسـة الثانيـة والتـي جـاءت بعنـوان: "الديمقراطيـة والثقافات المختلفـة" كل مـن "وجـدي آقيـوز" و"أتيـان مهجوبيـان"، وتولـى كل مـن "علـي بولاتش"، و"ياسين أقتاي"، و"محمد عاكف أيضين" النقد بالجلسة.

وحمل اليوم الثاني للندوة عنوان "الديمقراطية كسـلوك سياسـي" وتحدث فيه كل مـن "دوغـو أرجيـل"، و"محمـد علـي قيليتشـباي"، أمـا "عمر دينتشـر"، و"عارف أرصوي"، و"علي قيرجا"، فكانوا المناقشين.

وكانت آخر جلسات الندوة بعنوان "الديمقراطية في تركيا". وفي هذه الجلسة تحـدث "لفنـت كـوكار"، و"جنكيـز تشـاندار"، بينما كان "محمـد دوغان"، و"محمد متين أر" المناقشَين.

وبعـد نهايـة الجلسـة الأخيـرة جـاء الـدور على رئيس بلدية اسـطنبول الكبرى أردوغـان ليلقـي الكلمـة الختاميـة للمؤتمـر وفيها أكد على ضرورة عدم الاستسـلام لانقلاب 28 فبراير/ شباط، وكانت هذه الكلمة بمثابة إعلان يضع - ولأول مرة - للديمقراطية مفهوماً واضحاً ومفصلاً، فجاء فيها:

"عادةً عندما يتم الحديث عن إحدى الندوات، يكون الحديث عما يرجى من

فائدة من هذه الندوة، أو ما تصل إليه من نتائج. ولقد وجدنا أن النتائج التي توصلنا إليها في هذا الإطار الذرائعي قد تخطت ما كنا نتوقعه عند تنظيمنا لهذه الندوة...

ومما لا شك فيه أنه لا يرجى أن تقدم ندوة استمرت يومين حلولاً لكل المشاكل التي تواجهنا. والحقيقة أننا لم نكن ننتظر ذلك. إلا أن مجرد تحديد القضايا المتعلقة بنظرية الديمقراطية أو بتلك القضايا الراهنة في ما يتعلق بإشكالية الديمقراطية لدينا فذلك يعد نجاحاً للندوة من وجهة نظرنا. وإن مجرد ذكر ما يمر به بلدنا في هذه الآونة ولو على صورة عناوين رئيسة، له إسهامه القيم الذي يكفي لأن يكتب التاريخ هذه الندوة بين أوراقه.

ومما لا شك فيه أنني لست هنا كي أتناول بكل تفصيل نظريات الديمقراطية والقضايا الراهنة المتعلقة بإشكالية الديمقراطية لدينا بالصورة التي تناولها بها علماؤنا ومثقفونا ورجالات السياسة. إنما سأكتفي فقط بأن أشارككم ما تبقى في عقلي من الأجزاء التي تابعتها معكم، وما يدور في وجداني حول تلك القضايا وهذا بصفتي المستضيف للندوة وكرجل سياسة.

إنني وقبل كل شيء أريد أن أقول إن طلب الديمقراطية حق لا يمكن التنازل عنه. إن للإنسان الحق في أن يكون له رأي بشأن نفسه وعائلته ومدينته ووطنه بل وكل شيء يهمه ويؤثر فيه. ومن يرجو هذا الحق الأسمى إنما ينبغي عليه الالتزام بدور أخلاقي ليس لنفسه فحسب، إنما للآخرين أيضاً.

ولو كان إطار هذه الديمقراطية صحيحاً، فإذاً، ينبغي تعضيد الممثلين المدنيين لها حتى تكتسب هذه الديمقراطية الاستمرارية وتدخل في إطار التفعيل. ومن أجل ذلك يجب على الدولة ألا يكون منهجها هو التسلط وأن تأخذ في اعتبارها سمو العدل، وألا تكون إيديولوجيتها إذابة كل الأشخاص والأطياف في بوتقة واحدة. والتجربة السياسية لبلدنا هي على النقيض من ذلك تماماً.

إن الدولة لها إيديولوجيتها، وهي تساند وتدعم من هم على إيديولوجيتها هذه نفسها. أما الذين يخالفونها، فإنها تزدريهم وتحجمهم. وكانت النتيجة الطبيعية لذلك حالة من عدم الاستقرار السياسي والاغتراب في ما بين المجتمع والدولة، وانقسام وفجوة كبيرة بين طبقات المجتمع.

كان ينبغي هنا بحث السبب عن افتقاد ثقافتنا السياسية لملكة التصالح، وعن

أسـباب احتواء هذه الثقافة لعوامل تفجر المصادمات المسـتمرة وتسـتفز الأقطاب والتكتلات الاجتماعية.

وكمـا أوضـح الأسـتاذ الدكتـور "شـرف ماردين"، وهـو من المفكريـن الكبار فـي تركيـا، فـإن المجتمـع بطبيعتـه غير متجانـس، حيث يحتوي على معتقدات دينية ووجهات نظر فلسفية متعددة. وباختصار، إنه يتشكل من أفراد لهم هويات مختلفة.

وأرى أن الاختلاف لا ينبغي أن يُفسر على أنه ضعف أو مشكلة ينبغي العمل لحلها أو القضاء عليها، فالأنظمة المستبدة التي لا تحترم حقوق الإنسان ولا تحترم شعوبها، وحدها هي التي تعمل على القضاء على تلك الاختلافات.

ورؤيتنـا السياسـية تعتبـر أن الاختـلاف هـو نوع مـن أنواع الثراء. وينبغي تقوية الأبنية السياسية والثقافية والاجتماعية التي يتاح للتعددية فيها تقوية نفسها بنفسها، وليـس القضـاء علـى هـذه التعدديـة أو رفع المجتمـع للانصياع لوجهة واحدة فقط. فكلما عبرت الهويات المختلفة عن نفسها بحرية، كلما أدى ذلك إلى إمكانية الحوار المشترك. وإن هذا هو سبيلنا والمشروع الأخلاقي والواقعي الوحيد لتقوية وحدتنا السياسية وسلامنا الاجتماعي.

إننـا ننتقـل مـن مجتمـع الصناعة إلى مجتمـع المعلومات. والمجتمع الصناعي كان الأساس فيه هو المركزية والاتجاهات التكتلية. أما ما يمنح القوة في المجتمع المعلوماتي، فهي الاتجاهات التي تعبر عن الاختلاف والتعددية.

وفي كل أنحاء العالم يتم العمل على إنشاء تعددية في الحياة الاقتصادية في المقام الأول وفي الحياتين السياسية والاجتماعية كذلك. ولكن لا يوجد عندنا بناء يسـمح بالتعددية لا في الحياة الاقتصادية ولا السياسـية. ويجب من أجل التعددية السياسية، أن نصل وبسرعة إلى بناء يكون في عناصر المجتمع المدني القادرة على تفعيل كل سبل المشاركة السياسية ويكون الدستور ضامناً لذلك.

وبالإضافة إلى ذلك، فإننا نرى أن نظام الهيمنة الأحادي المفروض على حياتنا الاقتصاديـة، يعمـل مـن أجـل تحقيـق مصالحه هو، وأنـه قد مهد الطريق للتدخلات المناهضة للديمقراطية السياسية.

ولهذا السبب، ينبغي العمل على دعم التعددية الاقتصادية حتى تكون السيادة للشـعب وبذلـك تكـون فـي مسـارها الصحيـح متـى ظهـرت القـوى الاقتصادية في

الأناضول، إننا سنفهم هذه النقطة جيداً إذا ما وضعنا نصب أعيننا الجهود التي قامت بها تلك القوى حتى تحتكر وحدها السلطة الاقتصادية من أجل تعطيل الديمقراطية.

وإننا يجب أن نؤكد هنا على أنه قد حدث تداخل للتعددية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية من دون أن تسقط قط في إشكالية الأسبقية والتبعية، ويجب أيضاً أن نتجه بكل طاقاتنا لطلب سياسة من شأنها تحقيق ذلك بقدر الإمكان.

وفي حال أن بناء الدولة المترهل لا يسمح بذلك، فيجب ألا نهرب من المعركة وألا نسقط في فخ السأم واليأس. وجهودنا، وإن كانت تبدو قليلة، يجب أن تستمر متجهة من أسفل إلى أعلى. والإدارات المحلية تستحق الأصوات والثقة التي حصلت عليها من الشعب طالما أنها تمثل الآلة التي تُفعّل هذه الجهود. وإننا قد أيقنا أخيراً أن بذل الجهود لتقليص تأثير الإدارة المركزية على المحليات يُعد صحيحاً إلى حد كبير.

ومن الأسباب أيضاً التي تعطل باستمرار التحول الديمقراطي اللازم والعاجل لبلدنا أن المناقشات حول الديمقراطية تدور بين العالمية والمحلية.

إن هذا المجتمع بلا أدنى شك يجب أن يهدف إلى الحصول على الديمقراطية بمستوياتها العالمية للتعامل مع الشعوب الأخرى التي تشاركه كوكب الأرض. إلا أن أي مجتمع من المجتمعات حين يقيم ويطور ديمقراطية تستهدف المثل العالمية يجب عليه أن يضيف أحكامَ قِيَمِه ومعتقداته وعاداته وتقاليده باعتبارها خميرة الثقافة السياسية لهذه التجربة الديمقراطية.

الديمقراطية بهذه الصورة يمكن لها أن تخرج من دائرة المناقشات المجردة وتتحول إلى نظام قابل للتطبيق. وبهذه الصورة فقط يمكن للمجتمع أن يزداد ثراءً، بل وتبتعد الديمقراطية عن كونها (إشكالية نخبوية).

بهذا يمكن للمجتمع أن يُعمق وعيه بالديمقراطية، ويحولها لإحدى واجبات الحياة اليومية، ويغذي بها قناعاته الثقافية. ويكون لهذه الخلفية الثقافية إسهاماتها الكبيرة للوصول بالديمقراطية إلى مصافّ العالمية.

هناك اتصال مباشر بين هذا الموضوع وبين مفهوم سيادة القانون الذي يحتاج إليه أي مجتمع من المجتمعات بقدر احتياجه للخبز والماء. ولو لم يعمق الشعب فكرة الديمقراطية أو تم الحكم في هذه الديمقراطية على أنها برنامج خاص بالنخبة التي

تدير البلاد؛ ففي هذه الحالة ستقوم النخبة الحاكمة بتضييق حدود الديمقراطية وتفسرها بالمصلحة العامة العليا للوطن، وهو تفسير يستأثرون هم وحدهم بالتعامل معه.

فـي هـذه الحالـة تخـرج الدولـة عن كونها دولة قانون وتصبح عبارة عن قانون الدولة وتظل قابعة في مرحلة من الشتات والتيه عن جادة الديمقراطية الحقيقية.

ومـن أجـل إمكانيـة تحقيـق سـيادة القانون بالمعنـى الحقيقي، يجب أن يتحول الدستور من كونه إطاراً يُملي فيه النخبة الحاكمة آراءهم على الشعب إلى إطار من نتاج الشعب، ويملي فيه هذا الشعب على الدولة ما يرغب فيه. والطريقة الوحيدة لإيجاد دستور متفق عليه أن يكون هذا الدستور هو اختصار للقانون.

ولو لم يكن الدستور من نتاج المجتمع ولو لم يكن في الإطار الذي يُملي فيه هذا المجتمع على الدولة ما يرغب فيه، فستفقد الديمقراطية كل جاذبيتها، وتكون قد اختزِلت في الانتخابات فحسب.

وفي هذه الحالة لن تكون هناك أيّ آلية تمنع أن يتم إبعاد أي حكومة جاءت بالطرق الشـرعية عن وظيفتها بشـكل ديمقراطي ووفق رغبة الناخبين الذين يمثّلون إرادة الشعب. وإن حدث هذا، فإن المجتمع سوف يفقد كل إمكاناته في ما يتعلق بحقه في الحصول على الحرية والعدالة.

إضافـة إلـى ذلـك، فـإن هـذه الأجـواء تهيّئ لمن لديهم شـغف الحصول على السلطة بانتهاج طرق غير ديمقراطية للوصول إليها. ومما لا شك فيه أن ذلك أمرٌ غير مرغوب وله تأثيرات سلبية على المجتمع بأسره.

وبذلك، فلو أن تشـكيل الدسـتور كان نتيجة مناقشـات حرة داخل المجتمع، وكان نتيجـة توافقيـة لهـذه المناقشـات، فـإن القانون سـيطبق في إطـار الديمقراطية، وسيقوم في الوقت ذاته بحمايتها.

وبهذا، فإن تغير الحكومة من خلال الانتخابات من دون استخدام العنف وقبول الجميع لنتائج الانتخابات من دون أي شروط أو قيود يُعد واجباً أخلاقيًّا لا غنى عنه.

إضافة إلى ذلك، فإنه لن تكون هناك أي مشقة ملقاة على الشعب في الانصياع لهـذا الواجـب الأخلاقـي. فحيـن تتغير الحكومة من خلال الانتخابات، فإن الحزب الذي يأتي إلى السلطة، أياً كانت الأصوات الحاصل عليها، فلن يتمكن من المساس بالحقوق والحريات الأساسية. لأن هذه الحقوق والحريات الرئيسة غير تابعة لأي

اقتراع. فهي تحت مظلة وضمانة القانون.

وأحد أسباب الفهم الخاطئ للديمقراطية في بلدنا أيضاً هو أنه يتم الادعاء بأن (محبة الوطن) تناقض مطلب الديمقراطية. وبالتأكيد، إن من يدّعون بمثل هذه الادعاءات، لا يعرفون مذاق محبة الوطن ولا نعيم الحريات والحقوق الديمقراطية.

أما الذين ينادون بحق السيادة للشعب، ومن دون فرض شروط على الشعب، فهم يرون أنه لا تناقض بين محبة الوطن من ناحية والحقوق والحريات الديمقراطية من ناحية أخرى بل على العكس من ذلك، هناك انسجام بينهما. أما الذين لا يرون هذه الأولويات، فإنهم يعملون على إظهار من يتحدثون عن الديمقراطية وكأنهم ممن لهم أهداف أخرى، ويتهمونهم بإخفاء مذاهبهم الحقيقية. إنني أوضح مفهومي بكل صراحة في هذه القضية وأقول إن استخدام مُثُل وآليات الديمقراطية من أجل الوصول إلى أهداف غير ديمقراطية أمر خاطئ من الناحية الأخلاقية، ومن ناحية أخرى غير ممكن بالنسبة لاتجاه سياسي له مثله الحقيقية أيضاً. وإننا نقتفي أثر سياسة صحيحة ومعتمدة على الأساس الأخلاقي.

إننا نؤمن بأن حماية الديمقراطية وتطويرها واجب أخلاقي، ونقول إننا سنظل حتى آخر نفس لدينا طلاباً لهذا الواجب الأخلاقي، وقبل كل شيء لا نعتبر التدخلات الخارجية التي تتم ضد الديمقراطية لدينا إلا شيئاً غير أخلاقي.

وكلما استمرت التدخلات الخارجية، فلن يتسنى للحياة السياسية الديمقراطية عندنا الوصول للنضج الحقيقي. وطالما لم تصل الديمقراطية عندنا للعمق والنضج الكافيين، فلن يتأتى لها القوة العقلانية والمؤثرة في الإدراة، وستظل كما هي بوصفها ديمقراطية غير قادرة على الإدارة. وإن الأقطاب والتكتلات المتزايدة باستمرار داخل المجتمع أصبحت سمته البارزة. وسبب كل ذلك هو التدخلات الخارجية في حياتنا الديمقراطية.

إن كون ديمقراطيتنا مليئة بجوانب الضعف يعوّق محاولات القضاء على الجوانب السلبية الناجمة من تطبيق (دولة القانون) كما يعوق أيضاً الوصول إلى (دولة القضاء) بمعناها الحقيقي. والاختلاف القائم حول القضاء هو نتيجة لذلك، وهذا الوضع مؤسف ويبعث على القلق في نفس الوقت؛ لأن دولة القضاء لازمة من أجل ديمقراطية حقيقية.

إننا نرى في السنوات الأخيرة من يقوم بتضييق الخناق على الديمقراطية بحجة مفهـوم الجمهوريـة، ومـن يقـوم بتجزئـة الديمقراطية أيضاً بحجة حماية الجمهورية. ويجب علينا ألا نتجاهل ذلك.

فلـو غضضنـا النظـر عـن تلـك الأمور، نكون قد استبحنا حرمة (دولة القضاء) تحـت مسـمى (سـيادة القانـون). فـلا توجـد أي مصلحـة عامة يمكـن أن تعلو على الحقوق والحريات الرئيسة. كما أنه ليس لأي قانون أن يستبيح حرمة سيادة القضاء.

لا يمكـن أن يتحقـق المعنـى الحقيقـي للجمهوريـة إلا من خلال الديمقراطية. وكذلك، فإن القوانين لا يمكن أن تحقق العدالة وتخدم الشعب إلا إذا كانت مشمولة بمظلة دولة القضاء.

وفـي الحقيقـة، إنـه لا يمكـن أن يكـون هنـاك جمهوريـة إذا لـم تتحقّـق فيهـا الديمقراطيـة، ولا قوانيـن فـي حالـة غيـاب دولـة القضـاء، ولا مصلحـة عامة إن لم تُحترم الحقوق الإنسـانية. ويكون ذلك الوضع بمثابة دولة غير شـرعية تضر بالأمة وليست دولة شرعية تخدم الأمة.

وفـي هـذا الإطـار ينبغـي علينـا حماية مفهوم (دولة القضـاء الديمقراطية) بكل مـا أوتينـا مـن قـوة، ويجـب علينـا أيضـاً أن نقف معاً ضد أي بناء سياسـي أو حركة تستبيح حرمة ذلك المفهوم، وإلا، فإن الديمقراطية عندنا لن تتحول إلى ديمقراطية قادرة على الإدارة متخلصة من شكلها القديم، وبالطبع ستُضرّ الدولة من ذلك.

إنني أتمنى ألا نصاب باليأس عندما ننظر إلى هذه الجوانب السلبية المؤقتة. لقد مررنا بأيام صعبة للغاية في هذا الوطن، ولكن تبعتها أيام أكثر يسراً.

إن الأساس ليس الظلام، إنما هو النور.

إن عشـق الإنسـان للحرية هو عشـق عظيم لا يمكن لشـيء أن يقاومه أو يقف أمامه. وهذا العشـق هو الذي سـيمنحنا الصبر ويدفعنا للتعاون وسـيحقق لنا دولة القضاء الديمقراطية التي طالما سعينا من أجلها، وسيبث فينا القوة الكافية لحمايتنا.

إننـي أرجـو أن نسـتنهض قوانـا مـن خلال التعاون مـع اجتماعات أخرى حتى نُشيّد الديمقراطية في وطننا كقلعة للحرية لا يمكن تسلقها.

إنني أتوجه بالشكر مرة أخرى لعلمائنا الأفاضل وضيوفنا الكرام إذ مكنونا من التقدم خطوة جيدة في هذا الاتجاه من خلال انضمامهم لاجتماعنا هذا".

حزب الفضيلة

لم يكتفِ نظام حكم الأقلية بإبعاد حكومة حزب الرفاه عن السلطة بالانقلاب الذي قام به في 28 فبراير/ شباط عام 1997م، بل إنه أيضاً رفع قضية من أجل إغلاق الحزب.

قامت الحكومة الدستورية بإغلاق حزب استحوذ في الانتخابات الأخيرة على سبعة ملايين صوتٍ انتخابيّ، واقترب عدد أعضائه المسجلين من أربعة ملايين عضوٍ، ولم تجد غضاضة في ذلك وبالفعل يُغلق حزب الرفاه في 16 يناير/ كانون الثاني عام 1998م.

ونتيجة لغلق الحزب، فإن انتقال أردوغان مثله كباقي أعضاء حزب الرفاه إلى حزب الفضيلة كان هدفاً للانتقاد في بعض النواحي، إلا أن أردوغان يدفع هذه الانتقادات بقوله:

"إن انتقالي لحزب الفضيلة لن يكون سبباً لأن أنسى ما تعهدت به لأهالي اسطنبول وليس سبباً لانخفاض في تأثير أو جودة الخدمات المقدمة حالياً، بل على العكس من ذلك، سنستمر في العمل بشغف أكبر. إننا موجودون من أجل خدمة الشعب ودائماً ما انطلقنا من خلال هذا الشعور في عملنا. ولن يتغير موقفنا هذا أبداً كيفما كان وضعنا السياسي".

ومن اللافت للانتباه وجود تغير في موقف الجميع تجاه أردوغان وذلك في أثناء وبعد رفع قضية الإغلاق بشأن حزب الرفاه.

لقد ظهرت العديد من المشاكل داخل حزب الرفاه مثلما يمكن أن يحدث لأي حزب يتعرض لقضية إغلاق.

إن هدف النظام من رفع قضية إغلاق ضد حزب الرفاه كان تقسيم الحزب وتحويله إلى حزب ضعيف لا تأثير له وعديم الصلاحية. ولهذا السبب، فقد بدأ الإعلام بشن هجمات على أردوغان بتصويره كرجل (شق عصا الجماعة)، لأنه

الوحيد، كما يبدو، الذي يمكنه الخروج على حركة (الفكر الوطني).

وعليـه، فبانضمـام أردوغـان إلـى حزب الفضيلة عقب فترة مشـاورات قصيرة، ظل مشروع الانضمام هذا معلقاً في الهواء.

أبيات الشعر...
تلقي بأردوغان في السجن

على الرغم من معيشة أردوغان في اسطنبول واشتغاله بالسياسة فيها، إلا أنه تلقى دعوات من خارج مدينته وبشكل كثيف.

فالأناضول تريد أردوغان، لأن حديثه وسلوكه في كل مكان يتوجه إليه يكونان سبباً في حدوث نشوة انفعالية بين الجموع، ويضيف وجوده انتعاشاً وحياةً على المجتمع الذي ينضم إليه.

وقد ازدادت هذه النوعية من الدعوات أكثر فأكثر بعد أن أصبح رئيساً للبلدية. وليس من الممكن لأردوغان رد الدعوات التي توجّه إليه من (الأناضول) وبصفة خاصة في أوقات الأزمات. فهو يريد أن يصل لأي مكان يحتاج إلى جهوده، وهذه إحدى الميزات الهامة لبنيته السياسية.

إن الوضع الذي تعرض له حزب الرفاه بأن تم نزع السلطة من يديه، ثم وجد نفسه عقب ذلك أمام قضية لإغلاقه، قد أصاب كل الأحزاب السياسية الأخرى بخيبة أمل كبيرة. وعند النظر إلى سياسة الفكر الوطني من وجهة نظر مروجيها نجد أنه ليس من المقبول أبداً رفع قضية لإغلاق حزب حقق نجاحات كبيرة في السنوات الأخيرة سواء أكان ذلك على مستوى انتخابات الإدارات المحلية أم في الانتخابات العامة.

وفي تلك الظروف قبل أردوغان الدعوة الموجهة له من مدينة (سيرت) وألقى خطاباً في مكان مفتوح وذلك في الاجتماع الذي انضم إليه في 12 ديسمبر/ كانون الأول 1997م.

وبسبب الأبيات الشعرية للشاعر "ضيا غوك آلب" التي ذكرها أردوغان في خطابه، فقد تم رفع دعوى ضده في محكمة أمن الدولة في (ديار بكر) على أنه

اقترف جرم الاستنهاض الصريح لمشاعر الشعب بالغضب والعداوة بتركيزه على الفوارق الدينية والعرقية المنصوص عليه في المادة رقم 312 من قانون العقوبات التركي.

وفي تلك الأثناء قامت المحكمة الدستورية بغلق حزب الرفاه. ولهذا السبب أيضاً، أعد وكيل النيابة صحيفة الدعوى والتي ركز فيها على وقائع إغلاق حزب الرفاه أكثر من تناوله للخطاب الذي ألقاه أردوغان في (سيرت).

أظهر أردوغان في دفاعيه الشفاهي والكتابي وبصورة مفصلة وبالاستناد إلى نماذج من الخطاب الذي ألقاه ذلك اليوم أنه لم يكن ينادي بتفريق الشعب، إنما بوحدته وترابطه. وأضاف أردوغان أن ما هو مذكور في صحيفة الدعوى لا يمت بصلة لا من قريب ولا من بعيد بما ألقاه في خطبته. وأوضح أيضاً أنه لا يوجد شخص واحد أُستنفِر بعد الخطاب، بل على العكس من ذلك دخل الجميع مترابطين إلى الاجتماع وخرجوا منه بالصورة نفسها، وأنه لم يُسجل أي عمل من أعمال العنف قط.

كما شمل ملف القضية آراء بعض الحقوقيين المعروفين بالدولة وذلك في إطار قانوني يُعنى "بحق الاستفادة من شهادة الفنيين" وفقاً لقواعد قانون محكمة الجنايات ومنها:

الأستاذ الدكتور صلحي دونمازار: "إن الخطاب بكل ما يحتويه من آراء وأفكار وقناعات سياسية ومصطلحات تعبيرية وأفكار دينية لا تعدو عن كونها مجرد حرية في التعبير عن الرأي... ولا يوجد بداخلها أي عنصر أو خاصية من شأنها الدعوة للتخلص من مبدأ العلمانية".

الأستاذ الدكتور تشتين أوزاك: "مثلما أنه لا يوجد في خطبة أردوغان وجهة نظر تدعو للاستقطاب نحو حكومة سياسية مرتبطة بالمعايير الدينية، فإنها لا تحتوي أيضاً على أي خاصية تنظيمية وتلقينية موجهة لتضييق حدود الحرية من الناحية الدينية للأفراد والتي من شأنها دفع الأفراد نحو تصرفات مرتبطة بالأفكار والأسس الدينية".

الأستاذ الدكتور أوغور أولاجاقابتان: "إن رفع دعوى بهذه الصورة لا يليق بمبادئ دولة القانون، ولا يليق كذلك بمبدأ العلمانية التي أُسست عليه الجمهورية التركية".

الأستاذ الدكتور بحري أوزتورك: "عندما نتناول الخطبة بصورة متكاملة نجد أنها لا تدعو إلى العنصرية، بل على العكس من ذلك تماماً، فهي تدعو للوحدة... وإن الادعاء بعكس ذلك ليس فقط مناقضاً للمبادئ العالمية للحقوق والقضاء، وإنما أيضاً ينافي العقل والمنطق".

ومع ذلك، فإن المحكمة لم تعر لأي من هذه الأراء اهتماماً.

وعلى الرغم من طلب وكيل النيابة بمحكمة أمن الدولة ببراءة المتهم بدعوى أنه لم تتكامل أركان الجرم المنسوب إليه، إلا أنه تم اتخاذ القرار بصوتين مقابل صوت واحد بالحبس لمدة عشرة أشهر، وغرامة مالية تقدر بمبلغ [*]716,666,666 ليرة تركية.

(*) يعادل هذا المبلغ 551 دولاراً أميركيًا تقريباً. ففي ذاك الوقت كان مبلغ 1,300,000 ليرة تركية يعادل دولاراً أميركيًا واحداً.

أردوغان: إنما عبرت عن أفكاري

قام أردوغان بعمل مؤتمر صحفي بعد صدور قرار محكمة أمن الدولة في (ديار بكر) وقال إنه سوف يستمر في معركته السياسية:

"إنني ألقيت خطاباً في مدينة (سيرت) كما تعرفون، وصدر حكم ضدي بالحبس لمدة عشرة أشهر بسبب تلك الخطبة. وإنني لست بينكم هنا من أجل الوقوف على تفاصيل هذا الحكم، ولكنني أريد أن يعرف الجميع أننا سوف نسلك كل السبل القانونية المتاحة. ومن أجل ذلك، فإننا قمنا مبدئياً بتقديم التماس إلى ديوان المحاكمات من أجل الاستئناف على هذا الحكم الجائر الذي قضت به محكمة أمن الدولة.

إن (سيرت) كما تعرفون هي إحدى مدننا التي تعرضت بشكل مباشر لبلاء الإرهاب. وإنني ألقيت الخطبة فيها وكانت سبباً في هذا الحكم الصادر ضدي. ولكن، ما الذي قلته في هذه الخطبة؟!

إنني أكدت على الأحاسيس والأفكار المشتركة والتي جعلت منا أمة في (الأناضول). وقلت إنه لا فرق بيننا لا على أساس المذاهب الدينية ولا على أساس الفوارق العرقية. وأوضحت أن أساس المواطنة داخل الجمهورية التركية هو التكاتف الموجود بيننا. إن خطبتي هذه والتي أعتبرها بمثابة دعوة مني للأخوّة والسلام ولوحدة الوطن وسلامة أراضيه، قد أصبحت موضوعاً للمحاكمة بسبب الاختلاف في وجهات النظر السياسية. والحقيقة أنه كان يجب أن أنال تقديراً على هذه الخطبة. ولكن مثلما تعرفون جميعكم ومثلما لاحظتم أن ما حدث هو العكس، وأصبحت أواجه اتهاماً بإثم لم أقترفه.

لقد أصيب الوجدان الشعبي بكل أسف بجرح غائر. ويرجع ذلك إلى أن قرارات القضاء في الآونة الأخيرة أصبحت مُسيّسة. وهو ما استباح حرمة مبدأ دولة الحقوق الديمقراطية الذي ينبغي علينا أن نبذل الغالي والثمين لحمايته.

إن الديمقراطية في وطننا تُختزل وباستمرار في صورة الانتخابات. والحقيقة أن الديمقراطية ليست فقط مجرد انتخابات؛ وإنما تعني أيضاً استقلالية القاضي والقضاء. ولو تم المساس بهاتين الحريتين، فستصبح الديمقراطية نظاماً ديكتاتوريًّا متستراً خلف مظهر ديمقراطي.

إن هذا القرار الظالم بشأني ليس النموذج الوحيد عندنا، فهناك العديد من المثقفين ورجالات الفكر والسياسة والفن في تركيا وقفوا أمام القضاء بتهم ظالمة تشبه ما تعرضت له، وهناك الكثيرون منهم ممّن تعرضوا للحكم عليهم. ومن حقنا على أقل تقدير أن ننال حرية بقدر ما هو موجود لدى الدول المتقدمة.

إن على كل إنسان من وطننا وكل فرد من أفراد أمتنا العزيزة أن يصرخ بأنه ليس قدراً سيئاً كونه وُلد في تركيا، وليصيح أيضاً بكل حرية معبراً عن أن حقوقه وحرياته ليست أقل من حريات وحقوق من ولدوا في أماكن أخرى من العالم، ويجب عليه أن يعبر عن أفكاره بلا خوف أو تردد.

إننا بشكل عام نحترم أحكام القضاء. ولكن، كوننا نحترم أحكام القضاء، فهذا لا يعني أننا مقتنعون بالقرارات غير العادلة.

إننا نريد العدالة في كل شبر من أرض وطننا العزيز. ومن أجل هذا، فإننا مستمرون في معركتنا من أجل الديمقراطية. ومما لا شك فيه أننا لن نقوم بأي فعل استفزازي في معركتنا، ولكننا لن نرضخ أيضاً للاستبداد.

لقد قلت إن مبدأ دولة العدالة هو نور أعيننا. فالعدل لازم لكل شخص. والعدالة قيمة عالمية غير تابعة لأشخاص أو لجماعات أو لمؤسسات. فهي تعبير عالمي عن مكتسبات وتجارب مشتركة للإنسانية. والعدالة في الوقت نفسه هي مقياس للمعاصرة والحضارة. فالعدالة هي الضمانة الوحيدة لعامل يبحث عن لقمة عيشه، ولطالب يصبو للحرية، ولأمة تبحث عن مستقبلها ولأن نكون دولة قوية.

إلا أن تسييس العدالة وجعل القضاء آلة في يد السياسة يقوّضان الديمقراطية. فالديمقراطية لا تستطيع أن تحيا بلا قانون. ولا يمكن أن تكون بديلاً للحريات. فلا يمكن التفكير في ديمقراطية لا تتيح الحريات. ولا يمكن أن يكون هناك ضمانة للحريات غير القانون فقط لأن ديمقراطية بلا قانون هي ديمقراطية بلا حقوق.

هناك حاجة في تركيا الآن لتطوير الديمقراطية ولمزيد من الحريات، إلا أن بلدنا

يقوم بالعكس تماماً. فتركيا الآن تنغلق داخل نفسها بسرعة ولا تهتم لإرادة الشعب. وإن كل إنسان يحب وطنه وشعبه ملزم بقول لا لهذا الاتجاه الخطير. فالآن، حب الوطن يتجسد في التمسك بالديمقراطية. وإن شعب اسطنبول قد اختارني كرئيس للبلدية بمجموع مليون صوت. وإنني لم أقترف إثماً مُخجلاً، ولست خائناً، ولم أسرق؛ إنما فقط عبرت عن أفكاري. وإنني عملت على تدعيم الوحدة وليس الفرقة والله مطلع عليّ، وتشهد عليّ الجموع التي استمعت إلي. ولهذا السبب يجب أن تثمر جهودي عبر صناديق الاقتراع وتصويت الأمة فيها. في الواقع، إن العملية السياسية تتطور بهذه الصورة في الدول التي تطبق الديمقراطية والقانون بظروفهما الطبيعية. وأهم قضية في تركيا الآن هي قضية من يحدد الإرادة السياسية؟ هل هو الشعب، أم بعض أصحاب المصالح؟

إنني مصمم على استخدام كل حقوقي القانونية في إطار الأسس الديمقراطية ضد هذا الحكم الظالم الصادر ضدي. وتصميمي هذا هو نوع من الوفاء بالوعود التي وعدت بها شعبي. لأنني مسؤول على الأقل أمام كل أهالي اسطنبول بصفتي رئيس البلدية الذي اختاره أهلها. وإنني سأظل صادقاً حتى النهاية لأفي بكل الوعود التي وعدت بها شعبي.

إنني على ثقة من أن هذا الحكم الظالم سوف يُلغى من ديوان المحاكمات. وإنني أقول ما يلي ككلمة أخيرة باعتباري على حق ولتظل كلماتي في وجدان الأمة: إن أردوغان لن يتراجع عن عزمه وتصميمه لخدمة شعبه ووطنه مهما كان الثمن".

لقد تحول الاجتماع الصحفي المقام في صالة حفلات البلدية إلى جو مظاهرة بسبب كثرة المنضمين إليه. وامتلأت الصالة والممرات بحضور كثيف لنواب البرلمان من حزب الفضيلة وغيرهم من المواطنين، حتى إن الجموع المحتشدة خارج مبنى البلدية أغلقت الطريق الرئيسة أمام البلدية وامتدت حتى منطقتي (الفاتح) و(وزنه جيلار) المجاورتين. وكان الشعب غاضباً بقدر ما كان حزيناً. وخرج أردوغان عقب انتهاء الاجتماع إلى الشرفة متوجهاً بالشكر لكل الجموع الموجودة في المكان من أجل دعمه، وطلب منهم المغادرة بهدوء من دون أي فعل استفزازي وحتى لا يكونوا أداة للاستفزاز.

يحكي السيد "آدم باشتورك" والذي كان يعمل كمساعد للسكرتير العام لبلدية مدينة اسطنبول الكبرى عن تلك الأيام فيقول: "إنه كان يوم اثنين، وسألني الرئيس قائلاً: "يا سيدي، ماذا ستفعل غداً؟"، فأجبت: "هناك اجتماع مع مديري الوحدات صباحاً".

فقال: "خذ السيارات بعد الاجتماع وتعالَ إليّ، فأنا سأكون في المنزل. حتى نتفقد الاستثمارات الواقعة في الجانب الآسيوي من اسطنبول".

تجاوزت الساعة العاشرة صباحاً، فإذا بحسين بسلي يدخل علينا غرفة الاجتماع وقال: "إنه في السجن".

فصدمنا جميعاً، ولم أكن أعرف حتى إن هذا اليوم هو يوم المحاكمة. وبعد نصف ساعة تمالكت نفسي قليلاً واتصلت بالرئيس قائلاً له:

"ماذا سنفعل؟ أتريد أن آتي إليك؟".

فقال: "لا عليك، سأنظر في الأمر، وأنا الآن أنتظر...".

ومثلما اتفقنا من قبل أخذت السيارات وذهبت إليه، وتفقدنا على مدار اليوم الاستثمارات الواقعة في الجانب الآسيوي من اسطنبول، وكان خلفنا جيش من الإعلاميين.

فعلى سبيل المثال ذهبنا إلى (بايكوز). وهناك كانت البلدية تقوم بتجديد الطرق الموجودة وإنشاء طرق جديدة، ونقوم ببعض التنظيمات بنهر (بايكوز) الصغير. فنقوم بإنشاء إستاد على ضفّتي النهر. وتفقد الرئيس الإنشاءات، وحين رأى أن الصنابير بعيدة عن رأس المستحم في غرف الاستحمام غضب كثيراً، ووبخنا بشدة.

وكنت في تلك الأثناء أتبع الرئيس. وكان يتصرف وكأن شيئاً لم يحدث، وكأن الشخص الصادر حكم بالسجن ضده ليس هو. وكان كدأبه دائماً يحث كل من حوله نحو العمل، وطبعاً كنا نحن خلفه...".

وعقب الحكم بالسجن الصادر من محكمة أمن الدولة في (ديار بكر) كانت طائفة من الإعلاميين يرون في أن يحاكم الإعلام أردوغان مرة أخرى.

إن "آرتوغرول أوزكوك" الذي قام بتفسير الحكم بالسجن ضد السيد أردوغان في مقالته الصادرة بصحيفة (حريت) في 23 إبريل/ نيسان لم يكتفِ بتأييد الحكم فقط، إنما قام أيضا بتحذير المحررين والكتاب الذين لا يفكرون مثله قائلاً: "إننا

أذكياء ولسنا حمقى"، ويقدم أدلة على وجهة نظره نحو القضية وما يجب الالتفات إليه فيها فكتب:

"إن الأحداث التي نعيشها والتطورات التي نشهدها تحثنا جميعاً نحو الإخلاص للديمقراطية، وتكلفنا جميعاً بأن نتصرف بإخلاص، وأن نقف بعيداً عن التصرفات الاستفزازية، فعلى سبيل المثال، تلك الكلمات التي قيلت في (سيرت)... لا يمكن لأي شخص أن يرى أن هذه الكلمات قد قيلت لأغراض بريئة. فمن الواضح جداً ماذا ومن يُستهدف؟ وما الذي يدعو إليه الناس حينما يقول: حربة المنارة، المساجد ستتحول إلى ثكنات عسكرية. إننا أذكياء بالقدر الذي يكفي لأن نفهم الفارق القائم بين التعبير عن الفكر، وبين الحث على الفعل. إننا لسنا حمقى لدرجة تجعلنا لا نفهم أي هدف يقصد عند ذكر مصطلحات مثل الحربة والخوذة والثكنة العسكرية جنباً إلى جنب مع الأماكن المقدسة دينياً لدى الأشخاص".

وكان هناك أيضاً كُتّاب مقالات يشيرون لانحراف الحكم وظلمه وذلك بخلاف الكتاب الأذكياء الذين ينيرون الطريق ويدعمون أدلة محكمة أمن الدولة موضحين الفارق القائم بين التعبير عن الفكر وبين الحث على الفعل:

"إن بيت الشعر الذي يقول المنارات حرابنا، والقباب خوذنا، والمساجد ثكناتنا، والتي أُسند من خلالها الإدانة لرئيس بلدية مدينة اسطنبول الكبرى، في الواقع، ليست من إنشاء السيد أردوغان. إن أول من قالها هو السلطان السلجوقي آلب أرسلان واستخدمها في شعره أيضاً الشاعر والمفكر التركي ضيا غوك آلب. أي إن رئيس البلدية أردوغان قام بنقلها فقط. وإن نقل عبارة لم يُعتَرف بأنه يمثل إثماً حتى في الدولة العثمانية التي كانت تدار من خلال أحكام الشريعة... فبينما يتيح القانون الشرعي حرية الفكر إلى هذه الدرجة، فكيف يمكن لنظامنا الحقوقي المعاصر والعلماني أن يكون بهذه الدرجة من التصلف وعدم التسامح؟ هل من الممكن فهم ذلك؟". (رضا زليوت، 23 إبريل/ نيسان 1998م، صحيفة المساء).

"إنني اقترح على كل القادة والأحزاب السياسية بلا استثناء أن يقوموا بدراسة متأنية لنص خطبة أردوغان وملف القضية بأكمله بدايةً من ملف المحكمة وقرار الادعاء المتعلق بهذه القضية. إن الحرية التي تمتلكها محكمة أمن الدولة بديار بكر في استخدامها للمادة رقم 312 تُمكِّنُها من استخدامها مرة أخرى غداً أو أي

يوم آخر على أي خطبة أو نص مكتوب وضد أي شخص. ولو تم التصديق على قرار السجن على أردوغان، فلن يتسنى لأي سياسي قط بمَن في ذلك أعضاء حزب الشعب الجمهوري من أن يلقي كلمة، لأن كل خطبة ممكن أن تكون ذنباً وتجلب لصاحبها الحكم بالسجن. وإنني أوصي مرة أخرى وبشدة من يرون أنني أبالغ في الأمر بأن يدرسوا ملف القضية بعناية". (عصمت بيرقان، 24 إبريل/ نيسان 1998م، صحيفة راديكال).

"تم الحكم على أردوغان بالحبس لمدة عشرة أشهر وفقاً للمادة 312 من قانون العقوبات التركي بقرار قاضيين مقابل قاضٍ واحد، وذلك على الرغم من ملاحظات السيد عبد الرحيم يامان وكيل نيابة محكمة أمن الدولة بديار بكر، وآراء الحقوقيين العلمانيين المتعلقة بالموضوع. وإن ذلك يعني المنع طوال الحياة عن ممارسة السياسة لرئيس بلدية تم اختياره بأغلبية الأصوات في إحدى مدننا. كان في إمكان المحكمة تأجيل القضية لخمس سنوات، أو الاكتفاء بالغرامة المالية وهذا عند ثبوت الجرم. وعلى النقيض من ذلك، فإن محكمة أمن الدولة حكمت على أردوغان بالسجن. إن هذا الحكم الصادر ضد أردوغان يفقدني الثقة بالعدالة". (باريهان ماغدن، 25 إبريل/ نيسان 1998م، صحيفة راديكال).

"إذا كان شعر ضيا غوك آلب الذي استشهد به أردوغان يعني الاستنهاض الصريح لمشاعر الشعب بالغضب والعداوة والدعوة للفوارق الدينية والعرقية، وإعلان أن جزءاً من هذا الشعب عدو داخلي، ثم شن الحرب ضده، وإعلان من يقف على رأسهم أنه رجعي وعدم الاعتراف بحقه في الحياة، أفلا يثير هذا العداوة والبغضاء بين الشعب؟". (جولاي جوكتورك، 23 إبريل/ نيسان 1998م، صحيفة ينى يوزيل).

"حين يتم صدور الحكم بالحبس على شخص ما لمجرد أنه قرأ عدة أبيات شعرية لضيا غوك آلب، فهذا أمر ينبغي الوقوف عنده والتأمل. لأن الأساس في دول القانون الديمقراطية هو حريات الأشخاص، أما اعتقالهم فهو حالة استثنائية. فالدولة التي على ثقة من نفسها تقوم بتطبيقاتها من خلال حرية أفرادها وليس اعتقالهم، وإذا ما قيدت حرية أحد الأشخاص ولم تثبت إدانته ولو لساعة واحدة تقوم بدفع التعويض اللازم مقابل هذه الساعة". (يافوز جوكمان، 24 إبريل/ نيسان 1998م، صحيفة حريت).

إن الظلم الذي وقع على أردوغان قد سبب جرحاً غائراً في نفوس الناس، ولم يندمل هذا الجرح لسنوات، بل ويبدو أنه لن يندمل طالما لم يتحقق نظام قانوني عادل في هذه الدولة. وها هو السيد "يوجال صايمان" رئيس نقابة المحامين آنذاك يقول ما يلي في حوار تم معه بعد مرور سنوات من الواقعة: "إنني أشعر بالخجل كلما تذكرت أنني لم أنبرِ للدفاع عن رئيس بلدية مدينتي حينما كانت تتم محاكمته".

وقد صدّق ديوان المحاكمات بعد مرور ستة أشهر من الحكم الأول على حكم محكمة (ديار بكر) لأمن الدولة.

قال أردوغان في الاجتماع الصحفي الذي عقده بعد قرار محكمة أمن الدولة ضده إنه على ثقة من أن القرار الظالم الذي أصدرته المحكمة سيتم رفضه من ديوان المحاكمات كما قال: إن العدالة هي الضمانة الوحيدة لعامل يبحث عن لقمة عيشه، ولطالب يصبو للحرية، ولأمة تبحث عن مستقبلها ولأن نكون دولة قوية... إلا أنه أصبح مضطراً أمام هذا الموقف إلى أن يعيد النظر في اعتقاده بشأن استقلالية القضاء.

لقد كان أردوغان يعرف من دون أدنى شك أن القضاء قابع تحت تأثير السياسة، وأن محاكمته أساساً قد تمت نتيجة حملة إعلامية موجهة ضده. إلا أنه كان يرغب في أن يظل متمسكاً بأمله بشأن تجلي العدالة حتى آخر لحظة.

وبهذا، لم يكن لأمله هذا مكانٌ على مائدة الذئاب، وعليه، فنظام الدولة كان هو آخر من ضحك.

ولم يتوانَ الإعلام المركزي لحظة عن وضع هذا الخبر السعيد الذي كانوا ينتظرونه بفارغ الصبر في العناوين الرئيسة:

"أخيراً، تخلصوا من طيب".

"نهاية طيب!".

"لقد صدَّق ديوان المحاكمات على الحكم بالسجن عشرة أشهر على أردوغان رئيس بلدية مدينة اسطنبول الكبرى. وبهذا الحكم تكون الحياة السياسية "لأردوغان" قد انتهت. وأردوغان الذي تردد اسمه كثيراً لقيادة حزب الفضيلة لم يعد في الإمكان انتخابه حتى كعمدة لإحدى القرى!".

إن الاجتماع الصحفي الذي عقده أردوغان في 24 سبتمبر/ أيلول عام 1998م عقب التصديق على الحكم هو اجتماع دخل التاريخ من أبوابه كافة. فكان في هذا الاجتماع حشدٌ أكبر وأكثر غضباً وحزناً ممّن كانوا في الاجتماع الأول.

كان أردوغان وسط مظاهرة ضمت أنصاره ومحبيه ممن لم يتحكموا بغضبهم، ومشاعرهم، فما استطاعوا أن يحبسوا دموعهم. وكان كسابق عهده متزناً، إلا أنه هذه المرة بدأ يتحدث ببطء ربما لآخر مرة، ولم يكن ذلك ناجماً عما تعرض له؛ إنما لأنه كان يحمل على عاتقه هموم وأحزان كل المظلومين الذين تعرضوا للظلم، فتحدث قائلاً:

"إنني أريد وقبل كل شيء أن أعبر عن حزني لكوني مضطراً إلى الحديث اليوم في بلدي عن هذا الوضع. لأنني كإنسان أشعر بالأسى حين أضطر للدفاع عن حقائق واضحة كالشمس. لكن يجب أن نعرف أن الحزن هنا ليس حزناً شخصياً، إنما أنا حزين لما حل بهذه الأمة.

إن الحكم عليّ في بيئة ضربت فيها المافيا والعصابات والفساد في الأعماق بسبب شعر قمت بالاستشهاد به وليس لفساد أو لجناية ارتكبتها، أو لأنني تعديت على حقوق أحد العباد، فإن ذلك لا يقلل من شأني، إنما يقلل من مفهوم العدالة بهذه الدولة. وهذا الحكم إنما يزعزع ثقة الملايين بالعدالة وليس ثقتهم بي.

إننا أساساً نعرف أنه منذ زمن بعيد والقضاء قابع تحت سيطرة السياسة وذلك من خلال الأحزاب المنغلقة والأفكار التي لا ترى النور، ومن رجالات السياسة، ومن المثقفين والصحفيين.

لكننا وعلى الرغم من ذلك، كنا نؤمن في أعماقنا إيماناً قويًا بأنه لا بد من تجلي العدالة في النهاية، وأن القانون سيتم تطبيقه وفقاً لمبادئ العدالة، وأن السلبيات المتعلقة بهذا العهد المظلم سوف تتراجع، وأن الأيام المضيئة سوف تأتي. إلا أننا رأينا بعد هذا الحكم الأخير أنه مثلما أفاد السيد رئيس ديوان المحاكمات في افتتاح العام القضائي بأن القضاء ليس حرًا في حقيقة الأمر كما أن تصديق ديوان المحاكمات على حكم محكمة ديار بكر لأمن الدولة يؤكد أيضاً هذا الوضع. وبهذا فقد بدا لنا جميعاً مرة أخرى أن القضاء لا يسير وفقاً لمبادئ العدالة، إنما تسيطر عليه السياسة.

إن منافسينا السياسيين وأصحاب المصالح والقوى الذين يعرفون أنفسهم جيداً

لا بد وأنهم قد فطنوا إلى أنهم لن يستطيعوا أن يتخطونا داخل صناديق الاقتراع، وأنهم لن يتمكنوا كذلك من قتل مستقبلنا؛ لذا، سلكوا مسلكاً على هذا النحو. وأصحاب المصالح هؤلاء، وللأسف الشديد، لم يروا غضاضة من أن يجعلوا القانون الذي هو حاجتنا جميعاً آلة لأفكارهم المصلحية ورغباتهم الدنيئة.

أيها الأهالي الأعزاء

إن القوى التي تريد ألا يكون لنا وجود قط بين اختيارات الإرادة الشعبية بطرق غير إنسانية وغير أخلاقية وغير قانونية، فأيّ عضوٍ سيرشحونه في انتخابات البلدية؟ فلننتظر ولنر. من سيستفيد من هذا الحكم؟ وأي نية سوداء سوف تخدمه؟ إن هذه الطريق التي سلكوها خاطئة، إن هذه الطريق طريق مسدودة. لأنه حتماً ستأتي العدالة في يوم ما على الذين سيَّسوا القضاء.

فهذا ما حدث عبر التاريخ.

لأننا نؤمن بمبادئ العدالة الثابتة التي لا تحيد عن مسلكها ولا تتغير. ولأننا نعرف القيمة الراسخة التي لا تتغير والتي هي وجدان الأمة.

العدالة! نعم، إنني أتحدث عن العدالة. إنكم حين تجرحون حس العدالة الذي هو أهم قاسم مشترك بالمجتمع، فإنكم لا تمهدون الطريق لأحكام ظالمة فحسب، إنما أيضاً تكونون قد جرحتم وأدميتم المستقبل الحقوقي لهذا البلد ووجدان هذا الشعب.

لا يمكنكم أن توضحوا لأبنائكم هذا الحكم والأحكام الخاطئة الأخرى المتعلقة بحرية الفكر. بل لا يمكنكم إيضاحها للعالم. لأنه لا توجد على وجه الأرض حتى الآن أي قوة أو أي نظام أو أي مفهوم حقوقي يمكنه أن يضفي مشروعية على ظلم يتعرض له أي شخص في أي وقت. وانظروا إلى التاريخ من خلال أعينكم ومن خلال وجدانكم. لا حاجة لأن تبتعدوا كثيراً، فانظروا فقط إلى تاريخنا السياسي قبل أربعين عاماً. انظروا وستجدون أنّ كارثة إعدام رئيس الوزراء عدنان مندريس وصمة في تاريخ الديمقراطية التركية، وجرح لم يلتئم بعد.

الفترة هي أربعون عاماً فقط.

العالم تغير، لكن انظروا إلى ما وصلت إليه دولتنا في مجال حقوق الإنسان والديمقراطية.

إننا نُدين الشعر، ونزدري الفكر، ونعلق الحريات، ثم نشتكي قائلين: لماذا لا يقبلنا العالم ولا يحترم حقوق الإنسان وحرية الفكر والتعبير لدينا؟

إلى أي مدى يمكنكم الاتجاه بهذه القوانين والأوامر المجحفة؟

إنني لا أعتقد أنني ارتكبت جرماً باستشهادي بالشعر، إذ إنني أؤمن ببراءتي. إنني في خطبتي تلك دعوت من أجل الوحدة الوطنية، والسلام الاجتماعي، ولوحدة الوطن، وعدم تجزئته.

إن ما له قيمة عندي هو فقط صوت وجدان أمتي العزيزة. ومكاني في عالم السياسة هو الذي سيحدده هذا الشعب العزيز. والصوت الذي أريد له العلو هو ذاك الصوت. إنني أريد أن أضيف صوتي إلى صوتكم.

إننـي أريـد أن أحمـل صوتكـم إلـى مـا يهـم هذا البلد، أريد أن آخذه من غرف منازلكم البائسة، ومن نظرات أبنائكم العاطلين، ومن صدور الأمهات والآباء الدامية قلوبهم. لأنني أحب صوتكم. لأن أصل هذه الأمة وعنصرها الرئيس هو أنتم. إن صوتكم مهم. ومن أجل هذا، فإنني أحبكم، لأنني واحد منكم، ولست سوى ذلك.

إنني لست نادماً على شيء فعلته. لأنني حين أفعل أي شيء أفعله وأنا معكم. معكم تحمست ومعكم حزنت، وأنا معكم حتى النهاية.

إنني أقف معكم الآن وقد صدر ضدي حكم ظالم بالسجن. لكنني على قناعة ببراءتي منذ اللحظة الأولى سواء أكان في وجداني أم في وجدان الأمة. ولهذا السبب، فإن هذا الحكم الظالم ضدي يُعد ميلاداً جديداً لمعركتنا من أجل الديمقراطية، بل بداية جديدة لها. فليباركها الله.

إذاً، فلماذا يتهمونني؟

إنهم يتهمونني باستنهاض الشعب ودفعه نحو العداوة والبغضاء... فأين هذا الشعب الذي أُستنفرت فيه العداوة والبغضاء؟ لماذا لم يخرج عبداً من عباد الله ولم يسأل؟

إلا أنه متى تم الاهتمام بالشعب وبوجدانه وبإرادته وبقيمه وبمطالبه في هذا البلد؟ وهل توقعات وآمال ورغبات الشعب في الشارع ممن لا يجدون أحداً بجانبهم ويشعرون بالغربة، كانت تلقى أي اهتمام من العناصر اللاديمقراطية والموجودة بالقمة؟

لكـن، لـن تسـير الأمـور هكـذا؛ لأننـا نؤمـن بالحريـة وبإرادة الأمـة لا بالقمع والاستبداد.

إننا نقول إن إرادة الدولة لن يمكنها أن تتشـكل من دون إرادة الشـعب. لقد تأكد اليوم صدق ما قلناه من قبل بشأن العلاقات القائمة بين قوى الظلام والسلطة والتي أثرت على الآلية الإدارية والبيروقراطية بل وامتد التأثير على القضاء ذاته.

إنـه بمجـرد انتقـال ملـف القضيـة مـن محكمة أمن الدولة بديار بكر إلى ديوان المحاكمات بسبب الاستئناف، فإذا بمجموعة من الكتاب في وسائل الإعلام وكأنهم أخذوا التصريح في نفس اللحظة فقاموا مثل (الكورال) يرددون مطلبهم بالتصديق علـى الحكـم، وإننـا قـد انتبهنـا جميعـاً لهـذا الأمـر. وقد تخطى الأمـر ذلك فحينما كان الملف تحت البحث في المحكمة كان هناك بعض الكُتّاب بالصحف يقومون بذكـر أكاذيـب وافتـراءات ضـدي، ويذكـرون أن هذا نقلٌ عن مسـؤولين كبار بديوان المحاكمات، وكل هذه الحرب الإعلامية كانت من أجل الضغط والتأثير بل وإرهاب القضاة في ديوان المحاكمات.

والقضـاة الذيـن تأثـروا بـكل هذه الحملات اللاأخلاقية والظالمة قد وقعوا في ظل حالة نفسـية وكأنهم هم الذين يُحاكمون، حتى صار إصدارهم للحكم ضدي بمثابة البراءة لهم!!

وفي واقع الأمر، فإن صوت الشعب هو الذي سيحدد من المذنب ومن البريء.

يا أمتي العزيزة!

إن سبب الضيق الموجود في بلدنا ليس شعراً تمّ الاستشهاد به، وليس المطالبة بالحريـة، وليـس أشـخاصاً يفكـرون ويتحدثـون. إنما سـبب ذلك هـو مفاهيم القمع والاستبداد، وسبب ذلك أيضاً هو ممارسات المافيا التي وضعت نصب عينيها سلب ونهب ثروات هذا البلد المادية والمعنوية والتي أصبحت الآن لا تعرف أي حدود قانونية وإنسانية.

إلا إنني أكرر مرة أخرى أن هذه الطريق ليست سبيلاً يُسلك.

ونحن نقترب من الألفية الثالثة تبحث المجتمعات العالمية عن سبل للتوافق أكثـر فأكثـر مـع العالـم المتغيـر، ولا يـزال هناك من فـي وطننا يريدنا أن نظل خلف أكثر الجمهوريات تخلفاً.

إنني أقول لا... نعم، لا... لا أحد يقدر على اقتلاع هذه الأمة من سيرها نحو ركب الحضارة العالمي. إن قوى الفكر الرجعية التي لا تُسقط من كلامها كلمتي المعاصرة والغرب لا تريد لهذه الأمة معايير الغرب الاجتماعية والاقتصادية والفكرية، وقوى الظلام التي لا تنوي جعل هذا البلد يتقدم ولو لخطوة واحدة نحو الأمام، سوف تُبهَر أعينهم إذا ما تمت مقارنتها بدول العدالة العالمية التي لا تحيد عنها، بل وسوف يحكم التاريخ عليها بحكمه الذي لا يتغير.

وهذه الأمة سوف تنشد أغاني الأخوة في أيام مضيئة وكل فرد فيها يشعر بأنه مواطن من الدرجة الأولى من دون الشعور بأي تفرقة وهو مرفوع الرأس كريمٌ في بلده.

وها أنا هنا أمام الرأي العام ببلدي الحبيب بل والعالم بأسره. وهم يقولون من دون خجل إنني قمت بالدعوة للانقسام بسبب استشهادي بهذه الأبيات، ويعاقبونني ووجوهم لا يتغير لونها خجلاً.

إنني كسياسي أرى حاجات هذا الشعب الحقيقية، وأنصت لصوته، وأشتغل في السياسة، أجد هذا الحكم ظالماً في هذا السياق. لأنه ليست لي أي حاجة سوى حب هذه الأمة والعمل من أجلها.

لا يوجد في هذا الوطن أي شخص له الحق في أن يدعي أنه يحب هذا الشعب العزيز أكثر من أحد آخر. ولا يمكن لمحبة الوطن ولا الأمة أن تتسنى في ظل احتكار العديد من القوى. فلو أن هؤلاء السادة يحبون الوطن والأمة بحق فليتفضلوا وليسألوا المواطن: هل أردوغان قام فعلاً بالدعوة للانقسام، وهل استنهض الشعب، أم أنه فقط خدم الشعب؟

وبهذا، فإن العقلية المظلمة والاحتكارية التي تدعي أنها تحب الوطن والشعب أكثر من أي شخص قد اتهمت مع الأسف الشديد حب هذا الشعب لأردوغان وعشقه له وثقته به، بتهمة منافية للعقل، وأصروا على هذه الطريق التي لا مخرج منها.

أصدقائي الحضور سيتم توزيع وثيقة عليكم. وهذه الوثيقة تعود إلى قبل خمس سنوات تقريباً وتحتوي على الوعود التي قدمناها في الاجتماع الصحفي الذي أجريناه في 19 يناير/ كانون الثاني لعام 1994م أي قبل شهرين من انتخابات المحليات. إن الوعود الموجودة في هذه الوثيقة هي بمثابة حجة بما قدمناه لأهالي اسطنبول. وأنا الآن أسأل:

هل أي واحد من السياسيين في بلدنا والذين يرغبون في القضاء على مستقبلنا السياسي يمكنه الآن أن يُذكِّركم بالوعود التي قدمها لكم قبل خمس سنوات؟ فلنترك التذكير جانباً، بل هل يستطيع أن يتذكر هو هذه الوعود؟

وهل ما قدمناه من وعود لشعبنا في هذه الوثيقة قبل 27 مارس/ آذار قد تحقق بالكامل؟ أم لم يتحقق؟ إنني لا أريد أن أتطرق إلى التفاصيل، لكن لم تعد في اسطنبول جبال من القمامة مثلما كان بالأمس، ولم تعد تنسكب القذارة من الصنابير بدلاً من المياه، ولم يعد أهالي اسطنبول يستنشقون الهواء الملوث، ولم تعد شوكة الرشوة والفساد في الإدارة قوية كما كانت.

إنهم حتى وإن تظاهروا بعدم رؤية كل هذا، فسيشهد عليه 12 مليون شخص في اسطنبول، وتشهد عليه أيضاً مليون شجرة قمنا بزراعتها، والطرق، والميادين، ومحطات تكرير المياه المستعملة، ومياه الشرب، والإعلانات المسموعة والمقروءة والمرئية، كل هذه مستعدة لأن تشهد معنا.

ولو أن أعينهم لا ترى فليأتوا، ولنعقد لهم جلسة محاكمة في حضور شاهدينا، ولنحاكمهم هم محاكمة عادلة.

لقد تم تعذيب كل شخص يفكر ويتكلم ويخدم في هذا الوطن كثيراً. والآن يريدون تعذيبنا. لم ينتهِ بعد كل شيء ها هنا التصديق على هذا الحكم بالسجن.

إنني سأظل أدافع إلى آخر رمق في حياتي عن حقوق الأمة في إطار القواعد الحقوقية العالمية ولن أصمت ضد الظلم. وإنني لن أفعل ذلك من أجلي فحسب، إنما سأبحث عنه من أجل العدالة، ومن أجلكم، ومن أجل تركيا بأسرها. ومن أجل هذا، فأنا أبحث عن حرية الفكر، وعن حرية التعبير عن الحقائق. أبحث عن مفهوم في الإدارة لإناس شرفاء، وليس لذوي ذهنية العصابات. أبحث عن تسابق من أجل خدمة تُقدم بشرف للشعب، وليس من أجل المساومات التي تتم خلف الأبواب المغلقة. أبحث عن ديمقراطية في كل شبر من أرض وطني وفي كل نقابات تركيا، وليس عن القمع والاستبداد.

أبحث عن كل ذلك من أجل شعبي ومع شعبي الذي كل فرد فيه هو أخ لي. أبحث عن كل ذلك أيضاً من أجل من يخالفني الفكر، لأن هذه القيم ستكون لازمة لهؤلاء.

يجب على هذه الأمة ألاّ تدخل الألفية الثالثة بصفتها دولة استنارة الفكر بينما الاستشهاد بالشعر فيها يُعد إثماً.

إننا حين احتفلنا بالذكرى 75 لتأسيس جمهوريتنا كان يجب ألا يتم تمزيق مؤسسات هذه الجمهورية بهذه الصورة المجحفة. كان يجب ألا نستقبل العام 75 لجمهوريتنا الغالية بهذه الممنوعات الحقوقية وبهذا القمع وبهذه المحاولات لتنشئة إنسان أحادي التفكير والاتجاه.

إن هذا الحكم قد أسدل الظلال على الإيمان بالعدالة لكل الأمة؛ وليس فقط على المفهوم الحقوقي لهذه الأمة.

إنني متفائل مرة ثانية، ولا ينتابني الشعور بالكآبة طالما الشعب لم يشعر بها. وليشعر أردوغان بالكآبة، لكن لا يمكن أن تتخلل الكآبة إلى وجدان هذه الأمة الغالية ولو لمرة واحدة.

إنني أتوجه بالشكر لكل من ساندني ودعمني سواء أكان من داخل الوطن أم من خارجه بمجرد أن تم إعلان القرار.

وأكرر مجدّداً: ها أنا ذا أمام الرأي العام لوطني الحبيب وللعالم بأسره، بل وأشعر بالارتياح. فلتستريحوا أنتم أيضاً!

وهذه الأنشودة لم تنتهِ بعد...

والآن ألقي عليكم السلام مع خالص تقديري واحترامي".

إن أردوغان يحب أن يتوجه بالنداء إلى الشعب وأن يكون معه. فحين تتلاقى عيناه بأعين من ينصتون له يستخلص بكل سهولة مدى ثقتهم وحبهم له من خلال تلك المشاعر الكامنة في النظرات. وهذا أمر يريحه للغاية، ويجعله يشعر بأفضل أحواله.

أنهى أردوغان حديثه وتوجه إلى غرفته وكان سعيداً. ألم يقل: "إن هذه الأنشودة لم تنتهِ بعد"، لقد كان يؤمن بها حقاً في أعماقه.

كان أردوغان طوال فترة رئاسته للبلدية يعمل ليل نهار. كان يريد ألا يخذل من أعطوه أصواتهم. ومثلما قال في الاجتماع الصحفي إنه وفى بما وعد به، ولم يخدع الشعب، ولم ينسَ قط ما قدمه للشعب من وعود. وكان يعلم أن الشعب لن يترك أردوغان بمفرده ولن ينساه أبداً.

كان المكان ما يزال يعج بالناس، وكان الجميع لا يريدون الذهاب تاركين الرئيس حزيناً. وأردوغان أيضاً لم يغادر نافذة غرفته. بل ألقى السلام على من يتظاهرون من أجله.

وفي تلك الأثناء كان "أحمد أرغون" من الذين يقفون بجواره، وأشار بيديه إلى أردوغان أن ينظر إلى ناحية الطريق المقابلة، فكان يشير إلى امرأة تمسك بلافتة ومتكئة على سور مسجد (شاهزاده).

وحينما شرع أردوغان في قراءة اللافتة بدأت شفتاه في الارتجاف، وانتابه شعور غريب حتى إنه أمسك نفسه عن البكاء بصعوبة.

يا أردوغان... أشجارك تبكي

حينما عرف أردوغان أنه لن يستطيع أن يمنع دموع عينيه، توجه على الفور نحو غرفة عمله الجانبية الصغيرة، ومن خلفه "أحمد أرغون".

وجلس أردوغان واضعاً رأسه بين يديه، وظل هكذا لفترة. وحين شعر بوجود "أحمد أرغون" في الغرفة نظر إليه بهدوء واستجمع قواه مرة أخرى. واتجه إلى الخارج قائلاً لنفسه بصوت خافت: "ما الذي أفعله؟!".

وتوجه إلى النافذة مرة أخرى، فإذا بالمرأة لا تزال هناك واللافتة معها. ثم وجه نظراته نحو الأشجار الممتدة على قارعة الطريق مثلما يفعل كل يوم لكن هذه المرة كانت النظرات أكثر عمقاً...

حتى وإن كان الحكم قد تم التصديق عليه، فلا يزال أردوغان مستمراً في وظيفته كأن شيئاً لم يكن، ذلك لأن القرار لم يُعلن بعد في الصحيفة الرسمية. وقام بتوضيح ما يجب توضيحه وأشار للشعب بالمكائد التي تُدبر خلف الأبواب المغلقة والتي تبرر أمام الشعب باسم الديمقراطية. وبصحيح العبارة أنه حين ننظر إلى أردوغان نظرة خارجية، لا نجده في حالة من الاستياء والامتعاض رغم كل ما يتعرض له. لأنه متوكل على الله.

فالتوكل على الله هو سمة أردوغان التي لا تفارقه. فهو حتى في أكثر المواقف صعوبة لا يتخلى عن التوكل على الله بإيمان عميق ومخلص. وهذا التوكل هو الشعور الذي جعل منه مؤمناً بالقضاء والقدر وثابتاً في نفس الوقت. فهذا الشعور أيضاً هو الذي طالما أمد أردوغان بالقوة أمام كل المصاعب التي واجهها، وما جعله أيضاً يقف على قدميه بثبات في بيئة العمل السياسية الممتلئة بالمصادمات والأمواج المتلاطمة. فالتوكل بالنسبة "لأردوغان" هو حالة فردية من النشاط الروحي والتي جعلت لديه المقدرة في أن يسير بمفرده في الطريق التي يؤمن بصحتها وجعلته أيضاً يعتمد على نفسه ويتحدى كل المخاطر بل ويهب نفسه كل ذلك. فهذه الحالة

النفسية مع توكله هي التي تميز أردوغان وجعلته مستقلاً عن غيره.

وعلى الرغم من أنه اليوم رئيس للبلدية، وغداً سيتركها، فإنه يستمر في أداء مهام وظيفته ابتغاء مرضاة الله، وكفاه ما وجده من مشاعر من الجميع، الأصدقاء منهم والأعداء، وكان ذلك سبباً آخر في زيادة احترام الشعب له.

وعليه فقد قامت شركة (سوبر أون لاين) في تلك الأيام بعمل استطلاع للرأي العام من خلال سؤال هو: "من أكثر رئيس للبلدية قدم خدمات إلى اسطنبول"، وكانت نتيجة الإجابة على هذا السؤال هو حصول أردوغان على نسبة 90,4 بالمئة وسجل رقماً قياسياً وذلك عن حب واقتناع.

إقصاء أردوغان من رئاسة البلدية

أسقط ديوان المحاكمات رئاسة أردوغان لبلدية مدينة اسطنبول الكبرى بتاريخ 5 نوفمبر/ تشرين الثاني 1998م. وترك أردوغان رئاسة البلدية بعد أربع سنوات وسبعة شهور وخمسة أيام قضاها في منصبه وانضم إلى صفوف الجماهير كمواطن عادي في 6 نوفمبر/ تشرين الثاني 1998م.

وغادر أردوغان البلدية بصورة هادئة بعد أن أُقيل من الرئاسة بصورة رسمية. لأن رد الفعل الذي شكله القرار سواء أكان غضباً، أم دهشة، أم إحباطاً، أم حزناً كان قد انتهى. ولم يحدث في ذلك اليوم أي شيء غير متوقع.

فقد غادر أردوغان مع صديق أو اثنين من المقربين له بعد أن أعد متعلقاته الشخصية وجمعها. وفي 18 نوفمبر/ تشرين الثاني اجتمع مع الصحفيين الذين كانوا يتابعونه على مدار أربع سنوات ونصف على العشاء. وفي نهاية الاجتماع وبعد أن قام بتوديع مراسلي التلفزيون والصحف لدى البلدية وكذلك المصورين ألقى كلمة، وبعد قوله: "إنني أترك هذا الكرسي، فلتسامحوني"، توجه للجمع في نهاية حديثه قائلاً: "لكنني لا أودعكم".

وعقب مغادرة أردوغان لمنصبه قام مجلس البلدية باختيار وكيله للقيام بأعمال رئيس البلدية لحين اختيار رئيس جديد، فأُسندت هذه الوظيفة إلى السيد "علي مفيد غورتونا". وبعد أسبوع واحد فاز السيد "علي مفيد غورتونا" في الانتخابات التي أقيمت في مجلس البلدية بمنصب وكالة الرئيس لشغل الأشهر الستة الباقية.

وعلى الرغم من أن هذه الانتخابات قد تمت في أسبوع واحد، إلا أن الجدل حولها استمر لفترة طويلة.

حتى وإن كان أردوغان قد ترك منصب رئاسة البلدية إلا أن ثقله السياسي لا يزال قائماً في مجلس البلدية.

وعليه قامت مجموعة حزب (الفضيلة) بتنظيم اجتماع برئاسة رئيس المدينة

"نعمان قورتولموش" من أجل تحديد الاسم الذي ستوكل إليه الرئاسة في الفترة المتبقية. وفي هذا الاجتماع الذي حضره أردوغان تم التوصل لرأي يقول إن صلاحية تحديد وكيل الرئيس تعود إلى أردوغان نفسه. وأن أعضاء مجلس البلدية من غير أعضاء حزب (الفضيلة) قد اتفقوا أيضاً على الرأي نفسه. لأن من سيرشحه أردوغان سيكون وكيل الرئيس.

توجه أردوغان بالشكر لأعضاء المجلس، ولكنه لم يذكر الاسم الذي سيطرحه عليهم. وأراد أن يعرف من أصدقائه أعضاء المجلس مَن هم الذين يريدون ترشيحه. لذا توجه بكلمته إلى "نعمان قورتولموش" قائلاً: "فلتقوموا أنتم بعمل تصويت سري لتتعرفوا على وجهات نظر أصدقائكم، ولتأتوني بهذه الأسماء من دون القيام بترتيب لها، وبذلك تكونون قد يسرتم علي الأمر". ثم انصرف عن الاجتماع.

وقامت المجموعة بعمل التصويت، لكن على الرغم من تنبيه أردوغان لهم بعدم عمل تصنيف للنتائج إلا أن رئيس المدينة قام بترتيبها. وقام المجلس التنفيذي للمدينة بتحديد النتيجة في مضبطة، ثم قام أعضاؤه بتوقيعها. وحين رأى أردوغان المضبطة عرف أنهم قاموا بترتيب النتائج فقال لهم: "ما كان عليكم فعل هذا"، وأوضح أنه حزين لذلك. ثم قال: "إن الشخص الذي أفكر في اقتراحه عليكم قد لا يكون هو من حصل على أعلى الأصوات وفقاً لهذه المضبطة. وعلى الرغم من ذلك لو ذكرت لكم الشخص الذي اقترحه وظهرت عليه سلبيات ما في المستقبل، فسوف تلقون باللوم عليّ. لذا، لم يتبقَّ أمامي اختيار سوى أن أرشح الشخص الحاصل على أعلى الأصوات وفقاً للمضبطة، فليكن خيراً!".

وكان الاسم الحاصل على أعلى الأصوات وفقاً للمضبطة هو: "علي مفيد غورتونا".

وفي تلك الفترة اتخذ القرار بأن تقام الانتخابات العامة لمجلس الشعب مع الانتخابات المحلية في مارس/ آذار من عام 1999م. واستخدم أردوغان حقه القانوني بأن قام بتأجيل اليوم الذي يدخل فيه السجن. فلم يطاوعه قلبه أن يترك أصدقاءه بمفردهم في أعمال الانتخابات التي سوف تبدأ بعد فترة.

كان أحد المرشحين الذي قام أردوغان بزيارة لدعمه هو الأستاذ الدكتور "نجيب تايلان" الأستاذ بكلية العلوم الدينية بجامعة (مرمرة) المرشح عن حزب

(الفضيلـة) للدائـرة الأولـى فـي (تكيـرداغ). و"تايـلان" هذا رجل معروف من خلال النوادر التي يحكيها لمن حوله أو بالأحداث التي يحكيها بصورة فكاهية.

وعند خروج أردوغان مع "تايلان" في إحدى الزيارات للمقاطعات المجاورة توجه السيد أردوغان بسؤال إلى "تايلان": "كيف تسير الأمور يا أستاذي، هل ترى نفسك محظوظاً؟".

"والله يا سـيادة الرئيس لنا مرشـح لرئاسـة بلدية تشـورلو، وحسـب التقارير الموجودة لدينا، فإن الأمور تسير على ما يرام".

"كيف؟".

"سأحكي لك، بالأمس تجولت في تشورلو مع مرشحنا هذا. وكنا نمر أمام أحد محال تصليح إطارات السيارات، وكان الرجل جالساً على مقعد خشبي ويشاهد المـارة بعينيـه وهـو نصـف متيقـظ وكأنه بائس. وألقينا عليه السـلام حينما مررنا من جانبه، وهو بالطبع رد لنا التحية. وقال لي صديقي: هذا معنا.

وكلما مررنا على أحد التجار في طريقنا سـواء أكان بائع خضروات أم بقّالاً أم يعمل في صيدلية أو فرن، فإذا بصاحبي إما يشير بعينيه أو يميل على أذني قائلاً: هذا أيضاً معنا، إلا أنني لم أعد أتحمل، وحكيت له إحدى نوادري. ورأيت أنه ربما يعتبر منها ويتراجع عن ثقته المطلقة في كل من رآهم.

"وماذا كانت هذه الفكاهة؟".

"ذهب "تمل" إلى أميركا ظناً منه أنه سيجد هناك عملاً بسهولة. إلا أنه ظل هناك فترة طويلة بدون عمل. وفي أحد الأيام رأى أحد الإعلانات: (خمسة دولارات على كل أذن واحدة من آذان الهنود الحمر... الاستعلام بالحانة المجاورة!).

بدأ في هذه الوظيفة، وكان العمل جيداً لكنه متعب وخطير في نفس الوقت. فقال في نفسه: أفضل شيء أن استدعي دورسون، فليأتِ من البلد هو الآخر.

وبالفعل حينما أصبح زميله معه ازداد العمل سهولة ومتعة. والمكسب يقسم على اثنين، لكن في الوقت نفسه يربحان كثيراً.

وفي أحد الأيام النحسـة لم يسـتطيعا أن يحصلا على مرادهما اليومي، وكانا يتجولان في وسـط الغابة، وازداد تعبهما حتى إنه لم يعد في مقدرتهما أن يخطوَا خطوة واحدة، فجلسا معاً ليستريحا، وإذا بهما ينامان من شدة الإرهاق.

وبعد فترة استيقظ تمَل من نومه فإذا به يرى المئات من الهنود الحمر من حوله، فأيقظ دورسون قائلاً: هيا استيقظ... استيقظ! إن لم يكن ما أراه حلماً، فإننا قد جمعنا الأموال".

وحينما قام الأستاذ نجيب بحسه الأدبي بتغيير العبارة الأخيرة المستهجنة، ووضع مكانها "جمعنا الأموال"، فإذا بالسيد أردوغان يهمس قائلاً:

"يا أستاذي! لا يليق بك أن تكتم أصل الفكاهة عن الناس...".

السجن والصمت

أنهى "حسن يشيلداغ" أعماله بالقنصلية، واتجه نحو الباب للخروج. ووقف حينما رأى أحد رجال الشرطة في مكتب الأمن:

"هل جنكيز هنا؟".

"بالأعلى".

وبعد أن قال: "قبل أن أغادر، سأذهب وألقي عليه السلام أولاً"، توجه مباشرة نحو المصعد من دون انتظار ما سيقوله موظف الأمن.

والمعتاد أنه لا يستطيع أحد الصعود لأعلى من دون موعد مسبق. لكنهم يعرفون أنه والسيد جنكيز متحابين للغاية، لذا، كانوا يجعلونه خارج هذه القاعدة.

فرح كثيراً السيد "جنكيز" حينما رأى أمامه "حسن". وكان في الغرفة شخصان من العسكريين بملابس قاتمة اللون.

فقال له: "مرحباً بك يا صديقي العزيز حسن. تفضل بالجلوس فلأعرفك على صديقيّ: إنهما من تركيا، وكلاهما أيضاً متقاعدان من عندنا، إنهما صديقان قديمان!".

ولم تكن المحادثة جذابة، فبمجرد انتهاء التعارف قام الضيفان بالتوجه ناحية التلفاز وشرعا في مشاهدة الأخبار. وحينما قال المذيع إن الحكم بالسجن على رئيس بلدية مدينة اسطنبول الكبرى قد تم التصديق عليه من ديوان المحاكمات، وكانت مشاهد أردوغان هي الخلفية.

فتغير لون وجه السيد "جنكيز" اشمئزازاً وتوجه ناحية الضيفين قائلاً: "ذهب من دون أن تذبحوه، يا لصوته، إنه لا يزال يتحدث".

فرد الضيف الكبير في السن قائلاً: "لا تقلق!"، وكان صوته أجشّ وخشناً. "لم يتبقَّ سوى القليل... سننتهي من أمره في السجن!...".

أما السيد "حسن" فقد تجمد في مكانه من دهشة ما سمعه، فكان لا يصدق أذنيه!

فقال في قرارة نفسه: "انظر إلى تهور هذين الرجلين. يبدو وكأنهما لم يكتفيا بتدبير الاتهام، إنما أيضاً لا يستنكفان من ذكره على الملأ".

ولما خشي انفضاح أمره بسبب قلقه المتزايد، هم بالخروج من الغرفة. وقال: "بالإذن، ينبغي علي الذهاب، فلو تأخرت سأواجه ازدحام المواصلات".

وبينما كان متوجهاً نحو المصعد كان رأسه يؤلمه ولم يستطع منع قدميه من الارتجاف. وكانت هذه المعلومة التي حصل عليها للتو مهمة بقدر حياته؛ لأن "جنكيز ألقان" هو المسؤول عن مكتب الاستخبارات القومية بسفارة سويسرا.

وبعد أسبوعين من هذه الواقعة كان "حسن يشيلداغ" في تركيا. وأول ما فعله هو إخبار أخيه "ذكي يشيلداغ" العضو بمجلس بلدية مدينة اسطنبول الكبرى. وكلاهما اتفقا على أن إخبار أردوغان بهذه المعلومة ليس أمراً مناسباً. وبينما كان "ذكي" يفكر في أي من التدابير يمكن اتخاذها، فإذا به يقول: "يا أخي الكبير، لا داعيَ لأن نطيل المسألة. أنت أيضاً ستدخل السجن مع أردوغان، فأنت لست بغريب عن السجن. فهذا هو أنسب الحلول، ألست ترى ذلك؟".

وكان أخوه محقاً.

فرح "حسن يشيلداغ" كثيراً حينما أنهى دراسته الثانوية واستطاع أن يفوز بالالتحاق بالمدرسة العليا الفنية للتدريس. لكنه اعتباراً من الصف الأول بالدراسة لم تتسنّ له الفرصة ليتذوق طعم الدراسة بالمدرسة. إذ إنه ذات يوم جاءت مجموعة من الخارج تقدر بعشرة إلى خمسة عشر طالباً وقاموا بالهجوم على فصله، وشرعوا في ضرب طالبين كانا يكتبان في صحيفة (المترجم) و(كل يوم). إلا أن "حسن" بحماسة الشباب لم يستطع تحمل هذا الموقف، إضافة إلى أنه صاحب حزام أسود في التايكوندو فزاد ذلك من حماسته. فأوسع عدداً من المهاجمين ضرباً مبرحاً، إلا أنه في أثناء المشاجرة تعرض لضربة على رأسه بقطعة من المعدن أدت إلى جرح رأسه وفقدانه الوعي. وتمت معالجته بأن قطّب جرح رأسه ثماني غرزات. لكن بعد هذه المشاجرة لم يكن من السهل أبداً أن يبعد صفة "المقاتل المثالي" عن نفسه.

وازدادت شهرته بصورة بالغة حين تردد إلى الأسماع مهارته في القتال، إلا أن

حياته ازدادت صعوبة أيضاً بنفس الدرجة. فانضم بلا حيلة منه إلى جمعية (منارة المثاليين). وحين لم يجد الدعم الكافي من مقر الجمعية في (قاضي كوي) انضم إلى مقرها الآخر في (أسكودار).

وفي تلك الأثناء قامت حكومة حزب الشعب الجمهوري بإغلاق منارات المثاليين، وأسست مكانها (جمعية الشباب المثاليين) برئاسة "محسن يازجي أوغلو".

وقامت الجمعية الجديدة بمحاولات من أجل فتح شعبة (أسكودار)، وفي النهاية كُللت مجهوداتها بالنجاح. وعندما أصبح "حسن" رئيساً لجمعية الشباب المثاليين في "أسكودار" ظن أنه قد نجا ظاهرياً، وأن الموقف قد انضبط نوعاً ما.

إلا أنه لم يمض عامٌ إلا والأمور بدأت مرة أخرى في السوء، وتم إلقاء القبض عليه بتهمة (تكوين عصابة) مع عشرين آخرين من أصدقائه.

وفي يناير/ كانون الثاني من عام 1979م تم استجوابه مرة أخرى على مدار خمسة عشر يوماً كان يتعرض فيها للتعذيب طوال اليوم في "السجن السياسي". ثم بعد ذلك بدأت سنوات سجنه التي مرت في سجني (السليمية) و(مالتبه) العسكري. وانتهت كل القضايا التي رفعها طوال العشرين شهراً التي قضاها في السجن بالبراءة.

والآن كان سيبدأ حياة جديدة.

لكن ذلك لم يتحقق.

لأنه لن تمر فترة طويلة، وسيفهم بعدها أن قرار الحبس قرار ظالم، وأن حكم القضاء ببراءته ليس كافياً لأن يتصالح مع النظام.

فبعد إخلاء سبيله بشهرين كان مخططو انقلاب 12 سبتمبر/ أيلول على رأس الدولة، وحتى لا يضيعوا وقتاً أيضاً قاموا بأعمال تعجيزية. ففي البداية قاموا بالهجوم على منزله وعذبوا أخاه الأكبر، ثم أمه وأباه. فاضطر للجوء إلى سويسرا. وعاش هناك حتى هذا الوقت الذي سوف يكون فيه رفيق الدرب لأردوغان في سجن (بينار حصار).

حينما قرر "حسن يشيلداغ" ألا يترك أردوغان بمفرده في السجن خشية تعرّضه للقتل، فكان أول ما فعله هو أن ذهب إلى البنك، وأخذ دفتر شيكاته معه. وأصدر شيكاً لأحد أصدقائه من دون رصيد وهدف من فعلته تلك أن يدخل السجن.

وجلب أحد المحامين لصديقه حتى يقدمه إلى المحكمة. وكان الرقم الموجود

علـى الشـيك هـو 370.000 ليـرة تركيـة، وهـو آنذاك مبلـغ لا يعد قليلاً. وفي النهاية قُدم للمحاكمة بتهمة كتابة شيك من دون رصيد.

ولو انتهت القضية في غير صالحه سـيتم الحكم عليه بعقوبة 12 شـهراً. وفي المرافعـة يطلـب بنفسـه مـن القاضـي بأن يحكم بحبسـه. ويندهـش القاضي من هذا الطلب غير المعقول الذي لم يصادفه طوال عشرين عاماً قضاها في مهنة القضاء.

ويقول حسن للقاضي: "لو لم تحكم علي بالحبس، فالعلاقة التي بيني وبين صديقي لن تدفع له قيمة الشيك. وأنا أيضاً لا أريد أن يتبرع هو بهذا المبلغ لكوني صديقه". ويقنع القاضي بأن المخرج الوحيد من ذلك هو الحكم بالسجن.

وفـي النهايـة وعلـى الرغـم مـن ضيق الوقت وترهل النظام القضائي فقد كللت مجهوداته بالنجاح، واستطاع أن يقنع القاضي بإصدار حكم ضده بالسجن.

وبدأ "حسن" في البحث عن أردوغان من أجل إطلاعه على الأمور، ووجده في أحد الصالونات الرياضية المغلقة في (سقاريا) وهو يلقي حديثاً له. فتوجه نحو المنصة وقدم له حكم المحكمة، وقال له "أنا مستعد!".

وبحثا سـوياً الاحتمالات بشـأن أي من السـجون سـيمضيان فيه فترة العقوبة: وحينما استعرضا سجون (آردك) و(قاره مرسل) و(تشورلو) و(آق يازي)، اتفقا في النهاية على سجن (بينار حصار).

فتوجـه "حسـن يشـيلداغ" أولاً إلـى السـجن وتجـول فيـه، وأعـد قائمة بطلباته الخاصة:

فقـام بتنظيـف الغرفـة المخصصـة لهمـا جيـداً بعد أن أخـذ التصريح من إدراة السـجن، وألصـق ورق حائـط علـى الجـدران، وفرش سـجادة على الأرض، وجدد الأدوات الصحيـة والكهربائيـة، ووضـع سـخاناً لتأميـن الميـاه السـاخنة. وقام بطلاء أبـواب الغرفـة المفتوحـة علـى الممـر وعلـى الحديقة، ووضع لهـا مزاليق لا يمكن فتحهـا إلا مـن الداخـل فقـط. ووضع حوائل مغناطيسـية على السـقف وحساسـات كهربائية في الحديقة. ووضع في كل نقاط الضعف التي وجدها كاميرات للمراقبة.

وجـاء دور الأثـاث علـى "أرهـان شـانول" فقامـوا بتحويـل الغرفة التي سـيقيم بها "حسـن" مع أردوغان إلى غرفة تصلح للمعيشـة لفترة طويلة وللعمل أيضاً من خلال تجهيزها بمبرد كبير وماكينة لغسل الملابس وأخرى للأطباق، ومناضد للعمل

والاجتماع، وكراسٍ مغطاة بالجلد وأطقم للجلوس وتلفار كبير الشاشة.

وفي تلك الفترة لم يتم نسيان السجانين والمسجونين أيضاً. فتم جلب بنطلون وقميص ونعل وملابس رياضية لكل منهم.

ولم ينسَ "حسن يشيلداغ" أن يسلم اختصاصاته لأحد الأصدقاء فذهب إلى سويسرا. وبعد أن أتم ذلك واستودع أسرته في معية الله عاد مرة أخرى، وبعد أن أتم كل أموره بالخارج، قام بتسليم نفسه إلى السجن قبل الرئيس بثلاثة أيام، وهناك تم استقباله استقبال الملوك من المساجين والسجانين. وحين كان يقوم بتوزيع الهدايا التي جلبها معه تحول السجن وكأنه في احتفالية بالعيد.

وهناك قام بإلقاء نظرة أخيرة على الغرفة وعلى التدابير الأمنية التي أعدوها: كل شيء مضبوط وفي محله.

وأصبح سجن (بينار حصار) التابع للجمهورية التركية وكأنه يميل برأسه كطفل مطيع مستعد لاستقبال "ضيفه التاريخي".

الليلة الأخيرة لأردوغان
قبل السجن

"محمد أقباي" المعروف في الإذاعة باسم "محمد غازاجان"، أكثر الإذاعيين في تركيا شهرة وجمهوراً، وربما أيضاً أولهم.

وإحدى ميزاته الأخرى أنه من الأشخاص الذين يمكنهم الوصول سريعاً إلى أردوغان، وهذا يعود إلى تعرفه عليه في أثناء رئاسته للبلدية. ففي تلك الفترة كان يغطي في بلدية (مدينة اسطنبول الكبرى) الكثير من (الحفلات الموسيقية الشعبية). كانت الحفلات الأولى هي تلك الحفلات التي بدأت بالدعاية لزراعة 50.000 شجرة باسطنبول، والحفل الموسيقي الماراثوني الأوروآسيوي، واستمرت الحفلات الموسيقية ومنها حفل حملة 200,000 شجرة لاسطنبول وحفل 400,000 شجرة، ثم حفل المليون شجرة لاسطنبول. ولا يمكن لأي شخص من أهالي اسطنبول أن ينسى (حفل الجمهورية الموسيقي) الذي أُقيم بانضمام مليون شخص تقريباً.

كان نجم الحفلات الموسيقة بلا أدنى شك هو الفنان "أحمد قايا".

نظم ذلك الحفل "محمد جازاجان" وكان بمثابة وداع لأردوغان قبل دخوله إلى السجن، وبالطبع شاركه الفنان "أحمد قايا" ولم يتركه بمفرده.

وقبل أن يبدأ "أحمد قايا" بالعزف في الحفل الموسيقي قال على الملأ: "أتمنى في الذكرى الخامسة والسبعين على تأسيس جمهوريتنا أن نعيش أياماً أفضل، وأن نلتقي جميعاً في جمهوريات تحترم الإنسان، وتتيح حرية التعبير، ولا تعتقل من يغني أغنية، أو يلقي شعراً... وأنا أعزف من أجل كل الأبطال المسجونين والذين سيدخلون السجن...". ثم بدأ يغني أغنية الشفق "لنفزاد تشاليك": "لا تبحثي عني هنا يا أماه/ ولا تسألي عن اسمي على الباب/ ولا تنتزعي النجمة الساقطة على شعرك/ لا تبكي يا أمي...".

وكانت ليلة يوم الخميس الموافق في 25 مارس/ آذار 1999م هي آخر ليلة لأردوغان في بيته قبل دخوله السجن.

اتصل "محمد جازاجان" بالرئيس في الليلة نفسها من البرنامج الذي يقدمه في الإذاعة على الهواء، ليودعه من ناحية وليجعله يشارك الجمهور أحاسيسه وأفكاره في هذا الوقت من ناحية أخرى، فقال:

"إنني أهدي باسمي واسم كل المستمعين كل هذه الأغنيات والتي قمنا بإذاعتها منذ بداية البرنامج إلى ملك القلوب السيد أردوغان. إنه أمر عسير للغاية أن نوضح من هو أردوغان... وكون أردوغان الذي قام برئاسة بلدية مدينة اسطنبول الكبرى طوال الفترة السابقة محبوباً لهذه الدرجة في كل أنحاء تركيا، أفلا يعبّر ذلك عن مدى اشتياق الناس للجمال والمودة والوفاء والصدق؟... إننا ندعو له الله أن ييسر أمره، وإن خلف كل محنة منحة. وقد كان أحد أصدقائي من مقدمي البرامج يقول: إنه (ملحن الأغنية التي لا تنتهي أبداً)، وإنني أقولها له وهو معنا عبر الهاتف:

- مرحباً بك يا رئيس!

- مرحباً بكم جميعاً!

- أشكرك باسم كل المستمعين لوجودك معنا في آخر ليلة لك خارج السجن. إنك رجل رائع. والأكثر روعة أن تكون معنا في ليلة كهذه...

- إنني أتوجه بالشكر لكم جميعاً.

- يا سيادة الرئيس إن هذا المساء جميل للغاية، ومساء سعيد. إنني على وجه الخصوص أردت أن أسمع دعاء منك في هذه الليلة، أريد أن أسمع صوتك. إنني مضطرب وحزين أيضاً لما سيحدث غداً. كيف ترى هذه الليلة يا رئيس؟ وما الذي تفعله فيها؟

- إن منزلي الآن يعج بالناس، فضيوفي كُثر. فوج يأتي وآخر يذهب. إضافة إلى أنني أتلقى الكثير والكثير من المكالمات الهاتفية.

- ما الذي تشعر به يا رئيس؟ أيمكننا التعرف على مشاعرك الآن؟

- لو صح التعبير عن مشاعري من خلال كلمة واحدة، أقول إنني سعيد. فأنا أدخل السجن بسبب أفكاري وآرائي، فأنا مدان بقراءة الشعر، لذا، أشعر بالسعادة. لقد ذهبنا معاً إلى غازي عنتب، ورأيت معي تطلعات الأهالي، فوجدان الشعب لا

يقبل التهمة التي ألصقها بي البعض. وأنا سعيد من هذه الناحية. إنني أعشق أمتي، ووطني. وأرى نفسي كإنسان وهب نفسه للمبدأ الذي يقول إن (أفضل الناس أنفعهم للناس). وبهذا فلا يمكن لأي شخص أن يتهمني بأنني قمت بحث الشعب على العداوة والبغضاء وبالدعوة للعصبية الدينية أو العرقية، ولا يمكنه أيضاً أن يقصيني عن خدمة الأمة. وإنني أقول لهم إن هذه الأنشودة لن تنتهي هنا.

- إنني أؤمن من صميم قلبي بكل ما تفضلت به، وإنني على ثقة يا رئيس من أن تركيا تراك محقاً وتثق بك. إن الإنسان إذا ما تعرض للظلم فإنه يشعر بالإحباط، أليس كذلك يا رئيس؟

- إنني مثلما أوضحت اليوم على قناة (د) التلفزيونية بأن سقراط حينما تم الحكم عليه وعند دخوله السجن، فإذا بزوجته تبكي، فقال لها سقراط: ما الذي يبكيك؟ فقالت له زوجته: لقد حكموا عليك بالسجن ظلماً، وأنا أبكي على ذلك.

فقال لها: يا زوجتي... يا زوجتي! إن كان هذا الحكم عادلاً أكان أفضل؟! فمربط الفرس هنا. والحمد لله أن الذين يبكون عليّ من خلفي يبكون وهم يعرفون أنني مظلوم، فهم يبكون على ما يؤمنون به. وأنا أقول إنه في حياة سقراط كانت هذه المحطة، وأنا الآن في هذه المحطة. وإنني شبهت هذا الوضع بالسكتة الموسيقية في نوتة اللحن، حتى إن أحد المحامين اتهمني قائلاً: ماذا تقصد بهذه السكتة؟ وإن شاء الله سوف نعبر هذه السكتة، وسنمضي قدماً في خدمة الأمة من المكان الذي وقفنا عنده.

- يا رئيس قَدَّمَك زميلي في غازي عنتب للجمهور قائلاً: ها هو يأتي ملحن الأغنية التي لا تعرف النهاية. وهو تشبيه بديع للغاية. غداً، سوف تؤدي صلاة الجمعة في مسجد الفاتح، ثم إلى أي سجن ستتوجه؟

- سجن بينار حصار بمدينة قيرقلارآلي.

- سجن بينار حصار بمدينة قيرقلارآلي... وحسبما علمت، فإن السيارات ستسير وراءك طوال الطريق.

- لا أعرف حتى الآن. أنا سأصلي الجمعة مع أصدقائي في البلدية وزوجتي وأبنائي في مسجد الفاتح، ثم سأذهب من هناك إلى السجن. وفي الغد أيضاً سأشيع من مسجد الفاتح جنازة صديقي وأخي الذي طالما أحببته كثيراً بطل البلقان في

المصارعة توفيق آيدانيز، وبعد أن يُودَع في مثواه الأخير، سأسير في طريقي نحو السجن.

- يا رئيس، كيف هي الحالة النفسية لأهل بيتكم؟

- الحمد لله جيدة. ومن الطبيعي أن تكون هناك بعض المشاعر الجياشة من آن لآخر، لكن الوضع بصورة عامة جيد للغاية. فهم الآن يضحكون جميعهم. وهم سعداء للغاية لأنهم سوف يأتون معي إلى باب السجن.

- وماذا عن مخططاتك بعد الخروج من السجن يا رئيس؟

- إن هذا ستحدده الظروف، فلو استمر وضع عدم اتضاح الرؤية كما هو عليه الآن في تركيا، فسيكون من الصعب التكهن بشيء. إذ إننا آنذاك سوف نسقط في المستنقع نفسه الذي سقط فيه غيرنا. وسنقول حينها ما مضى لا رجعة فيه، أما الآن فهو ما نعيشه هذه اللحظة.

- إنني أتوجه إليك بالشكر يا رئيس. وأقبل يديك. وعيداً سعيداً، وأقدم خالص تقديري واحترامي لعائلتك ولمحبيك وللجميع.

- وأنا أيضاً أشكرك كثيراً وأتركك على خير".

26 مارس/ آذار 1999م، يوم الجمعة

سيتوجه اليوم رئيس بلدية مدينة (اسطنبول الكبرى) أردوغان إلى سجن (بينار حصار) بمدينة (قيرقلارآلي) ويسلم نفسه لقضاء العقوبة الصادرة ضده بالسجن لمدة أربعة أشهر.

وقبل التوجه إلى السجن كان عليه واجب مهم للغاية ينبغي عليه إتمامه وهو أن ينضم لجنازة صديقه الذي طالما أحبه كثيراً والذي وافته المنية قبل يوم واحد، وهو بطل البلقان في المصارعة توفيق آيدانيز، فسينضم مع الآخرين للصلاة عليه في مسجد الفاتح.

"توفيق آيدانيز" مصارع شهير، فهو بطل البلقان في المصارعة لعام 1969م. وهو من منطقة (قاسم باشا) وصديق مقرب لأردوغان ولعائلته، وهو رجل شجاع قوي النفس والجسمان...

وحينما كان أردوغان مرشحاً لرئاسة بلدية (باي أوغلو) في انتخابات عام 1989م تعرض للتهديد بالقتل. وحينما علم "توفيق آيدانيز" ذلك، وكان وقتها يعيش

في سويسرا، إذ به يأخذ تصريحاً من مكان عمله ويعود إلى تركيا على الفور؛ ليقف بجانب صديق عمره أردوغان إلى أن انتهت الانتخابات.

وفي انتخابات عام 1994م تلقى أردوغان التهديدات نفسها، فما كان من "توفيق آيدانيز" إلا أنه أسرع بالمجي كالمرة السابقة، وأسرع بالوقوف إلى جانب صديقة القديم تطوعاً منه.

كانت مراسم الجنازة مزدحمة. وكان أردوغان سيتوجه إلى السجن بعد أداء صلاة الجنازة مباشرة. ومع ذلك أتى عشرات الآلاف من الأهالي ليودعوا أردوغان فكان هؤلاء الناس مع السيارات الخاصة والأتوبيسات يملأون الشارع المطل على المسجد والشوارع الجانبية كلها.

كانت المحافظة متأهبة، فتم إيقاف القافلة على المسافة من المسجد حتى مقابر (تورغوت أوزال) ثلاث مرات، رغبة في تفريقها؛ إلا أن الأهالي أصروا على الذهاب مع أردوغان. فاضطرت قوات المحافظة إلى التراجع.

وكانت القافلة تتحرك ببطء لأنها كانت طويلة جداً. وعندما وصلت إلى سجن (بينار حصار) كان المساء قد حل.

اقتربت الحافلة التي كانت تقل أردوغان من باب السجن بصعوبة بالغة وذلك بسبب ازدحام واصطفاف عشرات الآلاف ممن جاءوا ليودعوه. والناس لا يعبأون بالتحذيرات، فكانوا يعملون على الاقتراب أكثر فأكثر من حافلة أردوغان ليروه للمرة الأخيرة قبل دخوله السجن، فكانوا لا يعبأون حتى بأن الحافلة ربما تصدم أحدهم.

وإذا بصوت يجعل كل هذا الجمع ينتبه في صمت شديد؛ كان أردوغان يلقي آخر كلمة له قبل دخوله السجن.

"إخواني الأعزاء!

إنني أريد قول بعض الكلمات. اليوم هو 26 مارس/ آذار لعام 1999م. وبعد غدٍ - إن شاء الله - عيد الأضحى المبارك. وإنني أتمناه عيداً مباركاً لكل أهالي اسطنبول وكل أفراد أمتي والعالم الإسلامي بأسره.

فهذا العيد له خصوصيته، فقد مر إخواننا في كوسوفا بأيام عصيبة في الأوقات الأخيرة، فأنا أتوجه إليهم بكل أمنياتي بأن يعودوا إلى ديارهم في أسرع وقت،

وبقضاء عيد مبارك تتخلّله السعادة والسلام والحرية. كما أرسل من هنا خالص تقديري ومحبتي لإخواني من شباب الطيارين الذين تحملوا مهمة شاقة ومشرفة حتى ينقذوا إخواننا في كوسوفا من ظلم الصرب، وأتمنى لهم عيداً مباركاً. وأتمنى أن يعودوا إلى وطننا بسعادة وسلامة وهم ناجحون في مهمتهم ليشرفونا جميعاً.

إخواني الأعزاء

إنني لست حانقاً على دولتنا أو مستاءً منها، فمعركتي الحقيقية هي إزالة تلك البقع السوداء التي تجعل المواطنين مستائين أو حانقين من بلدنا. وإنني خلال الأربعة أشهر التي سأقضيها في السجن سأنشغل بتقييم المشروعات التي طالما قمنا بها حتى هذه اللحظة. وهذه المشروعات إنما تشترك في هدف واحد وهو أن نصل بوطننا وأمتنا في مجالات الاقتصاد، والصحة، والتعليم، والعلم، والإدارة المحلية، والرياضة، وحقوق الإنسان، والتكنولوجيا، وفي الدفاع، والعلاقات الدولية بما يتناسب ويليق بمعدلات الألفية الثالثة. لذلك أريد أن أرسل رسالة إلى كل أطفالنا وشبابنا في مراحل التعليم المختلفة من الابتدائية إلى الجامعة. إن تركيا سوف تصبح بحلول عام 2000م بلدكم الجميل والمستنير، إلا أن هذا يقتضي منا جميعاً العمل المتواصل. وإنني أعدكم بالأصالة عن نفسي بأنني سوف أعمل كثيراً بالداخل كما كنت بالخارج. وأنتم فلتجتهدوا جيداً في مدارسكم. ولتتمنوا ما شئتم، ولكن عليكم الاجتهاد بالقدر الذي يوصلكم في النهاية إلى أحلامكم هذه. اجتهدوا جيداً لتكونوا مهندسين جيدين، وأطباء أكفاء، ومعلمين مهرة، وإداريين محنكين وحقوقيين عادلين، نعم حقوقيين عادلين، وأكررها ثانية... حقوقيين أكفاء. فأنا الآن ذاهب لأداء واجبي، وأنتم فلتؤدوا واجباتكم جيداً.

لا أجد أنه من الضروري أن أتوجه بكلمة إلى الشعب؛ فقد طُفت خلال الشهر الأخير أرجاء (الأناضول) كافة، ومررت بالعديد من المحافظات من (سامسون) إلى (أرزينجان)، ومن (قيرشهر) إلى (إزمير). وذهبت إلى (غازي عنتب) وإلى (كيليس)، و(يالوفا و(مانيسا)، و(بورصه)، و(قسطمونو)، و(كوجه آلي)، و(سقاريه). ووجدت أن شعبنا يعرف كل شيء أكثر منا جميعاً من خلال إرثه التاريخي الثري وبفطنته وفراسته، بل ويُقيِّم الأمور بصورة صحيحة. ولذلك ما ينبغي عمله ليس توجيه رسالة للشعب، إنما علينا نحن أن نفهم جيداً الرسائل التي أرسلها إلينا الشعب.

إن غايتنا السياسية تفرض علينا هذا المبدأ، أن نقرأ جيداً تلك الرسائل التي بعث بها الشعب إلينا. وإنني أعتقد أنه حتى الذين كانوا لا يعيرون اهتماماً حتى هذه اللحظة إلى تلك الرسائل التي يبعثها الشعب، سوف يبدأون في فهم الكثير من الأشياء اعتباراً من صباح 19 إبريل/ نيسان. إنني لا أريد أن أطيل عليكم أكثر من ذلك. فحينما يأتي على رأس العمل السياسي من هم صادقون وأهل للثقة، فإنني أظن أن من لا يعيرون اهتماماً للشعب سوف يعانون من صدمة كبيرة. إنني أتوجه بخالص شكري وتقديري لكم جميعاً رجالاً ونساءً، صغيركم وكبيركم، ولكل من رأيتهم من شعبنا الغالي والذين ودّعوني بدموع الأعين وبالدعاء في كل الأماكن التي جبتها. وأريد أن تعرفوا أن هذا ليس حبًّا من طرف واحد؛ إنما هي محبة ومحبة متبادلة. فليُدِم الله عز وجل محبتنا ويزيدها. وأستودعكم الله، ولكن مهما يكن فأرجو أن تسامحوني. فربما هناك الكثير من مواطنينا ممن أدميت قلوبهم من أجلي، لذا أطلب منكم أن تسامحوني. وإنني دوماً سأكون بجانبكم بدعائي. وأرجو منكم أيضاً ألا تنسوني من خالص دعائكم!

حينما نسطر كلماتنا ها هنا، فإن لي رجاءً واحداً منكم: عندما تمرون أمام أحزاب أو هيئات سياسية تختلفون معها فلا تظهرون الامتعاض، إنما كونوا هادئين ووقورين للغاية، واجعلوا امتعاضكم الحقيقي يملأ صناديق الاقتراع في يوم 18 إبريل/ نيسان.

أصدقائي الأعزاء، إننا في طريق ضيقة طويلة، نمضي فيها الليل والنهار. وبينما أنهي حديثي فأريد أن أكرر مرة أخرى هذه الأنشودة التي أرددها دائماً:

إننا مضينا معاً في هذه الطرق...

وبلّلنا ماء المطر

والآن فكل ما سمعته في الأغاني

كل شيء يذكرني بك.

عيداً سعيداً لكم جميعاً، وليُنِر الله مستقبل وطننا تركيا!...

أستودعكم الله".

أنهى أردوغان حديثه وبجانبه "أحمد أر أوغلو"، و"حياتي يازيجي"، ودخل معهما إلى السجن وانغلقت أبوابه الحديدية عليهم.

أما ما حدث بعد ذلك فيرويه "حسن يشيلداغ" زميل أردوغان في غرفة السجن:

"اتجه السيد أردوغان إلى الداخل مع السيد حياتي يازيجي. فاتجهت أنظارنا نحوهما، وصعد إلى الأعلى. وكان بالطابق العلوي "آرهان شانول"، و"ذكي يشيلداغ" وغيرهما. وكان الملازم الأول والنقيب ووكيل النيابة هناك... وتعرفوا جميعاً على بعضهم بعضاً. ثم اتجهتُ والسيد أردوغان إلى غرفة السجن الخاصة بنا.

كنت انتظر الوقت الذي سيفضي إلي السيد أردوغان بما يجيش في نفسه عن اللحظة الأولى لدخول السجن وعن حالته النفسية لأنني كنت أعرفها، إلا أنني لم أجد منه أي رد فعل سوى أنه نظر حوله وقال لي: "لقد أصبحت جيدة!".

إن العقاب بالحبس متعلق (بتقييد الحرية)، ولهذا لا يتدخلون في ما تفعله بالغرفة أيًّا كان طالما أنت بداخل السجن. ونحن قمنا ببعض الأشياء كما نراها مناسبة لنا.

وحينما كنت بالسجن في انتظار الرئيس قمت بالاجتماع مع المساجين ووجهت لهم هذه التعليمات مراراً وتكراراً: لا يتم التدخين بجانب السيد أردوغان، ولا يجلس أمامه أحد واضعاً قدماً فوق قدم، لا يقوم أحد أمامه بحركة استهزائية، ويجب على الجميع التحلي بالاحترام!

هذه القواعد كانت تطبق حرفياً أيضاً على من يأتي للزيارة من خارج السجن. ومدة الزيارة هي 20 دقيقة فقط.

والتزم الجميع بهذه القواعد، ولم يخرج عنها أحد خلال الفترة التي قضيتها بالسجن.

أصبحنا في منتصف الليل، وكنت قد وضعت على الحائط تقويماً جلبته معي من سويسرا. فسأل عنه الرئيس، وقلت له إن كل يوم سنقضيه هنا سنضع عليه خطًّا على هذا التقويم، وحين ينتهي الشهر، سنغير صفحة التقويم، فلكل شهر صفحته وصورته الخاصتان. فقال: "حسناً، وأخذ القلم قائلاً بسم الله، ثمّ وضع خطاً على اليوم الأول.

ومرت الأيام التالية مشحونة بالعمل حتى إننا في أغلب الأوقات كنا ننسى أن نضع الخط على الأيام بالنتيجة لمدة أسبوع.

وحينما خلدنا للنوم كانت الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل، وقد

كنت مجهداً لدرجة كبيرة، فبمجرد أن وضعت رأسي على الوسادة استغرقت في النوم. واستيقظت عند الساعة الخامسة صباحاً على صوت خفيض، ونظرت، فإذا بي أجد الرئيس يستعد لصلاة الفجر. وعلى الرغم من أنني لم أنم جيداً، إلا أنني ضغطت على نفسي وقمت فتوضأت.

ولم أكن بعيداً عن الصلاة تماماً، في البداية كنت أؤدي صلاة الجمعة، إلا أنني منذ عام 1978م حينما دخلت السجن واظبت على أداء الفروض الخمسة. وكنت وقتها زعيم المساجين بسجن (مالتبه). وهناك جعلت الجميع يواظبون على الصلوات الخمس من دون استثناء. ووقتها بدأ البعض في الاعتذار عن صلاة الفجر بحجة أنهم (جُنب). ونظرت، فإذا بعدد المعتذرين عن صلاة الفجر يزداد يوماً بعد يوم، فقمت بتسخين المياه في قارورة ضخمة، حيث قمت بربط كابل كهربائي بشفرتي الحلاقة، وأضعهما في القارورة منذ المساء، وعندما يحلّ الفجر تكون المياه قد أصبحت ساخنة، وحين ذاك من يقول إنه (جُنب) أرد عليه قائلاً اذهب واستحم ونحن في انتظارك. وبعد عدة أيام لم يعد هناك من يعتذر قط عن أداء الصلاة.

والتاريخ يكرر نفسه، فها أنا ذا في السجن مرة أخرى...

وكنت أقول لنفسي: سنصلي ما إجماله ست ركعات فقط، لن يستغرق الأمر عشر دقائق، وبعدها أعود للنوم مرة أخرى، ولن تكون الصلاة سبباً في موتي على أي حال.

وبعد أن أدينا صلاة السنة نهضت وأذّنت أذان الإقامة، وأمّني الرئيس في الصلاة. كان صوته في تلاوة القرآن الكريم عذباً طليًّا يجعل الإنسان هادئاً... وطالت بنا الصلاة بعض الشيء لأنه قرأ سورة (يس). ثم ختم الصلاة، وبعد الانتهاء نظرت إلى الساعة، فإذا بي أجد أن الصلاة معه استغرقت خمساً وأربعين دقيقة!

بهذا مضى أول يوم له في السجن وكنت أظن أنه أطال في الصلاة نظراً لحالته المعنوية، لذا تركت الأمر يمر.

ولأتكلم بصراحة، إنه عندما أطال الصلاة في اليوم الثاني أيضاً وقع الشك في قلبي، ولكنني قلت في نفسي: من الواضح أنه لم يتغلب بعد على هذه الحالة النفسية، ولهذا لم أتفوه بكلمة.

لكن ما هذا أيضاً؟ ألم تمضِ ساعة كاملة في أداء صلاة الفجر وختامها في

اليوم الثالث أيضاً؟ وبمجرد أن ختمنا الدعاء وقبل أن أمسح بيدي على وجهي كنت قد خيرت نفسي: إما أن أكون راضياً بقدري وحينها أصمت، وإما أن أرسل إلى الرئيس رسولاً عادلاً يمكنه أن يشرح له أنني على وشك الانهيار من قلة النوم.

وبدلاً من أن أضيّع الوقت فتحت الموضوع مع "أحمد أرغون" ظناً مني أن هذا هو الحل الأمثل. وفي اليوم التالي، إذ بأردوغان يقول لي: "لك شكوة مني".

فقلت: "معاذ الله".

قال: "اسمع ما سأقوله: نواصل السهر حتى الصباح، وعندما يحين الفجر نصلي، ثم ننام".

وفي الأيام التالية قمنا بتطبيق البرنامج الذي اقترحه الرئيس، ولم يكن سيئاً، فعلى الأقل لم يكن نومنا يتقسم.

فكنا نستيقظ قبل الظهيرة بفترة، ونستعد لليوم. وبعد تناولنا لطعام الإفطار يتبقى لنا من الوقت ما يسمح بأن نلقي نظرة على الصحف. وعقب ذلك تبدأ الزيارات. وتستمر المباحثات حتى المساء.

وكنا مساءً في أثناء تناول العشاء أو بعده مباشرة نجتمع مع الأصدقاء المقربين، وكانوا يتشاورون مع الرئيس حول الموضوعات الموجودة في جدول الأعمال.

كان له في الخارج مجموعة من الأصدقاء تتشكل من ثلاثة أشخاص. وكل أسبوع يعرضون على أردوغان ما قاموا به في ما يتعلق بالموضوعات المطروحة على جدول أعمال الأسبوع ويتناقشون حول الملفات التي قدموها له في ما يخص الأسبوع المنصرم. وكانت هذه الاجتماعات التي تُعقد مرة واحدة أسبوعياً لا ترتبط بوقت، فتنتهي وقتما ينتهي العمل.

كان رجال الشرطة وبعض من البيروقراطيين الذين يعملون في المناطق المجاورة يأتون أيضاً في أيام المباريات وخصوصاً في تلك التي تجري في نهايات الأسبوع لمشاهدة هذه المباريات على الشاشة العملاقة التي وضعناها في الأعلى.

كان الرئيس عند الساعة الحادية عشر مساءً تقريباً يبدأ في قراءة الرسائل الواردة إليه. وبقدر ما أتذكر فقد تلقى 13,000 خطاب، وقد قرأها جميعاً، بل وكتب رداً على كل واحد منها. وخصوصاً حينما كان يقرأ خطابات الطالبات بمدرسة (الأئمة والخطباء) كانت عيناه تفيضان بالدمع.

وهناك خطابات أثرت فيّ شخصياً، وأحد هذه الخطابات والذي لن أنساه أبداً هو خطاب مرسل من فتاة تعمل في أحد مصانع الملابس، وكانت تخاطبه قائلة: "يا رئيسي"، ومن جزء منه كتبت: "إنني حينما قررت الكتابة لك سخرت مني زميلاتي في العمل، وقلن لي: مَن أنت لتكتبي لأردوغان، إنه رئيس بلدية كبير! لن يفتحه لقراءته حتى وسيظل مغلقاً كما هو... فقلت لنفسي ماذا سيحدث، فلأكتب الخطاب ويكفيني أنه على الأقل مر من بين يديه...".

وحينما قرأنا الخطاب اغرورقت أعيننا بالدموع. وكتب لها السيد أردوغان الرد في نصف صفحة قائلاً: "ابنتي العزيزة!". ولم تمض فترة طويلة إلا وجاء خطاب آخر من نفس الفتاة وتقول فيه إنها لا تستطيع أن تعبر عن مدى سعادتها لكون السيد أردوغان قد أولاها هذه الأهمية ورد عليها بهذه الصورة. وتقول إن صديقاتها أصبن بالدهشة جراء ذلك، وإنها وضعت الخطاب على المنضدة وقرأته عليهن مراراً وتكراراً.

وكتبت فتاة مخطوبة أنها أخرت زواجها؛ وقالت معللة ذلك: "لأنني انتظر حضور سيادتكم لعقد القران". وإنني أعتقد أن أول عقد قران حضره السيد أردوغان هو عقد قران هذه الفتاة.

كل الخطابات كان يكتب الرد عليها بنفسه وبخط يده. وفي إحدى المرات قال له إلكر أيجي: "لقد تعبتَ كثيراً، لو تسمح أكتب أنا الرد على هذا الخطاب الذي أمامك"، لكن الرئيس وبخه بشدة على هذا القول. وكان ذلك الخطاب من فتاة تدرس بمدرسة (الأئمة والخطباء) في إحدى مقاطعات محافظة (تشوروم). وقال السيد أردوغان "لإلكر" وهو غضبان: "إن هذه الفتاة الصغيرة جلست وكتبت الخطاب بيدها، أفلا يستلزم ذلك أن أكتب لها الرد بيدي أنا؟".

لقد كنا نعرف أننا أنهكنا رجل البريد كثيراً. لهذا كنا في كل مرة يأتي فيها رجل البريد لا نتركه يعود إلا وأعطيناه علبة من الشوكولا، أو من الحلوى على سبيل التقدير.

وكنا نمارس الرياضة مرتين أسبوعياً، لمدّة ساعتين في كل مرة. وكان يأتي إلينا أيضاً مدرّسٌ في اللغة الإنجليزية مرتين أسبوعيًّا. وكنا نصوم يومي الاثنين والخميس.

وقمنا بتشكيل فريق عمل خارج السجن، فقد كان أصدقاؤنا يقومون في البداية

باستقبال الزائرين الآتين لزيارتنا، وكانوا يساعدونهم في كثير من الأشياء كالحصول على تصريح الزيارة من وكيل النيابة.

وكنا نستضيف الزائرين في حالة إذا ما كانوا مجموعات في صالة الزيارة. ففي خلال الأشهر الأربعة التي قضيناها في السجن جاء إلينا أكثر من 30.000 زائرٍ ومن بينهم الزائرون الأجانب.

كما كان هناك بعض الأشخاص الانتهازيين الذين أتوا إلى سجن (بينار حصار)، ليس لزيارة أردوغان بل كانوا يتلكأون في محطة البنزين المجاورة والتي كانت تستخدم كمكان لاستراحة الزائرين، وذلك لتحين الفرصة ومقابلة كبار المسؤولين ببلدية اسطنبول الذين يأتون لزيارة أردوغان لتحقيق منافع شخصية بتملقهم. خاصة أنهم ظنوا أن تواجدهم يظهرهم كمحبين لأردوغان، فيلبي المسؤولون مطالبهم.

وكان يأتي أشخاص للزيارة ولكن يُسجل في الكشوف أنهم غير مرغوب فيهم حيث كان هؤلاء من البيروقراطيين الذين يستهدفون أن يؤثر (رئيس البلدية) السابق على ساحات العمل، أي أنهم يستهدفون مصالح شخصية.

وأنا لن أنسى أبداً زيارتين أثرتا على مشاعر الرئيس كثيراً. الأولى كانت من "سادات" المصاب بمرض في عضلاته وكان بفريق (فنار باهتشه) الرياضي، والأخرى كانت من "قاره حسن" الذي أصيب بكسر في الرقبة وهو يغوص في البحر وأصابه الشلل، وكلاهما جاءَا على كرسيين متحرّكين لزيارة الرئيس.

كما كانت هناك أيضاً زيارات عجيبة. فكان أحد الأصدقاء العاملين بالجمارك يأتي كل أسبوع وفي يده زهرة قرنفل واحدة وعلبة سجائر. وقد توجهت برجاء إلى وكيل النيابة كي لا يصرح له بالزيارة أكثر من ذلك، حيث إن هناك الكثيرين ممن يأتون للزيارة ولا يتسنى لهم مقابلة الرئيس نظراً لضيق الوقت.

أما أكثر زيارة استمتعت بها فكانت زيارة سادة الغجر. فقد تجمع سادة الغجر في (أدرنه) وجاءوا لزيارة السيد أردوغان، وكان مجموعهم تسعة أشخاص. وكانوا يتحدثون بلكنتهم الخاصة، ولم يجد الرئيس غضاضة في أن يتحدث إليهم بلكنتهم الخاصة هذه. وقد تبادلوا الحديث بتلقائية وروح مرحة حتى إننا نسينا أننا في سجن، في الحقيقة، كان يوماً سعيداً للغاية.

ولي مع "ساري لطفي" الذي جاء لزيارة الرئيس واقعة طريفة، إضافة إلى أنه

يعرفني. فقد سألني عن سبب دخولي إلى السجن قائلاً: "ما سبب وجودك هنا؟". فأجبت وتحدثت معه عن موضوع الشيك باختصار، ويا ليتني ما قلت له، لأن ما ذكرته كان سبباً في ابتزازي بعد عدة دقائق.

مدة الزيارة 20 دقيقة وهو أمر معلوم، وبسبب كثرة عدد الزائرين، فإنني كنت لا أسمح لأي زائر مهما كان أن يستغرق أكثر من مدة الزيارة المحددة. أما "لطفي" فأصر ذات مرة أن أجعله يتباحث مع الرئيس لمدة 45 دقيقة، وحينما قلت له إنه أمر غير ممكن، إذا به يُصر. وفي النهاية قال لي: "إما أن تجعلني أتحدث مع الرئيس 45 دقيقة مثلما أريد، أو سأقوم بدفع قيمة الشيك فتخرج من السجن. والاختيار لك!"، ففكرت، وقلت في نفسي إنه قد يفعلها لطفي هذا ويدفع قيمة الشيك، فاضطررت إلى القبول قائلاً له: "تفضل يا عزيزي لطفي".

وحينما أتحدث عن الزيارات فأول ما يتبادر إلى ذهني هو زيارة "مراد أقصو"، وفي ما يلي قصة الزيارة:

جاء إليّ "مراد أقصو" بعد أن أنهى زيارته للرئيس، وقال لي: "يا سيد حسن، هناك موضوع أريد أن أتحدث معك بشأنه"، وأكمل قائلاً: "تعلم أن السيد حسن جلال جوزال مثله مثل السيد أردوغان قد تم الحكم عليه في قضية رأي، والحكم قد تم التصديق عليه. وسيدخل السجن بعد خروجكم بفترة قصيرة. وبقدر ما رأيت، فإن هذه الغرفة منظمة إلى حدٍّ كبير، وأرى أن يأتي إلى هنا لقضاء فترة عقوبته. فما رأيك؟ أيبدو ذلك معقولاً؟".

فقلت له: "معقول".

قال: "حسناً، ولكن هل يمكنه الاعتماد على شخص أمين وعاقل يساعده خلال الفترة التي سيقضيها هنا؟".

فقلت: "أظن أن هناك أحد الأشخاص يصلح لذلك". وذكرت أنه من (غازي عنتب) ومن قادة المساجين وطلبت من البعض أن يستدعوه.

وكان "محمد" هذا يبلغ من الطول 185 سم، وهو شاب شجاع وقوي وعاقل ومن المساجين الشباب المحكوم عليهم حديثاً. وعندما جاء قمت بتعريفه إلى "مراد أقصو" بنفسي، وتحدثا سوياً لفترة. وعندما انتهى الحديث بينهما انصرف إلى غرفة سجنه.

وقال مراد أقصو: "يبدو عليه أنه إنسان جيد، لكنني لم أسأله، بأي تهمة جاء إلى السجن؟".

فقلت: "بتهمة التصدير".

قال: "نعم قدم أوراقاً خاطئة أو زور في المستندات؟".

فقلت: "لا يا سيدي، لا علاقة لما ذكرت بسبب دخوله إلى السجن، إنما هذا الصديق دخل السجن بسبب (تصدير الهيروين)".

حينما سمع "محمد" ذلك اندهش بشدة، ثم انتابته حالة من الضحك الهستيري.

فقلت له: "يا صديقي، ما الذي يضحكك في هذا الأمر؟ إن هذا المكان سجن، وهذا هو أحسن صديق يمكنني أن أقترحه عليك. أما إذا كنت ستطلب أن يكون طبيباً أو مهندساً كالأمهات اللواتي يبحثن عن أزواج لبناتهن فهذا ليس المكان المناسب لذلك".

استمر "حسن يشيلداغ" في الحديث وهما في نفس المكان:

"إنني حينما جئت من سويسرا جلبت معي أطعمة للإفطار تملأ حقيبة كبيرة. إلا أنني اضطررت لأن أقوم بتوزيعها على المساجين.

كنت أريد أن يكون إفطار أول صباح لنا إفطاراً مميزاً. لهذا أعددت مائدة الإفطار بعناية شديدة، ودعوت الرئيس. وحينما رأى المائدة قال: "ما هذا يا حسن؟ احمل هذا الطعام من هنا الآن! وانتبه جيداً كي لا يكون على المائدة أكثر من ثلاثة أنواع من طعام الإفطار بخلاف الخبز".

كان من الواضح أنه لم يتأثر بأي نوع من أنواع الطعام خاصة أنواع الجبن والزبدة والمربى التي وضعتها على المائدة بعناية بالغة، ورفض أن يجعل إفطارنا الأول مشتملاً على هذه الأطعمة اللذيذة.

ولم أقل سوى ما يمكنني قوله آنذاك: "فليكن يا رئيس!".

لقد وافقته وفعلت ما بوسعي في هذا الشأن، ومرة أخرى قلقنا بشأن الأطعمة التي يجلبها الزائرون معهم. فقد كان توزيع هذه الأطعمة على المساجين بالتساوي أمراً صعباً.

ولهذا طلبنا من الزائرين بأن يحضروا معهم الكتب فقط إن أصروا على إحضار شيء حتى كانت المكتبة التي أنشأناها في طابق الإدارة تزداد فيها أعداد الكتب

مـع مـرور الأيـام. وعنـد خروجنـا من السـجن كان سـجن (بينار حصـار) قد امتلك مكتبة كبيرة.

وذات يوم أخبرنا "أرهان شـانول" أن صاحب مطعم (قومور) يريد أن يرسـل لنا وجبة سمك...

فقلت لصديقي: "هذا لا يمكن. فالسمك له رائحته المميزة. إذا كان السمك سيكفي كل المساجين فلا مشكلة، أما إذا كان يقصدنا نحن فقط فلا يمكننا القبول!".

إننا نحقق العدالة هنا حتى في أبسط الأشياء. فما نأكله، يأكل منه المساجين. وما نرتديه من ملبس، يرتديه المساجين. ومن ليس معه نقود نعطيه. والمريض منهم نرسـله للعلاج بالمستشـفى. وإن لم تفعل ذلك، فسـيحقد عليك الرجال، ويكيدون لـك، وينتهـزون أقـرب فرصـة للتخلـص منـك. ففـي الغرفـة المجاورة يوجد سـبعة مسـاجين منتسـبين لحزب (العمال الكردسـتاني)، وفي الغرفة المقابلة هناك خمسـة مساجين منتسبين لحزب (ديار بكر) الشعبي، والغرف الأخرى مماثلة.

ومع إصرار "أرهان شـانول" قبلتُ. فأتوا بحافلة متوسـطة، كان فيها موقدان يعملان على الغاز. وكانوا ينوون القيام بطهي الأسماك بالخارج ثم إدخالها لمن في داخل السـجن. لكن الرياح كانت في ذلك اليوم شـديدة، ولهذا لم تشـتعل المواقد جيداً من شدة الرياح. فقلت لهم أدخلوا المواقد داخل السجن!

نـادلان، وطباخـان، وموقـدان، والأطبـاق، والمعـدات، الـكل بالداخل! وكلما انتهـى الطباخـان مـن طهـي الطعـام، قدمه النادلان إلى المسـاجين وكنا نأكل جميعاً بشهية كبيرة.

كان وكيـل النيابـة قـد عـاد هـو الآخـر من مهمته الاسـتطلاعية، وحدثته نفسـه للمرور على السـجن كي يستطلع الأحوال. فقمنا بدعوته هو الآخر على الطعام. وبينما كان الطعام على وشك الانتهاء، فإذا بوكيل النيابة يسأل قائلاً:

- هذان الصديقان من أي غرفة في السجن؟
- من تعني؟
- إنني أسأل عن هذين الاثنين (وأشار بيده) اللذين يرتديان قميصين ويضعان ربطتي عنق.
- آه! أتقصـد هذيـن؟ إنهمـا نـادلان يـا سـيدي وكيل النيابـة. إنهما هنا لتقديم

خدمة الطعام، وليسا من المسجونين.

- ماذا؟ أأتيتم برجال من خارج السجن إلى هنا؟ أتقصدون ذلك؟

- إذا كان السمك جاء من الخارج، فمن الضروري أن يأتي النادل...!!

ولم يعطني فرصة لاستكمال كلامي، ونهض فجأة ونزل للطابق السفلي، وحينما رأى الطباخَين والموقدين والمعدات اشتد غضبه وقال: "إنكم ستجلبون المشاكل لتقع كلها فوق رأسي. أي عدم مسؤولية هذه يا أخي؟!" وكان يتحدث ويصرخ بصوت عالٍ لدرجة أنه لو سمع صراخه أحد من خارج السجن لظن أن هناك تمرداً داخل السجن.

وحينما بدا عليه شيء من الهدوء أردت أن أقول له: "يا سيادة وكيل النيابة، إننا انتهينا من تناول الطعام، سيجمعون أشياءهم ويذهبون حالاً، لا تقلق نهائياً"، إلا أنني لم استطع أن أوجه له الحديث لغضبه الشديد.

وفي الحقيقة، لم يكن يهمني أحد ولا أخشى أحداً قط ولكنني كنت أخشى أن يستغل هذا الرجل سلطته ويمنع عنا بعض الأشياء. أو بمعنى أصح، أن يفسد النظام الذي أسسته هنا، وسنصبح حين ذلك في مهب الريح.

فنظرت إلى السيد أردوغان، فإذا به على درجة كبيرة من الهدوء، ويشاهد من المكان الجالس فيه ما نحن بصدده ويبتسم.

وبينما كانت الأمور تسير بشكل طبيعي، لم يشغل ذهني سوى ذلك الرجل (رجل الاستخبارات المشؤوم) الذي قابلته في سويسرا، والذي كان السبب الرئيس في مجيئي على هذا النحو إلى تركيا. فليس من اليسير نهائياً تحديد ممن ومن أين سيأتي الخطر. فكنت مضطراً للاشتباه في أي شخص ومن أي شيء.

وذات يوم جاء شاب محكوم عليه إلى السجن. وكان ذا بنية رياضية، وطويلاً إلى حد كبير. فتفحصت ملفه، فإذا به معاقب بالسجن لأنه (قاوم موظفاً في أثناء تأدية وظيفته). فطلبت من رئيس المساجين أن يضع كاميرا في ركن ما حتى نسجل لهذا الشاب كل شيء حتى مكالماته، ونبهته أن يضعه نصب عينيه ولا يغفل عنه. وكان الغريب في الأمر أن كل الزائرين له من الشباب ذوي البنية الرياضية مثله.

وبعد فترة شعر هذا الشاب بأن الأمور لا تسير بشكل طبيعي نحوه، فجاء إليّ ووضح الأمر بأنه أحد متخصصي الدفاع عن النفس، وأن زائريه هم من تلامذته

في الصالة الرياضية التي يمتلكها.

وسجين آخر ممن انتابني الشك حولهم كان شاباً قال إنه أنهى خدمته العسكرية حديثاً. وفي أول يوم له بالسجن جاء إليّ وقال لي إنه يريد أن يكون في خدمة السيد أردوغان، ولو أنني سمحت له بطلب أن يقيم معنا في الغرفة نفسها. وأظهر وثيقة عضويته في تشكيلات (صقور المقاطعة) التي كانت موجودة في عهد حزب الرفاه كي يؤكد كلامه. وبحثت في الأمر فوجدته شخصاً غير معروف.

طلبت ملفه من رئيس المساجين، ونظرت فيه فوجدت أنه قد تم الحكم عليه بسبب (عدم إطاعته الأمر العسكري)، وفي الوقت نفسه وجدت أن الحكم الصادر عليه هو أربعة أشهر. وقد تفهم رئيس السجن أمرنا، ولم يرد أن يزعجنا، حين طلبنا منه ألا يخرجه من غرفته بخلاف أيام القراءة.

كان أساس المشكلة التي أعيشها يكمن في أن موظفي حماية الأفراد الذين يأتون لسجن (بينار حصار) كانوا يأتون من سجون أخرى. ولأنهم قادمون من الخارج، فليس من الممكن أن نتعرف على كل منهم أو على ظروفهم، وكان هذا الوضع يسبب لي حالة من القلق والضيق.

وكنت أعرف أن حرصي بهذه الصورة يسبب لي بعض المشاكل أحياناً، ومع ذلك كنت متيقظاً بشكل دائم لمعرفتي ما قد يجلبه علينا عدم الاحتياط. وكان تيقظي بهذه الصورة ليلاً ونهاراً يعرضني للتعب أحياناً.

ذات ليلة سمعت صوت خشخشة تأتي من الحديقة، فانتبهت جيداً، فكانت الخشخشة تأتي على فترات قصيرة. حتى إن هذا الصوت أثار انتباه السيد أردوغان.

وكانت الحسّاسات الموجودة في الحديقة تصدر أصواتاً في حالة وجود أي حركة بالقرب منها. إلا أن الإنذار لم يعمل. فكان لهذا الوضع تفسير واحد عندي وهو أن النظام الذي وضعته في الحديقة تم تعطيله.

فقلت متمتماً بيني وبين نفسي لقد جاءوا! عندما وجدوا أن كل المحاولات التي قاموا بها سابقاً قد ضاعت هباءً، فقد أرسلوا هذه المرة (فريقاً). فانتزعت أضخم سكين لدينا نستعملها في تقطيع الطعام، وتمركزت خلف الباب المطل على الحديقة، وكان الرئيس يراقبني باهتمام وهو جالس يقوم بأعماله على منضدته.

انقطع الصوت الصادر من الحديقة، إلا أن الصوت نفسه بدأ يأتي من ناحية

باب الغرفة. فظننت أنهم يعملون على كسر الباب. لقد كنت مضطرباً لدرجة أنني كنت كقوس من الحديد الصلب. ومرة أخرى كنت أنظر إلى السيد أردوغان بطرف عيني، فأراه هادئاً جداً. وكان يشاهدني وهو جالس متكئاً إلى الخلف شابكاً يديه على صدره.

قمت بمسك مقبض الباب بهدوء. وكانت خطتي أن أفتح الباب فجأة وأقوم معتمداً على عنصر المفاجأة بضرب أول من أراه أمامي، وكنت أتوقع أن يكون رجلاً مقنعاً بملابس سوداء، ثم أقوم بالهجوم على الآخرين بالسكين التي أحملها بيدي.

قمت بالعدّ إلى ثلاثة، وصرخت قائلاً: "بسم الله"، وفتحت الباب بسرعة!...

ولم أكن مخطئاً بشأن الدهشة التي ستسببها حركتي المفاجأة هذه. فإذ بفأر من فئران المزارع وقد تجمد أمامي وهو لا يعرف ماذا سيفعل، وكان ينظر إلي، وعيناه ترفّان. وشعرت وكأن هناك زنبرك في قدمي وقد تحرر مرة واحدة حتى صار الفأر تحت قدمي.

مددت رأسي إلى داخل الغرفة وناديت الرئيس:

- إنه فأر!
- حسناً...
- أنا أقتله!

مخطط قتل أردوغان

في السجن!

تعد الشهادة السرية للشهود التسعة الموجودة في الملفات الملحقة بوثيقة الادعاء الثانية للتحقيق في قضية تنظيم الأرغنكون(*) على درجة كبيرة من الأهمية.

فها هي شهادة لشاهد سري اسمه الكودي "حصار" موجودة في الملفات الملحقة بوثيقة الادعاء الثانية يقول فيها ما يلي: "إن أردوغان كان سَيُقتل في سجن (بينار حصار). وقد تم تحديد سجينين باسم "رمزي" و"فاضل" لتنفيذ جريمة الاغتيال هذه. إلا أنه تم التراجع عن الاغتيال في آخر لحظة. لكنني لا أستطيع الجزم إن كانا سيقتلانه بنفسيهما، أم سيساعدان قاتلاً آخر لأداء المهمة...".

الأقوال التي ذكرها "حصار" ووقّع عليها عندما دخل السجن بتهمة عادية كانت كالتالي: "حينما كنت في (قيرقلارآلي) تعرفت على مصطفى دويار. ثم بعد ذلك دخل "ودات ارجين" إلى السجن. ووصل إلى مسمعي أن بعض الأشخاص سيقتلون دويار. فنقلت الموضوع إلى إدارة السجن، إلا أنهم لم يتخذوا أيّ تدابير وقائية. ثم هددني "ارغين" ورجاله. وفي تلك الأثناء، أراد "دويار" أن ينتقل إلى سجن آخر،

(*) تنظيم الأرغنكون: هو تنظيم إرهابي تم اكتشافه في نهايات عام 2007م، ويضم عناصر من السياسيين والإعلاميين، وعدداً من أساتذة الجامعة، وقادة وضباطاً في الجيش التركي. وحسب ما نُشر عن التحقيقات التي جرت مع المتهمين في هذا التنظيم، فهو تنظيم استهدف الانقضاض على حكومة حزب العدالة والتنمية، ودعوة الجيش للقيام بانقلاب عسكري ضدها من خلال إشاعة الفوضى والإرهاب في عدد من محافظات تركيا، وإثارة بعض المجموعات والكيانات السياسية ذات المطالب الخاصة في تركيا وتحريضها. ولا تزال التحقيقات مستمرة في هذه القضية التي يعتبرها الأتراك قضية القرن الحادي والعشرين، إذ تكشف التحقيقات يوماً بعد يوم المزيد من المتهمين والمتورطين في هذا التنظيم، والعديد من الوثائق والأدلة والتسجيلات الخطيرة.

وبالفعل ذهب إلى (أفيون). إلا أن رجال "ارغين" قتلوه في سجن (أفيون). وكان أردوغـان مسـجوناً فـي سـجن (بينـار حصار) بمحافظة (قيرقلارآلـي). وعندما حان موعد تعيين رؤسـاء المسـاجين في سـجننا جاء الدور على فاضل ورمزي. وأعلن هذان الشخصان عن نيتهما لقتل أردوغان. حتى إن أحد رؤساء المساجين ويدعى "ظفر" ذكر ذلك، إلا أنني سمعت منه أيضاً أنهما تراجعا عن قتل أردوغان". (مجلة ستار، مجلة بوغون، 29/ 4/ 2009).

آخر مساء في السجن

هذا هو آخر يوم لأردوغان في سجن (بينار حصار). فعند الساعة الثانية عشرة مساءً أتم مدة الأشهر الأربعة المحكوم عليه بها.

بدأ السيد أردوغان في الاستعداد للخروج. فمن ناحية، كان يتم عمل الإجراءات الإدارية، ومن ناحية أخرى كان يتم جمع المتعلقات الشخصية لأردوغان. توجه "مصطفى غوندوغان" إليه بالقول: "يا ريِّس! الحمد لله لقد انتهى الأمر. وستستمر في طريقك وكأن شيئاً لم يحدث، وإن شاء الله سوف تكون ذات يوم رئيس وزراء لهذه الدولة، لكننا آنذاك لن نكون بجانبك...".

وكان السيد أردوغان سعيداً لأنه سيحصل على حريته مرة أخرى بعد عدة ساعات. فابتسم ونظر إلى "مصطفى" وقال له: "اسمع مني هذه الكلمات يا مصطفى، إذا قُدّر لي أن أكون رئيس وزراء تركيا ذات يوم، فأول شخص سأتحدث إليه سيكون أنت!".

تمتم "مصطفى غوندوغان" بكلمات لنفسه قائلاً: "ربما بسبب سعادتي الغامرة بخروج الريِّس قد قلت كلمة أكبر من قدري". إلا أنه كان سعيداً جداً لكون السيد أردوغان قد قابله بهذا الرد المشجّع.

تمت الترتيبات، وكنا ننتظر ساعة إطلاق السراح.

وبينما كانت عقارب الساعة تشير إلى منتصف الليل، إذ بكل الأنوار الموجودة داخل السجن قد انطفأت فجأة لأن وكيل النيابة كان قد تلقى خبراً بأن هناك محاولة لقتل أردوغان، فاتخذ عدداً من التدابير أولها أن أظلم السجن. وكان التدبير الثاني أن يجعل السيد أردوغان يرتدي سترة واقية من الرصاص، وكذلك إخلاء سبيله من الباب الخلفي للسجن.

لم يعترض أردوغان على إخلاء سبيله من الباب الخلفي، لكنه لم يقبل ارتداء

السترة الواقية على الرغم من كل المحاولات لإقناعه.

وبعد أن صلى ركعتي شكر لله، عاد إلى "حسن يشيلداغ" وقال له: "أنا هكذا قد ارتديت السترة الواقية الحقيقيّة. يمكننا الآن الخروج...".

كان أردوغان في الأيام التي طغت عليها السلبيات واحدة تلو الأخرى يقول في سرّه مرات عديدة: "فقدت عملي الآن. فلأبحث في التجارة عن مورد رزق". إلا أنه لم يفكر قط في أن ينسحب من الحياة السياسية.

فقد كان أردوغان منخرطاً في العمل السياسي منذ أن كان في العشرين من عمره. والعجيب أنه عندما بلغ سن الخامسة والأربعين أصبح شخصاً (محظوراً) وممنوعاً من العمل السياسي. ووفقاً لما يتواتره الإعلام: لا يمكنه أن يُنتخب حتى كعمدة لقرية.

وأهمية هذه التصريحات تنبع مِن معرفة مَن قال ذلك، وما الهدف من ورائه قطعاً... سوف يُصغي إلى الصوت الذي بداخله. فثمة صوت داخل أعماقه، هو صوت الأمل والابتلاء، وهذا الصوت يقول له: "مهما طال الليل، فلا بد من طلوع الفجر، فاصبر ولا تيأس!".

وكان دوماً يتذكر ما قاله للناس قبل دخوله السجن مباشرة:

"وإنني خلال الأشهر الأربعة التي سأقضيها في السجن سأنشغل بتقييم المشروعات التي طالما قمنا بها حتى هذه اللحظة. وهذه المشروعات إنما تشترك في هدف واحد؛ وهو أن نصل بوطننا وأمتنا في مجالات الاقتصاد، والصحة، والتعليم، والعلم، والإدارة المحلية، والرياضة، وحقوق الإنسان، والتكنولوجيا، والدفاع، والعلاقات الدولية بما يتناسب مع معدلات الألفية الثالثة ويليق بها. لذلك أريد أن أرسل رسالة إلى كل أطفالنا وشبابنا ممن في المدرسة الابتدائية إلى الجامعة. إن تركيا سوف تصبح بحلول عام 2000م بلدكم الجميل والمستنير، إلا أن هذا يقتضي منا جميعاً العمل المتواصل. وإنني أعدكم بالأصالة عن نفسي بأنني سوف أعمل كثيراً بالداخل كما كنت أفعل بالخارج. وأنتم فلتجتهدوا جيداً في مدارسكم. ولتتمنوا ما شئتم، ولكن عليكم بالاجتهاد بالقدر الذي يوصلكم

فـي النهايـة إلـى تحقيـق أحلامكـم هـذه. اجتهـدوا جيداً لتكونوا مهندسـين جيدين، وأطباء أكفاء، ومعلمين مهرة، وإداريين محنكين، وحقوقيين عادلين، نعم حقوقيين عادلين، وأكررها ثانية... حقوقيين أكفاء. فأنا الآن ذاهب لأداء واجبي، وأنتم فلتؤدوا واجباتكم جيداً".

فعلى الرغم من الرؤية التي رآها بأنه يسقط في أعماق بئر مظلمة مثل يوسف الصديـق عندمـا ألقـي فـي غيابـة الجب، ورغـم أنه تعرض لمضايقات لا حصر لها، إلا أنه لم يفقد الأمل مطلقاً حتى في أحلك الظروف وأكثرها صعوبة.

وحينما كان أردوغان داخل السجن كان منكبًّا على العمل ليل نهار في مشروعه الذي يحلم به من أجل تركيا وعنوانه "تركيا مستنيرة وجميلة"، فكان دائم القراءة، وكانت هناك أيام محددة كل أسبوع يتناقش فيها مع أصدقائه حول (الوطن). فقد اسـتطاع أن يحـول بإيمانـه وتوكلـه وعزمـه هـذه المحنـة إلى منحة، ولم يترك نفسـه فريسة لليأس والانهيار، وكان يعد نفسه ويجهزها من أجل العمل (لمصلحة تركيا).

بدأ أردوغان يفكر في إنشاء حزب جديد عندما كان بالسجن، يقول عن تلك الفكرة التي راودته لأول مرة هناك:

"لقد فكرت بالطبع في الوصول إلى أعلى منصب سياسي (رئاسة الوزراء ورئاسـة الجمهورية) كأي شـخص يشـتغل بالسياسـة. ومع تفكيري هذا لم أحاول القفـز علـى المسـار الطبيعـي للبناء السياسـي، منتهجاً الأصـول والمبادئ التي كنت قـد بدأتهـا فـي العمـل السياسـي. ففكـرت لأول مرة عندما كنت بالسـجن في صوغ رؤية سياسـية جديدة تختلف عن رؤية حركة الفكر الوطني... فقبيل إغلاق حزب الرفاه تم إجراء اسـتطلاع للرأي بين الأعضاء حول إنشـاء حزب جديد ومن يقوده وكانت النتيجة أن هناك 85 بالمئة ممن يؤيدون أن أكون أنا قائد هذا الحزب الجديد المقترح إنشاؤه. والجميع يعلمون ذلك مثل علمي به. وقد تم عقد اجتماعات في (أنقـره)، وأقـر المنضمـون لهـذه الاجتماعـات أن أكون أنا الرئيس العام لهذا الكيان الجديد الذي يفكرون في إنشـائه. وقلت وقتها إنني سـأعمل بجد وبقدر ما يلقى على عاتقي. وعلى الرغم من ذلك، فقد رغب الأستاذ أربكان في أن يتولى رئاسة الحزب السيد رجائي؛ فكان وقتها يبحث عن شخص تابع ينفذ ما يأمره به أكثر من شخص ينمّي الكيان الجديد ويطوره. ولولا هذا ما تطورت الأمور بتلك الصورة.

وكانت الظروف آنذاك مواتية".

أربكان قال "السيد رجائي".

لقد دخل أردوغان السجن، إضافة إلى أنه تم منعه من العمل السياسي.

وكان يدور في رأس الجميع آنذاك سؤال واحد فقط: هل سيتراجع مستسلماً أم سيواصل مسيرته؟

وفي الحقيقة، إنّ أردوغان حينما كان يقوم بتقييم الفترة التي قضاها في السجن - في إطار برنامج محدد - فإنه يكون قد أجاب على هذا السؤال بالفعل. فالاستعدادات التي قام بها تشير إلى أنه سوف يستمر في مشواره السياسي.

إن أصدقاءه الذين لم يتركوه قطّ هم أول من فطنوا إلى ثبات أردوغان وتصميمه على إكمال مشواره. وكان أول ما فعله بعد خروجه من السجن هو البحث عن مكتب مناسب.

ومن بين البدائل المتاحة وقع اختياره على مخزن إحدى شركات المواد الغذائية، فهو يقع في مدخل المنزل الذي يقطنه السيد أردوغان، وجاهز للاستخدام إلى حد كبير. وبالفعل تم تفريغ المخزن خلال فترة قصيرة، ولم يستغرق الأمر طويلاً للقيام ببعض التعديلات فيه ليتحول هذا المكان إلى مكتب يمكن استقبال الضيوف فيه، ويمكن للسيد أردوغان أن يمارس فيه أعماله.

وكون المكتب يقع في المكان نفسه الذي يقطن فيه السيد أردوغان فإن ذلك يُعد ميزة كبيرة له. إذ إنه ليس مضطراً إلى الخروج في ساعة محددة من منزله، وإلى التعرض للمشقة حتى يصل إلى مكتبه، إضافة إلى سهولة وسرعة وصوله للمنزل إذا شعر بالتعب، أو انتهى من عمله، أو لم يكن هناك عمل.

التقليديون والتجديديون... فصام نكد

لم تكن الأيام الأولى بعد خروجه من السجن سارة بالنسبة إليه. فقد قلت كثافة العمل عما كانت عليه في الأيام الماضية، وهدأ نشاطه بصورة شعر بها كل من كانوا يأتون لزيارته.

يتذكر "مصطفى غوندوغان" تلك الأيام بقوله: "كانت الأيام تتسربل منا كشاي نقوم بإعداده ونصبه ولا نشربه". ويسترسل في الحديث معبراً عن مدى حرصه وحق الأصدقاء كي يكونوا بجانب الرئيس: "كنت أتصل بالأصدقاء أيام الجمعة، وأقول لهم فلنصلِّ صلاة الجمعة في المسجد الكبير بقاسم باشا حتى لا يشعر الرئيس بالوحدة".

وما ذكره أيضاً "إدريس جوللوجا" لا يختلف كثيراً عما قصّه "مصطفى غوندوغان" عن تلك الأيام، فهو يقول: "كان هارون يبعث لنا برسائل يقول فيها (سنكون في المكان كذا في يوم كذا). وكان عددنا لا يتجاوز العشرين شخصاً في أكثر الأيام حضوراً. وكان هذا الوضع صعباً عليّ، حتى إنني في بعض الأيام كنت أجلس وأبكي من القهر الذي نتعرض له".

ويحكي "حسن يشيلداغ" حدثاً متعلقاً بتلك الأيام فيقول: "قال السيد أردوغان في أحد الأيام بعد أن خرج من السجن إنه سيحضر حفل زواج في (قيرقلارآلي). وقررنا أن نرافقه إلى هذا الحفل. وبالفعل خرجنا معاً في ست سيارات أو سبع متجهين إلى (قيرقلارآلي).

وكانت هناك سوق بجانب صالة الأفراح، فذهب السيد أردوغان مع شخصين أو ثلاثة إلى العرس، أما نحن فبدأنا في التجول بالسوق حتى نضيّع الوقت.

وهناك رأينا عدداً من البائعين يقومون بتدفئة أنفسهم بنار أشعلوها داخل وعاء، وكانوا يقفون حول الوعاء المشتعل خلف إحدى مناضد العرض، حتى ينالوا الدفء من ناحية ويتناولوا زجاجات الجعة الموضوعة أسفل المنضدة من ناحية أخرى.

وعندما وصلنا إليهم ألقينا عليهم السلام. فسألنا أحدهم وأثر البرد بادٍ عليهم جميعاً قائلاً: "من أين أتيتم يا سيدي؟ وما هذه القافلة من السيارات التي أتيتم بها إلى هنا؟".

فأوضحنا لهم الأمر بأن أردوغان جاء إلى هنا للمشاركة بأحد الأفراح، وأننا مرافقوه، وسنعود جميعاً بعد العرس إلى اسطنبول.

وحينما سمع الرجل أننا من أصدقاء السيد أردوغان، إذ بعينيه وقد تلألأتا وتفجرت مشاعره وقال لنا متحمساً: "قل له يا سيدي! ليؤسس حزباً حتى نسير خلفه".

وبصفة عامة لم تستمر هذه الأيام على هذا المنوال طويلاً. فلم تكن هناك نية للسيد أردوغان في أن ينزوي في أحد الأركان أو أن يترك نفسه لسير الأحداث.

كانت بين يديه قائمة بأسماء الذين كانوا يأتون لزيارته وهو في السجن، وكان سيقوم برد كل هذه الزيارات لأصحابها.

وقد فطن في أولى زياراته هذه إلى مدى صحة هذا القرار الذي اتخذه. فكان حينما يذهب لزيارة عدة أشخاص في مدينة من المدن يتقابل مع مئات الأهالي، وكان هذا العدد يزداد بسرعة مدهشة في كل الزيارات التي قام بها بعد ذلك.

وقد كان محباً لهذه الاجتماعات والتي بدأت مع مرور الوقت تتخذ صورة مؤتمرات شعبية، بينما كان النظام يعمل على جذب أردوغان نحو المحاكمات التي أعدها له على أمل أن يصاب باليأس وتفتر همته لوجوده بالسجن، ولكنه استطاع أن يصل بصبره وتماسكه ومعركته ضد الظلم إلى كل فئات الشعب، حتى إلى أصحاب المهن والحرف. إن (أسطورة طيب أردوغان) استطاعت أن تنتشر في (الأناضول) بأكملها كما لو كانت لهيباً ثوريًا.

وفي تلك الأثناء، كان حزب (الفضيلة) يغلي من الداخل. وكان يعيش وللمرة الأولى حالة تصدع وتخبط واضحة في ثقته بحركة الفكر الوطني. وعلى الرغم من وجود أعداد تدعم الحزب في استمرار سياساته التقليدية، إلاّ أن هناك مجموعة كبيرة كانت تدافع عن وجهة نظر تدفع الحزب نحو الانخراط في المجتمع بشكل أكثر فاعلية خلافاً لسياسات حزب الفضيلة، وأنه يجب الالتفاف حول تكتل جديد بوجوه أكثر شباباً.

هذان الاتجاهان الموجودان منذ تأسيس حزب (الفضيلة) كانا على الدرجة

نفسها من الثقل؛ ولهذا السبب لم يكن من الممكن أن يطغى واحد منهما على الآخر، أو أن يستطيع أحدهما إخفاء صوت الآخر تماماً. ومن ثم كان الموقف يسير نحو بقاء أحد هذين الاتجاهين وخروج الآخر تماماً من حلبة الصراع الداخلي.

وعندما تتناول وسائل الإعلام هذين الاتجاهين المختلفين داخل حزب (الفضيلة) كانت تستخدم تعبيري (التقليديين) و(التجديديين).

وإن 28 فبراير/شباط قد انتقدت بفظاظة كل ما يتعلق بالدين والتدين بصورة واضحة في تركيا. وعلى النقيض من ذلك، لم تتمكن إدارة حزب الرفاه من تطوير لغة للمقاومة، ولا من حماية كرامة منتسبي الحزب وعزّتهم أيضاً، ولا من طرح أفكار تجعل حالتهم المعنوية في وضع أفضل.

وكانت هناك مجموعة من الحزب لم تقبل التغاضي عن هذا الوضع، وكانت ترغب أن يكون في الحزب الجديد المزمع إنشاؤه فريقٌ أكثر تأثيراً مؤلف من الشباب الأكثر حرية والأكثر ديمقراطية والأكثر انفتاحاً على العالم، متمنية ألا تتكرر فيه الأخطاء القديمة.

وكان "نجم الدين أربكان" يفكر في أن تستمر سلطته القديمة - التي لا جدال عليها - بمساعدة فريق عمله القديم. لهذا وعلى عكس المتوقع تماماً اتجه نحو بناء الحزب الجديد بالمفهوم الجديد نفسه، وبهذا فإن "أربكان" قد أعطى المؤشرات الأولى حول طريقة إدارة حزب (الفضيلة) وأنها سوف تستمر بالمفهوم التقليدي.

وبصراحة كان "أربكان" سعيداً بإدارته الفردية لحزبه (الصغير والجميل). ولهذا كان ينزوي عن الشباب الذين يرغبون في (التجديد). وعلى حد تعبير "مصطفى شاهين": "كان أستاذنا أربكان قائداً من دون قيادة حقيقية للحزب. فقد أنشأ كتلاً شبابية تحت سقوف العديد من المؤسسات مثل الاتحاد الوطني للطلبة الأتراك، ووقف الشباب الوطنيون على أساس (الأخلاق والمعنويات أولاً). إلا أنه وفي الوقت نفسه كان يريد من الشباب أن يظلوا (شباباً)، وفضّل أن يبقيهم بعيداً عن مرجعية اتخاذ القرار".

ويتحدث "بولنت أرينتش" عن تلك الأيام باعتباره واحداً من الداخل:

"حينما تم إغلاق حزب الرفاه بدأ الجميع في رفع أصواتهم. حتى أولئك الذين كانوا يدينون بالطاعة التامة لأربكان شرعوا في الحديث عن مطالب الجميع

أخيراً. وكان موضوع النقاش يتمركز حول السؤال: هل يتم إنشاء حزب جديد أم لا؟ وهل سيكون المؤسسون جدداً من أجل التخلص من المشهد القديم أم سيكونون مختلطين؟

وكان أهم سؤال هو: من سيتولى الرئاسة العامة للحزب؟ وكانت قناعة المجموعة على كل مستوياتها واحدة: يجب أن يكون رئيس الحزب الجديد هو أردوغان.

وبينما كنا نتناقش بهذه الصورة، إذ بنا نسمع أنه يوجد حزب جديد تم تأسيسه باسم حزب (الفضيلة).

ولقد وصل إلى مسمعي أن هناك من مارس ضغطاً على بعض الأصدقاء لينضموا إلى هذا الحزب، ومع ذلك لم يأتني أحد إلى الآن. حتى إنني أردت تحديد موعد مع السيد "رجائي" حينما سمعت أن أصدقاء مقربين - مثل: "عزمي أتش"، و"إسماعيل قاهرامان" - قد انضموا إلى هذا الحزب الجديد. وكان السيد "رجائي" آنذاك أحد نواب الشعب مثلنا تماماً. ولكن كان معلوماً أنه سيصبح رئيس الحزب في أولى جلساته العامة، وستسير الأمور باسم "أربكان". وكان الرئيس العام المؤسس للحزب هو "إسماعيل ألب تاكين"، ونحن نعرف السيد "إسماعيل" جيداً، فهو رجل هادئ ومحترم، لكنه ليس الشخص الذي يصلح للقيام بالرئاسة. فسألت السيد "رجائي" مباشرة وقلت له: "هل صحيح أننا سنكوّن حزباً جديداً، أم إنّ كل شيء سيكون كما كان في حزب الرفاه؟". فقال لي: "سنكوّن حزباً جديداً". وبلا حيلة أصبحنا أعضاء في هذا الحزب الجديد. وأقول بلا حيلة لأن هذا لم يكن ما تمنيناه أو ما انتظرناه.

قبل كل شيء كنا قد بدأنا جرحى من الناحية (الشكلية) على الأقل، لأن حزب (الفضيلة) لم يكن يختلف عن حزب الرفاه من حيث المؤسسين ومن حيث الشعارات المستخدمة. وكان متوقعاً أن نتجه للمحاكمة بتهمة (استمرار عمل حزب مغلق).

والحقيقة أن مفهوم حزب الرفاه كان قد تلقى طعنات عميقةً سواء أكان ذلك قبل 28 فبراير/ شباط أم بعده. إضافة إلى أن أساليبنا كانت تشير إلى أننا لم نستطع قراءة 28 فبراير/ شباط بشكل صحيح.

ولـم يكـن مـن الممكـن للحـزب أن يـدار فـي العهـد الجديد مـن خلال إدارة (الرجـل الواحـد). وعـلاوة علـى أن الحـزب كان بمنأى عن أسـتاذنا "أربكان"، كان "أربكان" يريد أن يديره من خلال التعليمات الصادرة منه لإدارة الحزب.

إن "أربـكان" إنسـان محـب للسـلطة، وقيادتـه فرديـة لا تحتمـل المناقشـة... فـلا يسـتطع أي شـخص أن يقـول كلمـة غيـر كلمتـه. وحينمـا يقـول "أربـكان" في الاجتماعـات: ليعبـر الجميـع عـن وجهـات نظرهـم، فـإن ذلـك له ثلاثة تفسـيرات. الأول: أن يكـون الشـخص الـذي سـيتحدث يعلـم وجهـة نظر "أربـكان" أو يتوقعها ويعبـر عنهـا، فينـال إعجابـه. والثانـي: أن يتحدث الشـخص بعد "أربكان" ويكرر ما قاله في حديثه بصورة أخرى. أما الثالث: ألا يتكلم الشـخص نهائياً. وكانت هناك وجهة نظر رابعة للتعبير عن الرأي وكانت خطيرة؛ حيث يتناول المتحدث الموضوع بأسـلوب نقدي مثلما كنت أفعل أنا والسـيد أردوغان، ومن الطبيعي أن ذلك كان لا يقابل بالاستحسان أبداً.

ووضعنـا كل ذلـك فـي الاعتبـار، وقمنـا بـأول خروج عـن النص في انتخابات نواب رئيس المجموعة. إذ رفضنا قائمة الأسماء الموجودة أمامنا والتي يقال عليها (الأسماء التي يريدها أستاذنا)، ورشحنا أنفسنا.

وحينما ارتفعت الأصوات بالاعتراض لم نصمت نحن أيضاً وقلنا: "إننا أيضاً نواب عن الشعب بداخل هذا الحزب، ونستخدم حقوقنا الشرعية".

اضطر السيد "رجائي" إلى إجراء الانتخاب بهذه الصورة. ونتج عن ذلك أن استحوذ أصدقاؤنا على كل الوظائف. فازددنا ثقة بأنفسنا قائلين: (لقد تحقق). حتى إن البعض من أصدقائنا بكوا في ذلك اليوم، فقد وفقنا في أولى تجاربنا.

ومنذ ذلك اليوم، تسارعت أعمالنا وعبّرنا بكل صراحة عن رغبتنا في المشاركة في إدارة حزب (الفضيلة). وخرجنا إلى أرض الواقع، بينما كانت أعمالنا مستمرة في (أنقره)، وتجولنا في (الأناضول) ومررنا بها شبراً شبراً على صورة مجموعات منفصلة.

كانـت فاعليـات المؤتمـر تقتـرب. وعندمـا رأى الطـرف الآخر أن قوتنا تتنامى يوماً بعد يوم قام بالضغط علينا. فلم يكتفِ بمفتشيه، وإنّما شكّل أيضاً (مجموعات للمراقبة). وكان "أربكان" يستدعي نوابه ويتناقش معهم".

المرشح لرئاسة الحزب... من؟

يستمر "بولنت أرينتش" في سرده للأحداث:

"أصبح علينا أخيراً أن نحدد وبصورة نهائية مرشحنا للرئاسة العامة، حتى إن الاجتماع انتهى ونحن لا نزال نحتسي الشاي. وكنا في صالة كبيرة، وهناك قال لنا الأصدقاء: أنتما الاثنان انتقلا إلى الغرفة المجاورة.

وكنت قد قمت بدراسة الأمور جيداً من قبل: السيد "عبد الله" رجل رقيق القلب أكثر مني، أما أنا فأتعامل بصورة صارمة مع الناس. وكان حوله أشخاص يبدو أنهم ممن سيلمع نجمهم في المستقبل، وتحت تأثير العبارات الكلامية أصبح أفضل مني. إضافة إلى أننا سنعد لحملة إعلانية، أي أننا سنحتاج للمال، وهو أكثر الجوانب ضعفاً لديّ، إذ إنني لم أكن أمتلك المال، ولم يكن أحد من المحيطين بي يمتلكه. ثم انتقلنا إلى الداخل. السيد "عبد الله" إنسان محترم للغاية، فقد كان يقول لو أن الكلمة الأولى ستكون لي، فإنني سأقول (هي لك)، أصررت على الرفض. وبهذا أصبحت الكلمة الأولى لي، فقلت: "إننا نقوم بعمل مخلص نرغب به وجه الله، وأرى أن مستقبله أيضاً سيكون مثمراً ذا نفع وفائدة. وإننا قد عملنا حتى هذه اللحظة معاً من دون أي فرق، لكنني الآن أنسحب وأريد أن تكون أنت المرشح". فاغرورقت عيناه بالدمع وقال: "لو أنني كنت أستطيع أن أتحدث قبلك لكنت قلت الكلمات نفسها". ثم تعانقنا.

وخرجنا من الغرفة، وأعلنا على الأصدقاء قرارنا، فقلت: "مرشحنا للرئاسة العامة هو السيد عبد الله غول". وسعد الجميع بذلك، وهنّأ كل منا الآخر. وإنني أعلم أنه حينما علم السيد أردوغان بتطورات الموقف سعد كثيراً ولم يكن معنا في ذلك اليوم.

لقد أصبح كل شيء واضحاً أخيراً. وفي اليوم التالي عقدنا اجتماعاً بالمركز العام لحزب (الفضيلة) وأعلنا على الملأ أن مرشحنا للرئاسة العامة للحزب هو

السيد عبد الله غول".

يتحدث السيد "عبد الله غول" عن تلك الأيام قائلاً: "إن عملية الوصول لقرار بشأن المرشح للرئاسة العامة لم تكن أمراً يسيراً كما بدا من الخارج. فقد كنا سنُتّهم بتهم مثل تقسيم الحزب، وإشعال نار الفتن به، وحتى بالخيانة، وبداية كان يجب علينا ألا نغض النظر عن هذه التهم. فتاريخنا مليء بنماذج لأناس كانوا يبدون كإخوة في تكتلات مثل هذه ولكن بعد انفصالهم نرى كيف أنهم تناحروا في ما بينهم، بل وقاموا بالقضاء على بعضهم".

كان ينبغي عليهم القيام بدراسة لأدق التفاصيل والتفكير في كيفية إدارة هذه الفترة من دون أن يعطوا فرصة لشجار أو نزاع، ومن دون أي يسببوا حرجاً أو ألماً لأي شخص.

وكان "عبد الله غول" يدرك أن المسؤولية الملقاة على عاتقه كبيرة جداً بترشيحه للرئاسة العامة، ولهذا السبب يقول: "كنت أفكر ملياً ولفترة طويلة قبل أن أصل إلى قرار. لأننا كنا نحتج على تقاليد وسلطة استمرت ثلاثين عاماً، وكانت تزداد رسوخاً عاماً بعد عام، وعلى قيادة تعتمد على الشخصية المنفردة وعلى منظمة مشكلة إيديولوجية، وأخيراً نحتج على مفهوم سياسي يعتمد في الإطار الأول على الطاعة العمياء".

وكان أكثر الأسئلة إلحاحاً على "عبد الله غول" ورفاقة في (هذا الاحتجاج) على حد قوله هو: "لو كنا نحن السبب في انقسام الأعضاء وتناحرهم وفي حمل هذا التناحر إلى المستقبل، فهل كنا لنجازف بتحمل المسؤولية على هذا النحو؟ وهل يستحق الأمر هذا؟".

ويسترسل "عبد الله غول" في ملاحظاته من ناحية أخرى فيقول: "إننا لو بقينا بلا أي رد فعل تجاه أخطاء قائمة بدافع الخوف من تحمل المسؤولية لكان ذلك سيجعلنا في المستقبل أمام مسؤولية أكبر وعناء أكثر". ويسأل سؤالاً واضحاً متعلقاً (بالوضع الصعب) الذي كانوا يعيشون فيه: "إلى أي مدى كان مفهوم هذه السياسة التي انغلقت لها ثلاثة أحزاب على مدار ثلاثين عاماً سيستمر؟ هذه السياسة التي لم تحصل على أي دعم انتظرته من الشعب، والتي لم تستطع أيضاً قراءة الاتجاه العام العالمي، وبالمناسبة لم تنجح في نقل ذلك إلى تركيا".

أردوغان وعبد الله غول...
طريق واحدة

التقت للمرة الأولى طرق كل من أردوغان و"عبد الله غول" في الاتحاد التركي لطلاب الفكر الوطني.

كان "عبد الله غول" قد أنهى دراسته الثانوية بمدرسة (قيصري) الثانوية، وبعد أن التحق بكلية الاقتصاد بجامعة اسطنبول كانت أحداث الشباب التي مثلت إرهاصات ميلاد (جيل عام 68) قد بدأت.

لم يواجه "غول" طوال العام الأول له بالدراسة أيّ مشاكل من ناحية الاستمرار في دراسته، إلا أنه مع بداية العام الثاني بدأت الحركات الطلابية تجد صعوبات أمامها، فكان استمراره بالدراسة يبدو أمراً مستحيلاً. وعليه فقد شعر أنه لا فائدة من إصراره على مواصلة دراسته حينما صُوبت فوهة بندقية أحد الأشخاص اليساريين على جبهته في أحد الأيام، ولم يقاوم كثيراً، وسلك طريقه في الاتحاد التركي لحركات الفكر الوطني.

ويتحدث "غول" عن التطورات التي حدثت بعد ذلك اليوم قائلاً: "حينما أصبحنا في فترة يصعب علينا فيها مواصلة تعليمنا الجامعي أصبح الاتحاد التركي لحركات الفكر الوطني بمثابة منارة العلم لنا. فكنا نذهب كل يوم إلى الاتحاد التركي لحركات الفكر الوطني وكأننا نذهب للدراسة والتعلم. فكنت أقضي كل يومي هناك، إذ كان بمثابة الجامعة البديلة لي. وكانت به فاعليات نافعة للغاية، كما كان لي به أصدقاء استمتعت بوجودي معهم في مكان واحد. فتعرفت على السيد أردوغان هناك، وكان آنذاك لا يزال طالباً بالمرحلة الثانوية، وكان يقوم بمهام فعالة في منظمة التعليم الإعدادي وفي العديد من وحدات الاتحاد التركي لحركات الفكر الوطني. وفي تلك الأثناء، وجدت الفرصة لإمكانية متابعته في (المناظرات)

التي كانت محبوبة على المستوى الشعبي، وكذلك في قراءة النصوص الشعرية.

وأنهيت دراستي الجامعية بعد أحداث الانقلاب العسكري في 12 ديسمبر/ كانون الأول 1980. وفي أعقابها مكثت فترة طويلة إلى حد ما خارج الوطن للعمل ولاستكمال الماجستير والدكتوراه. ولم أكن أُهمل عند عودتي في الإجازات الصيفية أن أتقابل مع أردوغان ومع أصدقائي في الاتحاد التركي لحركات الفكر الوطني".

أول اشتراك في العمل السياسي بين "عبد الله غول" وأردوغان كان من خلال الانتخابات العامة في عام 1991م.

فكان "عبد الله غول" متردداً بشأن قبول الاقتراح بالترشح، وكان أردوغان وقتها عضواً في اللجنة العليا للحزب، ورئيس الحزب عن اسطنبول، وتحدث مع "غول" وأقنعه بقبول الاقتراح وقال له: "إن حركة الفكر الوطني تحتاج للشباب. ونحن ها هنا من اسطنبول، وأنتم من (قايسري)، والأصدقاء الآخرون من مدن أخرى وهكذا... فنحن يمكن أن نغير من هذا الحزب، فنحن لسنا ببعيدين عن الشعب، ويمكننا أن نجد مناهج وسبلاً للوصول إليه وذلك بالعمل معاً".

وقد تم بالفعل انتخاب "عبد الله غول" في العام 1991م نائباً برلمانياً، وأصبح خلال فترة وجيزة من الأسماء المهمة في الحزب. وفي مؤتمر عام 1993م أصبح عضو اللجنة العليا للحزب جنباً إلى جنب مع أردوغان.

أعمال المؤتمر

بعد أن صرح "عبد الله غول" بأنه سيكون مرشحاً للرئاسة العامة كثف من جهوده لعقد المؤتمر، وبدأ في زيارة شعب الحزب الموجودة في (الأناضول).

أما "بولنت أرينتش" فقد كثف أعماله حول (مجموعة الحزب)، فكان يشارك في كل اجتماعات المجموعة، ويدعم نواب الشُعب في كلماته التي يلقيها، بل ويحاول إقناع المجموعة أنهم لم يفعلوا شيئاً خاطئاً، بقوله:

"إننا لا نقترف أي ذنب. وفي النهاية، نحن بشر في هذا الحزب، ونحن نعمل من أجل رفع شأن هذا الحزب ليلاً ونهاراً. إن قائدنا هو السيد رجائي، وستقوم اللجنة بإجراء الانتخابات على أفضل وجه. ولو أن السيد رجائي فاز بنتيجة الانتخابات فسنكون أول من يبارك له. أما لو فاز "عبد الله غول" فسنستمر في العمل معه وخدمة الحزب ورسالته".

وبينما كان "بولنت أرينتش" يواصل القيام بأعماله تم استدعاؤه من مكتب السيد "رجائي قوطان". ووجد في غرفته السيد "أوغوزهان أصيلتورك"، و"تمال كرم أوغلو"، و"جواد أيهان" وعدداً من الأشخاص الآخرين، إلا أن السيد "رجائي" لم يكن بينهم. وتحدث السيد "جواد" إلى "بولنت" في الموضوع مباشرة:

- هل صحيح أنك ستشارك في المؤتمر؟

- يا سيد جواد، إننا نعمل في العلن، ونظهر كل يوم على شاشات التلفاز. وهذا الموضوع أصبح مثاراً للحديث في الحزب على كل مستوياته. والآن، أتظن أنك بمجرد حديثك معي سنتراجع؟

- إنني حتى الآن لا أقدم احتمالات. فلنا نظامنا، وأستاذنا (يقصد نجم الدين أربكان) يرشدنا إلى الطريق، وعلى إثره نحن سائرون، والشخص الذي حدده أستاذنا هو السيد رجائي قوطان.

- إننا نفكر بطريقة مختلفة، فحزبنا يحتاج إلى الدخول في مؤتمر تنافسي

على هذا النحو.

وحينما قال ذلك وأبدى تصميمه حدث توتر في نبرة الحديث بينهما. ولم يستطع "تمال كرم أوغلو" أن يتمالك نفسه قائلاً إن مجموعة (التجديديين) غير مطيعين، حتى إنه اتهمهم بالخيانة.

فقام "بولنت أرينتش" أمام هذا الهجوم العنيف والحكم الظالم الصادر من "تمال كرم أوغلو" بتوجيه سؤال إليه في محاولة منه لإيضاح مدى ابتعاده عن الحق فقال:

"إننا سنشارك في المؤتمر، وهناك مكسب كما أن هناك خسارة أيضاً. ولو فاز السيد رجائي، فسنكون نحن أول من يهنئه. ولنفترض أن عبد الله غول قد فاز، فهل ستفعلون الشيء نفسه؟". فأجاب "تمال كرم أوغلو" قائلاً:

"قطعاً لا... لا يمكن أن يحدث شيء كهذا، وفي نظامنا ليس هناك شيء مثل هذا. ففي اليوم الذي ستفوزون فيه أنتم بالانتخابات سيؤسس الأستاذ أربكان حزباً جديداً، ونحن سننسحب من هذا الحزب وسننضم إليه، وستبقون أنتم كواجهة للحزب".

الجواب الذي سمعه "بولنت أرينتش" أراحه كثيراً، وفكر في سره: "بهذا يكون قد تأكد لنا مرة أخرى أننا على حق". وها هم الأشخاص الذين عملنا معهم لسنوات وخاطبناهم كإخوة كبار لنا... ها هم في مواجهتنا.

الحزب الجديد هو الحل

كان أردوغـان فـي (أنقـره) لتشـكيل قائمـة مرشـحين ونواب جـدد. ولأنه كان محظوراً من العمل السياسـي، فلم يكن باسـتطاعته الانضمام للمؤتمر، إلا أنه كان يتقابل مع النواب في المكتب الذي استأجره في (شارع جِنَّاه) ويعمل على دعمهم، ثم بعد ذلك يعود إلى اسطنبول ويتابع تطور الأحداث من هناك.

وكان "نعمان قورتولوش" أحد الأسـماء التي أراد (التجديديون) أن تكتسـب دعم أردوغان. وكان يتولى رئاسـة حزب (الفضيلة) عن محافظة اسـطنبول. ولكن الاتصالات التي تمت حول هذا الموضوع لم تصل إلى نتيجة، فقام أردوغان بطلب إجراء مقابلة أخيرة معه. واجتمع الاثنان في اسطنبول.

قـال "نعمـان قورتولـوش" إنـه مصمم على الوقـوف في صف التقليديين، وإنه لن يغير قراره. وتقبل أردوغان الموضوع بتفهم، وقال له في نهاية المقابلة: "يا سيد نعمان، لسـنا مضطرين إلى أن نعيش التجارب نفسـها ونسـلك السـبل نفسها". وقال له أيضاً: "إنني بدأت عملي في السياسـة من أسـفل السـلم، أما أنت، فقد أصبحت رئيس الحزب لمدينة كبيرة مثل اسـطنبول مباشـرة. رافقتك السـلامة في دربك. فلا تتردد أبداً في أن تسـتفيد من نجاح نابع من ضعف المؤسسـة، ومن الاسـتفادة من خبراتي، فها هي كتفي، اصعد عليها وتوجه إلى الأمام...".

وتم عقد المؤتمر في 14 مايو/ أيار عام 2000م، وخسر (التجديديون) في هذه الانتخابات بفارق قليل للغاية. وعلق "بولنت أرينتش" على إجراء هذه الانتخابات بقوله: "إنها لم تكن تنافساً ديمقراطيًّا حقيقيًّا".

وعندما كان شخص من مجموعة التجديديين يصعد إلى المنصة ليلقي كلمة كان يتم التشـويش عليه بأصوات الطبل والمزمار، وبإحداث ضوضاء من أصوات العـروض التليفزيونيـة. حيـث اعتبـر التقليديـون توجّه مجموعـة التجديديين عصياناً وخيانة للأستاذ "أربكان". والنتيجة أن التجديديين خسروا المؤتمر بواقع 570 صوتاً

مقابل 620 صوتاً للتقليديين.

وكان خروج التجديديين من المؤتمر بهذه الصورة يعني أن إنشاء كيان سياسي قد أصبح ضرورة لا مفر منها. وعلى الرغم من أن أعضاء مجموعة التجديديين قد أعلنوا أنهم (سيستمرون في العمل مع الرئيس العام الجديد)، إلا أنهم كانوا يرون منذ هذه اللحظة أنه لم يعد في الإمكان أن يجتمعوا مع التقليديين تحت المظلة ذاتها، فضلاً عن الغموض الذي ينتظر حزب (الفضيلة) بسبب القضية المرفوعة ضده.

فقد كان المدعي العام "ورال صواش" قد اتهم حزب (الفضيلة) بأنه" (مصاص لدماء الأمة ويتغذى على الجهل). والقضية التي رفعها ضد الحزب كانت على وشك الانتهاء، فقد اتهمه فيها: (بأنه امتداد لحزب محظور قانونياً وأنه مركز لأفعال مناهضة للعلمانية). وحين نضع نصب أعيننا كلمات المدعي العام وأحكامه المسبقة، لم يكن صعباً على الإطلاق توقع حكم المحكمة.

وعليه، فإن القرار الذي أصدرته المحكمة الدستورية في 22 يوليو/ تموز 2001م كان في اتجاه إغلاق حزب (الفضيلة). إضافة إلى أنه تم إسقاط عضوية مجلس الشعب عن كل من "نازلي إليجاك"، و"بكير صوباجي" اللذين تسببا في إغلاق الحزب ببياناتهما وأعمالهما. كما صدر الحكم بالحظر السياسي لكل من "مروة قاواقتشي"، و"بكير صوباجي"، و"محمد صيلاي".

في ذلك الحين كانت مجموعة (التجديديين) تدرس الاحتمالات القائمة في ما بينها، وتعمل على تحديد الاتجاه الذي يلزم اتباعه بعد إغلاق حزب (الفضيلة). وأحد هذه الأسئلة التي حاولوا الإجابة عليها، وربما أهمها على الإطلاق، كان إمكانية تأسيس حزب جديد.

وحينما كانوا يفكرون في إنشاء هذا الحزب الجديد لم يكونوا محدودين بسياسيين بعينهم، وإنما اتفق أغلب الأعضاء على أن ما يفعلونه بمثابة إحياء جديد لكل الأحزاب التي تم غلقها، وبمثابة عودة لحركة الفكر الوطني و(عودة لمن قُهِروا) من السياسيين، على أن تكون هذه العودة عودة بحق حيث إنه لا يعود أصحابها إلى ما كانوا عليه من قبل، أو أن يظلوا كما هم، أو يكرروا أخطاءهم مرة أخرى، ويتخلّصوا من الحالة التي أصبحوا عليها، وكان عدد الذين يرغبون

في هذا الخلاص يزداد يوماً بعد يوم.

ركّز الكاتب والمفكر "أحمد أوزجان" على قضايا تركيا في كتاباته حتى لخص قصة (الفكر الوطني) في مقالته التي أثارت جدلاً واسعاً في تلك الأيام، والتي كانت بعنوان (مأساة المسالمين) بجملة اقتبسها من "ماركس" فيقول:

"إن كل شيء في التاريخ يأتي على الساحة مرتين، المرة الأولى مأساوية والثانية كوميدية".

يذكر "أحمد أوزجان" في الأجزاء الأولى من مقالته: "إن الخط المسالم لم يستطع على مدار ثلاثين عاماً أن تكون كلمته موضع اهتمام، أو أن يتبنى برنامجاً ملموساً، أو أن ينشئ كادراً ينظر له بعين الاعتبار، على الرغم من أن له شرياناً اجتماعياً كبيراً". وأشار إلى التعارض بين التيارات في تركيا فذكر: "إن التيار القومي اليميني ضد اليمين المحافظ المتدين، والتيار النهضوي القومي ضد الرجعي، والتيار المتدين اللاسياسي التقليدي ضد الإسلامي السياسي". ويقول الكاتب إن التخلص من هذا المفهوم الذي يمثل"المسار الرخو للعمل السياسي باسم الشعب المظلوم والمحروم" قد أصبح قضية شرف.

ويعبر "أحمد أوزجان" في السطور التالية من مقالته هذه عن أن الخط المسالم هذا قد أتم مهمته سواء أكان ذلك بالزيادة أو النقصان، ويذكر ما يلي:

"إن تركيا يجب أن تتخطى صراع الهيمنة والسيطرة الموجود بين الكتلة المسالمة والكتلة الكمالية. وعلى إنسان الأناضول أيضاً أن يفرض على الساحة كادره الذي يمكنه أن يحوي كلا الطرفين بداخله، والذي يخاطب الشعب بأكمله، وله هويته الإسلامية الخالصة، والذي ينتج ويعلن تجلياته الحقيقية؛ هذا الكادر الشريف والصادق الذي يعمل من دون حسابات، والمعتدل، والذي يمكنه تطوير المشروعات كي تشمل كل الناس. وإلا، فإن كل الشعب سيضطر لدفع ثمن عجز الكتلة المسالمة تجاه الكتلة الكمالية، وستبقى آثار هذا الشرخ من 20 إلى 30 عاماً على الأقل. لذا، يجب علينا أن نفهم أن إغلاق الدولة لأحزاب المسالمين لعبة مدبرة من النخبة الكمالية التي تدعو بالاتجاه نحو الغرب. فالنخبة القليلة جعلت الاتجاه نحو الغرب لعبة تفعل بها ما تشاء في إطار قواعد الديمقراطية وحدودها.

ينبغي علينا أن نبدأ محاسبة جادة ونترك الناحية العاطفية جانباً لمن ينادون بتركيا حرة ومجيدة وكبيرة، وللذين يطالبون بتغيير اجتماعي جذري؛ وعلى رأسهم حزب (الفضيلة).

إن الوقت هو وقت التفكير واتخاذ القرار من أجل بداية جديدة وخطوات أكثر قوة.

لقد حان الوقت لأن يتم البدء في إنشاء تغيّر جذري من أجل حركة حقيقية يمكنها أن توقف هذه المشاجرات الزائفة، ويمكنها أن تعطي الأمل للمظلومين وتخيف الظالمين، وتمهد لمسيرة تنموية كبيرة وعميقة، ويمكنها أيضاً إزالة ومسح كل الدجل المتستر بحب الوطن أو التدين أو التقدمية أو المعاصرة، هذا الدجل الذي تسلط على هذه الدولة وهذا الشعب.

إن مأساة المسالمين التي تحولت أخيراً إلى كوميديا يجب أن تمهد الطريق لانتصار تلك الموجة الآتية من أجل العدالة والحرية".

إن الآراء التي أبداها "أحمد أوزجان" بلغة قوية وصارمة قوبلت برد فعل ممن يقفون بجانب استمرارية الاتجاه المسالم، وهي آراء ساندت وبقوة فكرة إنشاء حزب جديد معتمد على سياسة جديدة ومختلفة تماماً، ومبتعدة عن مفهوم الفكر الوطني من أساسها.

ووفقاً للدراسات المتعلقة بالرأي العام التي قامت بها في تلك الأيام مؤسسة أبحاث (أنار)، فإن ما يقرب من 30 بالمئة ممن جرت عليهم الدراسة قالوا إنهم سيدعمون حزباً يتم إنشاؤه بقيادة أردوغان، في حين أنه في ذلك الوقت لم يكن هناك أي حزب قد تم تأسيسه بعد.

ويقول بشير أتالاي: "إنني أتحدث باسم مؤسسة (أنار) كمؤسسة اجتماعية، وأتحدث أيضاً باسمي إلى الأصدقاء بأن أي حزب سيتأسس في نطاق ضيق وعلى أساس إيديولوجي ليست له فرصة للوصول إلى السلطة، ولو أنه يريد أن يصل إلى السلطة، فعليه أن يقف على أرض صلبة، أي أن يتواصل مع الشعب. وإنني أردت أن أشير إلى أن هناك حاجة لبناء سياسي لا يمكنه فهم الوطن فحسب، وإنما هو قادر على القراءة الصحيحة للعالم بأسره، على أن يكون هذا البناء أيضاً قادراً على احتضان المجتمع وتركيا بكل ديناميكياتها". ويسترسل "بشير أتالاي" في كلامه عن

تطورات تلك الأيام التي كان شاهداً عليها على النحو التالي:

"انتهى عام 2000م، وكان الجميع كل يوم وفي كل مكان يتحدثون عن الحزب الجديد، ومع ذلك لم تتخذ أي خطوة نحو تأسيسه. وكانت لدينا نتائج دراسة قمنا بها، تشير إلى أن الحزب – حتى قبل أن يتشكل – أصبح له مؤيدون بما يقرب من 30 بالمئة من الشعب بالإضافة إلى أن الوسط السياسي كان مناسباً بصورة كبيرة لإنشاء هذا الحزب الجديد، بل وانقطعت آمال الشعب من الحكومة الحالية، وأجَّل توقعاته المستقبلية. والأكثر من ذلك أن المؤسسة السياسية في البلاد قد أفلست بمعنى الكلمة.

ولقد تشاركنا المؤشرات التي معنا آنذاك مع أصدقائنا في (أنقره). وقمنا بزيارة السيد أردوغان في اسطنبول، ثم دعوناه لزيارتنا في (أنقره). وتم الاجتماع في منزلي. وتناقشنا حول المعلومات التي بين أيدينا، ولكن هذه المرة مع السيد أردوغان. وقلنا له إننا فكرنا أن نأتي ببعض الأصدقاء معنا، لكننا أردنا أن نعرف رأيه في هذا الصدد أولاً. فقال لنا: "ليكن". وبعد مرور يومين اجتمعنا في منزلي مرة أخرى مع أردوغان، و"عبد الله غول"، و"بولنت أرينتش"، و"عبد اللطيف شنر". ثم تركتهم وحدهم على أمل أن يخرجوا – بمشيئة الله – من هذا الاجتماع بقرار وتحديد وقت لتنفيذه. وكنتُ على ثقة بأن هذا الاجتماع كان له أثره البالغ في تسريع أعمال تأسيس الحزب".

كانت الأعمال تستمر في اسطنبول في مركز مؤسسة (دنجه) للأبحاث، وفي (أنقره) في مركز مؤسسة باسم (مركز الأبحاث السياسية)، وكان هناك تعاون مشترك بين المركزين. ووفقاً لرأي "مجاهد أرسلان"، فإن قرار إنشاء (الحزب الجديد) تكوّن أولاً في (أنقره)، ثم تبعت اسطنبول قرار (أنقره).

وازدادت الاتصالات بين اسطنبول و(أنقره) مع مرور الأيام. وكان "مجاهد أرسلان" ورفاقة أكثر المرافقين لأردوغان في سفرياته إلى (أنقره).

يتحدث "مجاهد أرسلان" عن الوضع في تلك الأيام قائلاً: "لقد كنت المساعد الرئيس للعملية التأسيسية للحزب بسبب سني وخبراتي وإمكانياتي. فأنا شاب، وإمكانياتي على درجة جيدة. وهناك أشخاص إمكانياتهم أعلى من إمكانياتي، لكن حركتهم ونشاطهم قد يكونان أقل بسبب فارق السن. ولهذا السبب كنت موجوداً

في مركز العملية التأسيسية، لكنني كنت بعيداً عن بعض الموضوعات مثل تحديد المؤسسين وأعضاء مجالس الإدارة العليا".

وبعد المناقشات، أصبح هناك عزم وتصميم حول تأسيس حزب جديد. لكن، كان لا يزال هناك بعض التردد بشأن نقطة البداية، إذ إنهم لا يزالون يضعون نصب أعينهم التجارب المريرة التي عاشوها من قبل، فكان من هم في موقع المسؤولية من تيار (التجديديين) - خصوصاً أردوغان و"عبد الله غول" - يتصرفون بحذر واحتياط شديدين بقصد انتظار المكان والزمان المناسبين. وعلى النقيض من ذلك، كان أنصار الحركة التجديدية الذين يراقبون عن قرب التطورات ويؤيدونها فعلياً لا يتسمون بالصبر، بل ويرون ضرورة الإسراع في التحرك.

وقد ضم هذا (الجناح المدني) عدداً من رجال الأعمال الشباب الذين يمثلون رؤوس الأموال في (الأناضول)، وبمعنى آخر كانوا من الطبقات الاجتماعية التي استهدفها انقلاب 28 فبراير/ شباط ثقافياً واقتصادياً. وأراد هؤلاء الشباب التخلص وفي أسرع وقت ممكن من العبء الإيديولوجي الذي حملتهم إياه (حركة الفكر الوطني)، إذ رأت هذه الحركة أن هؤلاء الشباب يمنعون تحقيق مطالبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية. كما أنهم كانوا على قناعة تامة بأنهم لن يحصلوا على أي نتيجة من الأرجوحة التي يحركها أصحاب السلطة لسنوات وفقاً لمصالحهم. ولكل هذه الأسباب كانوا يشعرون بالحاجة إلى كيان سياسي جديد يمنع الصدام بينهم وبين الحكومة المركزية، ويضع في اعتباره حساسية الحكومة تجاه بعض الأمور من ناحية ومطالبهم من ناحية أخرى.

ووفقاً للدعم المدني لحركة (التجديديين) الذي قام به العديد من الشباب في أنقره وفي مقدمتهم "مجاهد أرسلان"، و"عمر تشاليك"، و"فاروق كوجا"، و"أحمد توبراق"، و"يافوز سليم أراس" كان يجب إنشاء حزب جديد، بل ويجب إنشاؤه على الفور.

كانت الخاصية المشتركة لهؤلاء الشباب هي كونهم على النسبة نفسها من القرب من أردوغان و"عبد الله غول".

يقول "مجاهد أرسلان" متذكراً تلك الأيام: "كنت في الحركة اعتباراً من بداياتها الأولى، ولم تكن لي علاقة مباشرة بالحزب، إلا أنني كنت دائماً على صلة

قوية بالحركة. وعلى النقيض من رغبتنا في الإسراع بإنشاء الحزب الجديد، كان أردوغان وعبد الله غول يتصرفان بحيطة بالغة. لأنهما كانا مضطرين للحفاظ على حقوق من يعملون معهما. أما بالنسبة لنا، فلم تكن لدينا خبرة سياسية، ولم يكن معنا أناس نتحمل مسؤوليتهم. فكان تعجلنا ناجماً عن هذا. لهذا كنا لا نكفّ عن إبداء مواقفنا والإعلان عنها في أي فرصة.

وذهبنا في أحد هذه الأيام لتناول الطعام مع "عبد الله غول"، و"عبد القادر أقصو". وألمحنا إليهما بأنهما قد تأخرا في التحرك، وأنهما يتصرفان بشكل مزعج جداً لمن على رأس الحزب. ولو أننا اجتمعنا معكما في حديث ذات يوم، فإن ما سنقوله لكما هو إننا نريد أن تعلما أننا لو أصبحنا في مكانيكما فلن نتصرف مثلكما. بل وعملنا على أن نحثهما على اتخاذ خطوة جادة، وأن يكونا أكثر إيجابية وفقاً لتفكيرنا؛ فقلنا لهما: لا ينبغي أن يُنظر بعين الشفقة إلى من اعتلوا المراكز العليا! والحمد لله إنهما لم يكونا مثلنا بهذه الدرجة من التعجل، فقد تصرّفا بحكمة وضبط نفس أمام تطورات الأحداث. وفي الحقيقة، إن هذا التريث والتحكم بالنفس والحكمة التي تحلّيا بها كانت سبباً رئيساً في تقليل الأخطاء في مرحلة الانفصال عن الفكر الوطني، وفي مرحلة تأسيس حزب العدالة والتنمية.

وكانت هناك أوساط - منها (جمعية توسياد) التي تمثل اتحاد رجال الأعمال الأتراك - على استعداد لدعم كيانات جديدة يمكنها أن تملأ الفراغ السياسي للحكومة المركزية، ويمكنها أيضاً أن تجد إجابة للبحث عن هوية أكثر ليبرالية، وأكثر جماعيةً ومستقلة في الوقت نفسه عن مفهوم الفكر الوطني الذي رجح أن يظل صامتاً حتى يتلاشى غضب انقلاب 28 فبراير/ شباط.

وإننا نريد أن نتناول هنا الرسالة التي بعث بها "جُنيد زابصو" إلى أحد أصدقائه وهو "فاتح ساراتش"، مع العلم أن "جُنيد زابصو" هذا عضو في (توسياد)، ويعكس الأفكار والمشاعر المتعلقة بموضوع الحزب إلى هذه الأوساط.

إلا أنه ينبغي أن نوضح هذه النقطة، فقد تعرف "جُنيد زابصو" على أردوغان في تلك الفترة، ولكنها لم تكن معرفة قريبة بقدر معرفته "بفاتح ساراتش". "ففاتح ساراتش" صديق "جُنيد زابصو"، كما أنه معروف في هذه الأوساط بشكل كبير بسبب أعمال والده "أمين ساراتش"، فكان "فاتح" يتباحث مع أردوغان من ناحية،

ومع "نجم الدين أربكان" من ناحية أخرى. يقول جنيد في رسالته:

"ظناً مني أنك فهمت ما أريد فعله، وما أشعر به، فإنني أتمنى أن تقرأ ما أكتبه إليك في السطور التالية وأن نتحاور بشأنه:

إنكم تتسبّبون بإلحاق ضرر بالغ بأردوغان، وتعملون على دفعه نحو حلقة مفرغة. وجهودك كلها تنحصر في (عدم تقسيم حركة الفكر الوطني). وأنت من أجل هذا تعمل على أن يبقى أردوغان في خضم سياسة التبعية لأربكان أو تدفعه نحوها. إنك تدفعه لأن يستمر في لعب دور الرجل الثاني الذي طالما أداه لسنوات طويلة. والأهم من ذلك، إنك تركل الفرصة السانحة لأن تتولى أمورَ تركيا والشعب التركي إدارةٌ حقيقية راشدة.

يا فاتح، تجاوز حظ نفسك قليلاً، ودعك من سفاسف الأمور الآن من أجل مستقبل أفضل.

إن أردوغان أكبر فرصة على الإطلاق يمكن أن تأتي للشعب التركي بأكمله اليميني منه واليساري، المسلم منه والمسيحي واليهودي أيضاً. وأنت تركل هذه الفرصة وتعمل على أن تبقيه داخل حركتكم. فليكن، ولكن قل لي، كيف ستعاملني لو أنك أصبحت على رأس هذه الحركة؟ بل دعك منّي، كيف ستدير الثمانين بالمئة المتبقية من الشعب التركي؟ فلو أن القضية بالنسبة لك هي مجرد الحفاظ على فكر الحركة لا السلطة، فاذهب وأسس لك نادياً فكرياً، إن الأحزاب إنما يجب أن تؤسس من أجل الوصول إلى السلطة...

انظر إلى النتيجة، وانظر إلى الحقائق العالمية. يعيش في هذه الدولة المسلم وغير المسلم، المتدين وحتى من لا علاقة له بالدين، فقل لي ماذا ستفعل بهم؟ هل ستضعهم على الطريق المستقيم بالسيف ليدخلوا الجنة بالقوة؟ إنه لا يمكن الحصول على أي شيء بالسيف... إن ما يلزمنا من الآن فصاعداً هو تشكيل حركة كتلة جامعة توافقية؛ الكتلة الحقيقية وليس مجرّد حركة زمرة فقط. لذا، ينبغي ألا نُضيع هذه الفرصة.

إنني أرى أن السيد أردوغان قد فطن لذلك جيداً، ويتصرف وفقاً له. إلا أنه وكما قال صديقي، إن المشكلة تكمن فيك أنت، فأنت لديك مشكلة في الإخلاص أو الولاء. فمن فضلك تجاوز حظ نفسك، ولا تخلط بين خدمة الله وخدمة

"أربكان"؛ لأنك إذا فكرت بأن أردوغان ينبغي أن يكون قائد الغد من دون انقسام الحركة، فإن ذلك تفكير خاطئ. فأردوغان هو قائد اليوم، أما "أربكان" فهو قائد الأمس. والحركة كشجرة بدأت تتقلم لكي تكبر، فما يحدث هو تقليم للشجرة، ولا يمكن للشجرة أن تكبر من دون تقليم. إن هذا تغيير، وإن كل من يقف ضد التغيير إنما سيظل دائماً متخلّفاً.

فمن فضلك!... لا تضروا أردوغان، وفرصتكم الوحيدة إنما هي معه فقط...

من أخيك "جُنيد" الذي لا يفهم في مثل هذه الأمور كثيراً، وإنما تحدث بما جال في خاطره".

"جُنيد زابصو" رجل أعمال أمضى الكثير من حياته العملية في ألمانيا، وأصبح عضواً في (توسياد) أيضاً بعد أن رجع إلى تركيا. وفي تلك الفترة قام "جنيد زابصو" بمجهودات بارزة داخل الجمعية مما لفت نظر أردوغان الذي كان يعمل رئيساً لحزب الرفاه عن مدينة اسطنبول، ولهذا أراد أردوغان أن يتعرف عليه.

وفي روايته لتلك الأيام يتذكر "جُنيد زابصو" أن أردوغان قال له: "أردت التعرف عليك لسببين: أولهما أنك حفيد عبد الرحيم زابصو، وثانيهما هو وجهات نظرك المختلفة التي ذكرتها في (توسياد)". ويستمر في روايته قائلاً:

"وفي تلك الأيام، لم يكن هناك أحد يستطيع أن يفتح فمه بكلمة (توسياد)، وكنت قد عدت حديثاً من ألمانيا، وكنت أعبر عن أفكاري بصراحة من دون أن أضع في حساباتي أي شخص، من منطلق (أن كل من لديه فكرة فليعبر عنها). فعلى سبيل المثال، كانت قضية الأكراد من القضايا مثار الحديث في الجمعية، ولكن النقطة الرئيسة في الحديث هي: هل نتحدث عن موضوع (حملة رجال الشرطة لشراء سترات واقية من الرصاص)، أم نتركه جانباً؟ وأصابتني الدهشة وكنت أقول: إن الجمهورية التركية على أي حال لديها المال الذي يكفي لشراء سترات تقي من الرصاص لشرطتها. وإننا كمنظمة مدنية يجب علينا أن نبحث عن أسباب المشكلة وحلولها.

وفي تلك الفترة قامت (توسياد) باستدعاء رؤساء الأحزاب وتناقشت معهم، إلا أنّ "أربكان" لم يكن مدعوًّا، وأنا اعترضت على ذلك. لأنهم كانوا يتحدثون عن قضية الحجاب، فشعرت أن ذلك أمر متناقض. فما كان منهم إلا أن اتهموني بأنني

(إسلامي) و(شيوعي كردي) في الوقت نفسه. ووصل ذلك إلى مسامع أردوغان فأراد أن يتعرف عليّ".

ويذكر "جُنيد زابصو" لقاءه الثاني مع أردوغان بهذه الصورة:

"كان اتصالي المباشر بأردوغان من خلال انتخابات عام 1994م إذ كان المرشح لمنصب (الرئيس). وجاءني السكرتير الخاص بي ذات يوم وقال لي إن السيد أردوغان على الهاتف، ولأنني كنت أعرف أنه مرشح في الانتخابات، فقد ظننت أنه يريد مني دعماً ماليًّا من أجل حملته الانتخابية. وحينما رفعت سماعة الهاتف، وكما لو كان قد فهم ما كنت أفكر فيه، فإذ به يقول لي: "يا أخي جُنيد أنا لست في حاجة إلى أموالك"، فاحمرت وجنتاي من الخجل. وقال لي: "كما تعلم، إنني مرشح لرئاسة البلدية، وبمشيئة الله سأفوز بها. وإن المنطقة التي تقيم بها لا ترغب فيّ، وحينما أصبح غداً رئيساً للبلدية، فسيكون هذا سبباً لمشكلة لي ولهم. فأرجو أن تجمعني بهم، فعلى الأقل سأكون قد تعرفت عليهم".

وانضم ما يقرب من أربعين شخصاً مهماً في دنيا الأعمال و(توسياد) إلى المأدبة التي أعدها "جُنيد زابصو" في منزله. ومر الاجتماع بصورة جيدة، وأحب الجميع شخصية السيد أردوغان وأفكاره، وحقق أردوغان من خلال هذا الاجتماع تقارباً مع أغلب الموجودين. وفي الحقيقة، لا يمكن الخروج من هذا الاجتماع بنتيجة إيجابية أكثر من (التعارف)، لأن أردوغان على الرغم من كل صفاته الإيجابية مرشح عن حزب الرفاه، وحزب الرفاه في نظر رجال الأعمال في اسطنبول ممثل لحركة ضد العلمانية، وضد أمريكا، وضد الصهيونية، وبهذا الاتجاه صار في حالة صراع مع القوى المركزية في النظام العالمي. ولا يبدو على هذا الحزب أنه سيبتعد الآن عن هذه الأفكار ويتصالح مع (النظام المؤسسي) في المستقبل القريب، أو يصبح بإمكانه ملء الفراغ الموجود بالحكومة المركزية متحولاً لواحد من التيارات السياسية الرئيسة في تركيا. لهذا السبب، فإن الدعم الذي سيقدمه رجال الأعمال، والقرب الذي سيبدونه نحو أردوغان هما مجرد مقابل للمنافع السياسية التي سيحصلون عليها.

ومرّت على ذلك سبع سنوات، وحدثت تغيّرات كثيرة في تركيا. وكانت الدولة تئن من الآثار المدمرة لانقلاب 28 فبراير/ شباط. وأصبحت الأحزاب المركزية بعيدة عن الشعب وعن تلبية مطالبه. ولم يعد وجودها قائماً إلا بدعم بعض القوى غير

السياسية. ونُهبت خزانة الدولة، ولم تعد هناك إمكانية للتعامل مع الأزمة الاقتصادية التي توغلت في أعماق الدولة.

وفي هذه الظروف التي تُعد واحدة من أهم محطات التحول في تاريخ تركيا يفكر أردوغان في إدارة الدولة من خلال حزب سياسي جديد، وبهدف مختلف تماماً عن سابقيه، واستعد لطرح مشروعه هذا على الشعب.

فالحزب الذي يريده أن يقود تركيا في تلك المرحلة منفتح على كل الآراء، ولأي شخص من الشعب مهما كانت مكانته أو اهتماماته على أن يكون متصفاً بنزاهة الفكر.

وقد وجَّه أردوغان العديد من النداءات لكل عاقل وقادر على إنقاذ تركيا من هذا الوضع المتردي ودعاهم كي ينالوا مراكز قيادية في الحزب المزمع تأسيسه، كما دفعهم للخروج من حالة السلبية التي سيطرت عليهم، وتولى "جنيد زابصو" نقل هذه النداءات إلى عالم رجال الأعمال. وكان أردوغان قد أعطى كل الصلاحيات "لجُنيد زابصو" في هذا الصدد، ووعده بأن أي شخص سيأتي به من دنيا رجال الأعمال إلى الحزب سيجعله في (مجلس المؤسسين).

يقول "جُنيد زابصو" مستعيداً تلك الأيام: "دعوت محمد أوز ليكون في المجلس التأسيسي، وكنت قد كونت قائمة من عشرين شخصاً ممن نالوا تعليماً جيداً، ويعرفون اللغات، ولهم نجاحات ومكانات في عالم الأعمال. وكان أغلبهم أناساً يتميزون بخصائص تؤهلهم لأن يكونوا من (المؤسسين). أظن أن هذا كان في شهر يوليو/تموز، وصرح آنذاك "رحمي قوتش" وهو من أكبر رجال الأعمال في تركيا بأن (أردوغان يمتلك مليار دولار)".

كانت نداءات أردوغان لا توجه للشباب ورجال الأعمال فحسب، وإنما كان يريد للمرأة أيضاً أن تحتل مكاناً بارزاً في ذلك الحزب الذي يفكر مع رفاقه في تأسيسه. وكانت الصحفية "عائشة بوهولار" واحدة ممن حملن مسؤولية إيصال نداءاته هذه إلى النساء.

تقول عائشة بوهولار: "إن مقابلاتي مع أردوغان قبل محاولاته وجهوده في تأسيس الحزب لم تخرج عن نطاق البرامج التليفزيونية". وتتذكر أيام تأسيس الحزب قائلة:

"كنت أتابع من قبل ما قام به أردوغان في البلدية، وقمت بزيارته ذات مرة، وهناك تعرفت إلى زوجته، كما لفت انتباهي آنذاك تواضع منزله. كانت برفقتي كل مـن باريهـان ماغـدان وقازبـان هاتمـي وعائشـة أونال. وكنـا كما لو أننا ذاهبات لأي منزل عادي، وقابلتنا السيدة أمينة بالطريقة نفسها من البساطة والارتياح. وإنني أتذكر أن مقابلتها الحميمة والبسيطة التي لا تكلف فيها كانت مثار حديثي أنا وصديقاتي في تلك الأيام.

كنت على علم بأن هناك مجهودات تتم من أجل إنشـاء حزب جديد، ولكن السياسة لم تكن هي معقل اهتمامي الوحيد. ووافقت على الفور حينما قال لي السيد أردوغان إنه يرغب في الحديث معي والتشـاور في بعض الأمور. وبينما كنت في طريقـي للقائـه لـم تكـن لـدي أي معلومات أو حتى توقعات حول الموضوع. وكان معنا في هذه المقابلة السيد عبد الله غول. وأراد السيد أردوغان مني أن أكون في الحزب الذي سوف يشكلونه، وأراد مني أيضاً أن أقوم بإعداد قائمة بأسماء النساء اللاتي يمكن أن يصلحن (كعضوات مؤسسات).

والحقيقـة هـي أننـي لـم أكـن مسـتعدة لتكليـف على هذا النحـو. فأنا بطبيعتي (معارضة) وواحدة من النساء اللاتي يتابعن الأحداث. وحينما قلت لهما ذلك ردّ السيد "عبد الله غول" قائلاً: "إن ذلك لا يشكل مشكلة لنا".

فقمت بإعداد قائمة لم أدرج اسـمي فيها ضمن المؤسسـات، وكانت القائمة تضـم مـن 16 إلـى 17 امـرأة. وبإعـادة النظـر فـي القائمة وتقييم الأسـماء المطروحة خفضناها أولاً إلى 12 امرأة ثم خفضت مرة ثانية إلى ست نساء. وبالفعل شغلت النساء الست أماكن في (مجلس المؤسسين).

وقد قمت في تلك الفترة بإجراء اتصالات مع عدد كبير من النساء، وعرضت عليهن أن يكن عضوات مؤسسات، وكن على درجة من الثقافة، ومع ذلك لم يقابلن اقتراحي بحماسة، وتراجعن خشية أن يُستخدَمن (كواجهة) فقط.

كانـت هنـاك مجموعـة مـن النسـاء مـن حزب الرفاه اللواتـي يعملن في مجال السياسـة في مؤسسـات المحافظة. وأظن أنه عندما اقترحت العمل بالحزب خشـين أن تتم مقارنتهن مع أولئك النسـاء. ومن ناحية أخرى، إنّ هؤلاء النسـاء قد فكرن في مدى صعوبة إيجاد (لغة مشتركة) داخل الحركة النسائية. فقد كانت هناك بالفعل

لغة ومنظور خاصان بالنساء المتواجدات داخل الحركة النسائية، وكنّ يتواجهن غالباً مع المحافظين.

وكنت متفائلة بأن هذه اللغة ستتغير يوماً ما. وكان السيد أردوغان في مركز الدائرة التي تدعمنا معنوياً، وتثرينا أفكاره بالعديد من الموضوعات في أعمالنا. ولأنه أيضاً رجل يتابع الأمور، فقد يسر لنا اهتمامه هذا مهمتنا في تلك الفترة، فكان إذا كلّف أحداً بمهمة لا يتركه وشأنه وإنما يتابعه عن كثب. إضافة إلى ذلك، فهو يعطي أهمية كبيرة للتشاور، مما يُشعر الإنسان بالراحة. ولا تظهر في حواراته ملامح التفريق بين الرجل والمرأة. كل ما سبق كان بالنسبة لي أموراً إيجابية، أي أن كل شيء كان مكتملاً وعلى أكمل وجه.

وحينما دُعيت لاجتماع مجلس المؤسسين المنعقد، في (أفيون) قضيت يومين مختبئة عن الصحفيين. وبالفعل، إنّ اجتماع (أفيون) غيَّر كل أحكامي السابقة.

وتواجدت أنا والعضوات الأخريات في أثناء عملية إعداد (برنامج الحزب)، وأتيحت لنا الفرصة للتعبير عن آرائنا واعتراضاتنا.

ولا يفوتني عند تذكر تلك الفترة أن أذكر أن "عبد اللطيف شنر" كان أكثر الأشخاص عناداً ومقاومة لنقدنا ومقترحاتنا التي قمنا بطرحها. فقد تناقشنا نقاشاً جاداً حول ثلاث مواد أو أربع متعلقة بالنساء، وأتذكر أنه قال: "لن تستطيعي إدراج هذه المواد في البرنامج طالما أنا هنا!".

أما أردوغان فقد دوّن العديد من الملاحظات وتحدث معنا في المرحلة التأسيسية للحزب بشأن العديد من القضايا المتعلقة (بالعلاقات بين الرجل والمرأة) و(العائلة). وقد كان الاتجاه الذي اتخذه أردوغان ضد من أرادوا تقليل عددنا في انتخابات نواب الشعب وانتخابات (المجلس الأعلى للحزب)، بل وفي العديد من الموضوعات الأخرى، دليلاً على مساندته للمرأة دائماً. فعلى سبيل المثال، كان أردوغان يعطي نساء التشكيل نصائح وإرشادات حتى يكونَ لهن ثقلٌ أكبر، ومع ذلك فقد كان رئيس التشكيل يرسل قوائم مشكلة من أسماء رجال فقط قائلاً: "يا سيدي لا توجد لدينا سيدات يتسمن بالصفات التي نريدها". والحقيقة أنه كانت لدينا الكثير من النساء اللاتي يتسمن بهذه الصفات، واللاتي يصلحن للانضمام إلى القائمة. وإنني شاهدة على أن أردوغان في أكثر من مرة كان يقوم بشطب بعض

أسماء الرجال الموجودة بالقائمة ويضع بدلاً منها أسماء نساء.

وبسبب دعم أردوغان للمنظمات النسائية ومساندته إياها، كانت تلك المؤسسات تغض النظر عن بعض التعديلات المتعلقة بالنساء والتي يقرها مجلس الشعب. والجميع يعلمون مثلي تماماً مدى الجهود الكبيرة التي بذلتها النساء في المجلس. وكان أردوغان داعماً لهن على الدوام".

من سيكون الرئيس العام؟

على الرغم من استمرار هذه الجهود في مسارها الطبيعي، فقد كان هناك عدم وضوح بشأن من سيكون الرئيس العام للحزب الذي سيتم تأسيسه. وإذا كان اسم أردوغان قد برز كقائد للحركة، فإنّ قرار رئاسته للحزب لم يتم طرحه بصورة تقطع الشك باليقين.

وكان أول من فطن إلى مسألة رئاسة الحزب وعدم الاهتمام بها حتى الآن، وأدرك حالة (عدم الوضوح) هو "عبد القادر أقصو" ولهذا وجد من الضروري التدخل السريع. يقول:

"جئت مع جمع كبير إلى اسطنبول للاجتماع مع أردوغان. وتم الاجتماع في مكتب أحد أصدقائنا في حي (أسكودار). وحين دخلت إلى صالة الاجتماع لاحظت أمراً أشعرني بعدم الارتياح، حيث كان الجميع ومعهم السيد أردوغان يجلسون إلى منضدة الاجتماع ولا يزال كرسي الرئيس شاغراً.

وقبل أن أجلس في مكاني توجهت إلى السيد أردوغان الجالس في مكانه وقلت له:

"لماذا تجلس هنا؟ من فضلك، قم وانتقل إلى كرسي الرئيس، فقد حضرت إلى هنا بنفسي على أساس أنك أنت الرئيس".

وقد أيدني كل من يلتفون حول المنضدة بقولهم: "لقد أصاب السيد عبد القادر في ما قاله". وبهذا انتهت حالة عدم الوضوح المتعلقة بمنصب الرئيس".

ويقول السيد "عبد القادر" وهو يتذكر تلك الأيام: "لقد كان السيد أردوغان محقاً أيضاً حينما انتقل إلى كرسي الرئيس". ويذكر بكل صراحة أنه نظر إلى الموقف آنذاك نظرة مختلفة قائلاً:

"إننا حتى وإن طرحنا جانباً الحظر السياسي المطبق عليه، فإن كل الحاضرين في الاجتماع كانوا قد تقلدوا مناصب من قبل مثل منصب وزير، ونائب رئيس

حزب، أو على الأقل رئيس مجموعة حزبية عن أحد التكتلات مثل عبد الله غول، وجميل تشيتشاك، وإسماعيل قاهرمان، وبولنت أرينتش، وعبد اللطيف شنر وغيرهم... وبهذا، فقد تقدم عليهم جميعاً في مجال السياسة".

يذكر "بولنت أرينتش" أنه لم تتم أي مناقشة في أثناء تأسيس حزب العدالة والتنمية حول القيادة. ويقول: "لقد كان قائدنا هو أردوغان. وقَبِلَه الجميع رئيساً عامًّا للحزب الذي سيتم تأسيسه، إلا أن الموضوع الذي كان مثاراً للنقاش آنذاك هو أن أردوغان ربما سيكون (الرجل الثاني) وذلك بسبب الوضع القانوني حوله. لم نتحدث في هذا الموضوع بشكل صريح، ومع ذلك، كان موقفنا واضحاً، ويعكس توجهاتنا جميعاً، سواء أكان السيد عبد الله غول أم أردوغان".

يقول "حياتي يازيجي" - كأحد الشهود عن تلك الفترة - إن موضوع القيادة هذا لم يأتِ على جدول أعمالنا، حتى رأيناه وقد طرح من خارج المجموعة بشكل أكثر إلحاحاً: "لم يكن هناك أي شخص يعترض على قيادة أردوغان لنا، إلا أن هناك بعض الأصدقاء الذين قالوا إنه ليس من الصحيح من الناحية القانونية أن تكون للسيد أردوغان صفة في تأسيس الحزب، وإنما يمكنه أن يدعم الحزب من الخارج، أو بعبارة أصحّ سيظل داعماً الحزب من الخارج، وبقولهم هذا أوضحوا أن البعيد عن الأحداث ربما تغيب عنه حقائق كثيرة.

لهذا كنا ندافع عن تولّي أردوغان للرئاسة العامة للحزب، حتى وإن تدخل النائب العام، فإن الجميع سوف يعرفون أن أردوغان هو من أسس الحزب، وأن موقف الحزب وأفكاره سوف تتغير إذا كان أردوغان هو رئيسه، عمّا ستكون عليه إذا دعمه من الخارج فقط، وكانت هذه طريقتنا في التفكير.

وعلى أيّ حال، أصدرت المحكمة الدستورية آنذاك حكماً هو الأول حول "حسن جلال غوزال" والذي كان قد صدر ضده حكمان قضائيان بالاستناد إلى المادة 312، ومنطوق الحكم سمح له بعضوية أي حزب سياسي فما كان من المناقشات المستمرة إلاّ أن انتهت تلقائيًّا".

التصدع؟!

كان القـرار بتأسـيس الحـزب قـد اتخـذ، وكانت الأعمال مسـتمرة بهذا الصدد من دون انقطاع، إلا أن تصدعاً بدأ في الظهور منذ بداية العمل، إذ انقطع "بولنت أرينتش" عن العمل من دون سبب واضح.

وقد أوضح "بولنت أرينتش" في ما بعد سبب اختفائه - حتى وإن كان لفترة قصيـرة - بقولـه: "إننـي لـم أكـن بعيـداً عن أصدقائي. لكـن، جاءني اقتراح لم يكن في إمكاني القبول به ومع ذلك رأيته اقتراحاً جيّداً، لهذا أخذ الكثير من وقتي".

قـام "بولنـت أرينتـش" - فـي تلـك الأيـام التـي بقي فيها بعيـداً - باجتماع مع "نجم الدين أربكان" استمر لأربع ساعات تقريباً، وعلى الرغم من أنه لم يذكر ما دار في هذا الاجتماع في وقتها إلا أنه تحدث عنه في ما بعد قائلاً:

"تحدثت عما مررنا به من تجارب منذ أن أسسـت حركتنا حزب النظام الوطنـي عـام 1969م إلـى ذلـك اليـوم، وقد تأثر نجم الدين أربكان بذلك، بل وبكى أحمد تكدال. وصرحت لأربكان بما يجول في ذهني قائلاً: "يا أستاذي، لقد ذكرت مـراراً وتكـراراً مـا يفيـد بأنـك تحبنـي وتثق بي، ولكنك عند بداية العمل كنت دائماً تتصرف معنا بكتمان". كما تحدثت عن ضرورة تغيير المفاهيم في المرحلة الحالية، وقلـت لـه: "إن مكانتـك كبيـرة، فلتحـدد لنـا الاتجـاه مـن منطلق وعيـك وإحاطتك بالأمور، ولترشدنا على أن تترك لنا السياسة، حتى يتسنى لنا أيضاً خوض التجارب". إلا أن أربكان قطع حديثي قائلاً: "لا يوجد في نظامنا شـيء من هذا القبيل". فما كان مني إلا أن قبّلت يده وانصرفت.

وفي تلك الأثناء طرح عدد من الأشخاص ممن كانوا حول أربكان فكرة تقول: "لو تسنى لبولنت أرينتش أن يتولى الرئاسة العامة للحزب الذي سيؤسس كبديل من حزب الفضيلة، فسيتمكّن من أن يوحد بيننا"، وجاءوني وطرحوا عليّ الفكرة، بل وأصروا على ذلك على الرغم من أنني قلت لهم إن هذا شيء غير ممكن، وإن

"أربكان" لن يسمح به. ولهذا تركتهم ليحاولوا. وكنا على اتصال آنذاك مع السيد أردوغان. وقد ذهبوا إليه أيضاً وقالوا له: "ما رأيك أن يتولى السيد "بولنت أرينتش" منصب الرئيس العام؟"، وكان رده: "لا أحتمل ذلك. ولكن، يمكنكم التجربة". ويمكنني القول إنني بقيت واقفاً في مكان وسط بين الاثنين. وحينما طال الأمر قمت بإعطائهم مهلة يوم واحد لإنهاء هذا الأمر، فإذ بهم في نهاية ذلك اليوم يقترحون علي منصب (نائب الرئيس العام).

وبناء على ذلك قمت بإجراء اجتماع صحفي، وأوضحت أنه ليست لي علاقة بحزب (السعادة).

وتم تأسيس حزب (السعادة) في 22 يوليو/ تموز 2001م. وقمنا نحن بتأسيس حزب العدالة والتنمية في 14 أغسطس/ آب 2001م. وبذلك خط كلٌّ منا طريقاً خاصًّا به".

ويتحدث "بولنت أرينتش" عن الأفكار التي انطلقت منها حركة التجديديين في بادئ الأمر قائلاً: "لم نفكر في البداية في الانفصال عن حزب الفضيلة، بل ركزنا جهودنا على الإصلاح داخل الحزب فقمنا بتحديد الأخطاء وفقاً لرؤيتنا، وسعينا إلى تصحيحها، وكنا سنطور السبل التي تمكننا من اتصال أفضل مع الشعب، وكنا سنقود الحزب نحو السلطة.

وقد شكل إغلاق حزب (الفضيلة) الأرضية المشروعة لانفصالنا. ويصف "جميل تشيتشاك" هذا بأنه (انفصال لا عيب فيه). وهذا تعبير يستخدمه الأزواج في (الأناضول) في حالة انفصالهم وهم متفاهمون. والحمد لله أننا انفصلنا عن الحزب بصورة لا عيب فيها، فقد اختار معظم المنتسبين لتشكيلات الحزب جانبنا".

واتفق أردوغان أيضاً مع "بولنت أرينتش" في قوله: إننا لم نكن نفكر في بادئ الأمر في الانفصال عن الحزب. كما يشير أيضاً إلى هذا الأمر بقوله: "على الرغم من أننا عشنا عشرات المشاكل داخل الحزب، وإنني على قناعة بأنه لو لم يتم إغلاق حزب الفضيلة لما كنا قد انفصلنا بسهولة أبداً".

حزب العدالة والتنمية و"المصباح"

فكر أردوغان في القيام بزيارة لإحدى وكالات الإعلانات التي يمتلكها "أرول أولتشاق" وذلك لمناقشة اسم الحزب الذي سيتم تأسيسه وشعاره. كما اختار الوكالة كي تكون مكان الاجتماع وذلك كي يقف على الإمكانيات المادية للوكالة، ولرؤية فريق العمل في محل عملهم.

تقابلوا في اليوم التالي، وقضى أردوغان قسطاً كبيراً من يومه هناك. وبعد أن استمع "أرول أولتشاق" لمقترحات أردوغان بشأن اسم الحزب وشعاره، أراد مهلة من الوقت من أجل الإعداد لذلك.

وفي المقابلة الثانية لهما اختار أردوغان اسم (العدالة والتنمية) من بين أربعة أسماء تم اقتراحها، فقد أعجب بهذا الاسم بمجرد أن رآه.

وحينما جاء الدور على الشعار، كان اقتراح الوكالة هو زهرة عباد الشمس، وكان الدافع وراء اختيارهم إياها هو (أنها تدير وجهها دائماً نحو الشمس) وأن استعارة على هذا الشكل سوف تكمل اسم حزب (العدالة والتنمية)، إلا أن أردوغان لم يستحسن هذا الاقتراح، وأراد منهم أن يبحثوا عن اقتراحات بديلة.

والشعار الذي كان في بال أردوغان هو (المصباح)، وحين قال لهم: "اعملوا حول هذا الشعار" لم يعترضوا عليه، إلا أنهم لم يأخذوه على محمل الجد ظناً منهم أنه شعار فظ للغاية.

كانت أعمال تأسيس الحزب على وشك الانتهاء وبعدها سيتم عمل عرض باسم الحزب وشعاره على الأعضاء المؤسسين. وقبل العرض بيوم واحد اتصل أردوغان بالوكالة وكرر طلبه بأن يعملوا حول شعار (المصباح).

وقد وقع الفريق الفني بوكالة الإعلانات آنذاك في ورطة لأنهم لم يقوموا بأي عمل حتى اللحظة التي اتصل فيها أردوغان، فقام الفريق على الفور باختيار عشوائي لصورة مصباح من ألبوم (الكليب أرت) ببرنامج الويندوز من بين حوالى 60-70

اختياراً، وقاموا بإضفاء بعض اللمسات عليها، ووضعها في الملف من أجل العرض.

وقد طُلِبَ عمل تصور حول الاسم والشعار مما يقرب من 20 شخصاً أو شركة أخرى بخلاف وكالة "أرول أولتشاق". وتم عرض كل التصورات وتقييمها، وفي النهاية وقع الاختيار على (العدالة والتنمية) كاسم للحزب. حيث نال الاسم استحسان الجميع وقبلوه من دون نقاش.

ولكن، لم يتفقوا بشأن (المصباح) كشعار للحزب، وبعد التوضيح الذي قام به أردوغان تغير الأمر واكتسب شعار (المصباح) موافقة الجميع من دون تردد: "إن رمز المصباح الذي تم تصميمه بهذه الصورة، والذي لقي القبول ليكون شعاراً للحزب يرمز للضياء وعدم التعتيم والشفافية، وتشير الحزمات الضوئية السبع المحيطة بالمصباح إلى أقاليم تركيا الجغرافية السبعة، أما كونه مضاءً، فذلك يعني نشاطنا وقابليتنا على التحرك".

قال "أرول أولتشاق": "إنني لم أقتنع بهذا الاختيار في بادئ الأمر، إلا أنني عندما رأيت مؤشرات التصويت في الانتخابات عرفت إلى أي درجة كان الاختيار صحيحاً وجيّداً للغاية. وبخلاف ما يرمز إليه مثل الضياء وعدم التعتيم والشفافية، فإن له ميزة هامة أخرى وهي إمكانية تمييزه بسهولة من بين رموز الأحزاب الأخرى".

كما تم اختيار الاسم المختصر للحزب في الاجتماع نفسه السابق ذكره، فكان حزب (AK)، فحرف (A) اختصار لكلمة العدالة باللغة التركية (ADALET)، أما حرف (K) فاختصار لكلمة التنمية باللغة التركية (KALKINMA)، والاسم الكامل للحزب هو: ADALET VE KALKINMA PARTİSİ أي حزب العدالة والتنمية.

وعلى الرغم من أن إيضاح الاسم والشعار قد تم بالصورة التي أوضحناها سابقاً، إلا أن التأويل الإعلامي لهما جاء صادماً ومثيراً للدهشة إلى حد بعيد.

فعندما ننظر إلى ما تمّت كتابته في هذا الصدد، نجد من قال إن (المصباح) يشير إلى معنىً مستتر، ويحتوي على دلالات كثيرة متعلقة بالأجندة الخفية لأردوغان. "إن الشكل الموجود داخل المصباح هو (مقرأة)، أما خيوط المقاومة التي تنثر النور حوله فهي تشبيه لكلمة (التوحيد)...".

إن التأويلات من أصحاب الخيال الواسع زادت على المئات؛ مئات المعاني حول مصباح (كليب أرت الويندوز). ولم يكتفوا بذلك، وإنما امتد الأمر أيضاً

ليشمل اسم الحزب - (AK PARTİ) حزب العدالة والتنمية - بصورة لم نكن نتخيلها بل وفجة، حيث إن الكلمة في حد ذاتها مكتوبة بالحروف اللاتينية التي نعرفها جميعاً، وهي أيضاً لا تحتوي على أي شكل مبهم.

وفي آخر لحظة نجد "جونري جيفان أوغلو" وقد دخل لعبة التأويلات هذه. وفي النهاية، يعمل على حل المشكلة من أصلها بإلغاء الاسم أساساً من خلال اقتراح عبقري له.

فوفقاً "لجيفان أوغلو" يقول إنه اسم قوي جداً، وهو أفضل الأسماء التي استخدمتها الأحزاب على مدار تاريخ الجمهورية. وهو من اللغة التركية الخالصة ويحتوي على رسالة غير عادية مثلها مثل (لبن الأمهات الأبيض) من حيث التأثير.

وقدم "جيفان أوغلو" اقتراحاً من أجل القضاء على تأثير هذه الرسالة، وهو أن يُنطق اسم الحزب باستخدام الأحرف الأولى من كلماته الثلاث ليصبح (AKP) فيُنطق حسب هجاء الأبجدية التركية (AKEBE) بمعنى (العقبة)، وعدم نُطقه (AK PARTİ) وهو بمعنى الحزب (الأبيض، أو الطاهر، أو الصادق).

التأسيس

كان هناك 71 توقيعاً في عريضة تأسيس حزب العدالة والتنمية، ثم انضم إلى هـذا العـدد وفـي اليـوم ذاتـه 53 نائبـاً من نواب الشـعب ليصبـح بذلك عدد مجلس المؤسسين 124 عضواً. ويتولى مجلس المؤسسين وظيفة إدارة شؤون الحزب حتى أول مؤتمر له.

وكان القانون التأسيسي للحزب من الخواص الرئيسة التي ميزت حزب العدالة والتنميـة عـن باقـي الكيانـات السياسـية الأخـرى فـي ذلك الوقـت، حيث نص على تحديد مدد من يقوم بنيابة الشـعب بحيث لا تزيد على ثلاث دورات، وبحيث لا يرأس الحزب شخص أكثر من خمس دورات.

ويوضح أردوغان سبب وجود مبدأ تحديد المدد في القانون التأسيسي للحزب على هذا النحو:

"إنني لست منحازاً لكوني رئيس حزب (العدالة والتنمية). ولهذا السبب فإنني أركز دوماً على مسـألة تحديد إنابة الشـعب بثلاث مدد، والرئاسـة العامة للحزب بخمس مدد. فأنا أريد أن تكون للحزب كوادره الجاهزة في كل المجالات.

وكثيراً ما جاءني بعض الأصدقاء باقتراح تغيير (القانون التأسيسي) بشأن عدم تحديد مدة رئاسـة الحزب. فذكرتهم بالموت، فماذا سـيحدث لو أن الله عز وجل قدّر موتي (بعد عمر طويل)؟ فالذي سوف يحدث وقتها هو نفسه ما سيحدث عند انتهاء المدة التي وضعناها.

إضافة إلى ذلك، هناك شيء أهم من الحزب ألا وهو تركيا. لقد أدخلنا العديد من المبادئ على السياسة التركية، وعلينا أن نحقق المزيد من تطبيق هذه المبادئ حتى تتحول إلى اتجاه عام قوي.

يجب علينا أولاً أن نطبق ما كتبناه. فهناك العديد من الأحزاب السابقة لنا التي كتبت مبادئ جميلة في قوانينها التأسيسية، ولكن، وبمجرد أن تتعارض هذه المبادئ

مع مصالحها، فهي سرعان ما تغيرها. ويجب علينا ألا نقع في هذا الخطأ. بل يجب علينا أن نكسب السياسة التركية أسلوباً جديداً، حتى يشهد لنا معارضونا أننا صدقنا في ما قلناه وأوفينا بما وعدنا به. ومستقبل السياسة التركية مرهون بذلك فعلاً. ويجب على الحزب أن يتسم بالمرونة الكافية لاستيعاب التغييرات حوله من دون أن يقع في فخ الظروف الراهنة، وأن يستوعب الشباب بداخله ويعطيهم الصلاحية والمسؤولية. إنني لهذه الأسباب أدافع عن نظام (الرئاسة). وأريد ألا يُترك (التغيير) لأهواء الأعضاء الفاعلين بالحزب، وأن يكون (التغيير) واحداً من المبادئ الرئيسة لسياسة الدولة. فنظام الرئاسة حتى عند أكثر الدول تطبيقاً له محدد بفترتين، فلا يتسنى لشخص ما أن يشغل منصب الرئيس لأكثر من مدتين. فلا يُترك التغيير هنا لأهواء الأشخاص أو الأحزاب".

(14 أغسطس/آب عام 2001م. يوم الثلاثاء).

تم ما هو مطلوب القيام به بما في ذلك التماس النائب العام، وبذلك اكتمل رسمياً تأسيس حزب (العدالة والتنمية).

والآن، يجلس الرئيس العام للحزب أردوغان على كرسي المنصة من أجل إلقاء كلمة الافتتاح للمؤتمر الذي انضم إليه المدعوون وأعضاء الصحافة المحلية والأجنبية وذلك في فندق (بيلكانت أنقره).

وحينما بدأ أردوغان في إلقاء كلمته لم يستطع المدعوون وعلى رأسهم "بولنت أرينتش" أن يتمالكوا أنفسهم فانهمرت دموعهم. وكانت الكلمة تُعلن عن ميلاد كيان سياسي جديد طال انتظاره، ومن ناحية أخرى كان أردوغان مؤثراً للغاية في كلمته من خلال نبرته، وروحه، ومحتوى الكلمة، وقد تكشف للجميع أن تركيا قد أنجبت قائداً سياسيًّا جديداً وزعيماً كاريزميًّا محنكاً. وها هو نص الكلمة الافتتاحية:

"يا شعبنا العزيز

يا نخبة ممثلي الإعلام الوطني والدولي

أيها السادة النواب الموقرون

حضرات الضيوف المحترمين

إن القدر بلا أدنى شك قد مِنحني شخصياً ومنح أصدقائي الموجودين هنا الآن الكثير من الأيام السعيدة والذكريات الجميلة...

فعلى سبيل المثال، تعرفي على أصدقاء العمر، وزواجي...

وميلاد أطفالي...

وانتخاب الشعب إياي رئيساً لبلدية اسطنبول التي أعتبرها أجمل مدينة في العالم...

والجوائز التي حصلنا عليها تكريماً لخدماتنا، كما منحنا الاستحسان والتقدير اللذين وجدناهما من الشعب...

إن كل ذلك يمثل لي الصفحات المضيئة في حياتي البالغة 47 عاماً، والتي تجعلني أشعر بالسعادة والفخر، والتي تفعمني بحماسة كبيرة كلما تذكرتها.

وإنني على ثقة بأن لدى كل صديق من أصدقائي هنا العديد والعديد من صفحات السعادة والفخر في حياتهم مثلي تماماً.

إلا أنني أريد أن أعبر لحضراتكم بكل إخلاص عن أن هذه اللحظة السعيدة التي نعيشها معاً في هذه القاعة تملأنا جميعاً بحماسة شديدة، ومختلفة عن كل صفحات السعادة والفخر الموجودة في حياتنا...

لأن هذه الصفحة

هي مجموع كلّ الصفحات الأخرى

وهي اتحاد كلّ الصفحات الأخرى

وهي نتيجة كلّ الصفحات الأخرى، وتجسيدٌ لها

وهذه الصفحة باسم شعب الجمهورية التركية الجميل، وباسم مستقبل أمتنا، تبشر بميلاد أمل جديد وقوي، فهي تبشر بانضمام حزب (العدالة والتنمية) للحياة السياسية التركية.

فليكن حزبنا خيراً على أمتنا وعلينا جميعاً.

ولتمتلئ قلوبنا بالسعادة.

ولتمتلئ قلوبنا بالفخر.

ولتمتلئ قلوبنا بالأمل.

نحن وجميع الأصدقاء...

لأن هذه هي حياتنا بخطئها وصوابها. ولقد اخترنا بأنفسنا الاتجاه في هذه الطريق، والحمد لله على أننا نجحنا في النهاية.

إنـه منـذ هـذه اللحظـة هنـاك حقيقة جديدة في الحياة السياسـية التركية اسـمها حزب (العدالة والتنمية).

الأصدقاء الأعزاء

اليوم... يوم مهم...

فاليوم، سيُكتب في تاريخ السياسة التركية أنّ هذا اليوم هو اليوم الذي سقط فيـه حكـم الأقليـة القائـدة، وأنـه أيضـاً اليوم الـذي حل فيه مفهوم جديد لقيادة تمثل العقل الجمعي بدلاً من قيادة اعتمدت على الاحتكار.

واليوم، سيُكتب في تاريخ السياسة التركية أنه اليوم الذي تحولت فيه ديمقراطية داخـل أحـد الأحـزاب مـن مجـرد تقليـد يُتبع إلى سـيادية مهيمنـة في صورة (قواعد تأسيسـية ملحـة)، وأنـه اليـوم الـذي حـدث فيـه أيضاً (تغيير في طريقـة التفكير) في الوقت ذاته.

إن هذا اليوم

سـيُكتب في تاريخ السياسـة التركية بأنّه اليوم الذي تأسـس فيه نموذج لتكتل سياسي جديد تماماً، وشفاف في كل الاتجاهات، ويطالب بنزاهة الانتخابات والرقابة عليها.

فاليوم

سيُكتب في تاريخ السياسة التركية

أنه اليوم الذي وُلد فيه حزب (العدالة والتنمية) الذي قام بتأسيسه أفراد محبّون لخدمة الجماهير وليس للكرسي.

فليباركه الله لنا!

ومن بعد اليوم لن يبقى شـيء في السياسـة التركية مثلما كان عليه من قبل. عليكم أن تؤمنوا بذلك.

السادة الضيوف!

لقد قمتُ وأصدقائي في الفترة الممتدة ما بين الميلاد الفكري للحزب وتأسيسه رسـمياً بالعديـد مـن الزيـارات فـي مختلـف مدن (الأناضول)، والتقينـا وتعارفنا مع الملايين من شعبنا واحداً واحداً؛ وهم الذين يشكلون تركيا الحقيقة.

واستمعنا كثيراً، وتحدثنا قليلاً.

تلقينا توصيات كثيرة، وقلنا تعليمات قليلة.

تعرّفنا إلى الطفلة "عائشة" الصغيرة في السن، القروية في إحدى هذه الزيارات.

وكذلك الأم "فاطمة" التي تبكي دماً بدلاً من الدموع على ابنها المجند أو المغترب.

والتاجر أحمد الذي يعيش مأساة من الظروف التي يمر بها.

والعم عثمان المتقاعد الذي أجهده البحث عن العمل من أجل تعليم أحفاده.

كل هؤلاء لم نقل لهم: أعطونا أصواتكم حين نؤسس الحزب. لا، لم نقل لهم ذلك، ولن نقوله. وفي الحقيقة لم نكن في موقف يمكن الحديث فيه عن دعاية انتخابية.

وإنما فقط استمعنا لهم جيداً واحداً واحداً.

وقال لنا الأهالي في أثناء هذه الزيارات:

"إننا مجهدون، وحزانى ومكسورو الخاطر وليس لنا أمل في المستقبل".

وقالوا لنا على وجه الخصوص: "إننا ننتظركم".

وحمّلونا مهمة شاقة بأن قالوا: "والآن، ما الذي تنتظرونه؟!".

وأجبتُ هؤلاء الأهالي:

"يا أعمامنا، وأخوالنا، ويا خالاتنا، ويا إخوتي، لقد تحدثتم بصورة جيدة جداً. لكن، لا تجعلوني وأصدقائي نتراجع داخل أنفسنا حتى قبل أن نبدأ"، إذ إن هناك من يعملون على إعاقة مسيرتنا التي بدأناها من أجل حرية ورفاهية وديمقراطية أكثر لمستقبل تركيا، بل ووصفونا قائلين (إننا قرويون).

وسألتهم: "ماذا ستقولون لهم؟".

أتعلمون أي إجابة أجابوني بها؟

لقد قالوا: "إن تركيا لنا جميعاً".

لا زيادة ولا نقصان: "تركيا لنا جميعاً!".

إن تركيا منذ عام 1299م إلى عام 1923م كانت دائماً تتولد منا نحن، وستظل تستمد منا نحن أيضاً قوتها المعنوية، وطاقتها، ومقاومتها، حتى تتمكن من الوقوف على قدميها أمام كل الصعاب التي تواجهها.

والذين يعملون على إعاقتكم فليتذكروا أنكم تقدمون فلذات أكبادكم وأبناءكم

فـداءً للوطـن ضـد أي خطـر، ومـن دون أي تـردد مـن أجل سـلامة تركيا. إنّ الذين يستخرجون المواد الخام اللازمة للصناعة الوطنية، والذين يستهلكون المنتجات التي تنتجها هذه المصانع، والذين يساندون وطنهم بتقديم الضرائب من ناحية، وبالدعاء من ناحية أخرى هم نحن. فنحن من نفعل كل ذلك دوماً.

ونحن

لم نتخلَّ عن هذا الوطن ولا عمّن يعيشون فوق أراضيه قط، ولن نفعل ذلك مستقبلاً.

الآن، اذهـب وقـل هـذا بلغـة مناسـبة لمـن يعمـل علـى إيقـاف مسـيرتك أنت وأصدقائك.

هـذه هـي الإجابـات التـي طالما حصلنـا عليها طوال رحلاتنا عبر (الأناضول) والتي استمرت لأشهر.

الأصدقاء الأعزاء

إنه خطأ كبير أن نصف هذه الكلمات بأنها إجابة على سؤال. فما سمعناه ليس إجابة وإنما هو صرخة تقشعر منها الأبدان.

واليـوم، وصلـت هـذه الصرخـة إلـى (أنقـره) من خلال تأسـيس حزب العدالة والتنمية... فلعلكم تعرفون ذلك!

الأصدقاء الأعزاء

لقد شهدنا هذه اللحظات التي لا يمكن وصفها إلا بأنها كانت لحظات فارقة غيـر طبيعيـة فـي أثنـاء رحلاتـي وأصدقائي في (الأناضول)؛ والتي قمنا بها كمشـهد سياسي.

وصدقونـي حينمـا أقـول إننـي أجـد صعوبـة في إيجـاد الكلمات التي تعبر عن تلك السـعادة التي شـعرنا بها تجاه هذا الاهتمام الذي رأيناه من الطبقات الشـعبية المتعددة هناك، وتصفها.

إلا أنني أستطيع أن أقول:

إننا نعرف جيداً معنى هذه الحفاوة وقيمتها؛ هذه الحفاوة التي لم تتسـنَّ إلا للقليل جداً من الحركات في تاريخ السياسة التركية.

وإننا مدركون ثقل المسـؤولية التي حمَّلتنا إياها هذه الحفاوة؛ أكثر من كوننا

على علم بقيمتها.

وأنا على ثقة من أننا لن نخذلهم.

إن حزب (العدالة والتنمية) على ثقة من نفسه وشعبه بالقدر الذي لا يشعر فيه بالخوف من التحولات والتغيرات التي يرى أنها مصدر لا ينضب من الطاقة للعناصر التاريخية والثقافية للوطن، وإن الحزب سوف ينطلق من أجل وضع الطاقة الناجمة من هذه الحفاوة التي لقيها في إدارته.

الأصدقاء الأعزاء

إنني منذ البداية كان ينبغي علي القول إنّ حزبنا سيظل مناهضاً بشدة لهذا المفهوم السياسي المعتمد على المعارك الكلامية التي لا تستهدف سوى الأشخاص.

وفي هذا الإطار، إنّ حكومتنا ومعارضاتنا ستنصب على (أسس مبدئيّة) من الألف إلى الياء.

وحزبنا الذي جعل أحد مبادئه (الانفتاح الجيد، والحوار، واستخدام لغة تعمل على الوحدة والتصالح)، سينطلق بهدف إحياء عادة (الإنصات والفهم) وترسيخها، وهي مفهوم لم يلقَ العناية الكافية حتى هذا اليوم في المناخ السياسي التركي.

إن "فولتيير" المفكر الكبير الذي له إسهامات من خلال وجهات نظره التي تخطت عصره في فترة الميلاد الطويلة والعسيرة للنظام السياسي الذي نسميه نحن (الديمقراطية)؛ وهي أفضل صورة للإدارة اكتشفتها الإنسانية حتى اليوم، يعتبر واحداً من أكثر المرشدين جدية في هذه الطريق الطويلة للديمقراطية من خلال عبارته التالية:

"صديقي العزيز، إنني لا أوافق على وجهات نظرك، لكنني مستعد لتقديم روحي لتستطيع أن تعبر عن أفكارك بسهولة".

الأصدقاء الأعزاء

إن حزب (العدالة والتنمية) مرشح ليكون حزب المبادئ في تركيا بكل اتجاهاتها. إلا أنني يجب أن أؤكد على ما يلي:

إن (ديكتاتورية القائد) لن يكون لها مكان في حزبنا السياسي الجديد الذي أسسناه مثلما سبق وأشرت. وإنما سيتحرك القائد دائماً في إطار "مفهوم لقيادة تأخذ في اعتبارها الفكر الجماعي والمشترك، ويتوافق مع ما يخلص إليه من نتائج". وإن

المدة الوظيفية لنواب الشعب ولرئاسة الحزب عن المقاطعات والمحافظات - بما في ذلك قيادة الحزب - قد تم تحديدها وفقاً للقانون التأسيسي للحزب وليس وفقاً لأهوائهم. لأن أي حركة سياسية تثق بنفسها وتؤمن بأنها ستظل باقية في الحياة السياسية في بلدها يجب عليها في الوقت نفسه أن تثق بأجيالها الجديدة التي ستولد في مؤسساتها أو في الدولة ككل، بل وتساهم في تربيتها.

وكما أن "بيل كلينتون" لم يمد فترة رئاسته رغم نجاحه في إدارة الديمقراطية الأمريكية، وكما أن "توني بلير" قد أعلن أنه لن يترشح لفترة جديدة رغم النجاح الذي أبداه والشعبية التي حققها، فالسياسة التركية ستسوعب هذا المعنى من خلال جهودنا وتطبيقنا إياه، بل وستجدد بناءها المترهل والمتأخر.

وهناك منحىً آخر لحزبنا وله الأسبقية في طرحه على الساحة السياسية التركية، ألا وهو إنهاؤه النظرة للمقام السياسي على أنه: (وسيلة للحصول بسهولة على امتيازات وثروات). ولهذا السبب، تم توسيع القاعدة التي تشملها ضرورة تقديم (إقرارات الذمة المالية) بموجب القانون من خلال القانون التأسيسي للحزب ليشمل رئيس الحزب، ومؤسسيه، وأعضاء مجلس الإدارة واتخاذ القرار، وأعضاء مجلس التخطيط المركزي.

السادة الضيوف

إنني كلما نظرتُ إلى مواد القانون التأسيسي للحزب وبرنامجه، تتبادر إلى ذهني باستمرار صورة بعض الأشخاص الذين سيسألون: ما الجديد لديكم؟ وإنني أعلم أن هؤلاء الأشخاص سيحزنون كثيراً لما بدر منهم بعد رؤيتهم برنامجنا وقانوننا التأسيسي ومبادئنا التي سنقوم بعرضها عليكم وعلى الرأي العام اعتباراً من اليوم.

وهنا، يجب أن أذكر أن تفسيراتنا بشأن القانون التأسيسي وبرامجنا ومبادئنا ليست مرتبطة باليوم فحسب، إنما سوف تستمر خلال احتفالاتنا على مدار الأسبوع. هذا وسيستمر تشاركنا معكم ومع الرأي العام، بالإضافة إلى اقتراحاتنا وآرائنا في ما يتعلق بقضايا الدولة.

إن كل مادة موجودة في القانون التأسيسي للحزب تُعد ثورة في التاريخ السياسي لتركيا، فبمَ نبدأ؟ على سبيل المثال:

هل أبدأ بأنّه سيتم اختيار كل من يقوم بوظيفة في الحزب من خلال الانتخاب؛

بدايةً من إدارة الحزب، إلى فروع الشباب والمرأة بالمراكز القروية. وأنه لن يأتي أي شخص على رأس وظيفة إلا من خلال الانتخاب؟!

أم أخبركم أن كل الأعمال داخل الحزب ستكون متاحة أمام القضاء؟!

أم إنه عند تحديد شخص ما لخوض معركة انتخابية باسم الحزب مثل نواب الشعب ورؤساء البلديات فإن الأساس الذي سيعتمده أعضاء الحزب عند اختيار هذا الشخص هو موافقة كل الأعضاء عليه من خلال انتخابات أولية واستطلاع لرأي التشكيلات؟

أم إنه ستتأسس داخل الحزب (هيئة تحكيمية) لفض الخلافات التي قد تظهر داخله؟

أم إنه سيتم إجراء (استفتاء) داخل الحزب - والذي سينضم إليه كل أعضاء الحزب - لتحديد التوجهات السياسية الهامة؟

نعم، إن حزبنا سيكون قد أتى بالعديد والعديد من التجديدات الثورية على السياسية التركية.

الأصدقاء الأعزاء

والآن، هل يمكنكم أن تجيبوني على هذه الأسئلة: لماذا قمنا بكل هذه الخطوات التاريخية وغير المسبوقة من ناحية تطوير الديمقراطية التركية؟ ولماذا شعرنا بالحاجة، وبهذه الدرجة الملحة، لإحياء بعض التقاليد التي كانت قد ضعفت في السياسة التركية؟

ألم تكن الأمور تدار بالطريقة التي نعرفها جميعاً؟

إن الإجابة على ذلك بسيطة بدرجة كبيرة:

إنني وأصدقائي لا نؤمن بأن (الفترة الانتقالية) التي تعرض فيها الشعب للظلم على مدار سنوات هي قدرنا الوحيد والذي لا يتغير!

ونقول إنه ليس مقدراً على الأمة الكبيرة أن تدار بنظام (الديمقراطية من الطبقة الثالثة) وليس حتى من الطبقة (الثانية).

ونقول إنه ليس مقدراً على الدولة أن تتلقى توبيخات من الدول الأخرى بسبب الانتهاكات الحقوقية والتجاوزات في حقوق الإنسان والحريات التي تحصل فيها.

ونقول إنه ليس مقدراً على الأمة أن تنتظر مثل (الشحاذ) على أبواب المؤسسات

التمويلية الدولية في حين أنها تمتلك ثروات طبيعية طائلة.

ونقول إنه ليس مقدراً على الأمة العظيمة أن تتابع على صفحات الصحف وشاشات التلفاز مشاهد لأناس يعيشون تحت خط الفقر، في حين أنها تحاط بالبحار من ثلاث جهات، ولديها مئات الآلاف من الكيلومترات من الأراضي الزراعية.

فلندع كل ذلك جانباً، ولننظر إلى عدد السكان البالغ 65 مليون نسمة. فهذا العدد من السكان يُعد مصدراً ذاتياً يُمكِّن هذه الأمة من أن تعيش في رفاهية وسعادة.

إنه ليس من حق أي شخص أن يُحوِّل هذه الدولة باقتصادها وسياستها وعمق علاقاتها الخارجية وقدم مؤسساتها القانونية والتعليمية والصحية إلى جمهورية من (جمهوريات الموز) المثيرة للشفقة والسخرية في آن واحد، والتي نرى مشاهدها ببعض دول أمريكا الجنوبية.

إننا فريق عمل واحد نعلم جيداً من نحن، وما الدور الذي نتحمله تاريخياً، ونعلم أيضاً من أين نأتي وإلى أين نتجه. إننا أبناء أمة أسست إحدى أكبر الحضارات على وجه الأرض، وأصبحت نموذجاً يحتذي به العالم بأسره لمئات السنين في الثقافة، والصناعة، والتجارة، والعلوم العسكرية، وفي إدارة الدولة.

إننا وإذا كنا لا نفتخر بما تركه لنا أجدادنا من إرث عظيم، فنحن لا نشعر بالخجل من ذلك أيضاً. إذ إننا نعمل على أن يكون هذا منطلقاً لنا لصنع حاضر مشرق.

ومع ذلك، إنّ الوضع الذي نحن فيه الآن، ليس فيه ما يدعو للأمل كثيراً. وكما قلت من قبل، وأعود وأكرر:

إن تركيا تنزلق الآن للأسفل بكل مؤسساتها. ولقد تعرفت منذ عدة أشهر على أحد المغتربين الأتراك الذين عاشوا لسنوات طويلة خارج الوطن. وهو رجل من (قونيه) عاش 30 عاماً في بلجيكا.

قال لي: "إن بلجيكا من حيث المساحة أصغر من (قونيه). ولكن، هناك عدد من أهالي (قونيه) الذين يعملون وكأنهم سيبنون (قونيه) أخرى هناك. فمتى ستنتهي غربتنا هذه التي بدأناها من أجل لقمة العيش؟".

وها نحن حزب (العدالة والتنمية) نأتي لنقول لهذه الغربة: كفى!

السادة الضيوف!

يجب أن أذكر أننا لسنا معنيين فقط بالمشاكل الداخلية التي تواجهها الدولة فحسب، وإنما نولي أهمية كبيرة للعلاقات في بعدها الدولي أيضاً.

وينساق بنا الحديث إلى موضوع عضوية الاتحاد الأوروبي.

هناك الملايين من الأتراك الذين ارتحلوا عن الوطن حتى الآن. ولكن، أيوجد لدى هؤلاء أي خلل في (حب الوطن)، أو نقص جيني متعلق بذلك؟ بالطبع لا.

وكما قلت لكم سلفاً، إن الشعب التركي واحد من أكثر الشعوب على وجه الأرض حباً لوطنه وارتباطاً به. إذاً، ما هي الضرورة التي تدفع بأمة مرتبطة بدولتها وأمتها وتراب بلدها إلى هذا الحد إلى الارتحال في شتى أنحاء الأرض من ألمانيا إلى ليبيا، ومن هولندا إلى أمريكا؟

إنها بلا شك لقمة العيش!

إنها بلا شك الحاجة للإحساس بالأمان في المستقبل!

إنها بلا شك الحاجة للسعادة والرفاهية!

ولهذا، إننا نقول (نعم) لعضوية الاتحاد الأوروبي. لأن الذي يوجه الإنسان التركي نحو الارتحال إلى الدول الأجنبية هو الفقر والاحتياج. وهذه الحاجة سوف تتلاشى عندما تكون مستويات المعيشة السياسية والاقتصادية لهذه الدول الأجنبية موجودة في تركيا.

إننا نقول (نعم) لعضوية الاتحاد الأوروبي لأننا نهدف إلى أن نأتي لمواطنينا بما تتمتع به أوروبا من مستوىً عالٍ من الديمقراطية بأنظمتها في الحقوق، والعدالة، والتعليم، وما وصلت إليه من رفاهية اقتصادية حتى يتراجع الإنسان التركي عن الارتحال إلى أوروبا.

إننا نؤمن أيضاً أنه بقدر ما ستفيدنا أوروبا، وبقدر ما سنكتسبه منها في أثناء توجهنا نحوها، ستُفيد نحن أوروبا بالقدر نفسه من خلال رأس مالنا القوي الذي سنعرضه على أصدقائنا الأوروبيين، من خلال مصدرنا البشري الشاب المتمتع بقدر عالٍ من التعليم، وثقافتنا الثرية، وتقاليد دولتنا التي تضرب في أعماق التاريخ.

ومن هذه الناحية، إننا لم نرَ ولن نرى عقد الشراكة الذي سنوقعه مع أوروبا على أنه استفادة من قِبَل طرف واحد.

الضيوف الأعزاء

بينما أنا أقترب من إنهاء حديثي، ثمة موضوع آخر ينبغي على التأكيد عليه في محتوى هذا التصريح التاريخي. هناك بعض الأوساط التي تولي أهمية بالغة لأحاديثي؛ وخاصة بعض الأصدقاء في وسائل الإعلام التي أصبحت وكأنها تقوم بتحقيق ضدي وضد أصدقائي بصورة لم أستطع أن أجد لها تفسيراً. فالإعلاميون يقولون الكثير من الأشياء مثل:

"يجب على أردوغان ورفاقه أن يشرحوا وباستفاضة أمام الرأي العام مبادئ الحزب الذي سوف يؤسسونه وفلسفته. ويجب أن يوضحوا على وجه الخصوص ما إذا كانت وجهات نظرهم بشأن بعض القضايا قد تغيرت أم لا. وكذلك ينبغي عليهم أن يفسروا للإعلام بشكل مفصل المواقف التي سيتخذونها أمام قضايا الدولة المستقبلية".

إننا نتابع ما يفعلونه من (عاصفة الاستجوابات)، إنما هو حق يراد به باطل، فهي أسئلة منطقية لكنها خاطئة من حيث التوقيت، بل إنها غير أخلاقية. إنني أقول إنها خاطئة من حيث توقيتها، لأنه يجب ألا يغفلوا أنني والعديد ممن يحتلون مكاناً داخل الحركة أصحاب (خبرة إدارية) اكتسبناها من وظائفنا التي أديناها لسنوات طويلة في المجال السياسي. وإنني أرى عند النظر إلى القضية من هذه الناحية أنّ لدينا من (الخبرة الاحترافية) ما يكفي لكي نعلم ماذا ينبغي علينا أن نوضحه من تقاليدنا السياسية ومفهومنا لإدارة الدولة؛ ومتى نفعل ذلك. ونحن من هذه الناحية لسنا في موقف يمكن لأي شخص كان أن يقوم بتوجيهنا لما ينبغي فعله أمام الإعلام والرأي العام.

والخلاصة، إنّ لكل شيء ميقاته، والآن حان هذا (الوقت). وعلى الجميع أن يعوا هذه الحقيقة؛ وهي أنّ أردوغان ورفاقه ليسوا ممن لا يستطيعون التكلم، إنما على العكس من ذلك تماماً، فهناك الكثير والكثير مما سيتكلم به أردوغان ورفاقه أمام الرأي العام. ومثلما قلت، لقد حان الأوان لذلك.

أصدقائي الأعزاء

إن كل سياسي يحدد معاييره بنفسه، بل إن هذا ما تفعله كل مؤسسة سياسيّة أيضاً. ولا تنسوا أن الإنسان يحترم الآخر بقدر صدقه معه. وهذا هو المنطق الذي يتحرك من خلاله حزب (العدالة والتنمية) منذ اليوم الأول لتأسيسه.

إن حزبنا يتألف من مجموعة من المؤسسين الذين حققوا نجاحات كبيرة في حياتهم السياسية من قبل، أو ممن تبوأوا أعلى المناصب داخل المجتمع، أو أيضاً ممن لهم مكانة مرموقة في شتى مجالات الحياة المدنية: تجارية وصناعية وإدارية وثقافية.

وإن كل رفاقي هؤلاء بلا استثناء، إن لم يكونوا ها هنا الآن من أجل معركتهم من خلال الحزب، لكانوا مستمرين في مكاناتهم الممتازة السابقة في حياتنا التجارية والثقافية وفي صناعتنا القومية. إلا أنهم اختاروا بكل شجاعة هذه المعركة التي تعتبر خدمة لهذا المجتمع الرائع؛ بما في ذلك التعرض للمحن. لهذا السبب، إنّ أصدقائي هؤلاء جميعاً يستحقون التهنئة واحداً واحداً.

إنّ الطريق الذي سلكناه معاً لا يمتد لعدة أيام فقط، لذا، ستعلم تركيا بأسرها ماهية هذا الدرب في المستقبل القريب.

ضيوفنا المحترمين

لا يفوتني التنويه إلى أن هذه الكلمة التي ألقيتها بمناسبتنا السعيدة اليوم ستُكتب في صفحات تاريخ السياسة التركية على أنها نصٌّ بَنّاءٌ لأقصى درجة، يعبر عن اشتياقنا لتركيا أكثر ديمقراطية، وعن تطلعاتنا لأن تستقر لدينا ثقافة التصالح مع الآخر وتقبله من حيث عملنا على خدمة المجتمع التي طالما تمسكنا بها، بحيث يدرك المجتمع حرصنا الذي لا نظير له على خدمته من خلال مرشحينا في مختلف الوظائف، ويتقبّل مرشحينا هؤلاء بشكل صحيح.

وأتمنى أن أكون قد قدمت أيضاً بعض الإجابات على الأسئلة البناءة التي تتعلق سياسياً بحزبنا الجديد، والتي تدور في رأس الأصدقاء من كل الأوساط.

هذا وأتوجه لكم جميعاً بالشكر والتقدير على أمل اللقاء مع حضراتكم مرات ومرات من خلال علاقات متبادلة وبناءة على مستوى السياسة التركية، وتفضلوا مني بقبول فائق التحية والتقدير".

واحد من الأعمال الأولى التي تم اتخاذها عقب تأسيس الحزب رسمياً، وربما أهمها، كان تشكيل المؤسسات الحزبية. فقد تم تحديد الإدارة العليا، ومديري مجموعات الحزب، وتم تكليف "عبد اللطيف شنر" بوظيفة مساعد رئيس الحزب عن مؤسساته.

أما تحديد رؤساء فروع الحزب بالمحافظات فقد استمر لفترة طويلة، إذ إن المرشح لهذه الوظيفة لم يكن يكلف بتوليها إلا بعد أن يخضع لبحث وتقصٍّ جادَّين. وكان لا يُعاني من نقص في قاعدة البيانات، إذ حين يتم الاحتياج لتعيين شخص ما لإحدى الوظائف مثلاً يتم الرجوع لاستطلاعات الرأي التي كان قد تم عملها من قبل، وتصنف النتائج ليستخلص منها عدة أسماء. وبالإضافة إلى مميزات الأشخاص، يتم الاستناد على استطلاعات الرأي هذه في تعيين رؤساء الأحزاب بالمحافظات.

الوضع المالي

كانـت المشـكلة الماليـة هـي أكبـر المشـاكل التـي تواجه الحزب عند إنشـائه. وكان يتم التعامل مع هذه المشكلة من قبل من خلال مواقف أردوغان الشخصية. وكانت تجربته السياسية تحتِّم عليه أن يتصرف بحساسية بالغة نحو الجوانب التمويلية للحزب. وكان بابه مفتوحاً أمام المساعدات التي تأتي من أصحاب المحال الصغيرة، ومن التجار، ومن المتبرعين. إلا أنه على الرغم من ذلك كان لا يتحمس إلى بعض التوصيات التي يقوم بها الحزب في المحافظات حتى يجمع له الأهالي التبرعات، وذلك حتى لا يشعر أحد بالضرر من ذلك.

و"فـاروق كوجـا" هـو أحد المسـؤولين داخـل اللجنة المكلفة بتوفير المال في فترة تأسيس الحزب، وهو يحكي لنا عن أحد المواقف التي عاشها آنذاك بقوله:

"اتصل جام أوزان بنا مرتين، وأبلغني برغبته في أن يتحدث إلى السيد أردوغان. وحينما فطن إلى أنه لن يصل إلى شيء جاء بنفسه إلى المكتب الموجود في (يلديز)، وتناقشـت معه بنفسـي، وكان يريد التبرع بمبلغ كبير. وحينما علم السـيد أردوغان بذلك لم يقابله، ولم يوافق أيضاً على طلب التقدم بالمساعدة الذي تركه السيد جام.

وقـد عشـت أيضـاً واقعـة مماثلـة مـع "هاشـم بايـرام". فقد تصرف معه السـيد أردوغان بالطريقة نفسـها. وعلى الرغم من إصرار السـيد "هاشـم" إلاّ أنّ أردوغان لـم يقابلـه، وقـال لـي بعـد ذلـك: إن مئـة ليرة تأخذها من تجار بسـطاء في منطقتك أكثر بركة من عشرة ملايين يعطيك إيّاها هؤلاء".

الاختبار الأول:
محافظة (قيصري)

كانت أولى الزيارات موجهة إلى محافظة (قيصري) في ما يتعلق بتأسيس مؤسسات الحزب بالمدن.

كان الجميع بلا استثناء مفعمين بمشاعر جياشة، فقد قوبِل تأسيس الحزب بحماسة بالغة في كل أرجاء الوطن، إلا أن أولى محطات التأكد من هذا الوضع كانت في (قيصري).

بذلك كانت (قيصري) أول اختبار فعلي لحزب (العدالة والتنمية). وفيها سيتضح بما لا يدع مجالاً للشك ما إذا كانت الأعمال والمجهودات المبذولة حتى هذا اليوم قد وصلت إلى نتيجة جيدة أم لا. بالإضافة إلى أن (قيصري) هي محل ميلاد رجالات الحزب الكبار أمثال "عبد الله غول"، و"صالح قابوسوز"، و"صادق ياقوت"، و"عرفان غوندوز".

وعندما وصل الجمع لساحة الاجتماع، سرعان ما تبدد التوتر والخوف والترقب من الجميع، وحل محلّها الأمل، والشغف، والشعور بالفخر، نتيجة للنجاح، لأن الساحة كانت ممتلئة عن بكرة أبيها.

ومن بعد (قيصري) تجول الحزب في محافظات تركيا كلها البالغ عددها 81 محافظة. وكانت الاحتفالات تبدو وكأنها دعاية انتخابية من فرط حب الجماهير، وليست افتتاح فرع حزبي بمدينة ما، حتى إنه قد بدا لمن يشاهد هذا المشهد العام أن حزب (العدالة والتنمية) على رأس الحكومة مع أول انتخابات قادمة.

مراكز للحزب بمحافظات
طرابزون وريزه وأرتيفين

وجاء الدور على افتتاح مراكز للحزب بمحافظات (طرابزون)، و(ريزه)، و(أرتيفين). وفي تلك الفترة، توجه أردوغان لأول مرة إلى مسقط رأسه مدينة (ريزه) كرئيس عام للحزب.

تم افتتاح مقر الحزب بمدينة (طرابزون)، واتجه الركب إلى مدينة (ريزه). وكانت الرحلة تسير بسهولة ويسر حتى نهر (إيبداره) الذي يفصل بين مدينة (ريزه) ومقاطعة (أوف)، إلى أن توقفت القافلة فجأة عندما وصلت إلى الجسر الذي يعبر نهر (إيبداره). واتجهت مجموعة من الأشخاص الذين نزلوا من السيارات الأمامية نحو أردوغان وأوضحوا له الأمر: "يا رئيس! إننا قمنا بما علينا حتى الآن، أما ما بعد ذلك، فهو داخل أراضي مدينة ريزه، ولا نستطيع أن ندخلها...".

وكان هناك عدد كبير من أهالي مدينة (ريزه) قد تجمعوا في الناحية الأخرى من الجسر في انتظار الضيوف.

كان السيد أردوغان لا يريد أن يعكر صفو هذه الصورة التي تشير إلى التضاد التقليدي في أسلوب المعيشة بين أهالي (ريزه) وأهالي (أوف)، فقام ومَن معه بعبور الجسر سيراً على الأقدام، ثم استقلوا الحافلات التي أتى بها أهالي (ريزه) وواصلوا طريقهم جميعاً.

كانت القافلة تقترب من (فينديقلي) إحدى المقاطعات الموجودة على الطريق. ووفقاً لبرنامج الرحلة كان ينبغي أن يتم التقدم في السير من خلال الطريق الساحلي من دون الدخول إلى المقاطعة ذاتها. إلا أن أهالي (فينديقلي) قاموا بقطع الطريق وإيقاف القافلة، وكان هدفهم إدخال القافلة إلى داخل المقاطعة.

وما حدث بعد ذلك يقصه علينا المصور "بشير جوشكون":

"لقد قطع الأهالي علينا الطريق ولم يكن لدينا متسع من الوقت، بل كنا قد تأخرنا كثيراً. فقد طلب منا السيد أردوغان الاستمرار في رحلتنا، وكانت الحافلة تتقدم ببطء شديد من كثرة الناس. إلا أننا فوجئنا بعد مسافة قصيرة بسيارة تقف في عرض الطريق، وتمنع مرور السيارات تماماً. فنزلت من الحافلة، وتقدمت نحو السيارة لأعرف ماهية الأمر، ونظرت فلم أجد أحداً بالسيارة لكن المفاتيح كانت بلوحة التشغيل. فقمت بتشغيل محرّك السيارة حتى أحركها من مكانها فيُفتح الطريق مرة ثانية. وفجأة، وجدت مسدساً مصوباً نحو رأسي وصاحبه يقول لي: "انزل من السيارة، إن هذه الحافلة ستدخل المقاطعة عندنا!".

نزلت من السيارة، وكان السيد أردوغان يتابع الموقف من الزجاج الأمامي للحافلة، فأشرت بيدي أنه لا حيلة لي في ما يحدث، فلم يكن بيدي آنذاك ما يمكنني فعله. وبالفعل دخلنا المقاطعة، واجتمعنا بالأهالي هناك؛ وبالطبع تحت تهديد السلاح".

لقد كان وقت الرحلة فيه بركة بالفعل. والاهتمام الذي أبداه الأهالي نحو السيد أردوغان كان اهتماما فوق العادة. فكان الأهالي من كل القرى والمقاطعات مصطفين على امتداد الطريق طوال الرحلة من أجل رؤية أردوغان وإلقاء التحية عليه.

كانت (بورتشقا) إحدى المقاطعات الأخرى الموجودة على طريق الرحلة، وكان قد كُتِب على اللوحة الموجودة على مدخل المقاطعة أن عدد سكانها يبلغ 8600 نسمة، إلا أن عدد المجتمعين في مركز المقاطعة ربما كان يفوق العشرة آلاف شخص. ومعنى ذلك أن الأهالي الذين يعيشون في القرى التابعة لمقاطعة (بورتشقا) قد أتوا أيضاً لرؤية أردوغان. وقد تأثر أردوغان من ذلك كثيراً، فقام بإلقاء خطاب عليهم، كل كلمة فيه تخرج من صميم أعماقه، وشكر مراراً وتكراراً أهالي (بورتشقا) على ما أبدوه من اهتمام به.

انتهى الاجتماع الشعبي هذا؛ إلا أن الأهالي من فرط مشاعرهم الجياشة ظلوا يهرولون بجانب حافلة أردوغان حتى مخرج المقاطعة. فقد صدّقوا كل ما قاله أردوغان؛ إذ وعدهم (بتركيا جديدة)".

هل تعثّر أرينتش في خطبته؟

جاء الدور على مدينة (مانيسا)؛ بعد أن دخلنا المدينة، استقبل الأهالي أردوغان بالتحية من شرفات المنازل المصطفة على جانبي الطريق المؤدي إلى ساحة الاجتماع ونوافذها، وكانوا يلقون الورود على القافلة التي كانت تتقدم ببطء. واستغرقت الحافلة التي كانت تقل أردوغان زمناً طويلاً للوصول إلى الساحة بسبب الكثافة العالية للأهالي رغم قصر المسافة.

ولأن الساحة التي سيلقي فيها أردوغان كلمته لم تكن كبيرة بشكل كافٍ، لم يجد الأهالي مكاناً إلا للوقوف على أقدامهم، فكانت الصورة أشبه بتظاهرة كبيرة.

وحينما حل موعد الخطبة، صعد "بولنت أرينتش" على المنصة لإلقاء كلمته، إلا أن الكلمات لم تسعفه، ولم يقل سوى "أشكركم". وكان يريد أن يمنع الدموع من الانهمار من عينيه، لكنه لم يستطع. وكان حديثه مجرد تكرار للشكر. هذا هو بولنت أرينتش المعروف بالبلاغة في إلقاء الخطب، وربما كانت هذه اللحظة هي أسعد لحظات حياته السياسية الممتدة لثلاثين عاماً، لهذا، لم يجد كلمة يعبر بها عن شعوره بالسعادة هذه أفضل وأنسب من كلمة "أشكركم".

ولا يمكن القول إنّ نسبة احتشاد الجماهير في الميادين هي المقياس الوحيد للدلالة على قوة الأحزاب السياسية. فهناك طرق عديدة يمكن من خلالها حشد ميادين الاجتماعات الشعبية بالأهالي، فهناك من يذهب عن طيب خاطر، وهناك من يجعل الجند يرتدون الملابس المدنية ويزجّ بهم في تلك الأماكن، وهناك الموظفون الذين يذهبون من أجل الحصول على إجازة، وغيرهم الكثير... ولكن، حينما ننظر إلى أسلوب كل هذا الجمع المنضم للاجتماع واهتمامه يمكننا أن نخمن بصورة أقرب للحقيقة التوجه السياسي لهذه المدينة. وهذه هي سمة أغلب الاجتماعات التي قام بها حزب (العدالة والتنمية)؛ فهي اجتماعات تُظهر التوجه الشعبي بصورة كبيرة.

وفي أحد الاجتماعات سألنا أردوغان ورفاقه: "حينما تقفون في الميادين في

أشـهر الصيـف الحـارة، أو فـي فصـول الشـتاء والمطر يهطـل، وخاصة في الأوقات شديدة البرودة والثلج يحيط بكم، أفلا يؤثر الثلج هذا على أقدامكم وأنتم واقفون؟ ألا تشعرون بالتعب؟".

فـرد علينـا أردوغـان قائـلاً: "إن نظرات الأهالي تجعلنا نشـعر بالدفء. فعندما أخرج إليهم، وأنظر إلى أعينهم، وأرى الصدق والحماسـة أشـعر بدفء يسـري في بدني، بل ويذهب كل تعبي، بل لا أسـتطيع أن أعبر لكم تماماً عن مشـاعري في ذلـك الحيـن، وهـذا مـا يفسـر عدم التزامي بمقعدي علـى المنصة؛ فبمجرد أن أرى نفسـي وسـط هـذه الجمـوع، أجـد الطاقة وقد تفجرت بداخلـي. وإذا انفض الجمع تفتر طاقتي، أما إذا ظل الجمع متحمّساً، فأجد أنني أسـتمد الطاقة من حماسـتهم وأطيل في حديثي.

وهنـاك أمـر أضعـه نصـب عيني خـلال هذه الاجتماعات؛ وهـو أن من جاءوا ليسـمعوني ربمـا انتظـروا قبـل قدومـي لعـدة سـاعات، وهـم ثابتون فـي أماكنهم لا يسـتطيعون التحرك لكثرة العدد، أما أنا، فحتى وإن كنت في مسـاحة ليسـت كبيرة، إلا أنني أسـتطيع التحرك. وأفكر حينها في أن أظل مثلهم مقيداً نفسـي في مكاني لإدراكي ما يشعرون به، وأجد نفسي أفكر دائماً في ما ينبغي فعله لتقديم الأفضل لهؤلاء الناس".

كان أردوغان ورفاقه يواجهون في بعض هذه الاجتماعات - إن لم يكن في أغلبها - مشـاكل عديدة؛ منها مشـكلة الحديث لسـاعات طويلة، ثم الانطلاق على وجـه السـرعة إلـى اجتمـاع آخـر لفعل الشـيء نفسـه. وأحياناً كانـوا يجدون صعوبة في الحصول على أساسـيات الحياة مثل الطعام، ولا يكون هناك حلّ آخر سـوى المشاركة في ما هو موجود بين أيديهم مهما كان بسيطاً.

ويقص علينا "بشير جوشكون" ما يلي:

"لقد قمنا بافتتاح مركز الحزب في مدينة بايبوت، وكنا سننتقل من هناك إلى حي غوموشـهانه. فجلسـت على سـلم الحافلة لأسـتريح قليلاً. وحينما رآني السـيد أردوغان وهو يدخل الحافلة من الناحية الأخرى سأل صديقنا خالد عن الأمر، ثم جاء خالد ناحيتنا فسألته:

"هل لدينا ما نأكله يا خالد؟".

"يا سيدي، لقد اشتريت شطيرة شاورمة". ومد يديه بالشطيرة إليّ قائلاً: "تفضل خذها".

فقال السيد أردوغان: "لكننا كلنا جائعون. ألم تقوموا بتنظيم مسألة الطعام؟".

وعندئذٍ، ومن دون أن أنتظر أن يقول خالد أي شيء، أخذت الشطيرة من يديه وقسمتها بيني وبينه، وبينما كنت على وشك تناول النصف الذي أخذته، إذ بالسيد أردوغان يقول لي: "انتظر، هذا النصف من الشطيرة سنتقاسمه معاً".

فقلت له: "لا يا سيدي. أنا لست جائعاً الآن. فلتتفضل أنت، ولتتناوله بالهناء والشفاء". لكنه لم يصغِ إلي وقسم نصف الشطيرة بيني وبينه، وأكل نصيبه بسرعة من شدة الجوع.

يا لهما من طيبة وحكمة يتمتع بهما السيد أردوغان: فهو لم يقبل أن يأكل هو بينما أظل جائعاً. وفي إحدى المرات، ذهبنا لنفطر في يوم من أيام شهر رمضان عند سيدة فقيرة معوّقة، ولديها ثلاثة أبناء، وكان منزلها عبارة عن غرفة واحدة من الطوب اللبِن في منطقة (غولباشي) العشوائية.

كنا قد ذهبنا من دون أن نخبرهم مسبقاً، وحينما دخلنا المنزل كانت الأم وأطفالها يجلسون إلى مائدة الطعام، وكانت هناك ورقة مفروشة فوق قطعة من الخشب عليها العديد من الفطائر، فألقى السيد أردوغان عليهم السلام، وجلس مباشرة إلى مائدة الطعام. وحينما رآنا في حالة من الذهول ونحن واقفان على أقدامنا قال لنا: "هيا يا "بشير" و"مجاهد" هلما بالجلوس". وإنني أظنه قد فهم أننا ما كنا نريد ذلك، لكننا في النهاية اضطررنا إلى الجلوس معه إلى مائدة الطعام.

قام السيد أردوغان بتقسيم الفطيرة الموجودة أمامه إلى نصفين، ووضع نصفها أمامي، لكنني حينما نظرت إلى المرأة وإلى أطفالها وإلى الحالة التي يعيشون فيها لم أستطع تناول الطعام، فقمت بقطع جزء من نصيبي ووضعته في فمي حتى لا أحرج أصحاب البيت، لكنني لم أستطع ابتلاع تلك اللقمة أيضاً.

كنت أتظاهر بأنني أتناول الطعام بتحريك تلك اللقمة في فمي يميناً ويساراً من دون ابتلاعها. ولكنني حينما نظرت بطرف عيني إلى السيد أردوغان وجدته يأكل بشكل طبيعي تماماً. ثم أدرت وجهي فإذا بي أرى أن الورق الذي لُفّت به الفطائر متسخ وعليه بقع من الفحم، فازداد نفوري من الطعام، واعتقدت أن هذه

الفطائر قد أُحضِرت من قمامة أحد محلات الفطائر.

وخشية مني أن يصاب السيد أردوغان بميكروب بعد أن رأيت بعيني الوضع قمت بأخذ النصيب الموجود أمامي وأمام السـيد أردوغان لأتناوله حتى لا يتناول السيد أردوغان المزيد من هذه الفطائر.

إحدى الأمسيات في (بورصه)

اكتمل افتتاح مقر الحزب في المدينة بعد عقد اجتماع وُصِفَ بأنه رائع. وتقدمت حافلة حزب (العدالة والتنمية) ببطء نحو مركز الحزب بالمدينة، والأهالي يلقون عليها الزهور والورود من المنازل، والسيد أردوغان يلقي التحية على كل الأهالي المصطفين على طول الطريق للترحيب به بابتسامة لا تغادر شفتيه.

وكان كل شيء يسير على ما يرام وكأنه قصة جميلة لا تشوبها شائبة. وبينما كانت الحافلة تتقدم في طريقها، إذ بقوات شرطة التدخل السريع تظهر فجأة أمامنا. وكأن الأرض قد انشقت عنهم وخرجوا من باطنها، وبدأت تضرب الأهالي بالعصي من دون أن تفرق بين مسن أو طفل أو امرأة. حدث كل هذا أمام عيني السيد أردوغان.

وبهذا تعكر الصفو في اللحظة التي كان فيها كل شيء يسير بصورة جيدة للغاية.

ومن الواضح أن الحزب الجديد الذي تم تأسيسه بالمدينة بالأمس فقط، والذي كان رئيسه أردوغان، إضافة إلى استقبال الأهالي له بهذه الصورة قد أثارا حفيظة رجالات السياسة والحكم في المدينة، فقاموا من شدة غيظهم بتوجيه قوات شرطة التدخل السريع للتنكيل بالأهالي. وكان كل فرد من أفراد شرطة التدخل السريع يقوم بواجبه على خير وجه!! بحجة أن ما يفعله ما هو إلا إطاعة للأوامر الصادرة له.

فقام السيد أردوغان على الفور، وأخذ مكبر الصوت بيديه وقال: "إنني أنادي شرطة بورصه!". وكان يبدو من نبرة صوته أنه يتمالك غضبه بصعوبة أمام تصرّف رجال شرطة التدخل السريع الذي لا يغتفر.

"إنني أعلم أنكم تفعلون ما تفعلونه لأنّ هناك أمراً قد صدر إليكم. ولكنكم تعلمون أيضاً أن إطاعة أمر خاطئ ما هو إلا ذنب... وإنني أحذركم... عليكم أن تتوقفوا على الفور عن فعلتكم هذه المخالفة للقانون...".

فقام رجال الشرطة على الفور بالتوقف عن هجومهم. واستمر السيد أردوغان

في حديثه قائلاً: "إن هذه ليست مسيرة منظمة، بل إنها أشبه باحتشاد للجماهير للتعبير عن امتنانهم بعد إحدى مباريات كرة القدم. ونحن سنستمر في طريقنا، فلتفسحوا لنا الطريق!".

وقام أردوغان بعد التحذير الذي وجهه لرجال شرطة التدخل السريع بمناداة نواب الشعب الموجودين داخل الحافلة وقال لهم: "أنتم أيضاً من فضلكم اخرجوا من الحافلة وسيروا أمامها".

كان تدخل السيد أردوغان السريع في هذا الموقف، بهذه الصورة وبذكائه الفطري، قد منع الموقف من التدهور أكثر من ذلك.

ويقص علينا السيد "م. شافي أوزتكين" موقفاً اختبره قائلاً: "لقد عشنا موقفاً مشابهاً لهذه الأحداث في انتخابات عام 2002م حينما كنا نتقدم نحو مدينة مالاطيا من مدينة (ألازيغ)". ويستطرد السيد "م. شافي أوزتكين" في حديثه قائلاً:

"لقد كنا على وشك الوصول إلى مالاطيا، وكنت أرافق الموكب بسيارتي الخاصة وتقدمت بالسير أمام الحافلة الرئيسة، وكان الموكب كبيراً إلى حد ما. ورأيت رجال الشرطة عند مشارف المدينة وقد أغلقوا المدخل بالحواجز. فخرجت من سيارتي على الفور، وذهبت وصديقي "إبراهيم" نحو قادة هذه القوات. قالوا لنا إن ثمة اجتماعاً شعبيًّا لحزب من الأحزاب الأخرى قد انتهى الآن، وإن الأهالي لم يتفرقوا بعد، وإنهم قد أوقفوهم خشية وقوع صدامات بين الأهالي من أنصار كلا الحزبين.

وقد قلنا لهم إننا نعلم أن الاجتماع الآخر قد انتهى منذ فترة طويلة، وإن الأهالي قد تفرقوا، وإن موكبنا يسير ببطء شديد، وحتى نصل إلى الساحة فسوف يمر وقت أطول، مما يعطي الفرصة لتفرق البقية. إلا أن رجال الشرطة كانوا مصرين على موقفهم وعلى عدم الإنصات لنا.

ونظرت إلى "مجاهد" بقلة حيلة، وكان يتابع الموقف من مقدمة الحافلة مع السيد أردوغان، ففهمت من نظراته أنه يقول لي: "هيا اركبوا السيارات وانطلقوا!".

فانطلقنا مسرعين نحو سياراتنا، وقدناها باتجاه الشرطة من دون توقف. ففتح لنا رجال الشرطة الطريق رغماً عنهم...".

لقد تحول هذا الضغط الذي تمارسه السلطة ضدنا من خلال استخدامها رجال

الشـرطة سـواء أحصل ذلك في ذلك اليوم، أم في افتتاحات مراكز الحزب بالمدن المختلفة، أم حتى في انتخابات الثالث من نوفمبر/ تشرين الثاني إلى شيء معتاد لا يصيبنـا بالتوتـر أو الاضطـراب. ولكـن، كانت احتمالية وقوع صدامات في المواقف التي يطيع فيها رجال الشرطة الأوامر كبيرة مما يبعث على الخوف.

ومن ناحية أخرى إنّ تفهم رجال الشرطة، وتصرفهم بحنكة - حتى وإن كان ذلك في مواقف قليلة - كانا يُيسِّـران الوصول إلى حل لأي مشـكلة كانت. فعلى سبيل المثال، حينما ذهبنا لافتتاح مركز الحزب بمحافظة (أغري) واجهتنا المشكلة نفسها، إلا أن تفهم رئيس الشرطة هناك الذي أصغى لحديثنا أدى إلى إنهاء المشكلة من دون أي مضايقات.

يقص السيد "عبد القادر أقصو" ما يلي:

"لقد ذهبنا إلى أغري لافتتاح مركز الحزب بالمدينة، وقابلنا رئيس الحزب هناك وكانـت حالتـه سـيئة. فقـد كان حزينـاً ومغلوبـاً على أمره، فسـألناه: خير؟ ما الأمر؟ هل هناك شيء ما؟ فقال لنا: إن الشرطة لم تأذن لنا بالقيام بمراسم الافتتاح. فقد منع مدير الأمن الاجتماع قائلاً إن هذا جمع غفير لمراسم الافتتاح، بل إنه تحول إلى اجتماع شعبي، وأنتم لم تتقدموا بأي طلب لمثل هذه الاجتماعات الشعبية.

ولـم يكـن فـي تلـك الأثنـاء مدير الأمن موجـوداً في مكتبه. وعلى العموم، لم أنتظـر كثيـراً حتـى جـاء. وقـال لـي: يـا بنـي، ما الأمر؟ وعلام كل هـذا الاعتراض؟ فأوضحـت لـه الأمـر قائـلاً: هـل قـدم حزبنـا أي طلب للقيام باجتماع شـعبي سـواء أكان هذا الطلب كتابيًّا أو شفهيًّا؟ بالطبع لا. لقد جئنا إلى هنا من أجل افتتاح مركز حزبنا بالمدينة، ونريد أن نقوم بمراسم الافتتاح هذه أياً كان عدد الحاضرين سواء أكان عشـرة أشـخاص أو حتى عشـرة آلاف. أم تريدون منا أن نصد الحاضرين بأن نقـول لهـم: لقـد أصبحتـم جمعـاً غفيراً، والسـيد مدير الأمـن غاضب من ذلك، فلا تأتوا من فضلكم؟

فلم يجد مدير الأمن شيئاً ليقوله. ولم يكن في وضع يسمح له بحديث طويل عن التدابير الأمنية أو موضوع الاجتماع، فقام على الفور بالسماح لنا بالقيام بمراسم الافتتاح قائلاً: تفضلوا وأتموا افتتاح مقر حزبكم. ولم يعترضنا شيء آخر هناك".

ليت كل المشاكل تنتهي بهذه السهولة. لكن، هذه هي تركيا! فالمشاكل تتتابع

الواحدة تلو الأخرى، فبمجرد أن تنتهي واحدة تبدأ الأخرى. فها هي واحدة أخرى.

تقدم النائب العام لديوان المحاكمات السيد "صابيح قنادأوغلو" في الثاني من يناير/ كانون الثاني عام 2002م بطلب إلى المحكمة الدستورية لعزل الرئيس العام للحزب السيد أردوغان من عضويته بين مؤسسي الحزب بحجة أنه محظور من العمل السياسي. ولم يتم آنذاك نسيان النساء المحجبات المؤسسات في الحزب، بل نلن نصيبهن في القضية أيضاً.

وانعقدت المحكمة بعد أسبوع واحد فقط، وأصدرت حكماً بإسقاط عضوية أردوغان كمؤسس للحزب. ورفضت المحكمة في قرارها الطلب المقدم لإسقاط عضوية النساء المحجبات من بين مؤسسي الحزب، وأعطت المحكمة مهلة ستة أشهر لتنفيذ الحكم.

فاجتمع المجلس الأعلى للحزب من أجل تقييم الموقف، واحتدمت المناقشات لفترة طويلة، وكان أغلب المتحدثين هم نواب الشعب من الحقوقيين.

أراد السيد "أرتوغرول يالتشين باير" التطبيق الفوري لقرار المحكمة من أجل حماية الشخصية الاعتبارية للحزب. في حين رأى عدد من الأعضاء الآخرين عكس ذلك تماماً؛ وعلى رأسهم السيد "حياتي يازيجي"، وقالوا إنه لا ينبغي القيام بأي شيء حتى نهاية المهلة المعطاة.

وفي النهاية، اتخذ القرار بالانتظار حتى نهاية المهلة المعطاة من المحكمة وباستمرار الحزب في كل أنشطته بالصورة نفسها التي كان عليها من قبل.

وبعد مرور الأشهر الستة قام السيد أردوغان بالاستقالة من المجلس التأسيسي للحزب، إلا أن هذا لم يرضِ السيد النائب العام. فكان همه الرئيس هو منع أردوغان من رئاسة الحزب، حتى إنه قال في إحدى المرات: "إن ذلك مجرد وسيلة". أما غايته فهي كما سبق وأشرنا آنفاً: منع أردوغان من رئاسة الحزب. وعلى حدّ قوله: "كيف يتسنى لأحد ممنوع من العضوية التأسيسية أن يقود الحزب؟".

فلو كان الأمر بيده لعمل على قتل أردوغان، ولكنه يعرف أن الوقت غير مناسب. وربما أيضاً كان يقول بداخله: "على أي حال سيأتي يوم لذلك"، ومن يعرف؟ ربما ينتظر لأن تتهيأ الظروف لذلك...

ومرة أخرى يقوم النائب العام انطلاقاً من مبدأ أن هذا (ليس إلا وسيلة) برفع

قضية أخرى لكنها هذه المرة من أجل إغلاق الحزب بأكمله. إضافة إلى أنه مستمر في قضيته التي رفعها ضد أردوغان رغبة منه في أخذ كل التدابير الممكنة حتى يمنع أردوغان من رئاسة الحزب.

وفي جلسة المحكمة الدستورية في 20 يناير/ كانون الثاني عام 2003م تنتهي القضية المرفوعة لأخذ التدابير القانونية لمنع أردوغان من رئاسة الحزب وتقضي بأن "رئاسته للحزب قد سقطت بالفعل في اليوم الذي قدم فيه استقالته من العضوية التأسيسية للحزب".

وفي تلك الفترة تم إجراء انتخابات الثالث من نوفمبر/ تشرين الثاني، وفاز حزب (العدالة والتنمية)، وقام بتأسيس الحكومة الثامنة والخمسين في تركيا. وتم حجز مواعيد الزيارات الدولية في إطار عضوية تركيا للاتحاد الأوروبي وذلك باسم السيد أردوغان بصفته الرئيس العام للحزب، وتمت كل الاستعدادات.

ويقول حياتي يازيجي: "إنه أمام هذا الوضع لم يكن هناك سوى شيء واحد يمكن القيام به، وهو جمع الهيئة المؤسسة للحزب واختيار رجب طيب أردوغان كرئيس للحزب مرة ثانية، وبالفعل قمنا بذلك".

وتم اختيار أردوغان كرئيس للحزب مرة ثانية وذلك على إثر الانتخاب الذي تم في مركز الحزب في أنقره.

وتم إسناد القيام بأعمال رئيس الحزب إلى السيد "دنجير مير محمد فرات" نائب رئيس الحزب للشؤون السياسية والقانونية وذلك في الفترة ما بين تقديم أردوغان لاستقالته وانتخابه مرة أخرى كرئيس للحزب.

وترك أردوغان الصالة التي تم فيها الانتخاب واتجه للمصعد حتى يصل إلى مكتبه الخاص، وكان السيد "دنجير مير محمد فرات" بجانبه آنذاك، وقال له: "يا سيد أردوغان... لم تمرّ سوى ست عشرة ساعة على رئاستي للحزب، أفلا يمكن أن نكملها أربعاً وعشرين ساعة، حتى أكون قد قمت برئاسة الحزب ليوم كامل؟".

وكيل النيابة
يريد إعدام أردوغان

إن جهود إصرار وكلاء النيابة وعملهم المستمر ليلَ نهارَ لعرقلة مسيرة حزب (العدالة والتنمية) كانت تقابل بتقدير كبير داخل تركيا على مستوى الأوساط والنخب العلمانية.

وكانت مجموعة "دوغان" الإعلامية - على وجه الخصوص - تعمل على تزويدهم بالعديد من الوثائق والمعلومات التي تساعدهم في جهودهم تلك.

وضمن مسلسل الحملة المضادة لأردوغان قامت قناة (د) التلفزيونية ببث كلمة كان أردوغان قد ألقاها في (ريزه) قبل عشر سنوات، وذلك حتى يساهموا ولو بنسبة ما في التحريض ضد أردوغان وحزبه. وأول من انتبه للمغزى من وراء بث القناة التلفزيونية لهذه الكلمة هو "نوح مته يوكسل" النائب العام (بأنقره)، وعلى الفور واستكمالاً للمسلسل الذي كان وكلاء النيابة قد بدأوه، تمّ استدعاء أردوغان لأخذ أقواله.

وتوجه أردوغان إلى مكتب النيابة العامة ومعه أصدقاؤه من الحقوقيين مثل "بولنت أرينتش"، و"حياتي يازيجي"، و"صادق ياقوت"، و"خالوق إبك". لكن وكيل النيابة قال لهم إنه يريد أن يتناقش مع أردوغان بمفرده، ورفض دخول الباقين إلى الغرفة.

واستمر وكيل النيابة فترة طويلة في الاستماع لأقوال أردوغان. وحينما خرج أردوغان من الغرفة كان في ضيق شديد، ولخص الوضع لأصدقائه الذين كانوا في انتظاره بالخارج في ثلاث كلمات هي:

"الرجل يريد إعدامي!...".

وبالفعل طلب وكيل النيابة في عريضة الدعوة التي قدمها إلى المحكمة

الدستورية إعدام أردوغان استناداً إلى المادة 146 والتي تنص على عقوبة الإعدام لمن يقوم بمحاولة جبرية لتغيير أو إفساد أو تعطيل الدستور.

ويقص علينا "إبراهيم بايرام" ما حدث بهذا الشأن:

"لقد كان الوقت بعد الظهيرة، وانتقلنا إلى (مالاطيا)، وفي اليوم التالي كان هناك افتتاح لمقر الحزب في (بينجول)، فكنا سنذهب أولاً للاستعداد للاجتماع الذي سيعقد هناك.

وقد اندهشنا جميعاً حينما سمعنا عبر الراديو الخبر الذي يقول إن نوح مته يوكسل أرسل إلى رجال الشرطة المختصين طلبه باعتقال السيد أردوغان، حتى إننا لم نصدق ما سمعناه. وظللنا طوال الطريق نفكر، وبدأنا في تحديد ما ينبغي علينا عمله في هذا الوضع.

وعبرنا مدينة (ألازيغ) ووصلنا إلى قرية واقعة على حدود مدينة (بينغول)، وتوقفنا حينما اقتربت الحافلة من القرية، وقمنا بتقصي الوضع مرة أخرى. وفي النهاية قررنا العودة على الفور في حالة حدوث محاولة اعتقال للسيد أردوغان لا سمح الله.

وحينما كنا نتقصى الوضع تبادرت إلى أذهاننا فكرة أخرى، وهي أننا حينما نصل إلى (أنقره) سنتوجه مباشرة إلى السجن الذي وضعوا السيد أردوغان فيه ونقف بالحافلة أمامه. وكان في حافلتنا مكبر صوت قوي، فقررنا أن نضع لأردوغان في مشغل الكاسيت بالحافلة كاسيت لشعر (رسالة إلى محمد من السجن)، كي نُسمِع الجميع تلك الأشعار، وعزمنا على استمرار تشغيله من خلال مكبر الصوت مهما كان الأمر حتى لو هجموا علينا، فقد كنا قد اتخذنا قرارنا بغلق أبواب الحافلة وسنظل هكذا حتى يكسروا الأبواب ويدخلوا علينا.

وبينما نحن نفكر في كل ذلك، فإذا برجل يقترب منا، وقال لنا إن أهالي القرية ينتظروننا في المقهى. وكان من الواضح أن الحافلة تخص حزب العدالة والتنمية. فذهبنا ووجدنا الأهالي مجتمعين ويشاهدون البث المباشر لإدارة وزارة العدل (بأنقره)، وكانوا في حالة من الصمت لا يتفوهون بأي كلمة قط.

وتقدم نحونا رجل مسن وقال لي: "يا بني، إن صوتنا لا يصل إلى أنقره، اذهبوا أنتم إلى هناك وقولوا لهم أن يعتقلوا أردوغان، ويعتقلوا كذلك عبد الله

غول، وبولنت أرينتش ولا يتركوا أحداً منهم... ثم ليأتونا بكلب أجرب... لنضعه في السلطة مكانهم!".

وجلسنا فترة طويلة هناك، وكانت كل مسامعنا تنصت للتلفاز... وأذيع خبر رأينا فيه أردوغان وهو يصعد على سلم دار القضاء، وعندما علمنا أن القاضي رفض الدعوة، وجدنا أنفسنا نتعانق والأهالي الذين كنا نجلس معهم في المقهى، وكأنهم أصدقاء مقرّبون لنا. ثم ودعناهم واتجهنا في طريقنا وكأن حافلتنا أصبحت تطير من فرحتنا كالطائرة".

يقول إبراهيم بايرام: "إن الرجل المسن الذي قابلناه وتحدث معنا في قرية (بينغول) يوجد على شاكلته الكثيرون في الأناضول بصورة لا تصدق". ويروي لنا إحدى الوقائع التي عاشها مع "بشير جوشكون" في مدينة أرزينجان: "لقد كنا في أرزينجان من أجل افتتاح مقر للحزب هناك، وبالطبع ذهبنا قبل الموعد بيوم واحد. وحينما سنحت لنا الفرصة خرجت مع السيد "بشير" للتسوق هناك، وكان هناك بائع مسن جعلنا نتذوق كل أنواع الجبن الموجودة عنده، وبعدها سألنا عن سبب وجودنا بالمدينة. فأجابه السيد بشير بخفة ظل قائلاً: "إننا صحفيان يا عماه، ولقد أرسلتنا الصحيفة لتغطية زيارة أردوغان التي سيقوم بها إلى المدينة، فجئنا مضطرَّين".

فإذا بالبائع هذا وقد غضب غضبة شديدة، وقام برفع أطباق الجبن من أمامنا وقال لنا: "اغربا عن وجهي، ليس عندي جبن لأبيعه لشخصين مثلكما!".

وقد أصبحنا في وضع محرج للغاية لدرجة أننا لم نستطع حتى أن نشرح له أننا كنا نمازحه، فغادرنا المكان على الفور ونحن نشعر بالخجل".

يقول بشير جوشكون: "إننا نقوم بعقد هذه الاجتماعات الشعبية، والسيد أردوغان كان يتحدث في هذه الاجتماعات. والحقيقة أنه ما كان في حاجة لأن يتكلم، فيكفيه الصعود على المنصة وإبراز نفسه فحسب. فالكثير من الأهالي وخصوصاً أهالي (الأناضول) يأتون إلى ساحات الاجتماعات لمجرد أن يقتربوا منه، ويفتتنوا بأسلوب حديثه وبوقفته وطريقته في الأداء وبتحديه للظلم أكثر مما يقوله في خطبته. وحينما أتجول بين الأهالي أنصت جيداً لردود الأفعال تجاهه، فأجد العديد من الأهالي يتحدثون في ما بينهم عنه قائلين "الطيب"، لكن ومثلما أوضح "إبراهيم" سابقاً أنه إذا تحدث عنه شخص ليس من بين هؤلاء الأهالي قائلاً

"الطيب" فنجدهم يغضبون. إذ إنهم يرون أن حق نعت السيد أردوغان باسمه الأول "الطيب" هو حق أصيل لهم وحدهم".

وهناك حكايات كثيرة تؤكد ما قاله السيد "بشير جوشكون".

يقول رجب أقداغ: "كانت أهم وسائلنا في الدعاية لحملتنا الانتخابية هي صور أردوغان، فأينما ذهبنا نجد الأهالي يطالبون بهذه الصور. لذا، كنا نقوم بتوزيع صوره في الأماكن التي نتوجه إليها ثم نعود. وكان الأهالي يقولون لي: "يا سيدي لقد اكتمل العمل بهذه القرية فلتذهب إلى قرية أخرى".

ويقول أغاه ققفقاس: "حينما اتجهنا إلى تشوروم من أجل استطلاع رأي الجماهير، وصل بنا المطاف إلى إحدى القرى هناك. ونظرت، فإذا بأهالي القرية جالسين بجانب حائط المسجد، فذهبت إليهم وألقيت عليهم السلام وعرَّفت بنفسي. وحينما علموا أنني حفيد أحمد آغا سعدوا كثيراً، وتحدثنا عن جدي لبعض الوقت. ثم سألوني عن سبب زيارتي، وبمجرد أن قلت لهم إنني مرشح لعضوية مجلس الشعب عن حزب العدالة والتنمية، فإذا ببرود شديد يسود الموقف بيننا، ولم يعد هناك أي شيء مما أبدوه لي من محبة وود من قبل.

فسألتهم: "ماذا حدث؟ ولماذا ساد الصمت هكذا في ما بيننا؟ هل اقترفت شيئاً أزعجكم؟ إنني أتيت لأبلغكم سلام السيد أردوغان، وما جئت إلا لهذا وأعود أدراجي".

وبمجرد أن سمعوا اسم أردوغان، فإذا بمشاعرهم الجياشة تظهر في الأفق مرة أخرى، بل وأخذوا يحضنونني ويقبلونني. وقالوا لي: "يا أخي، إننا ظننا أنك أحد مرشحي حزب الشعب، لأن اختصار كلمة العدالة والتنمية شبيهة بكلمة الشعب، فأعرضنا عنك لأننا لا نميل لهؤلاء، وقلنا لأنفسنا: ماذا حدث لحفيد أحد كبارنا؟ وهل انضم لحزب لا يعبر عنا؟ وشعرنا باليأس تجاهك".

وبعد أن اتضح الأمر تعانقنا جميعاً، وبينما أهم للذهاب جاءني أحد الرجال المسنين وقال لي:

"يا بني! أبلغ سلامي للسيد أردوغان، وقل له إن هذه القرية بأكملها من أنصاره، ولن يخرج صوت منا لأي حزب آخر، فهذا المكان هو ملك لكم".

إفلاس النظام

يتحرك أردوغان بسرعة كبيرة من أجل إتمام تشكيلات الحزب داخل البلاد، وقد كان تسرعه هذا مبنيًّا على أسباب منطقية، فقد كان الوضع يتفاقم ويتجه من سيئ إلى أسوأ يوماً بعد يوم، وبعبارة واضحة، فقد كان النظام قد بدأ في الانهيار.

حمّل "مسعود يلماز" - رئيس حزب الوطن الأم ونائب رئيس الوزراء - النظام أسباب فشل حكومته، والمشاكل الكبيرة التي اجتاحت البلاد من كل ناحية، وكما أشار إلى المشاكل الهيكلية للنظام وذلك في كلمته التي ألقاها في اجتماع حزبه في أثناء القيام بتشكيل الحكومة الائتلافية رقم 57 قائلاً: "إن تركيا تعيش الآن مشكلة (نظام) بكل ما تحمله الكلمة من معنى. كما يجب علينا أن نشخص هذه المشكلة بصورة صحيحة، فالمشكلة ليست في هذا العنصر من النظام أو ذاك، إنما هي النظام نفسه".

والمشادة الكلامية التي دارت بين أعضاء الحكومة ورئيس الجمهورية "أحمد نجدت سيزار" في 19 فبراير/ شباط 2001م في اجتماع مجلس الأمن القومي والتي وصلت لدرجة أنه قام بإطاحة كتاب الدستور فوق رؤوس الأعضاء، وهو ما يشير بما لا يدع مجالاً للشك إلى الوضع المرير للنظام.

وبعد هذه الواقعة بيومين أي في 21 فبراير/ شباط لعام 2001م بدأت أكبر أزمة في تاريخ الجمهورية التركية والتي تم وصفها في الرأي العام باسم: (الأربعاء الأسود) وقد ظلت تأثيرات هذه الأزمة قائمة لفترة طويلة؛ إذ بدأت الكثير من أماكن الأعمال تغلق الواحد تلو الآخر، مما أدى إلى تعطل عشرات الآلاف عن العمل.

والدولار الذي ارتفع في 22 فبراير/ شباط من 689 إلى 964 ليرة، ثم تبع ذلك ارتفاع آخر للدولار إلى أن وصل إلى 1400 ليرة قد أدى إلى تضخم في الدولة وصلت نسبته إلى 50 بالمئة، وحينما تم سحب مبلغ 7.5 مليارات دولار من البنوك في يوم واحد لم يكن هناك شيء يُنتظر من هذه الأزمة غير ارتفاع نسبة

الفوائد لليلة الواحدة إلى 7,5 بالمئة. ولم تستطع الحكومة آنذاك فعل شيء سوى أنها وقفت على باب صندوق النقد الدولي وطرقت بابه مراراً وتكراراً، وحينما لم تصل إلى نتيجة من ذلك قامت بالضغط على الشعب حتى الرمق الأخير من خلال الضرائب التي فرضتها الواحدة تلو الأخرى، وكذلك الزيادات المتعاقبة في الأسعار.

ولم تتوقف الأمور عند هذا الحدّ، فقد تغاضت البنوك عن سحب الحكومة الائتلافية مبلغ مئة مليون دولار من أموال الشعب.

وقام حزب اليسار الديمقراطي الذي وعد الشعب بالسلام والسعادة بإخلاء السجون بقانون إخلاء السبيل المشروط، فأطلق سراح حوالى 60,000 مسجونٍ كانوا قد سجنوا في جرائم سرقة ونصب واغتصاب وأعمال جنائية أخرى، فزادت نسبة الجريمة عقب العفو هذا بشكل كبير، وعاشت البلاد في حالة انفلات أمني وارتكاب جرائم عدة خاصة السرقة والاغتصاب، وأصبح الشعب يعيش في حالة من عدم الأمان. ولم يكن وراء هذا القانون حزب (اليسار الديمقراطي) فحسب، إنما أيضاً حزب (الوطن الأم)، وحزب (الحركة القومي).

وبالإضافة إلى الكارثة السياسية التي حدثت بتكليف حزب (الحركة القومي) بتشكيل الحكومة الائتلافية، فقد قام الحزب بخطأ فادح وضعه في موقف حرج وأدى إلى فقدان الثقة حتى من مؤيديه، إذ قام بالتوقيع على قانون يُخلص "عبد الله أوجالان" من عقوبة الإعدام.

وكان "باهتشالي" رئيس حزب (الحركة القومي) قد صرح في الحديث الذي أجراه بتاريخ 11 يناير/ كانون الثاني عام 2000م بأن "عبد الله أوجالان" سيتم تنفيذ عقوبة الإعدم فيه. إلا أنه أصاب أعضاء حزبه بخيبة أمل بتحركه مع أعضاء الحكومة في ما بعد لتعليق قرار إعدام "أوجالان"، ثم تأييد التعديل القانوني الذي تم من أجل رفع عقوبة الإعدام نهائياً. وجراء خيبة الأمل هذه، تعرض حزبه لفقدان نسبة الأصوات الحاصل عليها وقد فطن "دولت باهتشالي" لهذا الوضع، إذ رأى أنه لم يعد هناك خلاص آخر سوى الاستسلام للهزيمة التي ستلحق بهم في الانتخابات، حتى إنه أول من أعطى المؤشرات الأولى لهذه الهزيمة الانتخابية في الكلمة التي ألقاها في أحد اجتماعات حزبه: "إنه ينبغي البحث عن حل للوضع العالق بين البرلمان والحكومة!".

وفي الرابع من مايو/ أيار تعرض رئيس الوزراء "بولنت أجاويد" لنكسة صحية نُقِل على إثرها إلى المستشفى، ولم تكن هذه النكسة الصحية مؤقتة أو بسبب مرض يمكن علاجه. ولهذا السبب، فإن الحكومة توقفت عن الاجتماعات لفترة طويلة، وتـم إلغـاء الرحـلات والزيـارات الداخليـة والخارجية. وباختصـار يمكننا القول إنّ الحكومة لم تعد تؤدي عملها من الأساس.

ويتحدث السيد "كمال درويش" عن ضرورة اتخاذ قرار بإجراء انتخابات مبكرة موضحـاً أنـه لـم يعـد هنـاك احتمـال للتغلـب علـى وضع عدم الرؤيـة الذي أصاب الدولة بأكملها.

وتلا ذلك أن قام "دولت باهتشالي" نائب رئيس الوزراء ورئيس حزب (الحركة القومـي) بتحديـد موعـد الانتخابـات المبكـرة وصـرح بأنها ستُجرَى في الثالث من نوفمبر/ تشرين الثاني عام 2002م.

كان قرار القيام بانتخابات مبكرة يمثل طوق نجاة بالنسبة للحكومة الائتلافية. فالفشل والعجز اللذان أبدتهما الحكومة في إدارة البلاد كانا يقضيان على الثقة التي كان يشعر بها الشعب تجاه النظام البرلماني، حتى إن أعضاء مجلس الشعب أصبحوا لا يرغبون في التواجد بين أفراد الشعب ويفضلون عدم الاختلاط بهم. فكان الهروب هو الاختيار الوحيد، وكانت أقصر الطرق لهم هي الاحتكام للصناديق الانتخابية.

كانت الحياة السياسة بكل قوتها تتجه نحو حزب (العدالة والتنمية)، لكن، وقبل أن يفرح أحد بأن هناك حزباً قادراً على الخروج بتركيا من هذا المأزق، فإذا بوكيل نيابة محكمة أمن الدولة "يوكسال متـه" يظهر مرة أخرى على الساحة ويعلن في اليوم التالي مباشرة لاتخاذ قرار القيام بانتخابات مبكرة مدعياً على حزب (العدالة والتنمية) بأنه: "يقوم بأفعال من شأنها الإضرار بمبدأ العلمانية".

وبعد ذلك بيوم واحد فقط، أي في الثاني من أغسطس/ آب لعام 2002م، رفضت محكمة أمن الدولة في (ديار بكر) الطلب المقدم من أردوغان بشطب الحكم الذي كان قد صدر عليه من قبل من سجلات القيد القضائي، وذلك بموجب التغييرات الجديدة في قانون الجمهورية التركية.

وبعد الاعتراض على الحكم قامت محكمة أمن الدولة الرابعة في (ديار بكر) بإصدار قرارها بشأن رفع قيد السجل الجنائي لأردوغان. وفي الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول قامت الإدارة العامة للإحصاء والسجلات القضائية بتنفيذ حكم المحكمة بشأن شطب اسم أردوغان من السجلات القضائية.

يتذكر السيد "حياتي يازيجي" الذي كان قد تعامل مع الملف القضائي للسيد أردوغان منذ بدايته إلى نهايته ما يلي بشأن تلك الفترة المملة إلى حد بعيد:

"لم أكن راغباً في أن أبدأ أنا هذه العملية، لكنني اضطررت إلى القيام بها أمام تطورات الأمور. وقد كان أصدقاؤنا يرون أنه ينبغي علينا التقدم بالتماس من أجل

شطب اسم أردوغان من السجلات القضائية بموجب التعديلات القانونية الجديدة، وإذا ما نظرنا إلى الأمر من الناحية القانونية، فإن موقفنا سليم. لكنني كنت أضع في اعتباري أن تصدر المحكمة قراراً سلبياً على هذا الطلب، وكنت أخشى أن يؤثر ذلك على مستقبل السيد أردوغان السياسي بمنعه من دخول الانتخابات. ولهذا السبب، كنت أقول: "فلتتخذ هذا القرار اللجنة العليا للانتخابات". وقد حدث ما كنت أخشاه.

فقد ذهبت بنفسي وبكل هدوء إلى (ديار بكر) من أجل متابعة التماسنا المقدم لشطب اسم السيد أردوغان من السجل القضائي. وقد أعطاني رئيس المحكمة الأمل بعد أن قال لي: "أين كنتم حتى هذه اللحظة؟". وقمت على الفور من دون إضاعة وقت بإعداد الأوراق المطلوبة، وقدمتها إلى قلم المراجعة بمحكمة أمن الدولة رقم 3 وانتظرت.

لم يطل الوقت حتى خرج القرار: رُفِضَ الطلب بأغلبية الأصوات...

وظللت أركض حتى وصلت إلى غرفة رئيس المحكمة، وقبل أن أتفوه بأي كلمة هناك قال لي رئيس المحكمة: "لقد رفضنا الطلب بأغلبية الأصوات".

فقلت: "أيًّا كان الأمر، فإننا سنعمل على تخطي ذلك. إن أعضاء القضاء بصفة عامة هم من يفتحون الطرق أمام الحقوق والحريات، إلا أنه ومع الأسف هذا الأمر غير موجود في تركيا".

فإذا برئيس المحكمة يتحدث معي بصورة صارمة قائلاً: "إنك تقلل من شأننا بصورة صريحة"، فقلت له: "لا، أنا لا أقلل من شأنكم، لكنني أعلق على الحكم فقط".

وطلبوا مني أن أبلغ أردوغان بالحكم، لكنني رفضت، وقمت على الفور البدء بإجراءات الاستئناف على الحكم، لذا قمت بطلب نسخة من الحكم حتى أعكف على دراسته.

وقرأت تفسير العضو المعارض للحكم، وكان قد كتب رأيه بصورة بليغة للغاية.

ومكثت ذلك اليوم في محافظة (ديار بكر)، واستخدمت حقنا في الاعتراض على الحكم. وبالفعل تم النظر في القضية مرة أخرى، لكن هذه المرة في محكمة أمن الدولة الرابعة. وكان القرار: شطب اسم أردوغان من السجل القضائي...

وكانت الطائرة التي سأستقلها في ذلك اليوم ستقلع عند الساعة الخامسة والثلث مساءً، لكنني لم أذهب إلى المطار أساساً؛ لأن القرار صدر بصوتين مقابل صوت واحد. فقلت في نفسي لو أن أحد الأعضاء لا قدر الله توفاه الأجل في حادثة مرورية، أو نتيجة لمرض ما، سيكون القرار بذلك عديم النفع، لذا، مكثت في (ديار بكر) ورجوت الأعضاء حتى يقوموا بالتوقيع على القرار.

ولم أشعر بالراحة إلا بعد أن أصبح القرار معي. وفي كل القضايا التي دخلنا فيها بداية من مدينة (سيرت) وصولاً إلى هنا في (أنقره) فقدت فيها إيماني باستقلالية القضاء وذلك بسبب الانتهاكات الحقوقية والأحكام التي ترجع للأهواء والتي تم اتخاذها ضدنا. إلا أن الحكم الصادر هذه المرة أسعدنا جميعاً.

وحينما وصل الخبر إلى (أنقره) اتصل السيد "حسن قالايونجو" وهنأنا. فقلت له: "يا أخي، لم يحن وقت التهنئة بعد!". فإذا به يندهش ويسألني: "لِمَ لا؟ أحدث أي شيء سيئ؟". فقلت له: "اهدأ ولا تخف، فأنا لم أقصد أن هناك أي شيء سوى أنني لا أجد حجزاً على الطائرات كي أعود". فوجدت السيد "قالايونجو" يتصل بي مجدداً بعد مرور عشرين دقيقةً وقد جهز لي طائرة خاصة وقال لي: "إنها ستأتي إليك لتأخذك".

بارك الله فيه، فلو لم يفعل ذلك لظللت هناك طوال الليل وما عدت إلى (أنقره). وكان ذلك منتصف سبتمبر/ أيلول أي لم يتبقَّ على الانتخابات إلا أقل من شهرين".

لقد تم اجتياز العوائق التي تم وضعها أمامنا في فترة الترشيحات من خلال الصبر والتوكل على الله. وتم وضع الوثيقة التي تثبت أنه ليس للسيد أردوغان قيد في سجلات الإدارة العامة للإحصاء والسجل القضائي في ملفه الانتخابي.

وبينما يتم ترتيب هذه الأمور كان السيد النائب العام "قاناد أوغلو" في إجازته السنوية، وكان مبتعداً تماماً للاستمتاع بإجازته، لكنه بمجرد أن سمع بتطورات الأمور، عاد على وجه السرعة إلى منزله. والسيد "قاناد أوغلو" أساساً ممن أصابهم الاستياء من حكم المحكمة لصالح أردوغان، لذا، قام بقطع إجازته والعودة للعمل مرة أخرى.

وكان الحكم الذي أصدرته محكمة أمن الدولة في (ديار بكر) حكماً نهائياً

لا استئناف له. لكنه وعلى الرغم من ذلك طلب ملف القضية من المحكمة، وأعد التماساً إلى الدائرة الثامنة بديوان المحاكمات. وبهذا تكون القضية قد تم البدء فيها مجدداً بالاستناد إلى مبدأ: (بدء القضية من جديد وفقاً للرغبة في ذلك) الذي لم نرَ نماذج له سوى بعد هذه الواقعة.

وكان النائب العام هذا يعلم أنه لا يمكنه التدخل في هذه القضية وذلك وفقاً للنظام القانوني المعمول به، ووفقاً للدستور والقانون التركيَّين، ووفقاً أيضاً للاجتهادات والاتجاهات الحقوقية، وبقدر معرفته هو بذلك يعرفه أيضاً كل أعضاء محكمة الدائرة الثامنة. إلا أنه وعلى الرغم من ذلك، فإن النائب العام، مدعوماً من ديوان المحاكمات لم يتراجع عن عمل تنظيم قانوني جديد، فوضع نفسه مكان الجهة التشريعية.

ولم تمضِ فترة طويلة حتى ردّ ديوان المحاكمات على طلب "قاناد أوغلو" بأنه قد وجده محقاً في طلب إعادة القضية من جديد. وبهذا يعتبر قرار محكمة أمن الدولة الرابعة بشطب اسم أردوغان من قيد السجلات القضائية كأنه لم يكن. وبهذا يثبت "قاناد أوغلو" للمرة الثانية أنه لن يترك النظام وحده في معركته مع من يعادونه.

وبعد قرار المحكمة هذا، اتجهت كل الأنظار إلى اللجنة العليا للانتخابات. وأصبح "قاناد أوغلو" في نظر هذه اللجنة أنه قد قام بدوره على أكمل وجه، ونجح في ترتيب الإجراءات اللازمة لمنع ترشّح أردوغان.

وقامت اللجنة بدراسة ملف القضية، وكانت النتيجة بأن ثلاثة أعضاء قد وافقوا على ترشّح أردوغان في الانتخابات واعترض ثلاثة مثلهم على ترشّحه، ويأتي الدور على رئيس اللجنة ليدلي بدلوه في القضية ويحسمها، وبالفعل صوت رئيس اللجنة بأن أردوغان لا يحق له الترشّح في الانتخابات، وبهذا لم يعد هناك ما يمكن عمله، وتم شطب اسم السيد أردوغان من قائمة مرشحي انتخابات مجلس الشعب.

وحينها استراح النائب العام وتنفس الصعداء من سعادته بهذا القرار!...

وفي تلك الفترة كانت العملية الانتخابية قد بدأت، والأحزاب التي ستشارك في الانتخابات قدمت قائمة بأسماء مرشحيها لمجلس الشعب إلى اللجنة العليا للانتخابات.

وكان "أغامن باغيش" أحد المرشحين الذين تم إدراجهم في قائمة حزب (العدالة والتنمية).

كانت مهمة نقل خبر ترشيح أردوغان "لأغامن باغيش" ملقاة على عاتق "أركان مومجو". وكان "أغامن باغيش" في تلك الأثناء خارج البلاد، وطلب فترة من الوقت ليفكر وليأخذ رأي زوجته.

ويروي السيد "أغامن باغيش" لنا بعض المفارقات الطريفة التي عاشها في تلك الفترة:

"لي منزل في حي (شيله)، وهناك جاءني اتصال هاتفي أُخبِرتُ عبره بأنني مرشح لخوض الانتخابات، وقد كانت زوجتي وقتها تسقي الزهور في الحديقة وهي تسمع حديثي عبر الهاتف بإنصات شديد، حتى إنها ظلت تسقي الزهرة الواحدة لمدة عشر دقائق كاملة.

وبعد أسبوع عدت إلى تركيا، وتحدثت مع السيد أردوغان، وتعرفت على عدد كبير من الأصدقاء وقررنا جميعاً أن أنضم إلى الحزب من خلال حفل يُقام لهذا الغرض.

وعقب ذلك بعدة أيام اتصل بي السيد "تونجر قيليتش" الذي كنت قد تعرفت إليه في أثناء رئاستي لاتحاد الجمعيات التركية الأمريكية، وبعد أن سألنا عن أحوال بعضنا بعضاً دعاني على إفطار يوم الأحد ومعي "أركان مومجو"، فقبلت الدعوة.

وخرجت مساء يوم الجمعة مع كل من "أركان مومجو"، و"هين أوزار"،

و"ميراتـش أقدوغـان"، وكنـا فـي طريقنـا إلـى (اسـطنبول) من أجـل حضور الحفل الذي سيقام يوم السبت في مركز الحزب بالمدينة.

وبينما نحن في الطريق اتصل بي "تونجر قيليتش" وقال لي: "لقد وصل إلى مسامعي أنك ستقوم بعمل غير مريح هذه الأيام". فرددت عليه قائلاً: "إنني والسيد أركان مومجو سننضم غداً إلى حزب العدالة والتنمية، أتقصد هذا؟".

فقال لي على الفور: "لو قمت بشيء مثل هذا، فلا تأتِ إليّ يوم الأحد كما اتفقنا من قبل".

فقلت له: "الأمر يرجع إليك يا سيدي. وأغلقت الهاتف".

وبينمـا نحـن نقتـرب مـن (اسـطنبول) إذا بالسـيد "تونجـر" يتصـل مرة أخرى، وتحدثـت معـه لمـدة عشـر دقائـق، وطلـب أن يتحـدث مع السـيد "أركان مومجو"، وظل يتحدث معه هو الآخر لمدة لا تقل عن عشرين دقيقة.

وعـلا صـوت السـيد "أركان مومجـو" قليـلاً وهـو يقـول لـه: "لقـد وعدناهم يا سـيدي ونحن ذاهبان الآن، ويبدو أننا لن نتفق في هذا الموضوع". وأغلق "أركان مومجو" الخط ولم يتصل السيد تونجر ثانية".

كلٌّ يبكي على ليلاه

كان يتم إعداد قائمة بأسماء المرشحين لخوض انتخابات مجلس الشعب بعناية فائقة، وكان الرئيس العام للحزب السيد أردوغان ومستشاروه يقومون بإدخال هذه القوائم على الحاسب الآلي، وتم تكليف كلّ من "مجتهد أرسلان" و"إبراهيم بايرام" للقيام ببعض الأمور الأخرى في هذا الخصوص. وكذلك تولى "إبراهيم" أيضاً مهمة الرد على المكالمات الهاتفية.

وذات يوم اتصل رجل وأصر على مقابلة السيد أردوغان. فقال له "إبراهيم" إن رئيس الحزب مشغول الآن، إلا أنه في أول فرصة سيبلغ الرئيس بهذا الأمر وسيعود بالرد عليه مرة أخرى، ومع كل ذلك لم يتراجع الرجل أبداً عن إصراره، واستمر في الاتصالات الهاتفية، وفي النهاية، لم يستطع إبراهيم تحمل الأمر أكثر من ذلك وحوّل الخط إلى السيد أردوغان.

كان المتصل هو أحد مساعدي مدير الأمن آنذاك. وكان يريد مساعدة السيد رئيس الحزب من أجل ترشيح أحد أقاربه لمجلس الشعب. وبعد أن انتهى السيد أردوغان من المكالمة، مد يده بالهاتف إلى "إبراهيم" قائلاً: "أترى؟ كل إنسان له قريب أو صديق يبحث عن مصالحه، إلا أنه لم يقم أحد لمساعدتي، أو حتى ليسألني قائلاً: كيف تسير الأمور؟".

إن عدد اللحظات التي استسلم فيها السيد أردوغان لليأس والهزيمة على الرغم من عشرات المشاكل التي تدور برأسه قليلة جداً، بل إنه حتى في أحلك الأوقات لم يفقد صلابته المعهودة، وحينما تم سؤاله عن سر ذلك رد قائلاً: "إن المسؤولية التي أحملها على عاتقي لا تمكنني بالتصرف سوى بهذه الطريقة".

ويحكي لنا "إبراهيم بايرام" أيضاً قصة متعلقة بهذا السلوك للسيد أردوغان قائلاً:

"في صباح اليوم التالي لليوم الذي تم شطب اسم السيد أردوغان من قائمة المرشحين لانتخابات مجلس الشعب، وحينما لم يرَ السيد أردوغان الصحف اليومية

على منضدته ناداني وسألني: "أين الصحف يا إبراهيم؟". فقلت له: "حاضر يا سيدي، سآتي بها على الفور"، وخرجت من الغرفة.

لقد كانت الصحف موجودة كما في الأيام السابقة، لكن جاء في أكثر العناوين رأفة بأردوغان: لقد انتهى أردوغان. فخشيت أن يراها السيد أردوغان. إلا أنني أصبحت مضطراً إلى جلبها له وفقاً لطلبه، فأتيت بكل الصحف ووضعتها على منضدته. فقام السيد أردوغان بقراءة بعضها، وإلقاء نظرة سريعة على بعضها الآخر، ورأى كل ما هو مكتوب عنه وحتى الرسوم الكاريكاتيرية المتعلقة به. ورغم ذلك لم يؤثر هذا عليه أبداً.

وبينما أتتبعه بطرف عيني، كنت أقول في نفسي: إنه سوف يتأثر بما يرى ويقرأ، وسوف يحزن لهذا كثيراً، وكنت منزعجاً لهذا الوضع بشدة. لكنّ وجهه لم يتغير جراء هذا، وكذلك سلوكه اليومي وأسلوبه في التعامل، ولم يُلحظ عليه أي تغير".

والحقيقة أنه كأي إنسان ينزعج من مثل هذه الأمور، لكنه كان يعمل على إخفاء ذلك بداخله ولا يبديه حتى لا يؤثر سلباً على المحيطين به أو من يعملون معه، فكان يعمل على عدم إبراز همومه، ويخفي كل أحزانه بداخله.

وفي أحد تلك الأيام لم أجده في مكتبه فشعرت بالقلق عليه؛ خاصة لأن السكرتير قال لي إنه موجود في مكتبه. لذا، نظرت في غرفة الاستراحة الصغيرة الخاصة به، فوجدته هناك يقف أمام المرآة ويقوم بوضع أحد الأدوية السائلة زرقاء اللون بداخل فمه، فقلت له شفاك الله وخرجت. أي أن المشاكل التي يعيشها والتي طالما عمل على إخفائها وعدم إبرازها للآخرين قد تسببت في هذه البثور الموجودة داخل فمه، فكان يعمل على علاجها.

يا لهذا الزمن!... فالدهر لا يبقى على حاله.

لقد عانى السيد أردوغان حتى يجد مرشحين لمجلس الشعب، ولرئاسة البلديات في الكثير من المناطق الواقعة تحت مسؤوليته، ومعظم طلبات الترشيح المقدمة لحزبه كان يضعها أمامه ويظل حتى أوقات متأخرة يعكف على فحصها ودراستها.

وكان بعض من الذين قدموا طلبات الترشح وممن لا يريدون أن يتركوا الأمر للحظ عاكفين على الوقوف أمام المركز الرئيس للحزب، وبمجرد أن يروا شخصاً

يعتقدون أن له تأثيره داخل الحزب يذهبون إليه ولا يترددون في طلب المساعدة منه.

يحكي "بشير جوشكون" إحدى الوقائع التي عاشها في تلك الأيام:

"جاءني اتصال من قسم الاستقبال بأن ثمة شخصاً ما يريد مقابلتي، فقلت لهم إنني سأذهب إليه وأغلقت الهاتف. لكن بعضاً من أصدقائي حذروني من أن هذا لن يكون إلا أمراً بسيطاً، لكنني على كل حال ذهبت لأرى ما الأمر. فوجدت رجلاً ينتظرني بالخارج فقلت له: "تفضل يا أخي"، فإذا بالرجل، ومن دون سابق معرفة، يضع يديه على كتفيّ ويقول لي: "اسمح لي أن أسير معك قليلاً".

كان رجلاً أنيقاً في ملبسه، لكن الأمر يثير الريبة، إذ إنني لا أعرفه ولا أعرف ما الذي يريده مني. فهو رجل لم أعرفه من قبل قط.

وبعد أن سرنا معاً عدة خطوات قام الرجل بإخراج كدسة من الأموال من جيبه بسرعة البرق وضعها في جيبي وقال لي: "أرجو ألاّ تخذلني، وأراك في ما بعد".

وشعرت حينها وكأن ماءً مغليًّا قد انسكب على رأسي، ولا أستطيع أن أعبر عن مدى خجلي آنذاك. وقمت على الفور بإخراج الأموال من جيبي وألقيتها على الأرض. وكان الرجل ليس من أهالي (أنقره) ولا (اسطنبول)، فهذا جلي من لهجته، وبدأ في جمع الأموال عن الأرض وهو يرجوني.

قال لي: "لا تخذلني يا صديقي، فقد رأيتك بعينيّ".

فقلت: "ما هو الذي رأيته بعينيك؟ وما هذا الذي تقوله؟".

قال: "يا أخي إنها مسألة شرف بالنسبة لي، ولن يحل الأمر سواك، فقد رأيتك بعينيّ. أرجوك أن تتحدث عني إلى رئيس الحزب، فقد رأيتك تقول له يميناً، فيذهب يميناً، وإذا قلت يساراً، يذهب وفقاً لما تقوله، ولا يجلس إلا بعد أن تقول له اسحب الكرسي واجلس، فهو يصغي لك، يا أخي أرجوك لا تخذلني".

وفي النهاية فهمت الموضوع، فذات مرة كنا نلتقط صورة فوتوغرافية لمجموعة من الحزب مع السيد أردوغان، وكنت أنا من أقوم بالتقاط الصورة وكنت ساعتها أقول للسيد أردوغان من أجل وضع أفضل للصورة أن يميل يميناً ويساراً، وبعدها قلت له أن يجلس حتى ألتقط له مع الجميع صورة وهو جالس، ففهم هذا الرجل الساذج أنني أتحكم بالرئيس، وظن أنه من الممكن أن يأتي للقيام بدور الوسيط معي من أجل شخص آخر".

كان السـيد أردوغان عقب قرار المجلس الأعلى للانتخابات الذي قرر بعدم إمكانية أردوغان الترشـح في الانتخابات يتصرف وكأن شـيئاً لم يكن، فكان وسـط الناس في (الأناضول).

وبعد ذلك أعد مع السيد "عبد الله غول" خطة التحرك التي سوف يقومان بها، فقاما بتقسيم العمل بينهما على النحو التالي: يذهب السيد أردوغان إلى (الأناضول)، وفي رحلاته هذه يتحدث عن تركيا الجديدة التي يعد بها حزب (العدالة والتنمية).

أما السيد "عبد الله غول" فيبقى في (أنقره)، ويقوم بإتمام ما ينبغي عمله من ترتيبات أخيرة.

وبينمـا همـا يقومـان بتقسـيم العمـل بينهمـا قال "غول" لأردوغـان: "يا رئيس، اذهـب أنـت إلـى الأناضـول وتجـول فيهـا، فتركيـا تنتظرك أنت. أما أنا فسـأظل في أنقره، فأنا أريد القيام مع الأصدقاء بالاسـتعدادات اللازمة. لأننا بإذن الله سـنفوز بهذه الانتخابات، لكننا لن نفوز بها من دون استعداد".

وكان في إطار الاسـتعدادات اللازمة قد تم إعداد فريق عمل من أجل إعداد البيان الانتخابي وبرنامج الحكومة أيضاً.

وثمة فريق آخر تحت رئاسـة "علي باباجان" سـيقوم بتسـيير الأعمال المتعلقة بالموضوعات الاقتصادية. وكان على هذا الفريق أن يقوم بعمل مباحثات مع خبراء الاقتصاد سواء أكان ذلك في تركيا أم خارجها، وسيقوم بوضع البرنامج الاقتصادي الذي سيتبعه الحزب حينما يأتي على رأس السلطة. لقد كان سبب إجراء الانتخابات المبكرة هذه هو الوضع الاقتصادي المتردي الذي تقبع فيه الدولة. ولهذا السبب، فقـد كان هنـاك إيمـان بـأن التوقعـات الإيجابية التي ستتشـكل جراء هذه النوعية من الأعمال سوف تكون محفزة للاقتصاد حتى قبل انتهاء العملية الانتخابية.

وكانـت الحكومـة التاليـة أيـاً كان مـن سـيقوم بتشـكيلها سـتأخذ فـي اعتبارها وأولوياتهـا المسـألة الاقتصاديـة. وكانـت إدارة حـزب (العدالـة والتنميـة) قد فطنت لهذه الحقيقة من قبل وهذا واضح أيضاً من برنامج الحزب.

والشيء الواجب عمله، هو أن يقوم الحزب بتوضيح مفصّل أمام الرأي العام لبرنامج الحزب الذي سـوف يتبعه ويطبقه من أجل تحسـين الاقتصاد، والذي كان قد أعده منذ عام ونصف العام تقريباً في برنامجه، لكن على الحزب هذه المرة أن

يدعم ما سيعرضه بالبيانات والأرقام. ولم تكن "لعلي باباجان" المكلف برئاسة الفريق الذي سيقوم بهذا الدور غير اليسير أي علاقة قط بالعمل السياسي المباشر من قبل. فقد كان من عائلة تعمل دائماً على أن تظل بعيدة عن حقل السياسة. وعلى الرغم من أنه كان يعرف السيد أردوغان حينما كان رئيساً لبلدية (اسطنبول) وذلك بصورة غير مباشرة، فإنه لم يتعرف عليه معرفة مباشرة إلا في اجتماع مدينة (أفيون). أما معرفته "بعبد الله غول" فكانت أقدم من ذلك.

ويتذكر "علي باباجان" تلك الأيام قائلاً: "بعد أن تم اتخاذ قرار عقد الانتخابات، قمت بإجراء اجتماعات مطولة مع أصدقائي المختصين بعلم الاقتصاد في الحزب. وقد كانت تظهر في ما بيننا أفكارٌ متضاربة، وخصوصاً حول قضية الديون. فبعضهم كانوا يرون أن نخرج ونعلن أننا لن نقوم بسدادها، وبعضهم الآخر اعترضوا على هذه الفكرة ورأوا أن الدول المتخلفة هي التي يمكن أن تقوم بمثل هذه الخطوة، وأن هذه الفكرة يجب أساساً ألاّ نفكر فيها، وسردوا اقتراحاتهم حول هذا الشأن.

وقد تناقشنا لساعات، بل لأيام حول العديد من القضايا مثل: الديون، والفوائد، والاتحاد الأوروبي، وصندوق النقد الدولي.

وكنا من ناحية أخرى على عجلة من أمرنا، لأننا كنا نؤمن في أعماق أنفسنا أننا سنصل إلى السلطة. لذا كان ينبغي علينا أولاً أن نفصح عن برنامجنا الاقتصادي. وكانت الأسواق آنذاك متأرجحة، وهذا الوضع كان من غير الممكن ألا نضعه في اعتبارنا. ولو أننا فزنا في الانتخابات، لكانت المسؤولية ستلقى على عاتقنا، فكان يلزم أن نفكر من الآن في ما سنتخذه من تدابير".

ويستطرد "علي باباجان" في حديثه بأن صندوق النقد الدولي كان أكثر الموضوعات التي شغلت المناقشات آنذاك قائلاً:

"لقد كان أردوغان نفسه متردداً بشأن صندوق النقد الدولي في بادئ الأمر. إلا أن أهم سمة من سمات أردوغان والتي أثارت انتباهي هي أنه مستمع جيد للغاية، وأنه يتخذ قراراته بكل عزم بعد أن يتناقش في أدق تفاصيل الموضوع. وقد كان كذلك أيضاً في موضوع صندوق النقد الدولي.

وقد كنا نقوم بمناقشاتنا هذه في أنقره، أما السيد أردوغان رئيس الحزب كان يقوم بإجراء اجتماعاته الشعبية خارج (أنقره). وكنا إذا اجتمعنا نجتمع في ساعات

متأخرة من المســاء، وكانت الاجتماعات بصورة عامة تتم في منزلي، ولكن أحياناً كنا نجتمع عند أحد أصدقائنا الآخرين أو في منزل رئيس الحزب السيد أردوغان. وكان أحـد الموضوعـات التـي تناقشـنا فيهـا بعمـق هـو مسـألة أن: يتحقق النمو بيد الدولـة. وكانـت القـرارات التـي تشـير إلى نهـج رئيس الحزب قد بدأت في الظهور شـيئاً فشـيئاً. فقـد طُرحـت موضوعـات عديـدة مثل قضيـة أن يكون النمو من خلال القطاع الخاص، وقضية الاتحاد الأوروبي وصندوق النقد الدولي، وقضية الفوائد، وفي النهاية، فقد قمنا بإعداد البيان الانتخابي للحزب وتم عرضه على مجلس إدارة الهيئة المركزية بالحزب لاتخاذ القرار".

أمـا بخصــوص الأسـواق الداخليـة والخارجيـة، فـإن "علي باباجـان" قد تولى أمرها في برنامج الحزب أحياناً بمفرده، وأحياناً أخرى مع "ناظم آكران"، و"شعبان ديشلي".

يقول علي باباجان: "إن الأمر العسير في الموضوع كان إعداد البرنامج". مشيراً إلى أنه لم تصادفهم أي صعوبة قط في توضيح البرنامج، ويستطرد حديثه قائلاً:

"إنني في حقيقة الأمر أقوم بعمل أعرفه جيداً، ففي الأماكن التي ذهبنا إليها كان ما ييسر علينا الأمر هو أننا كنا نتحدث بلغة مشتركة مع الأهالي، بالإضافة إلى أن البرنامج الذي أعددناه لا يحتوي على أي شيء لا نؤمن به أو نجهله، أي أننا لـم نكـن نتحـدث فـي السياسـة. وهذا الأمـر يفهمه من نخاطبه جيداً حيث إننا بدأنا نجد ردود أفعال جيدة للغاية.

وفي أثناء الفترة التي كنا نقوم فيها بهذه الزيارات قمنا بإلغاء الزيارات المقرر إجراؤها خارج البلاد مرتين متتاليتين، فالعمل الذي كنا نظن أننا سوف ننجزه حتى تاريـخ الزيـارة، وإذا لـم ينتـهِ بالصـورة التـي نريـده أن يكون عليهـا، كنا نرى أنه من الأفضل ألا نتحدث عنه مطلقاً، بدلاً من أن نشرحه بصورة ناقصة أو غير كاملة. فكنا لا نريد أن نعرض على الناس أشياء غير واضحة المعالم أو ناقصة أو أن يواجهنا سـؤال لا يمكننـا الإجابـة عليـه. لهـذا السـبب كنـا نقوم بدراسـة تفصيلية من جميع الجوانـب للموضـوع الـذي سـنقوم بعرضـه، وبعدها ننطلـق في عملنا؛ لأن البرنامج الذي سوف نقوم بعرضه هو برنامج قد مر من مجلس إدارة الهيئة المركزية للحزب وموقع من السيد رئيس الحزب.

قمنا بالاجتماعات أولاً في (اسطنبول)، ثم بعد ذلك توجهنا إلى (لندن)، و(نيويورك). وكنا في بعض الأحيان نقوم بعقد من خمسة إلى ستة اجتماعات في اليوم الواحد. وقد بدأ المتلقي يعرف أن حزب (العدالة والتنمية) يهتم بالاقتصاد، وأنه قد قام بإعداد جيد وأنه يتواصل مع الآخرين. وحينما كنا نقوم بزياراتنا هذه بدأت الفوائد في الهبوط والبورصة في التحرك الإيجابي نوعاً ما.

ولقد تصرفنا بكل شفافية حينما كنا نقوم بإعداد سياستنا الاقتصادية. وأعلم أنه في الفترة نفسها كانت الانتخابات تجري في البرازيل، وكان "لويس لولا" المرشح للرئاسة في البرازيل يقوم بدعايته الانتخابية قائلاً: "حينما نفوز بالانتخابات ونأتي على رأس السلطة، سنطرد صندوق النقد الدولي". ولقد تفاهم صندوق النقد الدولي مع المرشحين الثلاثة الآخرين، فكان من سيأتي على رأس السلطة، أياً كان، سيستمر في عمله مع الصندوق. ولقد ذاع خبر هذه الاتفاقية السرية، وحينما بدأت الانتخابات كان الاقتصاد البرازيلي قد تدهور أكثر فأكثر. أما نحن، فكان الأمر على العكس من ذلك تماماً.

لقد كانت هناك ميزة أخرى لنا وهي ما فعلته الأحزاب الأخرى. إذ إن المناحي الاقتصادية في برامج وبيانات الأحزاب الأخرى المشاركة في الانتخابات لم تتعدَّ كونها أطراً نظرية في الاقتصاد. أما نحن فقد وضعنا هذا البرنامج المحترم، وقمنا أيضاً بترجمته إلى اللغة الإنجليزية، ووصلنا به إلى كل ما كنا نحلم به. ولم تكن جهودنا هذه كلها بلا ثمار، فقد رسخ لدى الأهالي أن حزب (العدالة والتنمية) حينما يصل إلى السلطة سوف يعمل من خلال حكومة متعاونة مع الأسواق ومسيطرة على الاقتصاد ولن تقوم بأشياء غير مدروسة".

ولأن البرنامج الاقتصادي الذي أعددناه شفّافٌ ومراعٍ للظروف الحقيقية للأسواق وغير خيالي، ولأن من سيقومون بتسيير هذا البرنامج أشخاص يمتازون بالانفتاح على العصر ويقومون بالحوار مع الآخر، فقد أدى كل ذلك إلى قبول هذا البرنامج بارتياح بالغ من الجماهير وتولد حس من التفاؤل والثقة لدى الأهالي.

إن حكومة حزب (العدالة والتنمية) لم تكتفِ بأن تظل مرتبطة بالبرنامج الذي وعدت من خلاله أن تُحوِّل هذه الثقة التي شعر بها الأهالي نتيجة هذا البرنامج إلى ثقة مستديمة، بل إن السيد أردوغان الرئيس العام للحزب منذ اليوم الأول لتأسيس

الحكومة قد حدد الأعمال التي ستقوم بها الحكومة موضحاً (خطة الأعمال العاجلة) للنهوض بالدولة وذلك في الاجتماع الصحفي الذي عقده في مركز الحزب.

كانت (خطة الأعمال العاجلة) التي تحدث عنها أردوغان هي الأولى من نوعها في تاريخ الجمهورية التركية، إلا أنها في الوقت نفسه كانت محفوفة بالمخاطر بالنسبة لكل من وضع اسمه فيها. لذا، نجد رئيس الجمهورية الأسبق "سليمان دميرال" يقول: "أفلا يعقل هؤلاء؟! أيلزم الإنسان نفسه بكل هذا؟!...".

ورد "علي باباجان" على كلمات "دميرال" هذه بقوله: "إن قول دميرال لمثل هذه الكلمات أمر طبيعي، فهو يمثل السياسة القديمة، أما نحن، فقد انطلقنا من أجل إحداث سياسة جديدة على الساحة التركية. ووعدنا الشعب بالشفافية والوضوح. لأننا على علم بأن الأسواق الآن تحتاج إلى الثقة والتخطيط. ونحن على علم تام أننا قد ألزمنا أنفسنا حينما وضعنا خطة الأعمال العاجلة هذه؛ إلا أننا في حقيقة الأمر استهدفنا فتح المستقبل وتمهيد الطريق للاستثمارات من خلال إكساب الأسواق المختلفة الثقة التي تحتاجها من ناحية، وإعادة تخطيطها من جديد من ناحية أخرى".

متى تعلمت السياسة بهذه السرعة؟

بينما كان "عبد الله غول" يقوم باستعداداته من أجل تأسيس حكومة الجمهورية التركية الثامنة والخمسين كان أيضاً العمل في المقر الرئيس لحزب (العدالة والتنمية) على أشده لإتمام خطة الأعمال العاجلة.

وقام السيد أردوغان عقب إتمام هذه الأعمال بدعوة كل من يهمه الأمر إلى حضور اجتماع في صالة مجلس إدارة الحزب. وتم في هذا الاجتماع إلقاء النظرة الأخيرة على خطة الأعمال العاجلة، كما تم النقاش حول النص من أوله لآخره، وتم إدخال بعض التعديلات البسيطة عليه.

وبعد أن قرأ أردوغان النص من أوله لآخره سأل قائلاً: "أين دعم المازوت؟"، فقد فطن أردوغان إلى أن هذا الموضوع الذي كان موجوداً في مسوّدة الخطة تم رفعه في آخر لحظة من النص. وكان جميع الذين قاموا بالعمل على إعداد خطة الأعمال العاجلة موجودين، وتوضيح الأمر كان على عاتق الاقتصاديين منهم. وبالفعل وضحوا سبب استبعاد دعم المازوت عن الخطة، وذلك للميزانية المحدودة والظروف الاقتصادية وما شابهها من أسباب أخرى.

وكان أردوغان بعد أن يستمع لكل تفسير من الاقتصاديين يضطر لأن يذكرهم بما وعدوا به الشعب في هذا الصدد.

كان آخر المتحدثين هو "رها داناماتش"، وقدم اقتراحه في هذا الصدد قائلاً: "يا سيدي، من الممكن ألا ندونها في الخطة، لكن، فلنتفق في ما بيننا على مبدأ أنه في أول فرصة تسنح لنا نعيد دعم المازوت من جديد".

فإذا بالسيد أردوغان وقد ظهر على ملامح وجهه الغضب وكأنه يجبر نفسه بصعوبة لأن يستمع إلى ما لا يُطاق، واعتدل في جلسته وتوجه نحو السيد "رها

داناماتش" وقال له: "يا سيد رها، متى تعلمت السياسة بهذه السرعة؟".

ثم وقف على قدميه ونظر نظرة جامعة لكل الجالسين على منضدة الاجتماع وقال لهم: "أنتم، أنتم من الآن تعملون على التحكم بي، فمن يعلم ما الذي سوف تفعلونه بالشعب؟"، وترك صالة الاجتماع.

وظل جميع الجالسين إلى منضدة الاجتماع في حزن ودهشة من أمرهم، وأخذوا ينظرون إلى وجوه بعضهم بعضاً قائلين: "كيف اقترفنا خطأ كهذا؟"، فمعنى ذلك أنهم بمجرد بدء العمل تركوا الرئيس العام للحزب بمفرده بشأن الوعود التي قطعها على نفسه أمام الشعب. ومن خلال هذا الشعور بالندم والخجل مما اقترفوه من أمر معيب قاموا على الفور، وعادوا لعملهم. وفي أسرع وقت ممكن، كان الخطأ قد تم تداركه من جديد.

كان فريق الحملة الانتخابية ناجحاً نجاحاً كبيراً، فقد تخطى كل الصعوبات التي واجهته. وكانوا لا يهتمون بأنفسهم مهما اشتد بهم الإجهاد، وظلوا يعملون ليلَ نهارَ، بل يصبرون على تحمل المشاق أياً كانت. فكانوا يقومون بكل هذا من أجل أردوغان، فقد آمنوا به وبقضيته التي يكافح من أجلها.

إلا أنه كانت هناك مشكلة مشتركة لهم جميعاً، وهي أنهم كانوا لا يحافظون على هواتفهم المحمولة أو الهواتف التي يأتمنهم عليها السيد أردوغان. ويحدثنا "م. شافي أوزتكين" عن هذا الأمر قائلاً:

"كنا في إقليم البحر الأسود، وعلى مشارف مدينة (غيراسون). وكانت الحافلة قد وصلت قبلنا، وسنلتقي بها على مشارف المدينة. وقمت أنا باصطحاب رئيس الحزب السيد أردوغان إلى هناك.

وحينما جئنا إلى جانب الحافلة قام السيد أردوغان بترك هاتفه في الحافلة وقال لي: "يا شافي، اهتم بالهاتف!".

وبمجرد أن انفتح باب الحافلة هجمت الجموع الغفيرة من الأهالي، وظل باب الحافلة مفتوحاً لفترة طويلة بسبب هذا الازدحام. وحينما انفض الجمع، فإذا بالهاتف قد اختفى تماماً، فقلت لنفسي: يا الله! لقد اختفى الهاتف، ماذا سأفعل الآن؟ لم يكن الهاتف هو المهم، إنما المعلومات الموجودة عليه هي الأكثر أهمية.

حدث ما حدث، ولم يعد في الاستطاعة فعل شيء. ورويت للجميع ما حدث

وكيف أنه اختفى في أثناء هجوم هذه الجموع من الأهالي. ولما رأى السيد أردوغان مدى حزني وجزعي من الأمر لم يقل أي شيء، إلا أن السيد "مجاهد" وبخني بما فيه الكفاية".

ويحكي السيد "بشير جوشكون" أيضاً واقعة مشابهة قائلاً: "وماذا ستقولون لو عرفتم ما حدث معي؟"، ويستطرد قائلاً:

"كنا في اجتماع بمدينة (قيرقلار آلي). وبعد أن انتهى أردوغان من كلمته توجه إلى مواطن معوّق كان قد جاء للاستماع إليه، فاحتضنه أردوغان وقبله، وسأله عن أحواله. وكنت أنا في تلك الأثناء أمسك باب الحافلة بيد، وباليد الأخرى أمسك بالكاميرا لالتقاط الصور.

عاد السيد أردوغان إلى الحافلة، واتصل بالسيد "مجاهد"، وقال له إن الاجتماع قد انتهى. فتذكرت آنذاك هاتفي، فوضعت يدي في جيبي فلم أجد الهاتف. فاستعرت من أحد أصدقائي هاتفه الخاص واتصلت منه برقم هاتفي، وانتظرت، فإذا بصوته يدوي وأنا أسمعه بأذني. وأخذت انظر هنا وهناك ظنًّا مني أن الهاتف قد سقط مني في مكان قريب من هنا وربما أيضاً وجده أحد الأشخاص قبل أن أجده.

فرد عليّ أحدهم عبر هاتفي هذا، فقلت له: "يا أخي، إن الهاتف الذي معك هو هاتفي، ويبدو أنه سقط مني في مكان ما ووجدته أنت، فلو تكرمت وتأتيني به!".

فأجابني هذا الشخص قائلاً: "لا يا أخي لم يسقط منك، إنما اجتهدتُ وسرقته! فلو كنت قد أمسكت بي كنت ستضعني بالسجن، أليس كذلك؟ فهو الآن من حقي. ولكنك إذا كنت تريد المعلومات الموجودة على ذاكرته، فعليك الاتصال بخدمة الخطوط المفقودة حالاً، وقم بإغلاق هذا الخط!".

انظروا لقد وصف الرجل السرقة بالاجتهاد والعمل، إنه يتحدث عن السرقة وكأنها عمل محترم! فاضطررت إلى إغلاق الخط على الفور".

أما حادثة "إبراهيم بايرام" فقد حدثت في (أضنه):

"كنت في اجتماع أضنه، وبعد الاجتماع رافقت قوات الشرطة السيد أردوغان حتى سيارته ورافقناه بعد ذلك من دون أي مشاكل.

وكان عليَّ الاتصال بالسيد "مجاهد" لأعطيه تقريراً عن الموقف، لكنني ظللت أبحث عن الهاتف ولم أجده قط، وكأن الأرض انشقت وابتلعته.

وفي هذه الأثناء كان مدير الأمن موجوداً بجانبنا. فقلت له: "يا سيادة المدير لقد سُرق هاتفي الخاص"، فرد عليّ قائلاً: "قدم شكواك وسننظر في الأمر!".

فقلت له: "يا سيادة مدير الأمن، من اشتكيه، أنا الآن أسير مع أردوغان، وعبد الله غول، وعمر تشـاليك، ومعك، وبرفقة قوات الشـرطة، وأنا لا اشـتكي أي أحد من هؤلاء، فهذا لا يعقل...".

فقال لي: "المشتبه فيهم لا يمكن أن يقوموا بذلك، إذاً، انسَ الأمر...".

من سيكون رئيس الوزراء؟!

من الموضوعات المثيرة للجدل في أثناء سير عملية الانتخابات، موضوع رئاسة الوزراء. فلو أصبح حزب العدالة والتنمية على رأس السلطة، فلن يتمكن الرئيس العام للحزب السيد أردوغان من أن يكون رئيساً للوزراء.

وقد كان السيد أردوغان على الرغم من كل الضغوط المحيطة به لا يميل إلى التصريح بشيء يتعلق بهذا الموضوع.

وكانت الإدارة العليا للحزب لا تتحدث أيضاً في هذا الموضوع، أو بتعبير أكثر وضوحاً، لا تجد ضرورة للحديث في الموضوع في هذا التوقيت. يقول بولنت أرينتش: "إننا كنا نرى أن عبد الله غول هو الأصلح ليتولى منصب رئاسة الوزراء باعتباره الرجل الثاني في الحزب، وكان هناك قبول واتفاق ضمني في ما بيننا على هذا. ومع ذلك كنا متفقين مع رئيس الحزب ولم نصرح له بأي شيء بهذا الخصوص". ويستطرد أرينتش حديثه قائلاً: "حتى إنني أتذكر حين سألني أحد أعضاء الأحزاب الأخرى في إحدى البرامج التلفزيونية عمن سيكون رئيس الوزراء إذا ما قمنا بتشكيل الحكومة، فرددت عليه قائلاً: يمكنني أن أذكر عشرة أسماء من أصدقائي يصلح كل منهم كي يقوم بدور رئيس الوزراء، وسألته إن كان يمكنه أن يعطيني اسماً واحداً يصلح لأن يكون رئيساً للوزراء غير رئيس الحزب لديه، وحينما كنت أسأل من يهاجموننا بمثل هذا السؤال أجدهم يضطرون لأن ينهوا الحديث في هذا الموضوع".

وحينما وصلت إلى أردوغان وجهات نظر المعترضين على أن يكون "عبد الله غول" هو رئيس الوزراء قال ما يلي:

"لنفترض أننا في المستقبل سنكتشف أن وجهة نظر هؤلاء الأصدقاء كانت صحيحة، وأن السيد عبد الله غول لن ينقل وظيفته لآخر، فحينها سننظر في الأمر، فلو كان يؤدي مهمته على أكمل وجه، فسيكون كل ما علينا فعله أن نقف بجانبه

بكل ما أوتينا من قوة.

أما إذا كان سيبدي اتجاهاً مخالفاً لمبادئ وأهداف حزبنا ولا يريد التخلي عن منصبه، فعندئذٍ، سنكون ضده من خلال معركة ديمقراطية. ولهذا السبب، ليس من المقبول أن يفكر أي شخص في مثل هذه الأشياء من الآن، فلينظر كل واحد إلى عمله وليعتنِ به!".

كان السيد أردوغان يرى أن وجهات النظر هذه وما يشبهها قد تكون وصلت إليه بصورة ما، ووصلت إلى السيد عبد الله غول بصورة أخرى، ولم يهتم هو والسيد عبد الله غول بمثل هذه الآراء التي يمكن وصفها بالسلبية، وظلا على عهدهما بالثقة والصداقة المتبادلَتَين، ويشير أردوغان إلى أن كل ما تم في هذا الاتجاه قد انتهى من دون الوصول إلى أي نتيجة:

"الحمد لله لأننا عشنا هذه الظروف ونحن لا نزال في مرحلة تأسيس الحزب، وقد تخطينا هذا الاختبار بنجاح. ولو أنكم تتذكرون أنه حينما كنا في المرحلة التأسيسية للحزب لم يكن هناك اعتراض على أن أكون عضواً مؤسساً بالحزب، إنما كان الحظر متعلقاً بأن أصبح نائباً بالبرلمان. وعلى الرغم من ذلك، فقد اتفق الأصدقاء من دون أي جدال على أن أكون أنا الرئيس العام للحزب. لأن هدفنا المشترك والمسبق ليس أن يكون كل واحد منا في منصب، وإنما كان فكرنا وقضيتنا أن نحمل السلطة على عاتقنا. أما كما هي الحال في كل مكان، فهناك الكثير والكثير ممن يروّجون للشائعات.

وإنني أستطيع أن أذكر متحدثاً عن نفسي: إنني لو كنت قد انطلقت في قضيتي هذه من أجل الوصول إلى منصب معين، لما كنت ها هنا اليوم. فلقد مر بي الوقت الذي قيل فيه عني: لا يمكنه حتى أن ينتخب كعمدة قرية، لكنني واصلت نضالي ليس من أجل منصب، إنما من أجل ما أؤمن به من مُثل وقيم. وكان من الممكن أن استسلم في اليوم الذي شُطِب فيه اسمي من قائمة مرشحي نواب الشعب. وكان من الممكن أن أقول: إنني لا أستطيع أن أكون نائباً للشعب على أي حال من الأحوال، فلأنسحب، وليستمر الأصدقاء في الكفاح. لكن ما الذي فعلته؟ واصلت العمل في طريقي، وطفت الأناضول بأكملها، وتجولت في أرجاء تركيا. وكان وقتها وصول حزبنا للسلطة أهم لدي من أي شيء آخر حتى من نفسي.

وثمـة حكايـة تأثـرت بهـا كثيـراً، يُحكَى أن سـيدتين تنازعتـا على أمومة طفل، وانتقلت القضية إلى القاضي. واستمع القاضي لكل واحدة منهما، وفي النهاية قال لهما: "كل منكما تزعم أنها أم الطفل ولا تتراجع عن زعمها، إذاً، سـأقوم بتقسـيم الطفل بينكما أنتما الاثنتين ولتأخذ كل منكما نصفاً منه". فإذا بواحدة من المرأتين تصـرخ وتتراجـع عـن مطلبهـا فـي أمومتها للطفل؛ لأنهـا الأم الحقيقية، وتريد له أن يعيش مهما كلفها هذا من فراقها عنه.

هكـذا، أنـا أيضـاً لا أرضـى دائمـاً بغيـر أن أكـون مثـل (الأم الحقيقية). فإذا ما خُيرت بين نفسي وبين القضية التي أعيش من أجلها، فسأختار قضيتي.

حقيقة بارك الله في أصدقائنا؛ إذ اتسموا جميعاً بوعي ودراية واسعة بالأمور. وبهذا نكون قد أثبتنا منذ البداية ومن خلال المواقف أننا لم نصل إلى هذه المراكز لحسابات شخصية. ولكن ألا يوجد لهذه القاعدة استثناء؟ بالطبع يوجد لكنه قليل جداً. وقد قابلناهم بصورة طبيعية، ولم نقل أي كلمة ضدهم قط. بل ظللنا متذكرين تلك الأيام التي عملنا فيها سوياً، وحينما تحدثوا هم بغير الخير عنا كذباً، لم نرد عليهم، ولم نحول الأمور إلى أمور شخصية في أي وقت قط".

الثالث من نوفمبر/تشرين الثاني

أو (ثورة الصناديق)

خاض حزب العدالة والتنمية غمار الانتخابات ولم يمر سوى عام واحد على إنشائه. فقام السيد أردوغان عقب افتتاح مراكز الحزب بالمدن بالتجول في كل أرجاء تركيا من أجل الحملة الانتخابية، وجسّ نبض الشعب، وأصبح على معرفة بكل تطلعات الشعب ورغباته تقريباً. وتم تكوين أول استراتيجية انتخابية لحزب العدالة والتنمية من خلال هذه التطلعات والرغبات الشعبية.

وارتكزت استراتيجية الحملة الانتخابية على ثلاثة من هذه المتطلبات الشعبية الهامة وهي: التخلص في أسرع وقت من الأزمة الاقتصادية وما خلفته من آثار سلبية على المجتمع، وسيادة العدالة في المجتمع وتطبيقها على أعضاء الحكومة الذين ثبت الفساد عليهم، وأخيراً، إنهاء فترة عدم الاستقرار الناجمة عن الحكومات الائتلافية المشكلة من أكثر من حزب والتي أضحت استمراراً لفترة انقلاب 28 فبراير/شباط، وكذلك إنهاء هذا الجو القاتم الذي سببته حالة عدم الاستقرار.

وتم إعداد الشعارات المستخدمة في الحملة الانتخابية لتؤكد على أن حزب العدالة والتنمية هو الحزب السياسي الوحيد الذي سيجيب على هذه التطلعات الشعبية:

الحزب الوحيد الذي سيجعل المُزارع سعيداً هو حزب العدالة والتنمية

الحزب الوحيد الذي سيحل المشاكل الصحية هو حزب العدالة والتنمية

الحزب الوحيد الذي سيحمي الشعب والحريات هو حزب العدالة والتنمية

الحزب الوحيد الذي سيعزز من حقوق المرأة هو حزب العدالة والتنمية

الحزب الوحيد الذي سيحمي التجار والعمال هو حزب العدالة والتنمية

أردوغان هو الضمانة الوحيدة لكل هذه الوعود التي وعد حزب العدالة والتنمية

الشعب بها. فقد كانت صورة السيد أردوغان منذ الأسبوع الثاني للحملة الانتخابية موجودة على كل الإعلانات الانتخابية بابتسامته التي تبعث الدفء في كل من يراها، والتي أحاطت بالوطن بأكمله وهو يقول: "نعدكم، سننجح معاً".

أما من خلال الشعار التالي: "ابدأ بنفسك أولاً"، فقد أعطينا للشعب رسالة أن الحزب الوحيد القادر على تشكيل حكومة قادرة على وضع حل يخلصهم من فترة عدم الاستقرار هذه والتي تسببت بها الحكومات الائتلافية، وتم تدعيم هذا الشعار برسائل أخرى مثل:

ابدأ بنفسك أولاً من أجل العدالة

ابدأ بنفسك أولاً من أجل التنمية

ابدأ بنفسك أولاً من أجل الاستقرار

وحينما دخلت الحملة الانتخابية في أسبوعها الأخير قام السيد أردوغان بمناداة الشعب بأكمله مستخدماً كل خبراته في التواصل، فدعاهم إلى التصويت لرمز المصباح لتشرق تركيا قائلاً:

"أضيئوا الأنوار لينتهي الفساد

أضيئوا الأنوار لتنكسر قيود الحرية

أضيئوا الأنوار لتنتهي البطالة

أضيئوا الأنوار لتشرق تركيا"

وقد كان السيد أردوغان موجوداً في مقر الحزب بمدينة اسطنبول حينما بدأت تظهر النتائج الأولى للانتخابات. وكلما ازداد عدد الصناديق المفتوحة، كلما كان الفوز يتأكد أكثر فأكثر، حتى تأكد أن حزب العدالة والتنمية سيقوم بتشكيل الحكومة.

وقال حينها أردوغان رئيس الحزب لباقي أعضاء الحزب الموجودين بجانبه: "ليس لدينا وقت لنضيعه في فرحة الفوز، فهذا الأمر لا يليق بنا".

وخرج أردوغان إلى شرفة المبنى وألقى التحية على الجموع الشعبية التي جاءت لتهنِّئه، وألقى عليهم أولى كلماته بعد الفوز بالانتخابات:

"لقد قلنا لكم أضيئوا الأنوار، وأضأتموها، بل أضأتم كل الوطن بضيائكم. ولقد فزتم أنتم بهذا الماراثون الذي استمر لشهور. لقد أعطيتم أصواتكم من أجل اتخاذ خطوات جادة في العمل والمأكل والمشرب أولاً، ثم التعليم والصحة والحريات.

أعطيتم أصواتكم من أجل الانتقال من ديمقراطية لا تستطيع إدارة أموركم إلى ديمقراطية حقيقية تعمل من أجلكم. وأشرتم إلى ذلك كله بعنوان واحد هو حزب العدالة والتنمية.

إن القرار قراركم، وقد طبقتم بحق مقولة أتاتورك: إن السلطة هي سلطة الشعب بلا أي قيود أو شروط.

إن الأهم هو ما سيبدأ الآن، فسنعمل من الآن على إنشاء تركيا كدولة رشيدة. إنني أؤمن بأن حزب العدالة والتنمية سيعمل بالتعاون مع كل مؤسسات وهيئات الدولة متفقاً على مبدأ سيادة القانون، ولسوف يكون له إسهامه بحق في إحداث مستقبل مشرق لتركيا.

وإننا نعلم أن حملنا ثقيل، وطريقنا طويلة، لكننا على علم بقضايا ومشاكل دولتنا، ونعلم بلدنا جيداً. وإننا لن نترك مبدأنا الفلسفي أبداً الذي يقول: عليك أن تجعل الإنسان يعيش حتى تعيش الدولة. وإن شاء الله سوف تجدوننا جديرين بالأمانة التي أعطيتمونا إياها من خلال مجموعتنا البرلمانية القوية. شكراً لكم وبارك الله فيكم. وكل شيء من أجل تركيا".

وكان الإعلام ينتظر المؤتمر الصحفي الذي سيعقد من أجل الإعلان عن نتائج الانتخابات. وتوجه السيد أردوغان بعد إلقائه لتلك الكلمات على الجماهير التي جاءت لتهنئته إلى فريق الصحفيين وقال لهم:

"إن تركيا على وشك العبور من مفترق طرق مهم جداً. وحينما بدأت تردنا النتائج الأولى للانتخابات كنت وقتها أتمنى من الله عز وجل أن تكون نتائج هذه الانتخابات معبرة بحق عن الإرادة الشعبية. وعاشت تركيا حملة انتخابية تليق بمكانتها وقوتها ووقارها. وإنني على إيمان بأن شعبنا قد وصل إلى القرار الصائب ونحن في مرحلة مهمة. وتم فتح الصناديق وتأكدت النتائج. ومن هذه اللحظة يقع على عاتق كل منا واجب بالغ الأهمية. كل منا يحتاج إلى الحكمة في التصرّف لنفسه ولوطنه. وكل رجائي من أفراد الشعب وأعضاء الأحزاب الأخرى التصرف بحكمة من أجل صالح الوطن، فلا يقوم أي شخص بفعل من شأنه الإقلال براحة الآخرين أو إفساد النظام العام أو تعكير صفو الأمن العام. فالأحزاب الفائزة في الانتخابات ومؤيدوها ربما يرغبون في الاحتفال بفوزهم، وهذا حقهم. لكن يجب

أن تتـم هـذه الاحتفـالات فـي إطـار الأمـن العام. فـلا يقوم أحد بإزعاج الآخرين أو الإضرار بغيره. ربما تظهر بعض الحركات الانفعالية، لكن يجب ألا تسـتفز أحداً. ويجـب أيضـاً إظهـار الـود والاحترام للأحـزاب الأخرى. ومن يتعدى تلك المبادئ الأخلاقيـة يجـب أن يعـرف الجميـع أنـه لا علاقة له بحـزب العدالة والتنمية. وقرار الشـعب سـيتضح أكثر فأكثر خلال السـاعات القليلة القادمة. وما يقع على عاتقكم الآن هو احترام رغبة الشـعب. فكما قال أتاتورك إن السـلطة هي سـلطة الشـعب بلا أي قيود أو شـروط. وإن شـاء الله سـنفتح صفحة بيضاء أمام تركيا، وإن حزبنا مستعد لتحمل المسؤولية وعازم على تطبيق برنامج اقتصادي سيجعل كل مواطنينا يعيشـون بكرامة، وسـيجعل مؤسسـاتنا الدسـتورية تعمل بصورة أفضل، وسيسرع من عملية انضمام تركيا للاتحاد الأوروبي، وسيعزز علاقات تركيا بالعالم الخارجي".

نتائج الانتخابات
أذهلت الجميع

لم يندهش أحد حينما أعلن رئيس الحزب السيد أردوغان أنه سيكلف السيد "عبد الله غول" برئاسة الوزراء. وكان الإعلان عن ذلك مجرد تحصيل حاصل.

يقول بعض الأشخاص إن سبب اندهاشهم ناجم عن نتائج الانتخابات، وأنهم حينما رأوا هذه النتائج أصيبوا بصدمة. وهذا الوضع في حقيقة الأمر لا غرابة فيه؛ فهناك جزء من الشعب صدق وسائل الإعلام فقط، وما قالته وسائل الإعلام هذه عن المشروعات الكبرى طويلة الأجل التي أعلن عنها حزب العدالة والتنمية، لهذا السبب لم يستطيعوا رؤية المستقبل الحقيقي لحزب العدالة والتنمية.

وكانت هذه الطائفة من الشعب من النوعية التي تصدّق مثل هذه الشائعات. أما من نظروا حولهم باهتمام، ومن استطاعوا أن يؤسسوا علاقات مع كل أطياف الشعب حتى ولو لم يكونوا متعاطفين مع حزب العدالة والتنمية، فكانوا يرون بوضوح حقيقة ما يجري. إلا أن اعترافهم بذلك كان أمراً عسيراً عليهم من ناحية، ولا يتناسب معهم من ناحية أخرى. وخاصة مئات الإعلاميين الذين كانوا يصرون على عدم قول الحقائق نتيجة للأفكار السياسية التي يعتنقونها أو من أجل إرضاء رؤسائهم في العمل.

في الحقيقة، إن الأمر كان واضحاً للغاية. فلو تم إغفال كل المعالم الأخرى، فإن الاجتماعات الشعبية التي قام بها أعضاء الحزب، وكذلك تجولهم في شوارع وأزقة البلاد من مدينة إلى أخرى، والتحام الأهالي وتجاوبهم معهم، كلها تشير إلى الحقيقة التي لا مراء فيها.

وقبل كل شيء كان كل اجتماع شعبي يقوم به حزب العدالة والتنمية في أي مدينة يدخل التاريخ باعتباره أكبر وأضخم اجتماع تم إجراؤه بهذه المدينة.

وكانـت تتـمّ دراسـة وتقيـيـم كل اجتمـاع في السـجلات الأمنيـة، إلا أن الفريق المختـص بتنظيـم هـذه الاجتماعـات كان لا يعتمـد علـى هـذه السـجلات الأمنيـة فحسب، إنما يستخدم أيضا أساليبه الخاصة نظراً لتخطي عدد المشاركين فيها كل هذه التخمينات.

وتم التوصل إلى عدد الأهالي المشاركة في الاجتماعات بشكل دقيق إلى حدٍّ مـا، وعلـى وجـه الخصـوص فـي مدن مثل بورصه، وأرضروم، وأضنه، وسامسـون، وغازي عنتب، حيث تم إحصاء عدد الأشـخاص الذين يمكن أن يملأوا المسـاحة بالكيلومتر المربع، ثم التوصل لعدد المشاركين من خلال المساحة الكلية للساحة التي شملت الاجتماع.

حينما سألنا السيد أردوغان: "هل اعتقدتم أنكم سوف تفوزون في الانتخابات بعد ما رأيتموه من حشـود شـعبية في اجتماعاتكم في المحافظات المختلفة؟"، رد علينا قائلاً: "لا... فقد كنا قد أجرينا استطلاعات للرأي في كل أنحاء تركيا، أشارت، قبل أن نؤسس الحزب، إلى أننا سنصل إلى السلطة.

إن هذا الموضوع هو حقل ألغام في حقيقة الأمر، فيجب الوقوف جيداً على موضوع استطلاع الرأي العام هذا. وبالإضافة إلى ذلك، فإنني أرى أنه من الأنسب أن نطلق عليه اسـم انتخابات مصغرة بدلاً من اسـتطلاع رأي، لأننا أجريناها على عدد يقدر بنحو 42000 شـخص. وإن هذه الدراسـات قد أفعمت كلاًّ منا بالأمل، وأكدت لنا جميعاً أننا سنصل إلى السلطة.

وحدثـت بعـد ذلـك أشـياء أخـرى جعلت إحساسـنا هذا يـزداد قوة، فكان كل اجتمـاع شـعبي نحضـره يؤكـد لنـا هـذه الحقيقـة التـي أظهرتهـا تلـك الدراسـات؛ فالاجتماعات الشـعبية الكبرى التي حضرناها في العديد من المدن مثل: قيصري، وقونيـه، واسـطنبول كانـت توضـح غمـوض بعض الأحداث التـي تعرضنا لها مثلما حدث في بورتشكا!

كنـا نلقـي كلمتنـا فـي (ريـزه)، وبعدهـا نتجه نحو (أرتفيـن). وقمنا بالوقوف تقريبـاً فـي كل المقاطعـات الواقعـة علـى امتداد الطريق السـاحلية. وقابلتنا جموع غفيرة ونحن متجهون إلى (بروتشـكا)، وكانت بها حشـود أكثر مما صادفناه في العديد من المدن.

وكنت قد ذهبت من قبل إلى (أرتفين)، وأتذكر أنني ساعتها تحدثت مع عشرين أو ثلاثين شخصاً. وأذكر أيضاً أنني ذهبت إلى (شافشات)، لكن أهلها لم يتحدثوا معنا قط، حتى إننا تعرضنا هناك إلى بعض المضايقات...

أتذكر أيضاً تلك الأيام التي ذهبنا فيها إلى (تشناق قلعة)، حيث قمنا بإخراج الأجهزة المكبرة للصوت من الحافلة واستخدمناها للحديث مع الأهالي، لكن، لم يستمع إلينا أحد قط.

لكن، حينما نترك تلك الأيام وننتقل إلى الحاضر، فسنجد أن الفارق كبير جداً مثلما ترون، فها نحن الآن قد وصلنا إلى السلطة.

والحقيقة أن هناك العديد من السمات الجيدة التي اكتسبناها من خلال عملنا في المجال السياسي طوال هذه الفترة الطويلة. كنت في أثناء الاجتماعات الشعبية أنظر إلى الشوارع والطرقات، وليس إلى ميادين الاجتماعات. فالشارع له لغته الخاصة التي تتحدث عنه، ولو أنك استطعت أن تقرأ هذه اللغة جيداً، فسترى الحقيقة واضحة، ولن تخدع نفسك".

إن السيد أردوغان حينما ذكر بأعلى صوته قائلاً: "إنّ هناك جزءاً من الشعب أصغى فقط لوسائل الإعلام، وما قالته وسائل الإعلام عن المشروعات الكبرى طويلة الأجل، لهذا السبب لم يستطع رؤية المستقبل الحقيقي لحزب العدالة والتنمية". نستطيع بكل سهولة تمييز أي نوعية من الإعلام يقصدها بحديثه هذا، ومن الطبيعي أن تكون هي مجموعة (دوغان) الإعلامية.

إن السيد أردوغان بمجرد ترشحه لرئاسة البلدية أصبح مستهدفاً من أجهزة (دوغان) الإعلامية، ولم يتخلص من هجمات هذه المجموعة طوال الحملة الانتخابية. حتى إن الهجمات نفسها استمرت ضده طوال فترة رئاسته للبلدية، وأيضاً وهو داخل السجن، ولم تتوقف هذه الهجمات في أي وقت.

وخروج حزب العدالة والتنمية فائزاً في الانتخابات أصبح بمثابة كابوس مفزع لهذه المجموعة. وسبب ذلك أن "أيدين دوغان" لن يستطيع من الآن فصاعداً أن يفعل ما يحلو له كما كان يفعل سابقاً، لن يصبح في إمكانه التمتع بتلك الامتيازات التي تحقق مصالح اقتصادية له وللقوى التي تقف خلفه بداية من رؤساء البلديات وصولاً إلى رؤساء الوزارات.

لقد كتب "آنجين أرينتش" في مقالته بصحيفة (صباح) ما يلي بشأن أيدين دوغان:

"السيد أيدين قام على مدار السنوات الثماني الأخيرة بمعارضة قاسية، بل إنها وصلت إلى درجة الوحشية. وقد سانده الكثيرون ورفعوا رايته، فمنهم من ساندوه ظناً منهم أنه يساري، وبعضهم الآخر لاعتقادهم أنه سادي يميل إلى تعذيب النفوس.

لكن هذا ليس ذنب السيد "دوغان"، فالمعارضة حق يكفله الدستور لأي شخص. لكن ذنبه الحقيقي أنه استمر في مخالفاته هذه كاسياً إياها رداء الدفاع عن العلمانية والتيار الأتاتوركي وكل ذلك من أجل تحقيق مصالحه الشخصية.

وهناك الكثير ممن انخدعوا به.

السيد "أيدين" لم يخشَ العبد، له ما أراد، لكنه أيضاً لم يخشَ الله. فقد أراد أن يسيطر على الحكومة، لكنه عجز. وظن أنه سيغيرها، لكنه لم يستطع. وظن أنه بوقوفه خلف من يعملون على قلب الحكومة سيتحقق له ما أراد، لكن، ألم يتلاعب رجال السيد أيدين أيضاً في كل تركيا وتسببوا في الكثير من التوترات بها؟".

حينما انتهت كل هجمات أيدين دوغان التي قام بها بمعرفة وسائله الإعلامية من دون تحقيق مراده، لم يستنكف من التهديد الصريح والمباشر لرجالات الدولة حتى وصل به الأمر إلى تهديد رؤساء الوزراء.

السيد أردوغان يروي لنا ما يلي:

"لقد أراد أيدين دوغان التحدث معي، وتقابلنا في فندق كونراد. وبدأ في سرد المشاجرات التي حدثت بينه وبين العديد من رؤساء الوزراء وكيف أنه خرج منتصراً في النهاية أمامهم.

وقال أيدين بالنص:

"لقد كان تورغوت أوزال رئيس الوزراء السابق في بادئ الأمر ضدنا بشكل صارم، لكنه تحول في ما بعد لدرجة أنه أصبح سلبياً. فعشنا فترة من السلام مع بعضنا. ونفس الشيء حدث مع سليمان دميرال، لكن البرود الذي كان بيننا لم يدم طويلاً. فتصالحنا معاً أيضاً. وأيضاً السيدة تانسو تشيلار كانت في بادئ الأمر صلبة معنا. وأرادت أن تتحدانا بصورة مختلفة، لكننا في النهاية تغلبنا عليها".

فقلت له: "يا سيد أيدين، فلتدخل في الموضوع، أتريد أن تقول إن الدور عليّ أنا الآن؟".

فقال لي: "لا، لم أرد قول ذلك، فأنا أرى أننا سنتفق معاً".

فقلت له: "إن ما حكيته لي لا يشير إلى هذا المعنى". واستطردت موجهاً له حديثي: "انظر يا سيد أيدين، إن لكل مرحلة أولوياتها وتوجهاتها، وكل ما عشته أنت من قبل لا يعنيني في شيء. والخلاصة أنني معك طالما أنت محق وعلى حق في كل أمورك، ولكنك إذا أتيتني لطلب شيء ليس من حقك أو لا تستحقه، فثق تماماً أنني سأقف ضدك!".

أردوغان لا يريد التدخل... ولكن

اتجـه السـيد "عبـد اللـه غـول" المكلـف من رئيس الجمهوريـة "أحمد نجدت سيزار" بتشكيل الحكومة في 16 نوفمبر/ تشرين الثاني بعد مقابلة الرئيس في القصر الجمهـوري إلـى المقـر الرئيـس لحـزب العدالة والتنميـة. وعندما وصل إلى المبنى فوجـئ بإقامـة حفـل اسـتقبال بتكليـف فرق الطبل والمزمـار، والكل أتوا إلى خارج المبنى للاحتفال برئيس الوزراء الجديد.

ووصل صوت الجموع الغفيرة مع أصوات الطبل والمزمار إلى مسامع السيد أردوغان الذي كان موجوداً في غرفته، وبجانبه أحمد أرغون الذي يقول:

"لقد كنا في الغرفة معاً، ولم تمضِ فترة طويلة حتى خرج السيد أردوغان من الغرفة، فنظرت، فإذا به جالس بمفرده في غرفة الاستراحة الجانبية الصغيرة هادئاً. وقد انزعجت كثيراً حينما رأيته على هذه الحالة...

أولاً، لم أرد أن أضايقه، لكنني أمام حالته هذه لم أتمالك نفسي وسألته:

"أهناك ما يضايقك يا سيدي؟".

فقال لي: "لا لسـت في ضيق من شـيء، إنما لم تسـنح الفرصة لنتحدث أنا والسيد عبد الله غول معاً بصراحة، وهو الآن عاكف على تشكيل الوزارة، وهناك اسمان لا أجد أنهما مناسبان لتولي حقائب وزارية، وسأصاب بالضيق إن ضمهما إلى الوزارة".

فقلت له: "كان يمكنك أن تقول له ذلك بنفسك، وتنأى بنفسك عن الضيق".

فقال لي: "لا، ليس مناسباً الآن، فأنا أرى أنه طالما لم يسأل هو، فليس من المناسـب أن أقول له شـيئاً على هذا النحو حتى لا يظن أنه تدخُّل مني في الأمر. فالأمر أمره، وهو من يقرر من يعمل معه. هذا هو المناسب والمعقول".

فقلت له: "لو تسمح لي أن أبلّغه أنا بنفسي عن هذين الاسمين".

فقـال لـي بعـد فتـرة وجيـزة من التردد: "فليكن"، وقال لي الاسـمين. فغادرت

الغرفة، واتجهت إلى السيد عبد الله غول، وقمت بمصافحته لتهنئته، ثمّ ملت نحو أذنه وقلت له بكل هدوء الاسمين اللذين قالهما لي رئيس الحزب السيد أردوغان.

قام السيد "عبد الله غول" في الثامن عشر من نوفمبر/ تشرين الثاني بعرض الحكومة المشكّلة على السيد رئيس الجمهورية ونال التصديق عليها. وبهذا تكون الحكومة رقم 58 في تاريخ الجمهورية التركية قد تشكّلت برئاسة السيد "عبد الله غول".

وبالفعل قام رئيس الوزراء بإعداد حكومته بعد مشاورته رئيس الحزب السيد أردوغان، ولم يكن أحد على علم بذلك سوى شخص أو اثنين. والجدير بالذكر أن معظم الوزراء لم يعلموا أنهم أصبحوا وزراء إلا من خلال التلفاز ووسائل الإعلام.

فيقول علي باباجان: "إننا كنا في شهر رمضان، وكنا نفطر في مكان عملنا ذلك اليوم، وجاءنا أحد الأشخاص وقال لنا إن الحكومة الجديدة يتم إعلانها الآن، وعلمت من التلفاز خبر اختياري وزيراً".

واليوم الذي تم فيه إعلان الحكومة الجديدة كان كل من السيد "يشار ياقيش" والسيد "وجدي غونول" في زيارة خارج الوطن مع أردوغان، ولم يعلما أنهما أصبحا وزيرين إلا بعد أن ترجّلا من الطائرة وهما في حافلة المطار.

ويقول "م. شافي أوزتكين" إن السيد "رجب أقداغ" لم يعرف أنه تولى حقيبة وزارية إلا مني أنا: "لقد كنا في المقر العام للحزب حينما تم الإعلان عن الحكومة الجديدة، وقال إبراهيم لي إن السيد رجب أقداغ قد تم اختياره وزيراً. إذ قال لي: إنني لا أظن أنه على علم بذلك، وها هو ينتظر بسيارته منذ نصف ساعة في الجهة المقابلة من المركز.

فذهبنا إليه، وقلنا له بالتوفيق إن شاء الله، وفي الحقيقة، وجدنا أنه لا علم له بالأمر. فقلنا له: "لقد أصبحت وزيراً يا سيدي. فما الحاجة لأن تنتظر هنا بسيارتك؟"، فاستقللنا السيارة وانطلقنا، وقام أحدنا بقيادة السيارة له، أما الآخر فكان يعمل على حمايته.

وفي طريقنا سأله إبراهيم قائلاً: "أتريد الاتصال بأحد وتعلمه بالأمر؟".

فقال: "نعم، لكن هاتفي ليس معي الآن". فقمنا بالتوقف عند أحد المتاجر واشترينا خطاً هاتفيًّا وأعطيناه للسيد الوزير.

الزيارات الخارجية
وقمة كوبنهاجن

الحظر السياسي المفروض على رئيس الحزب أدى إلى صعوبة وتعقد الأمور الإدارية أكثر فأكثر، إلا أنه كان يفسح الطريق لتطورات من شأنها فتح الآفاق أمام الدولة بصورة لم نكن نتوقعها.

كانت تركيا تستعد لانتخابات الثالث من نوفمبر/ تشرين الثاني من ناحية، وتقوم بالاستعدادات الأخيرة لقمة الاتحاد الأوروبي المقرر إجراؤها في (كوبنهاجن) في شهر ديسمبر/ كانون الأول.

ووجود أمرين مهمين كهذين في جدول أعمالنا كان له تأثير نفسي عميق علينا، إذ كنا نعمل ونتوقع الضغوط والمحاذير المحتملة كافة. وكان السيد "عبد الله غول" منشغلاً فترة تشكيله للحكومة وانتقال السلطة إليه، أما السيد أردوغان فقد وضع نصب عينيه قمة كوبنهاجن، وكثف كل اهتماماته من أجلها. فقام بزيارة الدول الأربع عشرة الأعضاء في الاتحاد الأوروبي خلال فترة قصيرة، وتشاور مع رؤسائها. كما قام في الفترة نفسها بزياراته لكل من الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا والصين.

وكان قيام أردوغان بهذه الزيارات يعد تجديداً رئيساً، بل هو الأول من نوعه على السياسة التركية. وعلى الرغم من أن السيد أردوغان ليس رئيساً للوزراء ولا رئيساً للجمهورية، إلا أنه كان يتشاور مع رؤساء جمهوريات ورؤساء وزراء الدول التي يقوم بزيارتها، وينشئ علاقات وطيدة معهم، ويحصد نتائج جيدة.

كان القادة لا يعبأون عند حديثهم مع أردوغان بكونه رئيساً للوزراء أم لا، ولكن من ناحية أخرى تساءلت أوساط عديدة داخل تركيا عن صفة أردوغان حينما يقوم بمثل هذه الزيارات، بل وكانوا في غاية الضيق عندما استقبله قادة الدول التي

زارها استقبالاً حافلاً على الرغم من أنه بمنأى عن الحقل السياسي الرسمي.

تلك الأوساط التي آثرت منفعتها الخاصة وعدم رعايتها لصالح البلاد قامت بمحاولة استفزاز السيد "أولي رين" المسؤول عن لجنة توسيع الاتحاد الأوروبي قائلة له: "لماذا تتشاورون مع السيد أردوغان وليس له صفة رسمية؟".

فكان الرد من أولي رين: "بصفته الرئيس العام لحزب خرج فائزاً في الانتخابات ونجح في تشكيل الحكومة بمفرده".

أليست هذه الإجابة منصفة للسيد أردوغان ولو قليلاً ضد هذه الجبهة المناهضة له.

والسيد "أجامان باغيش" الذي كان موجوداً مع السيد أردوغان في زياراته الخارجية وقام كذلك بالترجمة له في مباحثاته الثنائية يقول: "كانت تتم معاملة رئيس الحزب السيد أردوغان في كل دولة يذهب إليها معاملة رئيس الوزراء، ولكن الدولة الوحيدة التي لم تفعل ذلك هي تركيا!!". ويروي لنا "باغيش" ذكرياته عن تلك الفترة قائلاً:

"حينما ذهبنا إلى روسيا لم تكن مسألة التقائنا ومحادثتنا مع بوتن أمراً محسوماً، فلم يكن من الواضح بعد ما إذا كان بوتن سيقابل أردوغان أم لا. ثم بعد ذلك تم تحديد مقابلة معه لنصف ساعة فقط، إلا أن هذه المقابلة الثنائية استغرقت بالفعل ساعة ونصف الساعة. كما تم استقبال أردوغان في الصين بصورة تفوق الخيال، ولا أستطيع أن أعبر عما حدث هناك إلا بهذا القدر الضئيل: لقد تم تخصيص حوالى 17 ألف شرطي في أثناء زيارتنا لسور الصين. وعند النظر إلى تلك التأمينات الأمنية لضيف ما تعرف مدى اهتمام الدولة به".

قام السيد أردوغان بإحدى أهم جولاته الخارجية وهي زيارته إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ويقول "جُنيد زابصو" إن ما جعل هذه الزيارة تدرج على جدول الأعمال هي تلك التطورات التي ظهرت على الساحة عقب زيارته هو وياشار ياقيش إلى أمريكا:

"لقد كان موضوع قبرص أحد أكثر الموضوعات المحددة لنقاشها في المباحثات التي ستجرى في كوبنهاجن، ولهذا السبب كان ينبغي علينا أن نأتي برؤوف دنكتاش للقمة، وأن نتبنى وجهة نظر إيجابية. وكان دنكتاش في هذه الأثناء

موجوداً في الولايات المتحدة الأمريكية لظروف صحية.

أرسلني السيد أردوغان مع ياشار ياقيش للتشاور مع رؤوف دنكتاش بشأن تسوية المسألة القبرصية، وبالفعل ذهبنا إليه، لكننا لم نستطع الحصول منه على نتيجة إيجابية، وكان هذا أمراً متوقعاً منذ البداية، إذ إنه منذ ثلاثين عاماً وهو مصر على كلمة "لا"، وليس من المنطقي أن يقول "نعم" هكذا فجأة.

وبينما نحن هناك في الولايات المتحدة الأمريكية قمنا بالعديد من المباحثات، ورأينا أنهم في أمريكا مهتمون بالشأن التركي وتطوراته، ولديهم حب استطلاع لمعرفة حزب العدالة والتنمية وشخصياته وخصوصاً أردوغان. ورأيت أنه يجب عليّ أن أنتهز هذه الفرصة، فتوجهت إلى السفير التركي في الولايات المتحدة الأمريكية آنذاك السيد "فاروق لوغ أوغلو" وتناقشت معه حول الموضوع وسألته: "أيمكننا أن نأخذ موعداً مع جورج بوش؟"، ويا ليتني ما سألته، إذ وبخني السفير بشدة ولم يؤيدني في اقتراحي هذا قائلاً: "هناك أكثر من مئة رئيس دولة ينتظرون تحديد موعد للقاء بوش، مع العلم أن السيد أردوغان ليس رئيس دولة أو رئيس وزراء، يا سيد جُنيد، إن هذه الأمور ليست مثل لقاءات رجال الأعمال".

وشعرت حينها بضيق شديد وكان السيد أردوغان وقتها في السويد، فقمت بالاتصال به هاتفيًّا وأخبرته بالأمر. وبعدها قمنا ببعض الاتصالات مع المسؤولين الأمريكيين، وفي النهاية، جاءتنا الدعوة من الولايات المتحدة الأمريكية. ولو كنا تركنا الأمر للسيد السفير، لما كنا ذهبنا ولو بعد مئة عام".

وقد استقبل "جورج بوش" السيد أردوغان في الاجتماع الذي جمعهما بالبيت الأبيض بقوله: "إنني أؤمن بإله واحد، وسمعت أنك أيضاً مثلي. وإنني أتمنى أن نقوم معاً بأعمال جيدة كرجلين يؤمنان بالله". واستضافه على أعلى مستوى.

ويروي لنا "جُنيد زابصو" أن السيد أردوغان قد لفت الانتباه بتصرفه في أثناء مباحثاته في البيت الأبيض بكل حرية وتمرس وبسلوك متوافق مع البروتوكول، وحينما حاول "زابصو" نفسه أن يحاكي السيد أردوغان ويتصرف في أحد المواقف بحريته، فإذا بالسيد أردوغان يوبخه، ويقص علينا حكايته هذه بهذه الصورة:

"كان الحزب قد تأسس حديثاً، وذهبنا تلبيةً لدعوة برنامج تلفزيوني يقدمه هاقان أيغون. وبقدر ما أتذكر كان في البرنامج معي كل من حلمي غولار، وعلي

باباجان، ورها داناماتش وعائشة بوهورلار، وإبراهيم أوزال، وجانان ڤالصين، وكنا نمثل الوجوه الشابة لحزب العدالة والتنمية. وكان معنا أيضاً من الصحفيين محمد ألتان، وغولاي غوكتورك. وكان البرنامج على الهواء مباشرة. وبدأنا البرنامج وإذا بالأسئلة تأتي إلينا بوفرة، وكنا نجيب عليها، ثم جاءت فترة إعلانية، ونظرت، فإذا بالسيد أردوغان يتصل بي على هاتفي، فقلت في نفسي إننا أبلينا بلاءً جيداً، لذا، يتصل ليهنئني ويشد من أزري، لكنني فوجئت بأنه يوبخني بشدة نظراً لأنه رآني على الشاشة وأنا جالس واضعاً قدماً فوق الأخرى، فأراد أن ينبهني ألا أفعل ذلك. وحينما قلت له إن الجالسين أمامي يجلسون وهم يضعون قدماً فوق الأخرى، لذا، فلا غضاضة في ذلك.

فقال: "ليس الجالسون أمامك فقط هم من يرونك الآن، فماذا ستقول لكل المشاهدين الجالسين أمام التلفاز؟".

يقول "أجامان باغيش" إن نوعاً من التوتر كان يسري بين أعضاء السياسة الخارجية في قمة كوبنهاجن، وكان سبب هذا التوتر على حد قوله: "خوفهم من أن يقترف أردوغان خطأ ما، لكن، كلما تقدمت القمة، كلما تبدلت مشاعر القلق والخوف لديهم بالراحة، إذ إن السيد أردوغان بمجرد بداية المباحثات كان يتصرف بسلاسة وحنكة سياسية وكأنه كان يقوم بمثل هذه المباحثات منذ سنوات طويلة".

وفي نهاية المباحثات صدر القرار بشأن تركيا على النحو التالي: "قررت قمة كوبنهاجن، في ضوء تقرير الأداء لعام 2004م، أن يتم تحديد بدء المفاوضات بشأن انضمام تركيا للاتحاد الأوروبي من دون تأخير وذلك وفقاً لالتزامها بالمعايير السياسية التي تم تحديدها لهذا الإطار في القمة".

كان القرار الصادر لا يرتقي لمستوى تطلعات الوفد التركي، لذا، شعر الجميع بالإحباط وخيبة الأمل وعلى رأسهم السيد أردوغان نظراً لأنهم كانوا ينتظرون تحديد تاريخ قاطع ومبكر أكثر مما جاء بالقرار من أجل بدء المفاوضات. ويحكي لنا أجامان باغيش مشاعر الوفد تجاه القرار كما يلي:

"كنا نجلس في بهو الفندق من دون أن ينظر أي منا إلى وجه الآخر، لأننا كنا نتوقع الإعلان عن تاريخ قريب. وجاء السيد فولكان فورال السكرتير العام للاتحاد الأوروبي آنذاك وناداني وتحدث إلي منفرداً، وقال لي: "يا سيد أجامان،

إنني أرى أن السيد أردوغان وكذلك المدير العام في حالة يبدو من وجهيهما أنهما يشعران بخيبة أمل كبيرة. وأنا رجل بيروقراطي لا يمكنني أن أتحدث معهما في هذا الشأن، فاذهب أنت وقل لهما: لو أن هذه النتيجة كانت في عهد تانسو تشيلار أو مسعود يلماز لكانا ذبحا مئة جمل ابتهاجاً بها. إن تركيا لم تحصل على هذه النتيجة منذ خمسةٍ وأربعين عاماً، فلقد وضع الاتحاد الأوروبي هدفاً أمامنا للمرة الأولى في تاريخنا، أي أنه جعل الكرة في ملعبنا نحن، فلنقم أولاً بالإصلاحات ونصدر القوانين، وحينها سيتحدد لنا موعد للمفاوضات".

ونقلت ما قاله لي السيد السفير إلى أردوغان، وبعد ذلك أيضاً ارتفعت حالتنا المعنوية حينما رأينا تعليقات الأجانب على القرار".

يقول أجامان باغيش: "إن الخيوط الرئيسة للسياسة الخارجية التي سيتبعها حزب العدالة والتنمية قد اتضحت بنسبة كبيرة خلال قمة كوبنهاجن والزيارات الخارجية"، وقال إن السيد أردوغان كان على إيمان بأن يعطي رسائل متعلقة بكيفية تعامله مع القضايا الداخلية. ويحكي لنا واقعة عاشها في تلك الأيام:

"كانت الانتخابات قد انتهت حديثاً، وطلب سفير السويد في أنقره موعداً من الرئيس العام للحزب السيد أردوغان، فكان يرغب في الحديث معه في إحدى القضايا. وسأل قائلاً: "إن وزير خارجية السويد كان سيأتي إلى تركيا العام الماضي، وكان يريد أن يزور ديار بكر بجانب أنقره واسطنبول، لكنهم قالوا لنا إن أقل من فترة أسبوعين ليست كافية لزيارة ديار بكر، لذا، لم يأتِ الوزير، فالآن لو أتى وطلب أن يزور ديار بكر، فما رأيكم؟"، فقال السيد أردوغان بلا أي تردد: "بالطبع ليأتِ، ولكن بشرط، وهو أن يأتي لزيارتها مجدداً بعد عدة أعوام ويقول لنا عن الفارق بين الزيارتين...".

لقد تكوّنت لدي حينها ولفترة وجيزة العديد من الانطباعات، ولكنني سرعان ما فهمت أن السيد أردوغان بما يتمتع به من ثقة بالنفس وعزم وتصميم لما سيقوم به من أعمال كان قد خططها بالفعل.

وبالفعل جاء الوزير السويدي إلى تركيا، وزار ديار بكر، ووعدنا بأن يأتي مرة أخرى، لكنه لم يستطع أن يفي بوعده لأنه اغتيل بعد عدة أشهر. لكن السويد بعد هذه الزيارة أصبحت أكبر مساند لتركيا في عملية انضمامنا للاتحاد الأوروبي.

فتمتّع السيد أردوغان بهذا القدر من الثقة بالنفس كان له أكبر الأثر في تغيير وجهة نظر السويد بتركيا".

كانت قازاقستان أحد البلدان التي زارها السيد أردوغان بصفته الرئيس العام للحزب. واستقبل نور سلطان نازار باييف السيد أردوغان في القصر الموجود في العاصمة آستانة. وفي أثناء المقابلة قام نازار باييف بإعطاء بعض المعلومات بشأن القصر الجمهوري، وتحدث باستفاضة عن خصائصه المعمارية وضخامته ومكانته.

وحينما قال له أردوغان: "إن كل هذه الأشياء زائلة، ولكن أهم شيء هو خدمة الإنسان"، رد عليه نازار باييف قائلاً: "يا سيد أردوغان، إنك تتحدث تماماً مثل السيد نجم الدين أربكان".

فأجاب أردوغان قائلاً: "لا أظن ذلك مطلقاً، فلو كنا نتحدث من نفس المنطق لكان معي هنا الآن، أليس كذلك؟".

وبعد ذلك أصبح كل من أردوغان ونازار باييف صديقين، وأتى بعد ذلك بعام واحد السيد نازار باييف إلى تركيا، ودعاه أردوغان لتناول الطعام في محافظة (أنطاليا)، وبينما هما على مائدة الطعام تحدث أردوغان عما فعله من أجل شعبه قائلاً: "إنني خصصت حصة تقدر بستة بالمئة من الدخل القومي في صندوق خاص، ولا يمكن استخدام هذه الأموال بضمانة الدستور قبل أن تنفذ الموارد الطبيعية للدولة". وبعد ذلك يعترف له باعتراف هام قائلاً: "إن من أعطاني مثل هذه الأفكار هو تورغوت أوزال، ولقد علمت أنه كان يريد فعل مثل هذه الأشياء في فترة حكمه، إلا أنه لم يتمكن من ذلك بسبب البيروقراطية...".

محافظة (سيرت)...

النهاية ثم البداية

إن السيد أردوغان رئيس حزب فاز في الانتخابات وشكّل الحكومة، لكنه ليس نائباً برلمانيًّا. وكانت هذه المفارقة مصدر إزعاج للنخب والأوساط العلمانية. ولم يكن لحزب العدالة والتنمية الأغلبية داخل المجلس حتى يتسنى له القضاء على هذه المشكلة.

وعلى كل حال، فبمساعدة حزب الشعب الجمهوري لم يستغرق القيام بالتغيير المطلوب فترة طويلة. وبرفع عبارة (الأفعال الإيديولوجية والتحريضية) من المادة 76 من الدستور ووضع (الأفعال الإرهابية) مكانها، تم رفع الحظر الموجود على أردوغان، ولم يعد هناك مانع دستوري لانتخاب أردوغان نائباً برلمانيًّا.

ورغم ذلك، كان ينبغي على أردوغان أن ينتظر انتخابات جديدة ليكون نائباً شعبياً. وفي تلك الأيام حدث تطور ما أدى إلى حل هذه المعضلة من دون أي تدخل، إذ إن اللجنة العليا للانتخابات قامت بإبطال نتيجة الانتخابات عن مدينة (سيرت) بسبب إجراءات وأعمال غير قانونية حصلت في أثناء العملية الانتخابية هناك، وتقرر أن تجرى الانتخابات مجدداً في هذه المدينة.

ووضع حزب العدالة والتنمية كل ثقله في هذه الانتخابات. وخرج منها فائزاً، وأصبح أردوغان نائباً برلمانيًّا عن محافظة سيرت. وعلى الرغم من أن نسبة فوزه كانت عالية، إلا أن السيد أردوغان ذهب بنفسه إلى هناك وتابع العملية الانتخابية.

كان مدير الأمن هناك أيضاً، وكان كل شيء يسير على ما يرام، وإذ بإخبارية تأتي لمديرية الأمن تقول إن ثمة محاولة لاغتيال أردوغان.

يحكي لنا إبراهيم بايرام عن هذه الواقعة:

"حينما ترجّل السيد أردوغان من الطائرة في مطار باطمان، وجد تدابير أمنية

مشددة في انتظاره، وطُلِب منه أن يرتدي السترة الواقية من الرصاص.

انتقلنا من باطمان إلى قورتولان ومنها إلى سيرت، وكان هناك اجتماع صحفي في دار المعلمين. وسأل أحد الصحفيين السيد أردوغان قائلاً: "يا سيدي، أظنك قد ارتديت السترة الواقية... أليس كذلك؟". انزعج أردوغان من هذا السؤال، فما كان منه إلا أن قام بخلع السترة الواقية من الرصاص وألقاها بعيداً قبل الصعود على المنصة مباشرة لإلقاء كلمته أمام أهالي سيرت.

وظهرت نتائج الانتخابات بعد فترة قصيرة، وفاز حزب العدالة والتنمية بنسبة أصوات بلغت 85 بالمئة وحصد المقاعد الثلاثة الشاغرة بمجلس الشعب عن مدينة سيرت.

كان أول القادة الذين اتصلوا لتهنئة أردوغان هو جورج بوش رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، وهنأه بحرارة على نتائج الانتخابات قائلاً: "إنني لم أتحدث من قبل قط مع أي زعيم ديمقراطي حصل على نسبة أصوات تقدر بنسبة 85 بالمئة".

وكانت كلمة الشكر التي سيلقيها السيد أردوغان من أنقره سيتم إذاعتها عبر شاشة عملاقة في ميدان الاجتماعات الشعبية بمدينة سيرت، وكان إبراهيم بايرام يتولى عملية وضع الشاشة في الميدان، وبينما هو يتابع عمله جاءه أحد الرجال المسنين وقال له: "أتعلم يا بني؟ إن الأبيات الشعرية التي قالها السيد أردوغان ودخل السجن بسببها كان قد قرأها في هذا المكان الذي تضعون فيه هذه الشاشة. فلا بد للحق يوماً أن ينتصر".

وبينما كان السيد أردوغان ذاهباً لأداء قسم اليمين في صالة مجلس الشعب التركي نائباً برلمانيًّا، كان أغلب نواب الشعب الآخرين عن حزب العدالة والتنمية يبكون ويقابلون قائدهم بالتصفيق.

وعقب أداء قسم اليمين قام السيد "عبد الله غول" بلفتة جيدة؛ حيث نزع دبوس شعار النائب البرلماني عن ياقته ووضعه على ياقة السيد أردوغان.

وبعد أن قدمت حكومة "عبد الله غول" استقالتها إلى رئيس الجمهورية تم إسناد مهمة تأسيس الحكومة الجديدة في اليوم نفسه إلى السيد أردوغان.

وقام السيد أردوغان عقب خروجه من القصر الرئاسي بالتوجّه إلى المقر الرئيس لحزب العدالة والتنمية، وكان جميع الأعضاء في انتظاره، فقد انتهت معركة

الديمقراطية التي استمرت لسنوات طويلة بفوز الإرادة الشعبية. والسيد أردوغان الذي قيل عنه إنه لن يمكن انتخابه حتى كعمدة قرية، ها هو الآن قد أصبح رئيس وزراء تركيا.

وكان الطابق الموجودة فيه غرفة رئيس الوزراء يعج بالناس لدرجة لا يمكن تخيلها، فكانت غرفة رئيس الوزراء وكل الممرات والغرف الأخرى ممتلئة بنواب الشعب وأعضاء الحزب ومديريه، وكذلك بأصدقاء أردوغان الذين جاءوا جميعاً لتهنئته.

وكان أحد الموجودين في غرفة رئيس الوزراء الواسعة السيد "مصطفى غوندوغان"، وحينما وجد الغرفة تعج بنواب الشعب وأعضاء اللجان العليا بالحزب وغيرهم، جلس في أحد أركان الغرفة بهدوء، وأخذ يتابع كل هذا الجمع: "كانوا جميعهم أشخاصاً على درجة جيدة من العلم، وهم قاداتنا في الحزب، وكنت أنا أقلهم تعلّماً إذ إنني خرجت من الصف الخامس الابتدائي ولم أكمل تعليمي".

وكان قد بدأ يستسلم لإحساس يدفعه للانسحاب والخروج من الغرفة، فإذا بعينيه تقعان على السيد أردوغان الذي كان قد جلس على مقعد الرئاسة وهو في حالة بين الإرهاق والسعادة. وإذ به فجأة يقول داعياً الله عز وجل: "يا ربنا القدير، حمداً لك أن جعلتني أعيش هذه الأيام، فلا أبالي الآن إن قبضت روحي وتوفيتني!".

ثم بدأ يتذكر ما قاله للسيد أردوغان مساء آخر يوم له في سجن بينار حصار:

"يا سيد أردوغان سيأتي اليوم إن شاء الله الذي ستصبح فيه رئيساً للوزراء، ولن يمكننا أن نكون بجانبك ذلك اليوم". وكان أردوغان قد رد عليه ساعتها قائلاً: "انظر يا مصطفى، أنا أعدك أنه في اليوم الذي أصبح فيه رئيساً للوزراء ستكون أنت أول من أتحدث معه".

وفي تلك الأثناء كان الجمع قد بدأ يقل نسبياً، وإذا بالسيد أردوغان يقول: "يا أصدقاء... أتتركونني قليلاً بمفردي؟".

واستعد "مصطفى غوندوغان" لأن يترك الغرفة مع الآخرين، لكن السيد أردوغان عاد لمصطفى وأشار إليه بيديه قائلاً: "أنت، ابقَ!".

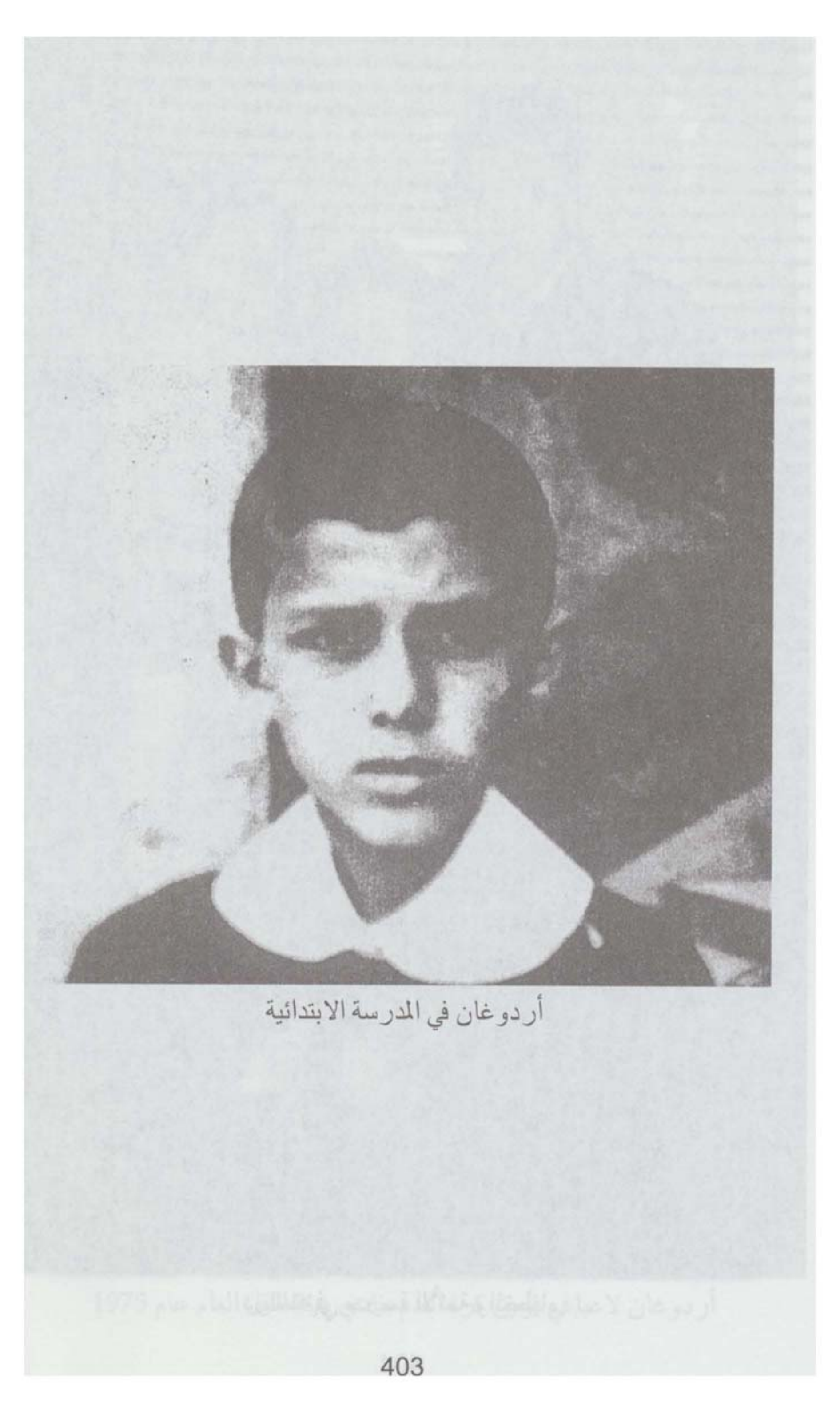
مُلحَقُ صُوَر



أحمد أردوغان: والد رجب طيب أردوغان



تنزيله أردوغان: والدة رجب طيب أردوغان



أردوغان في المدرسة الابتدائية



دراسته في مدرسة الأئمة والخطباء



أردوغان رئيسا لجناح الشباب بحزب السلامة الوطني عام 1976



أردوغان لاعبا في فريق كرة القدم بنادي هيئة النقل العام عام 1975



أردوغان وزوجته السيدة أمينة غولباران



أردوغان وهو يؤدي الخدمة العسكرية



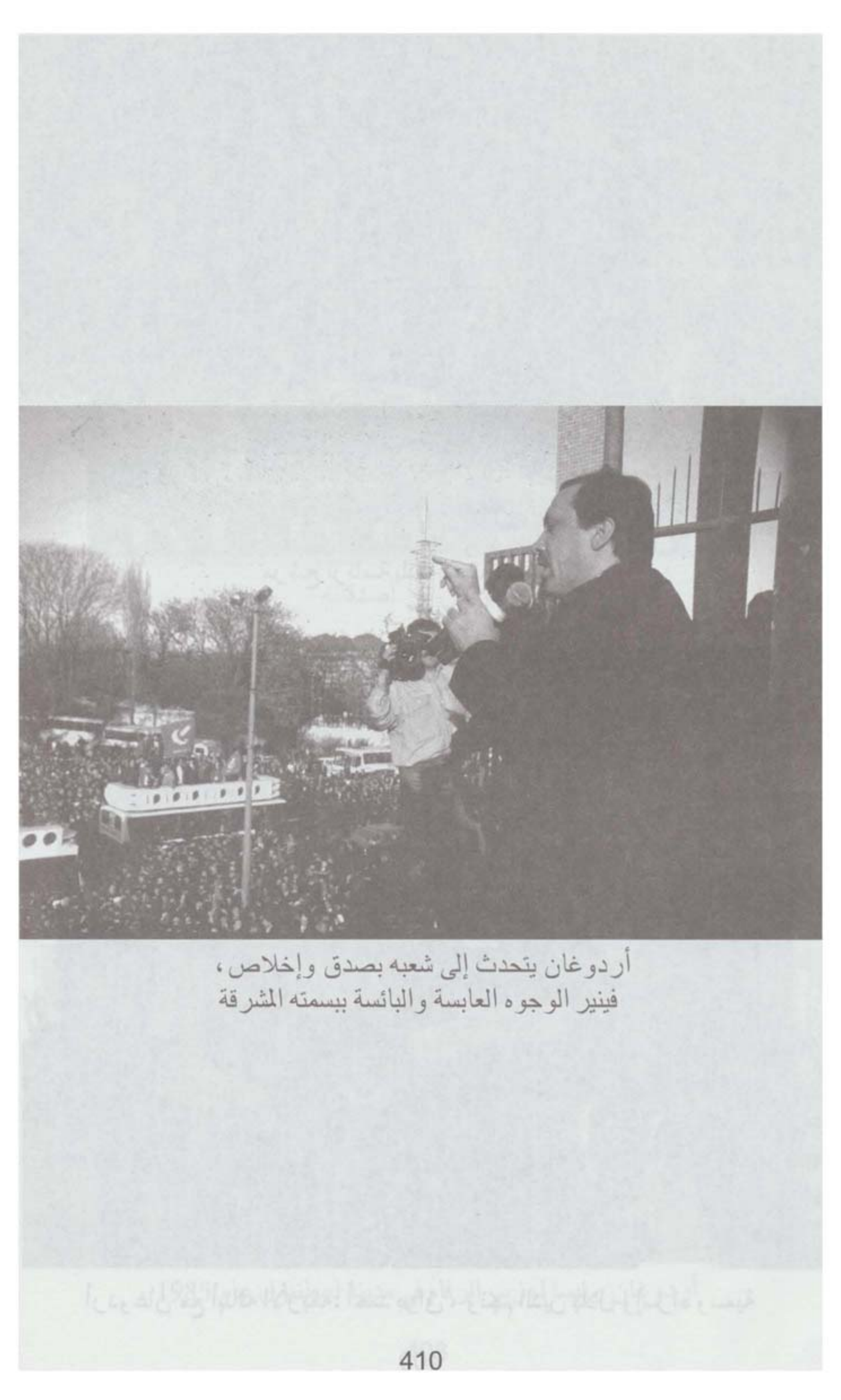
أردوغان بين أصدقائه

أردوغان رئيسا لحزب الرفاه في مدينة اسطنبول عام 1985

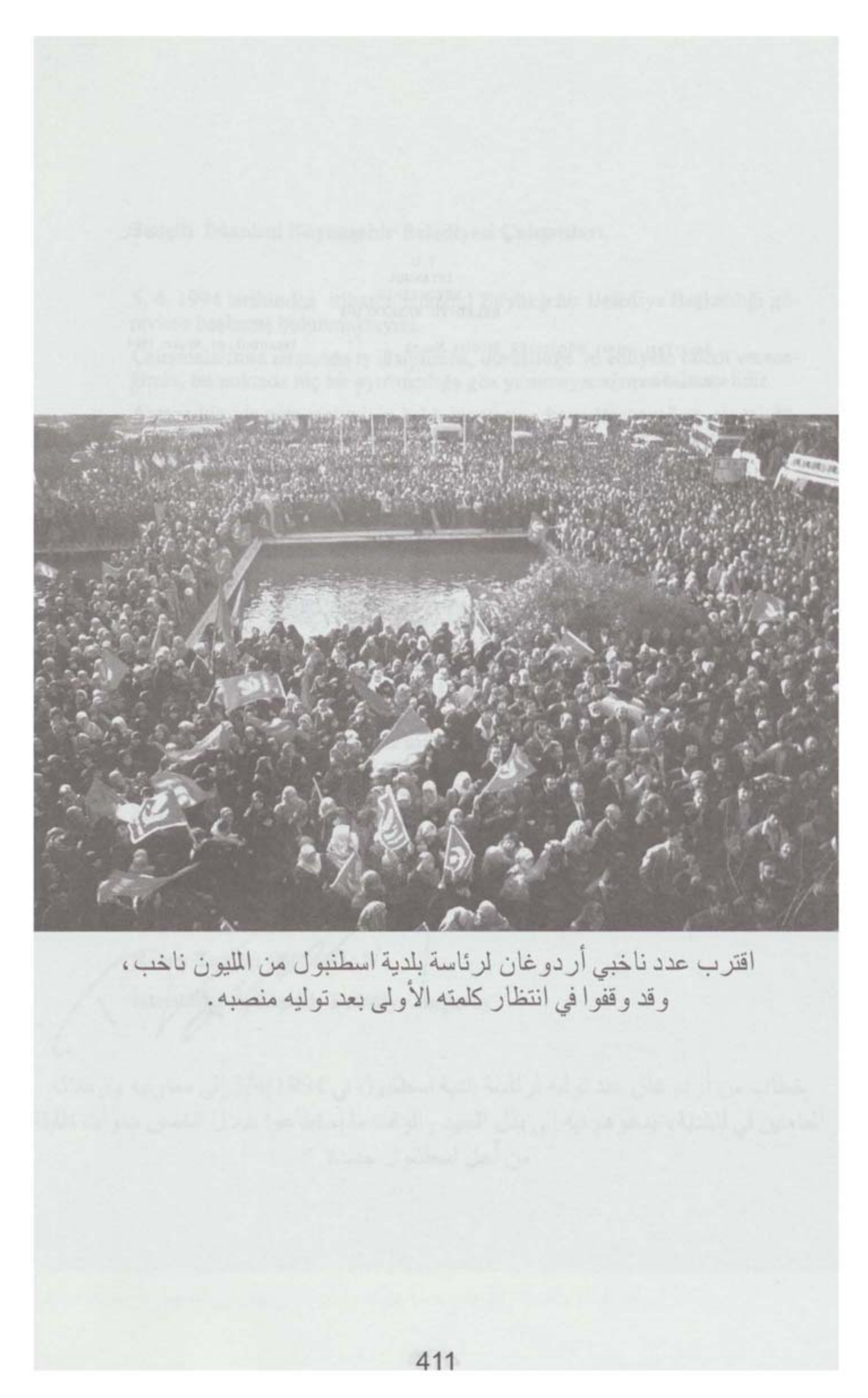


مرشح لرئاسة بلدية مدينة اسطنبول

أردوغان مع أبنائه الأربعة: أحمد براق ، ونجم الدين بلال وإسراء وسمية



أردوغان يتحدث إلى شعبه بصدق وإخلاص،
فينير الوجوه العابسة والبائسة ببسمته المشرقة



اقترب عدد ناخبي أردوغان لرئاسة بلدية اسطنبول من المليون ناخب، وقد وقفوا في انتظار كلمته الأولى بعد توليه منصبه.

16-2

T.C.
İSTANBUL
BÜYÜKŞEHİR
BELEDİYE BAŞKANLIĞI

Sayı:Yazı İşleri Müdürlüğü Bildiri No:52 İstanbul, 07 Nisan 1994

Konu:Mesaj.

Büyükşehir Belediye Başkanımız Sayın Recep Tayyip ERDOĞAN'ın 05.04.1994 tarihinde göreve başlaması nedeniyle yayımlamış olduğu mesaj ilişikte olup, tüm personelinize duyurulmasını rica ederim.

BELEDİYE BAŞKANI ADINA

Genel Sekreter

Tuğrul ERKİN

Sevgili İstanbul Büyükşehir Belediyesi Çalışanları,

5. 4. 1994 tarihinden itibaren İstanbul Büyükşehir Belediye Başkanlığı görevime başlamış bulunmaktayım.

Çalışmalarımız sırasında iş disiplinine, dürüstlüğe ve ehliyete önem vereceğimiz, bu noktada hiç bir ayırımcılığa göz yummayacağımız bilinmelidir.

Ayrıca hiç bir personelimizin kılık kıyafetine karışılmayacağını, siyasi düşünceleri ve yaşam tarzları nedeniyle farklı muameleye tabi tutulmayacağını önemle vurgulamak isterim.

Bütün bunların ışığında tüm çalışanlarımızın gönül rahatlığı ile görevlerine devam etmeleri en büyük dileğimizdir.

İstanbul hepimizindir. Güzellikleri ve sorunlarıyla bu kentte hep birlikte yaşamaktayız.

Güzellikleri korumak, sorunları çözmek için çaba sarfetmek, hepimiz için kutsal bir görevdir.

Bu nedenle sizlerle, çabalarımızın karşılığını almak için gece gündüz demeden canla başla, işbirliği ve dayanışma içinde çalışmaktan mutluluk duyacağım.

Bildiğiniz gibi, halkımıza dürüst ve hakça çalışma sözü verdik. Görevinde dürüst, halkımıza karşı şefkatli, hukuka uygun davranan ve hakkı koruyan herkesi, bizzat şahsımın teminatı altına alıyorum.

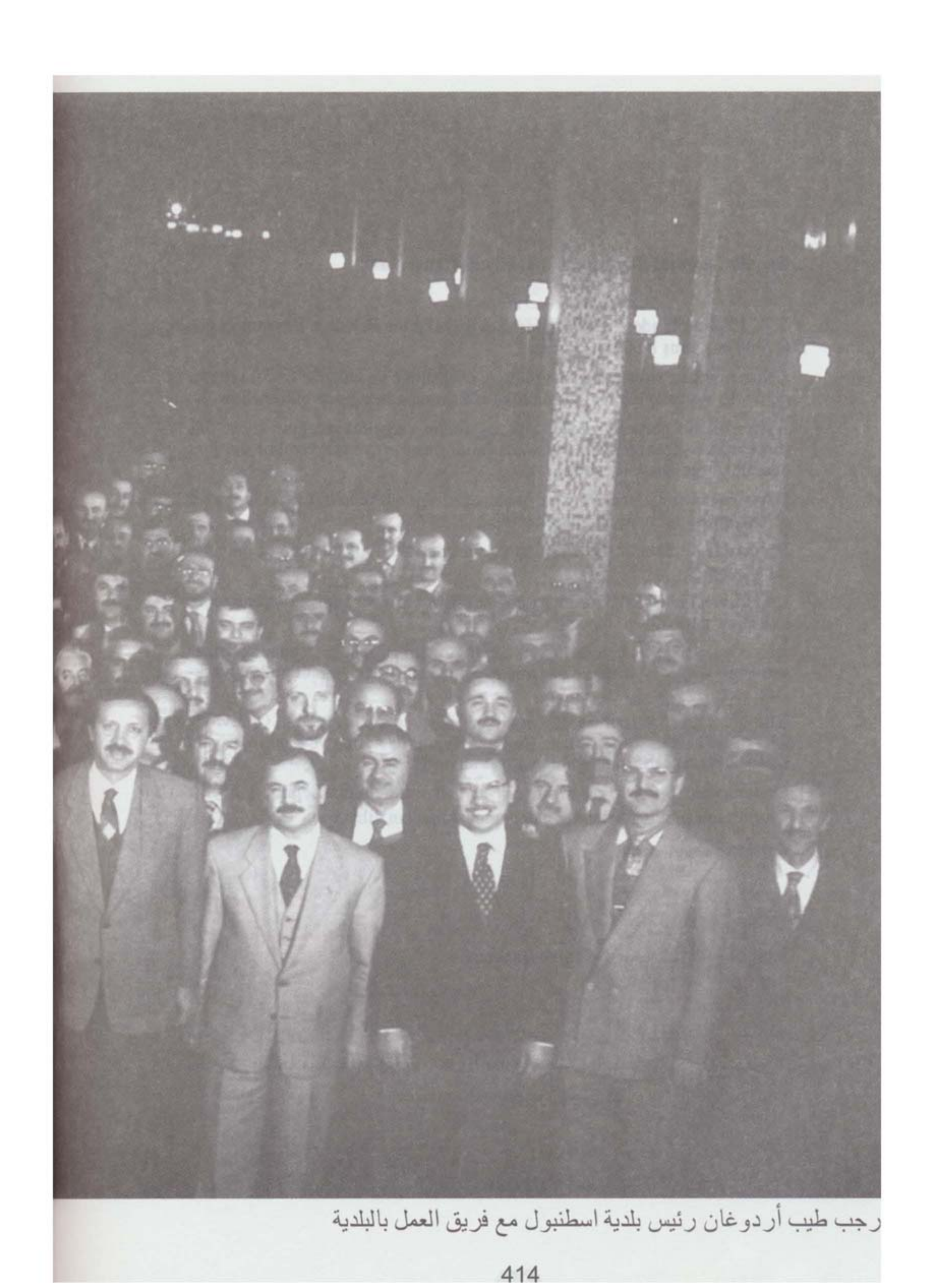
Önümüzdeki beş yılı kapsayan yeni çalışma döneminin hepimize hayırlı uğurlu olmasını, başarılarınızın devamını Allah'tan diliyorum.

Selam ve sevgilerimle...

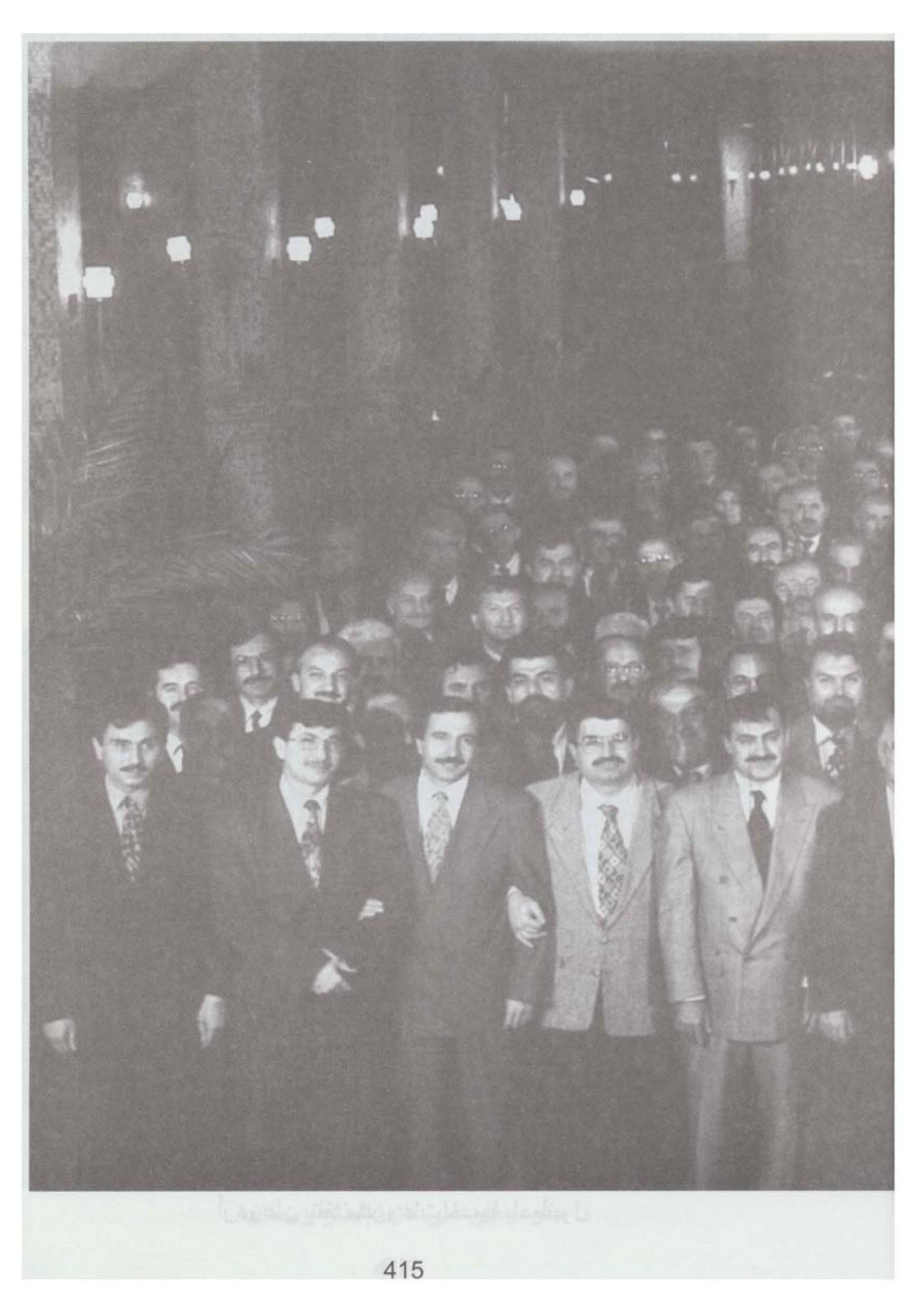
Recep Tayyip ERDOĞAN

İstanbul Büyükşehir Belediye Başkanı

خطاب من أردوغان عند توليه لرئاسة بلدية اسطنبول في 5/4/1994 إلى معاونيه وزملائه العاملين في البلدية، يدعوهم فيه إلى بذل الجهد والوقت ما استطاعوا خلال الخمس سنوات المقبلة من أجل اسطنبول جديدة



رجب طيب أردوغان رئيس بلدية اسطنبول مع فريق العمل بالبلدية





أردوغان أثناء تفقد مشروع خط إسالة المياه في اسطنبول

أردوغان يتفقد مشروعات خدمية باسطنبول



أردوغان لا يتغيب عن أداء واجب العزاء، ويشارك في حمل النعش أيضا

أردوغان على مائدة إفطار رمضانية



أردوغان يأكل مع الفقراء مما يأكلون، ويشرب مما يشربون



أردوغان يتناول العيران (شراب الزبادي) الذي أعدته له السيدة العجوز



أردوغان قريب من الشعب وأحزانه وآلامه، فهو واحد منهم يشعر بهم ويتألم لألمهم



نظم الحفل "محمد جازاجان" وكان بمثابة وداع لأردوغان قبل دخوله إلى السجن، وبالطبع شاركه الفنان "أحمد قايا" ولم يتركه بمفرده. وقبل أن يبدأ «أحمد قايا» بالعزف في الحفل الموسيقي قال على الملأ: «إني أتمنى في الذكرى الخامسة والسبعين على تأسيس جمهوريتنا أن نعيش أياماً أفضل، وأن نلتقي جميعاً في جمهوريات تحترم الإنسان، وتتيح حرية التعبير، ولا تعتقل من يغني أغنية، أو يقرأ شعراً... وأنا أعزف من أجل كل الأبطال المسجونين والذين سيدخلون السجن...». ثم بدأ يغني أغنية الشفق لـ «نفزاد تشاليك»: «لا تبحثي عني هنا يا أماه / ولا تسألي عن اسمي على الباب / ولا تنتزعي النجمة الساقطة على شعرك / لاتبكي يا أمي...»



أردوغان يودع المواطنين قبل ذهابه إلى سجن بينار حصار



أردوغان عند دخوله سجن بينار حصار



أردوغان مع زائريه في سجن بينار حصار

أردوغان في سجن بينار حصار

«نحاكم الأشعار، ونمنع الأفكار، ونعلق الحريات، ثم نشتكي ونقول لماذا لا تعجبهم لدينا حقوق الأنسان وحرية الفكر والتعبير!»



في أول نزهة له مع عائلته بعد خروجه من السجن

أردوغان يلقي كلمته في حفل تأسيس حزب العدالة والتنمية في 14 أغسطس /آب 2001



أردوغان: "كلما وقفت أخطب في المواطنين أحرص على النظر إلى عيونهم قدر الامكان، فالفرحة



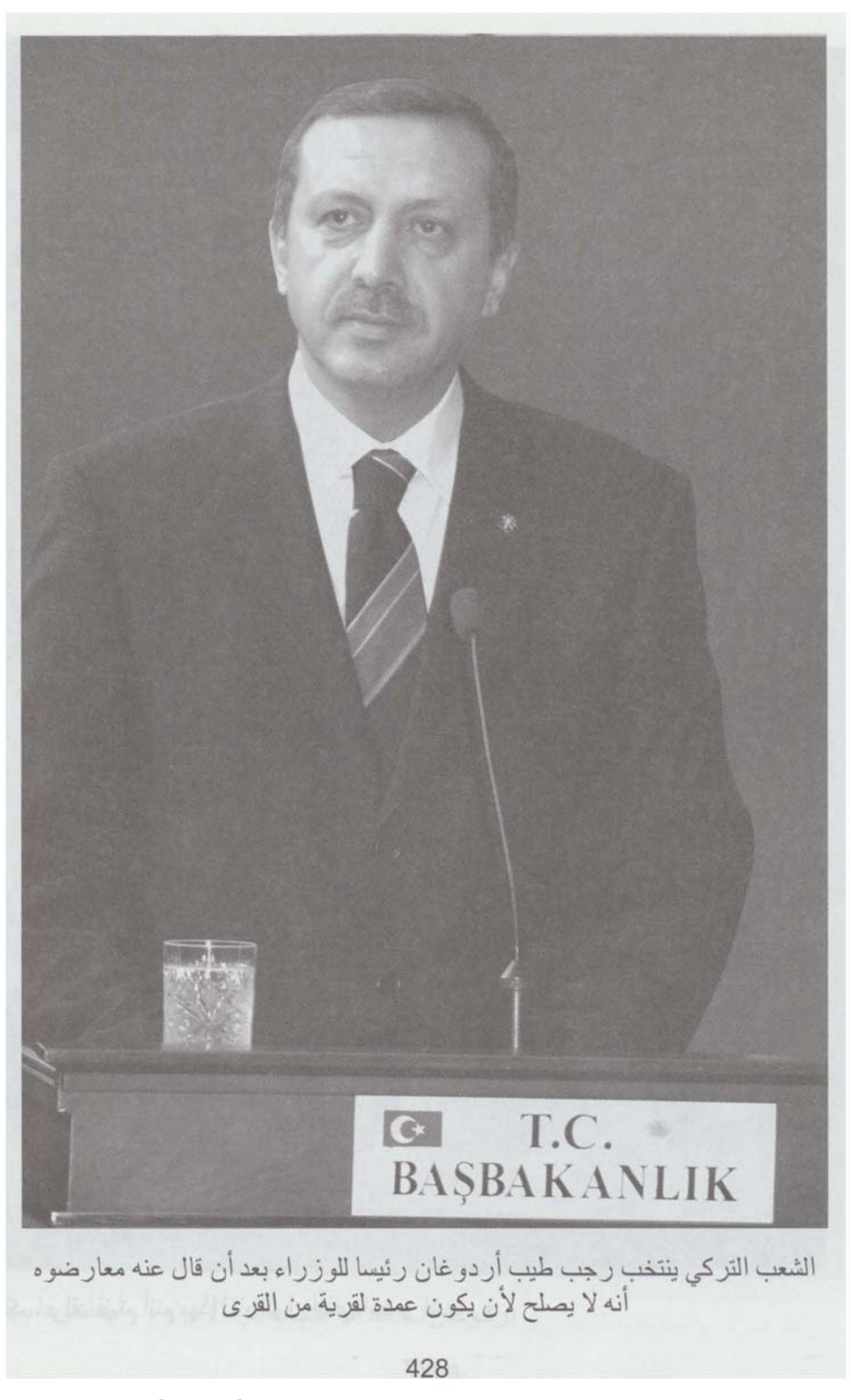
والسرور التي أراهما في عيونهم تشعر قلبي بالدفء، وتبدد كل ما ألم بي من تعب ونصب"



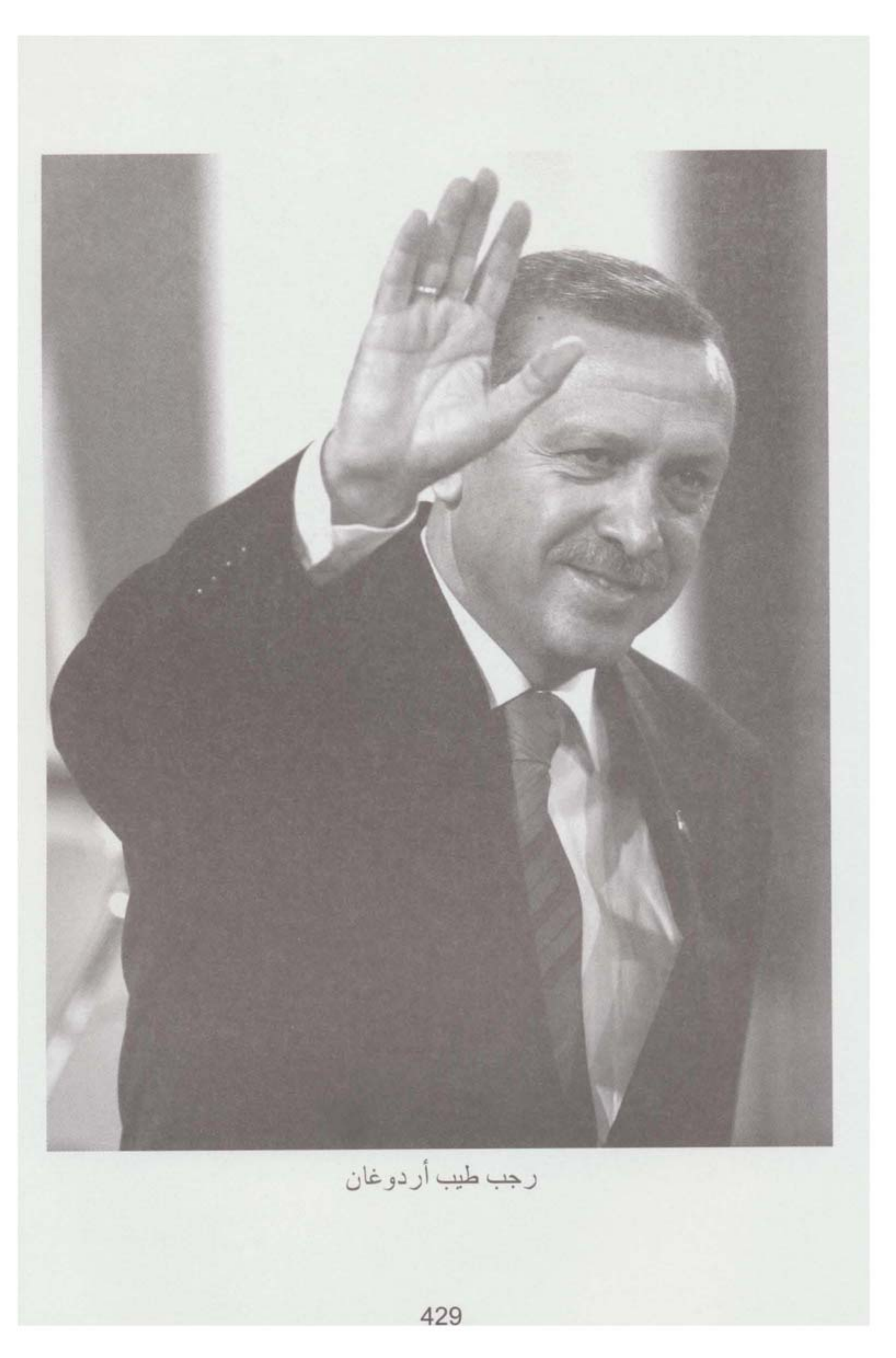
أردوغان: « لقد قلنا لكم أضيئوا الأنوار، وأضأتموها، بل أضأتم كل



الوطن بضيائكم. ولقد فزتم أنتم بهذا الماراثون الذي استمر لشهور»



الشعب التركي ينتخب رجب طيب أردوغان رئيسا للوزراء بعد أن قال عنه معارضوه أنه لا يصلح لأن يكون عمدة لقرية من القرى



رجب طيب أردوغان

رجب طيِّب أردوغان

قصّة زعيم

ربمــا كان لكل إنســان قصــة واحــدة، وربمــا كان في حياة البعضــ العديد من القصــص، ويُعدّ «أردوغان» واحداً من الذين تحفل سيرتهم بالكثير والكثير من القصص والمغامرات.

ويُعـدّ «أردوغـان» مـن أبـرز الشخصـيات التـي تتصـدر اهتمامـات المجتمع لما يتمتـع به من شخصية كاريزمية جذابة، وصفات مميزة، فضلاً عن كونه رئيس وزراء الجمهورية التركية.

إن «أردوغان» يهتم بنا ويرعى مصــالحنا، ولكننا نهتم بشــؤونه وأخباره أكثر، إما عن حب أو كراهيــة، وإما عن إعجــاب أو نفور، وإما بنظرة يحدوها الأمل أحيانــاً أو الريبة أحياناً أخرى، فنحن وإن اختلفت نظراتُنا إليه، فإننا نتفق في متابعتنا له متابعة دقيقة.

يُعدّ «أردوغان» الشخصــية السياســية البارزة التي حققت نجاحات وإسهامات فارقة في تاريخ الجمهوريــة التركية، فمنــذ أعوام طويلــة، بل وعقود عــدة، و«أردوغان» يخوض غمار الحياة السياســية، فضــلاً عن أنه تولى رئاسة وزراء تركيا خــلال الســنوات الثمــاني الأخيرة. وما مــن أحد يجهــل «أردوغان»، فله حضــور دائــم بــين الناســ تنقلــه إلينا عدســات الكامــيرات باســتمرار، والصــور الفوتوغرافية، والمقالات، والرسوم الكاريكاتورية، وربما نراه أكــثر ممــا نــرى أقاربنــا، ونعرفه أكــثر مما نعــرف أصــدقاءنا المقربين، نغضب منه مرة، ونفتخر به مرات أخرى.



ويــدور الكتــاب الذي بين أيديكم حول تاريخ دولة، وتاريخ إنســان، فضــلاً عــن أنه يعد حافظة ومدونــة لفــترة فريدة من تاريــخ تركيا المعاصر؛ فمــا يرويه الكتاب هو قصــتنا جميعاً... إنها قصة رجل يكتب قصتنا.

من المقدمة


ISBN 978-614-01-0327-6



e-mail: info@kul-shee.com
www.kul-shee.com



جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت
في مكتبة نيل وفرات.كوم
www.nwf.com


الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com

تصميم الغلاف: سامح خلف